

سبل الهدى والرشد

الصالحى الشامى ج ١٢

[١]

سبل الهدى والرشد فى سيرة خير العباد للامام محمد بن يوسف الصالحى الشامى المتوفى سنة ٩٤٢ هـ تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ على محمد معوض الجزء الثانى عشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

[٢]

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

[٣]

بسم الله الرحمن الرحيم فى جماع أبواب ما يخصه - صلى الله عليه وسلم - من الأمور الدينوية وما يطرأ عليه من العوارض البشرية وكذا سائر الأنبياء الباب الأول فى حاله فى جسمه صلى الله عليه وسلم قال القاضي: فيما يخصهم فى الأمور الدينوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا أنه - صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء والرسول من البشر، وأن جسمه وظاهره خالص للبشر، يجوز عليه من الآفات والتغييرات، والآلام والأسقام، وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر، وهذا كله ليس بنقيضة فيه، لأن الشئ، إنما يسمى ناقصاً بالاضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه، وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدار: فيها تحيون، وفيها تموتون، ومنها تخرجون، وخلق جميع البشر بمدرجة الغير، فقد مرض صلى الله عليه وسلم، واشتكى، وأصابه الحر والقر، وأدركه الجوع والعطش، ولحقه الغضب والضجر، وناله الإعياء والتعب، ومسه الضعف والكبر، وسقط فجحش شقه، وشججه الكفار، وكسروا ربايته، وسقى السم، وسحر، تداوى، واحتجم، وتنشر وتعود، ثم قضى نجه فتوفى صلى الله عليه وسلم - ولحق بالرفيق الأعلى، وتخلص من دار الامتحان والبلوى، وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها، وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه، فقتلوا قتلاً. ورموا فى النار، ووشروا بالمياشير. ومنهم من وقاه الله ذلك فى بعض الأوقات. ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس، فلئن لم يكف نبينا ربه يد الطائف، فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور، وأمسك عنه سيف غورث، وحجر أبى جهل، وفرس سراقه، ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم، من سم اليهودية. وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى، وذلك من حكمته، ليظهر شرفهم فى هذه المقامات، ويبين أمرهم، ويتم كلمته فيهم، وليحقق بامتحانهم بشريتهم، ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أديهم ضلال النصارى بعبسى ابن مريم، وليكون فى محنهم تسلية لأممهم، ووفور لأجورهم عند ربهم تماماً على الذى أحسن إليهم.

قال بعض المحققين: وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر، ومعاناة بني آدم لمشاكله الجنسي. وأما بواطنهم فمنزهة غالباً عن ذلك معصومة منه، متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم، وتلقيها الوحي منهم. قال: وقد قال صلى الله عليه وسلم: إن عيني تامان ولا ينام قلبي. وقال: إني لست كهيتتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني. وقال: لست أنسى، ولكن أنسى، ليستن بي. فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره، وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع، وسهر ونوم، لا يحل منها شيئاً باطنه، بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن، لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه، وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروساً من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه. وكذلك غيره إذا جاع ضعف لذلك جسمه، وخارت قوته، فبطلت بالكلية جملته، وهو صلى الله عليه وسلم قد أخبره أنه لا يعتريه ذلك، وأنه بخلافهم، لقوله: لست كهيتتكم: إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني. وكذلك أقوال: إنه في هذه الأحوال كلها، من وصب ومرض، وسحر وغضب، لم يجز على باطنه ما يخل به، ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به، كما يعتري غيره من البشر ممناً يأخذ بعد في بيانه. فإن قلت: فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سحر كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه، قال: حدثنا حاتم بن محمد، حدثنا أبو الحسن علي بن خلف، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا عبيد بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشئ وما فعله. وفي رواية أخرى: حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن... الحديث. وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك؟ وكيف جاز عليه - وهو معصوم؟

فاعلم - وفقنا الله وإياك - أن هذا الحديث صحيح متفق عليه، وقد طعنت فيه الملحدة، وتدرعت به لسحق عقولها وتليبسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع، وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدر في نبوته. وأم ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشئ ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شئ من تليغه أو شريعته، أو يقدر في صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروءه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه، كما كان. وأيضاً فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله: حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن. وقد قال سفيان - وهذا أشد من السحر، ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخييلات. وقد قيل: إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشئ أنه فعله، وما فعله، لكنه تخيل لا يعتقد صحته، فتكون اعتقاداته كلها على السداد، وأقواله على الصحة. هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجداد عن هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم، وزدناه بيانا من تلويحاتهم. وكل وجه منها مقنع، لكنه

قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلي وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث، وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب، وعروة بن الزبير، وقال فيه عنهما: سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره، ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجوه من البئر. وروي نحوه، عن الواقدي، وعن عبد الرحمن بن كعب، وعمر بن الحكم. وذكر عن عطاء الخراساني، عن يحيى بن يعمر: حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة، فبينما هو نائم أتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله.. الحديث. قال عبد الرزاق: حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره. وروى محمد بن سعد، عن ابن عباس: مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحبس عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان... وذكر القصة.

[٦]

فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه، لا على قلبه واعتقاده وعقله، وأنه إنما أثر في بصره، وحبسه عن وطء نسائه [وطاقمه وأضعف جسمه وأمراضه]، ويكون معنى قوله: يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على الإتياء، فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر، فلم يقدر على إتيانهن، كما يعتري من أخذ واعترض. ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله: وهذا أشد ما يكون من السحر. ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى: إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله، من باب اختل من بصره، كما ذكر في الحديث، فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه، أو شاهد فعلا من غيره، ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره، لا لشيء طرأ عليه في ميزه. وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا...]

[٧]

الباب الثاني في حكم عقد قلبه - صلى الله عليه وسلم - في الأمور الدنيوية أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه، أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع، كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة، قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن عمر، قال: حدثنا أبو العباس الرازي، حدثنا أبو أحمد بن عمرويه، حدثنا ابن سفيان، حدثنا مسلم، حدثنا عبد الله بن الرومي، وعباس العنبري، وأحمد المعقري، قالوا: حدثنا النضر بن محمد، قال: حدثني عكرمة، حدثنا أبو النجاشي، قال: حدثنا رافع بن خديج قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم بأبرون النخل، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه. قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا، فتركوه، فنقصت، فذكروا ذلك له، فقال: إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر. وفي رواية أنس: أنتم أعلم بأمر دنياكم. وفي حديث آخر: إنما طننت طنا: فلا تؤاخذوني بالظن. وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق، وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب. وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وطنه من أحوالها، لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه، وسنة سننها. وكما حكى ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر:

أهذا منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال: لا، بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: فإنه ليس بمنزل، انفض حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فنزله، ثم نكور ما وراءه من القلب، فنشرب ولا يشربون. فقال: أشرت بالرأي، وفعل ما قاله. وقد قال له الله تعالى: (وشاورهم في الأمر). وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة، فاستشار الأنصار، فلما أخبروه برأيهم رجع عنه. فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها، يجوز عليه فيه ما ذكرناه، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطّة، وإنما هي أمور

[٨]

اعتيادية يعرفها من تجربها، وجعلها همه، وشغل نفسه بها، والنبي - صلى الله عليه وسلم - مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مفيد البال بمصالح الأمة الدينية والدينية، ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور، ويجوز في النادر فيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها، لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة. وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها، وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر.

[٩]

الباب الثالث في حكم عقد قلبه - صلى الله عليه وسلم - في أمور البشر الجارية على يديه ومعرفة المحق من الميطل وعلم المصلح من المفسد وأما من يعتقد في أمور أحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم، ومعرفة المحق من الميطل، وعلم المصلح من المفسد، فهذه السبيل، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه بشئ فلا يأخذ منه شيئاً، وإنما أقطع له قطعة من النار). حدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله، حدثنا الحسين بن محمد الحافظ، حدثنا أبو عمر، حدثنا أبو محمد، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو داود، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن زينب بنت أم سلمة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث. وفي رواية الزهري، عن عروة: (فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صادق فأقضي له). وتجرى أحكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد، وبميين الحالف، ومراعاة الأشبه، ومعرفة العفاص والوكاء، مع مقتضى حكمة الله في ذلك، فإنه تعالى لو شاء لأطلععه على سرائر عبادته، ومخبآت ضمائر أمته، فتولّى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة، ولكن لما أمر الله أمته باتباعه والافتداء به في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره، وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به، لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شئ من ذلك، ولا قامت حجة بقضية من قضاياها لأحد في شريعته، لأننا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله له بما أطلععه عليه من سرائرهم، وهذا ما لا تعلمه الأمة، فأجرى الله تعالى أحكامه على طواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر، ليتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياها، وتنزيل أحكامها، وبأثون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته، إذا البيان بالفعل أوقع منه بالقول، وأدفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول، وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان، وأوضح في وجوه الأحكام، وأكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام، وليقتدي بذلك كله حكام أمته، ويستوثق بما يؤثر عنه، وينضبط قانون شريعته، وطبي

ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر علي غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول، فيعلمه منه بما شاء، ويستأثر بما شاء، ولا يقدر هذا في نبوته، ولا يفصم عروة من عصمته.

[١٠]

الباب الرابع في حكم أقواله الدنيوية من إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله - صلى الله عليه وسلم - قال القاضي: وأما أقواله الدنيوية من إخباره عن أحوال غيره وما يفعله أو فعله الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال، وعلي أي وجه، من عمد أو سهو، أو صحة أو مرض، أو رضا أو غضب، وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم. هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب، فأما المعارض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجاز ورودها منه في الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة، كتوريته عن وجه مغازبه لئلا يأخذ العدو حذره. وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطبيب قلوب المؤمنين من صحابته، وتأكيده في تحبهم ومسيرة نفوسهم، كقوله: لأحملنك على ابن الناقة. وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها: أهو الذي بعينه بياض. وهذا كله صدق، لأن كل حمل ابن ناقة، وكل إنسان بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم: إنني لأمزح ولا أقول إلا حقا. هذا كله فيما باب الخبر، فأما ما باب غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي في الأمور الدنيوية فلا يصح منه أيضا، ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشئ أو ينهى أحدا عن شئ وهو يبطن خلافه. وقد قال صلى الله عليه وسلم: ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين، فكيف أن تكون له خيانة قلب. فإن قلت: فما معنى إذا قوله تعالى في قصة زيد: (وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله، ونخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه...) فاعلم - أكرمك الله، ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وأن يامر زيدا بأمسائها وهو يجب تطبيقه إياها. وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين - أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه، فلما شكها إليه زيد قال له: أمسك عليك زوجك، واتق الله. وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وتطبيق زيد لها.

[١١]

وروي نحوه عمرو بن فائد، عن الزهري، قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش، فذلك الذي أخفي في نفسه. ويصح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا: (وكان أمر الله مفعولا) أي لا بد لك أن تتزوجها. ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها، فدل أنه الذي أخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان أعلمه به تعالى. وقوله تعالى في القصة: (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله مفعولا). فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر. قال الطبري: ما كان الله ليؤتم نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل، قال الله تعالى: (سنة الله في الذين خلوا من قبل)، أي: من النبيين فيما أحل لهم، ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما أعجبته، ومحبتة طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا، ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الأتقياء، فكيف سيد الأنبياء؟ قال القشيري: وهذا إقدام عظيم من قائله، وقلة معرفة

بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله. وكيف يقال: رآها فأعجبتته وهي بنت عمته، ولم يزل يراها منذ ولدت، ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم، وهو زوجها لزيد، وإنما جعل الله طلاق زيد لها، وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها، لإزالة حرمة التبني، وإبطال سنته، كما قال: (ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم). وقال: (لكيلاً يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم). ونحوه لابن فورك. وقال أبو الليث السمرقندي: فإن قيل: فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بإمساكها؟ فهو أن الله أعلم نبيه أنها زوجته، فنهاء النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها، إذ لم تكن بينهما ألفة، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به، فلما طلقها زيد خشى قول الناس: يتزوج امرأة ابنه، فأمره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته، كما قال تعالى: (لكيلاً يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً). وقد قيل: كان أمره لزيد بإمساكها قمعا للشهوة، وردا للنفس عن هواها، وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها. ومثل هذا لا نكرة فيه، لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه

[١٢]

للحسن، ونظرة الفجأة معفو عنها، ثم قمع نفسه عنها، وأمّر زيدا بإمساكها، وإنما تنكر تلك الزيادات التي في القصة. والتعويل والأولى ما ذكرناه عن علي بن حسين، وحكاية السمرقندي، وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري، وعليه قول أبو بكر بن فورك، وقال: إنه معنى ذلك عقد المحققين من أهل التفسير، قال: والنبي صلى الله عليه وسلم منزّه عن استعمال النفاق في ذلك، وإظهار خلاف ما في نفسه، وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى: (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له)، قال: ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد أخطأ. قال: وليس معنى الخشية هنا الخوف، وإنما معناه الاستحياء، أي يستحي منهم أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه. وإن خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبيهم على المسلمين بقولهم: تزوج زوجة ابنه بعد نهي عن نكاح حلائل الأبناء، كما كان، فعاتبه الله على هذا، ونزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له، كما عتبه على مراعاة رضا أزواجه في سورة التحريم بقوله: (لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك، والله غفور رحيم). وكذلك قوله له ها هنا: (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه). وقد روي عن الحسن وعائشة: لو كنتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً كنتم هذه الآية، لما فيه من عتبه وإبداء ما أخفاه.

[١٣]

الباب الخامس في حكم أفعاله الدنيوية - صلى الله عليه وسلم - قال القاضي: وأما أفعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قد قدمناه، ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه. وكله غير قادح في النبوة، بل، إن هذا فيها على الندور، إذ عامة أفعاله على السداد والصواب، بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بينا، إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذ منها لنفسه إلا ضرورته، وما يقيم رمق جسمه، وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه، ويقيم شريعته، ويسوس أمته، وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه، أو بر يوسعه، أو كلام حسن يقوله أو يسمعه، أو تألف شارداً، أو قهر معانداً، أو مداراة حاسداً، وكل هذا لاحق بصالح أعماله، منتظم في زاكي وظائف عباداته، وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف

الأحوال، ويعد للأمر أشباهها، فيركب - في تصرفه لما قرب - الحمار، وفي أسفاره الراحلة، ويركب البغلة في معارك الحرب دليلاً على الثبات، ويركب الخيل ويعدّها ليوم الفزع وإجابة الصارخ. وكذلك في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته. وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكرامية لخلافها وإن كان قد يرى غيره خيراً منه، كما يترك الفعل لهذا، وقد يرى فعله خيراً منه. وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه، كخروجه من المدينة لأحد، وكان مذهبه التحصن بها، وتركه قتل المنافقين، وهو على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم، ورعاية للمؤمنين من قرابتهم، وكرامة لأن يقول الناس: إن محمداً يقتل أصحابه، كما جاء في الحديث، وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها، وحذراً من نفاق قلوبهم لذلك، وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله، فقال لعائشة في الحديث الصحيح: لولا حدثان قومك بالكفر لآتمت البيت على قواعد إبراهيم. ويفعل الفعل ثم يتركه، لكون غيره خيراً منه، كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو من قريش، وقوله: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى. ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه. ويصبر للجاهل، ويقول: إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره، ويبدل له الرغائب ليحب إليه شريعته ودين ربه.

[١٤]

ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته، ويتسمت في ملته، حتى لا يبدو شئ من أطرافه، وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير، ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويضحك مما يضحكون منه، قد وسع الناس بشره وعدله، لا يستغزه الغضب، ولا يقصر عن الحق، ولا يبطن على جلسائه، يقول: ما كان أن تكون له خائنة الأعين. فإن قلت: فما معنى قوله لعائشة رضي الله عنها في الداخل عليه: بنس ابن العشيبة. فلما دخل ألان له القول وضحك معه، فلما سألته عن ذلك قال: إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره. وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن، ويقول في ظهره ما قال؟ فالجواب أن فعله صلى الله عليه وسلم كان استئلافاً لمثله، وتطييباً لنفسه، ليتمكن إيمانه، ويدخل في الإسلام بسببه أتباعه، ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام. ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا إلى السياسة الدينية. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة؟ قال صفوان: لقد أعطاني وهو أبغض الخلق إلي، فما زال يعطيني حتى صار أحب الخلق إلي. وقوله فيه: بنس ابن العشيبة - هو غير غيبة، بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم، ليحذر حاله، ويحترز منه، ولا يوثق بجانبه كل الثقة، ولا سيما وكان مطاعاً متبوعاً. ومثل هذا إذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيه، بل كان جائزاً، بل واجباً في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود. فإن قيل: فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة، وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا أن يكون لهم الولاء، فقال لها صلى الله عليه وسلم: اشتريها واشترطي لهم الولاء. ففعلت، ثم قام خطيباً، فقال: ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد أمرها بالشرط لهم وعليه باعوها، ولولاه - والله أعلم - لما باعوها من عائشة، كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها، ثم أبطله صلى الله عليه وسلم، وهو قد حرم الغش والخديعة. فاعلم - أكرمك الله - أن النبي صلى الله عليه وسلم منزله عما يقع في بال الجاهل من هذا، ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد أنكر قوم هذه الزيادة: قوله: اشتريهم الولاء، إذ ليست في أكثر طرق.

الحديث مع ثباتها فلا اعتراض بها، إذ يقع (لهم) بمعنى (عليهم)، قال الله تعالى: (أولئك لهم اللعنة). وقال: (وإن أسأتم فلها). فعلي هذا اشتراطي عليهم الولاء لك، ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف من شرط الولاء لأنفسهم قبل ذلك. ووجه ثان: أن قوله صلى الله عليه وسلم: اشتراطي لهم الولاء، ليس على معنى الأمر، لكن على معنى التسوية والإعلام بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل أن الولاء لمن أعتق، فكأنه قال: اشتراطي أو لا تشتراطي، فإنه شرط غير نافع. وإلى هذا ذهب الداودي وغيره، وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم، وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا. الوجه الثالث: أن معنى قوله: اشتراطي الولاء، أي أظهري لهم حكمه، وبينني سنته بأن الولاء إنما هو لمن أعتق. ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه. فإن قيل: فما معنى فعل يوسف عليه السلام بأخيه، إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم سرقته، وما جرى على إخوته في ذلك، وقوله تعالى: (إنكم لسارقون)، ولم يسرقوا. فاعلم - أكرمك الله - أن الآية تدل على أن فعل يوسف كان عن أمر الله، لقوله تعالى: (كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم). فإذا كان كذلك فلا اعتراض به، كان فيه ما فيه. وأيضا فإن يوسف كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس، فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته، وعلى يقين من عقبى الخير له به، وإزاحة السوء والمضرة عنه بذلك. وأما قوله: (أيتها العير إنكم لسارقون)، فليس من قول يوسف. فيلزم عليه جواب لحل شبهه. ولعل قائله إن حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك. وقد قيل: قال ذلك لفعالهم قبل بيوسف وبيعهم له. وقيل غير هذا. ولا يلزم أن نقول الأنبياء ما لم يأت أنهم قالوه، حتى يطلب الخلاص منه، ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم.

الباب السادس في الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وكذا سائر الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قال القاضي: [فإن قيل: فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام؟ وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء، وامتحنهم بما امتحنوا به، كأيوب، ويعقوب، ودانيال، ويحيى، وزكريا، وعيسى، وإبراهيم، ويوسف، وغيرهم. صلوات الله عليهم، وهم خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفيائه. فاعلم - وفقنا الله وإياك - أن أفعال الله تعالى كلها عدل، وكلماته جميعها صدق، لا تبدل لكلماته، يبتلي عباده كما قال تعالى لهم (لننظر كيف تعلمون). (وليلوكم أيكم أحسن عملا - وليعلم الله الذين آمنوا - ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين). (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم). فامتحنه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم والتوكل، والتفويض، والدعاء، والتضرع منهم، وتأكيد لبصائرهم في رحمة، ورفعة في درجاتهم، وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضا، والشكر والتسليم، الممتحنين، والشفقة على المبتلين، وتذكرة لغيرهم، وموعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم، فيتسلوا في المحن بما جرى عليهم، ويقتدوا بهم في الصبر، ومحو لهفات فرطت منهم، أو غفلات سلفت لهم، ليلقوا الله طيبين مهذبين، وليكون أجرهم أكمل، وثوابهم أوفر وأجزل. حدثنا القاضي أبو علي الحافظ، حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا: حدثنا أبو يعلى

البغدادي، حدثنا أبو علي السنجي، حدثنا محمد بن محبوب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة، حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن مصعب بن سعد عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثال فالأمثال، يبتلى الرجل على حسب دينه، فلما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة. وكما قال تعالى: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين. وما كان قولهم إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين). وعن أبي هريرة: ما يزال البلاء بالمؤمن [والمؤمنة] في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة.

[١٧]

وعن أنس، عنه صلى الله عليه وسلم: إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة. وفي حديث آخر: إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه. وحكى السمرقندي أن كل من كان أكرم على الله تعالى كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله، ويستوجب الثواب، كما روي عن لقمان أنه قال: يا بني، الذهب والفضة يختبران بالنار، والمؤمن يختبر بالبلاء. وقد حكى أن ابتلا يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلواته إليه، ويوسف نائم محبة له. وقيل: بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي، وهما يضحكان، وكان لهما جار يتيم، فشم ريحه واشتهاه وبكى، وبكت جدة له عجوز لبكائه، وبينهما جدار، ولا علم عند يعقوب وابنه، فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن سألت جدته، وابتضت عيناه من الحزن. فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه: ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب. وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها. وروي عن الليث أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على ملكهم، فكلموه في ظلمه، وأغلظوا له إلا أيوب، فإنه رفق به مخافة على زرعه، فعاقبه الله ببلائه. ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبه أصهاره، أو للعمل بالمعصية في داره، ولا علم عنده. وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم، قالت عائشة: رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن عبد الله: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه، يوعك وعكا شديدا، فقلت: إنك لتوعك وعكا شديدا! قال: أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منك. قلت: ذلك أن الأجر مرتين، قال: أجل، ذلك كذلك. وفي حديث أبي سعيد أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم. وقال: والله ما أطيق أضع يدي عليك من شدة حماك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء، إن كان النبي ليبتلي بالقمل حتى يقتله، وإن كان النبي ليبتلي بالفقر، وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء.

[١٨]

وعن أنس، عنه صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. وقد قال المفسرون في قوله تعالى: (من يعمل سوءا يجز به)، إن المسلم يجزى بمصائب الدنيا، فتكون له كفارة. وروي هذا عن عائشة، وأبي، ومجاهد. وقال أبو هريرة، عنه صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يصب منه). وقال في رواية

عائشة: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها). وقال في رواية أبي سعيد: (ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها). وفي حديث ابن مسعود: (ما من مسلم يصبه أذى إلا حات الله عنه خطاياها كل تحت ورق الشجر). وحكمة أخرى أودعها الله في الأمراض لأجسامهم، وتعاقب الأوجاع عليها وشدتها عند مماتهم، لتضعف قوى نفوسهم، فيسهل خروجها عند قبضهم، وتخف عليهم مؤنة النزاع، وشددة السكرات بتقدم المرض، وضعف الجسم والنفوس لذلك. وهذا خلاف موت الفجأة وأخذه، كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين، والصعوبة والسهولة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيؤها الريح هكذا وهكذا). وفي رواية أبي هريرة عنه: (من حيث أتتها الريح تكفؤها، فإذا سكنت اعتدلت، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء. ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمه الله). معناه أن المؤمن مرزأ، مصاب بالبلاء والأمراض، راض بتصريفه بين أقدار الله تعالى، منصاع لذلك، لين الجانب برضاه وقلة سخطه، كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح، وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما أتتها، فإذا أزاح الله عن المؤمن رياح البلياء، واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو إلى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه، منتظرا رحمته وثوابه عليه. فإذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت، ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه، لعادته بما تقدم من الآلام ومعرفة ما له فيها من الأجر، وتوطينه نفسه على المصائب ورفقتها وضعفها بتوالي المرض أو شدته، والكافر بخلاف هذا: معافي في غالب

حاله ممتع بصحة جسمه، كالأرزة الصماء، حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة، وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفيق، فكان موته أشد عليه حسرة، ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما عذابا، ولعذاب الآخرة أشد، كانجعا للأرزة. وكما قال تعالى: (فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون). وكذلك عادة الله تعالى في أعدائه كما قال تعالى: (فكلا أخذنا بذنبيه، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا...)، ففاجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة، وصبحهم به على غير استعداد بغتة، ولهذا ما كره السلف موت الفجأة. ومنه في حديث إبراهيم: كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف: أي الغضب، يريد موت الفجأة. وحكمة ثالثة أن الأمراض نذير الممات، ويقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت، فيستعد من أصابته وعلم تعاهدها له، للقاء ربه، ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد، ويكون قلبه معلقا بالمعاد، فيتصل من كل ما يخشى تباغته من قبل الله، وقبل العباد، ويؤدي الحقوق إلى أهلها، وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده. وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما تأخر، قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن، وأفاد من نفسه وماله، وأمكن من القصاص منه، على ما ورد في حديث الفضل، وحديث الوفاة، وأوصى بالثقلين بعده: كتاب الله، وعتوته، وبالأنصار عينته، ودعا إلي كتب كتاب لثلاث تفضل أمته بعده، إما في النص على الخلافة، أو الله أعلم بمراده. ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا. وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائهم المتقين. وهذا كله يحرمه غالبا الكفار، لإملاء الله لهم، ليزدادوا إثما، وليستدرجهم من حيث لا يعلمون، قال الله تعالى: (ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخضمون. فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون). ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجأة: (سبحان الله ! كأنه على غضب، المحروم من حرم وصيته). وقال: (موت الفجأة راحة للمؤمن، وأخذة أسف للكافر

والفاجر)، وذلك لأن الموت يأتي المؤمن، وهو غالبا مستعد له منتظر لحوله، فهان أمره عليه كيفما جاء، وأفضى إلى راحته من نصب الدنيا وأذاها، كما قال صلى الله عليه وسلم: مستريح ومستراح منه. وتأتي الكافر والفاجر منيته على

[٢٠]

غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة، بل تأتيهم بغتة فتبهمهم، فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون، فكان الموت أشد شئ عليه. وفراق الدنيا أقطع أمر صدمه، وأكره شئ له، وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وسلم بقوله: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) [.

[٢١]

جماع أبواب حكم من سبه أو انتقصه وكذا سائر الأنبياء - صلوات الله سلامه عليهم أجمعين - الباب الأول في ذكر فوائد كالمقدمة للأبواب الآتية [قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه: قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم، وما يتعين له من بر وتوقير، وتعظيم وإكرام، وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه، وأجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه، قال الله تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا). وقال تعالى: (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم). وقال الله تعالى: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا، إن ذلكم كان عند الله عظيما). وقال تعالى في تحريم التعريض به: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم). وذلك أن اليهود كانوا يقولون: راعنا يا محمد، أي أرعنا سمعك، واسمع منا، ويعرضون بالكلمة، يريدون الرعونة، فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم، وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها، لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به. وقيل: بل لما فيها من مشاركة اللفظ، لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت. وقيل: بل لما فيها من قلة الأدب، وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، لأنها في لغة الأنصار بمعنى: ارعنا نرعك، فنهوا عن ذلك، إذ مضمونه أنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم، وهو - صلى الله عليه وسلم - واجب الرعاية بكل حال، وهذا هو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته، فقال: تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي، صيانة لنفسه، وحماية عن أذاه، إذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادی: يا أبا القاسم، فقال: لم أعنك، إنما دعوت هذا، فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره لمن لم يدعه، ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإضرار به، فينادونه، فإذا التفت قالوا: إنما أردنا هذا - لسواه - تعنيانا له، واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين، فحمى صلى الله عليه وسلم حمى أذاه بكل وجه، فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته، وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة.

[٢٢]

وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها، وما ذكرناه هو مذهب الجمهور، والصواب إن شاء الله. وإن ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره، وعلى سبيل النذب والاستحباب، لا على التحريم، ولذلك لم

بینه عن اسمه، لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً)، وإنما كان المسلمون يدعون به رسول الله، وبنبي الله، وقد يدعوه - بكنيته أبا القاسم - بعضهم في بعض الأحوال. وقد روى أنس رضي الله عنه، عنه صلى الله عليه وسلم، ما يدل على كراهة التسمي باسمه، وتنزيهه عن ذلك، إذا لم يوقر، فقال: تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم. وروي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة: لا يسمي أحد باسم النبي صلى الله عليه وسلم، حكاه أبو جعفر الطبري. [وحكى محمد بن سعد أنه نظر إلى رجل اسمه محمد، ورجل يسميه ويقول له: فعل الله بك يا محمد وصنع. فقال عمر لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب: لا أرى محمداً صلى الله عليه وسلم يسب بك، والله لا تدعى محمداً ما دمت حياً، وسماه عبد الرحمن، وأراد أن يمنع أن يسمي أحد بأسماء الأنبياء إكراماً لهم بذلك، وغير أسماء جماعة تسموا بأسماء الأنبياء، ثم أمسك]. والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله عليه وسلم، بدليل إطباق الصحابة على ذلك. وقد سمي جماعة منهم ابنه محمداً، وكانه بأبي القاسم. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في ذلك لعلي رضي الله عنه. وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن ذلك اسم المهدي وكنيته. [وقد سمي به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة، ومحمد بن عمرو بن حزم، ومحمد بن ثابت بن قيس، وغير واحد، وقال: ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة].

[٢٣]

الباب الثاني في بيان ما هو في حقه - صلى الله عليه وسلم - سب من المسلم [اعلم - وفقنا الله وإياك - أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم، أو عابه، أو الحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرض به، أو شبهه بشئ على طريق السب له، أو الأزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه، والعيب له، فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب، يقتل كما نبينه، ولا نستثنى فصلاً من فصول هذا الباب على هذا المقصد، ولا نمتري فيه تصريحاً كان أو تلويحاً. وكذلك من لعنه أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيرة بسخف من الكلام وهجر، ومنكر من القول وزور، أو غيره بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه. وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا. وقال أبو بكر بن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل، وممن قال ذلك مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي. قال القاضي أبو الفضل: وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا تقبل توبته عند هؤلاء المذكورين. وبمثلته قال أبو حنيفة، وأصحابه، والثوري وأهل الكوفة، والأوزاعي في المسلم، لكنهم قالوا: هي ردة. روى مثله الوليد بن مسلم عن مالك. وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم، أو برئ منه أو كذبه. وقال سحنون فيمن سبه: ذلك ردة كالزندقة. وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره، وهل قتله حد أو كفر، كما سنبينه في الباب الثالث إن شاء الله تعالى، ولا نعلم خلافاً في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة، وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره، وأشار بعض الظاهرية - وهو أبو محمد علي بن أحمد الفارسي إلى الخلاف في تكفير المستخف به.

[٢٤]

والمعروف ما قدمناه، قال محمد بن سحنون: أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر. والوعيد جار عليه بعذاب الله، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر. واحتج إبراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله - عن النبي صلى الله عليه وسلم: صاحبكم. وقال أبو سليمان الخطابي: لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما. وقال ابن القاسم - عن مالك في كتاب ابن سحنون، والميسوط، والعتبية، وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب: من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل، ولم يستتب. قال ابن القاسم في العتبية: من سبه أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإن يقتل، وحكمه عند الأمة القتل كالزندق. وقد فرض الله تعالى توقيره وبره. وفي الميسوط - عن عثمان بن كنانة: من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب أو ولم يستتب والإمام مخير في صلبه حيا أو قتله. ومن رواية أبي المصعب، وابن أبي أويس: سمعنا مالكا يقول: من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو شتمه، أو عابه، أو تنقصه - قتل مسلما كان أو كافرا، ولا يستتاب. وفي كتاب محمدا: أخبرنا أصحاب مالك أنه قال: من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب. وقال أصبغ: يقتل على كل حال أسر ذلك أو أظهره، ولا يستتاب، لأن توبته لا تعرف. وقال عبد الله بن الحكم: من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب. وحكى الطبري مثله عن أشهب، عن مالك. وروى ابن وهب، عن مالك: من قال: إن رداء النبي صلى الله عليه وسلم - ويروي زر النبي صلى الله عليه وسلم - وسخ، أراد عيبه - قتل. وقال بعض علمائنا: أجمع العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل، أو بشئ من المكروه - أنه يقتل بلا استتابة.. أفنى أبو الحسن القاسمي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم: الحمال يتيم أبي طالب بالقتل.

وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية، فقال لهم: تريدون تعرفون صفته، هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته. قال: ولا تقبل توبته. وقد كذب - لعنه الله، وليس يخرج من قلب سليم الإيمان. وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون: من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل. وقال في رجل قيل له: لا، وحق رسول الله. فقال: فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا، فقيل له: ما تقول يا عدو الله؟ فقال أشد من كلامه الأول، ثم قال: إنما أردت برسول الله العقرب. فقال ابن أبي سليمان الذي سأله: اشهد عليه وأنا شريكك - يريد في قتله وثواب ذلك. قال حبيب بن الربيع: لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل، لأنه امتهان، وهو غير معزز لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا موقر له، فوجب إباحتها. وأفتى أبو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل: أد واشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقال إن سألت أو جعلت فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم - بالقتل. وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم، وختن حيدرة، وزعمه أن زهد لم يكن قصدا، ولو قدر على الطيبات أكلها، إلى أشباه لهذا. وأفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري، وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم، وكان ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة، فرفعت عليه أمور منكورة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا صلى الله عليه وسلم، فأخضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء، وأمر بقتله وصلبه،

فطعن بالسكين، وصلب منكسا، ثم أنزل وأحرق بالنار. وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي استدارت، وحولته عن القبلة، فكان آية للجميع، وكبر الناس، وجاء كلب فولغ في دمه، فقال يحيى بن عمر: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يبلغ الكلب في دم مسلم. وقال القاضي أبو عبد الله بن المرابط: من قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، لأنه تنقص، إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته، إذ هو على بصيرة من أمر، وبقين من عصمته.

[٢٦]

وقال حبيب بن ربيع القروي: مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه صلى الله عليه وسلم: ما فيه نقص قتل دون استتابه. وقال ابن عتاب: الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص، معرضا أو مصرحا، وإن قل - فقتله واجب، فهذا الباب كله مما عده العلماء سببا أو تنقضا يجب قتل قائله، لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم، وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد. وكذلك أقول: حكم من غمسه أو غيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر، أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه، أو أذى من عدوه، وشدة من زمنه، أو بالميل إلى نساته، فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل. وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك، ويأتي ما يدل عليه [..].

[٢٧]

الباب الثالث في بيان ما هو حقه - صلى الله عليه وسلم - سب من الكافر قال القاضي: [فأما الذمي إذا صرح بسبه أو عرض، أو استخف بقدره، أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به - فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم، لأننا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا، وهو قول عامة الفقهاء، إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة، فإنهم قالوا: لا يقتل، ما هو عليه من الشرك أعظم، ولكن يؤدب ويعزر. واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى: (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر، إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون). ويستدل عليه أيضا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم - لابن الأشرف وأشباهه، ولأننا لم نعهدهم، ولم نعطهم الذمة على هذا، ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم، فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم، وصاروا كفارا يقتلون لكفرهم. وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عنهم، من القطع في سرقة أموالهم، والقتل لمن قتلوه منهم، وإن كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به. ووردت لأصحابنا طواهر تقتضي الخلاف إذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به، ستقف عليها من الكلام ابن القاسم وابن سحنون بعد. وحكى أبو المصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين. واختلفوا إذا سبه ثم أسلم، فقيل: يسقط إسلامه قتله، لأن الإسلام يجب ما قبله، بخلاف المسلم إذا سبه ثم تاب، لأننا نعلم باطنة الكافر في بغضه له، وتنقصه بقلبه، لكننا منعناه من إظهاره، فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة للأمر، ونقضا للعهد، فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله، قال الله تعالى: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف). والمسلم بخلافه، إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره، وخلاف ما بدا منه الآن، فلم نقبل بعد رجوعه، ولا استنمنا إلى باطنه، إذ قد بدت سرائره، وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لا يسقطها شيء. وقيل: لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله، لأنه حق للنبي صلى

الله عليه وسلم وحب عليه، لانتهاكه حرمة، وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به، فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه، كما وحب عليه من حقوق المسلمين من قبل إسلامه من قتل وقذف، وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فإننا لا نقبل توبة الكافر أولى.

[٢٨]

وقال مالك في كتاب ابن حبيب، والمبسوط، وابن القاسم، وابن الماجشون، وابن عبد الحكم، وأصيح - فيمن شتم نبينا من أهل الذمة أو أحدا من الأنبياء عليهم السلام قتل إلا أن يسلم، وقاله ابن القاسم في العتبية، وعند محمد، وابن سحنون. وقال سحنون وأصيح: لا يقال له: أسلم، ولا لا تسلم، ولكن إن أسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد: أخبرنا أصحاب مالك أنه قال: من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو غيره من الأنبياء من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب. وروي لنا عن مالك: إلا أن يسلم الكافر. وقد روى ابن وهب، عن ابن عمر - أن راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم! فقال ابن عمر: فهلا قتلتموه! وروي عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال: إن محمدا لم يرسل إلينا، إنما أرسل إليكم، وإنما نبينا موسى أو عيسى، ونحو هذا: لا شئ عليهم، لأن الله تعالى أقرهم على مثله. وأما إن سبه فقال: ليس بنبي، أو لم يرسل، أو لم ينزل عليه قرآن، إنما هو شئ تقوله أو نحو هذا فيقتل. وقال ابن القاسم: وإذا قال النصراني: ديننا خير من دينكم، وإنما دينكم دين الحمير، ونحو هذا من القبيح، أو سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، فقال: كذلك يعطيكم الله، ففي هذا الأدب الموجه والسجن الطويل. قال: وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم، قاله مالك غير مرة، ولم يقل: يستتاب. قال ابن القاسم: ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعا. وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد: كذبت - يعاقب العقوبة الموجهة مع السجن الطويل. وفي النوادر من رواية سحنون عنه: من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم. قال محمد بن سحنون: فإن قيل: لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه؟ قيل: لأننا لم نعظم العهد على ذلك، ولا على قتلنا، وأخذ أموالنا، فإذا قتل واحدا منا قتلناه، وإن كان من دينه استحلاله، فكذلك إظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم. قال سحنون: كما لو بذل هنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل.

[٢٩]

الباب الرابع في بيان قتل الساب إذا ممن يدعي الإسلام ولم يتب قال القاضي: [الحجّة في إيجاب قتل من سبه أو عابه صلى الله عليه وسلم فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة، وقرانه تعالى أذاه بأذاه، ولا خلاف في قتل من سب الله، وأن اللعن إنما يستوجب من هو كافر، وحكم الكافر القتل، فقال: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاب مهينا). وقال - في قاتل المؤمن مثل ذلك، فمن لعنته في الدنيا القتل، قال الله تعالى: (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا. ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا). وقال - في المجاربيين، وذكر عقوبتهم: (إنما جزاء الذين يجارون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض. ذلك لهم خزي في الدنيا). وقد يقع القتل بمعنى

إللعن، قال الله تعالى: (قتل الخراصون). و(قاتلهم الله أنى يؤفكون)، أي لعنهم الله، ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين، وفي أذى المؤمنين ما دون القتل، من الضرب والنكال، فكان حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك، وهو القتل. وقال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما). فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه، ولم يسلم له، ومن تنقصه فقد ناقض هذا. وقال الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون). ولا يحبط العمل إلا الكفر، الكافر يقتل. وقال تعالى: (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله..). ثم قال: (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير). وقال تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون: هو أذن). ثم قال: (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم).

[٣٠]

وقال تعالى: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، قل أبالله وآياته رسوله كنتم تستهزئون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين). قال أهل التفسير: كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما الإجماع فقد ذكرناه. وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن غلبون، عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة، قال: حدثنا أبو الحسن الدارقطني، وأبو عمر بن حيوة، حدثنا محمد بن نوح، حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة، حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر، عن علي بن، موسى، عن أبيه، عن جده، عن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن الحسين بن علي، عن أبيه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من سب نبياً فاقتلوه، ومن سب أصحابي فاضربوه. وفي الحديث الصحيح: أمر النبي صلى الله عليه وسلم يقتل كعب بن الأشرف. وقوله: من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله. توجه إليه من قتله غيلة دون دعوة، بخلاف غيره من المشركين، وعلل قتله بأذاه له، فدل أن قتله إياه لغير الأشراك، بل للأذى. وكذلك قتل أبا رافع، قال البراء: وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعين عليه. وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم. وفي حديث آخر أن رجلاً كان يسبه - صلى الله عليه وسلم - فقال: من يكفيني عدوي؟ فقال خالد: أنا. فبعته صلى الله عليه وسلم فقتله. وكذلك لم يقل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه، كالنضر بن الحارث، وعقبة ابن أبي معيط. وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده، فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه. وقد روى البزار، عن ابن عباس - أن عقبة بن أبي معيط نادى: يا معشر قريش، مالي أقتل من بينكم صبوا! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بكفرك وإفترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل، فقال: من يكفيني عدوي؟ فقال الزبير: أنا فبارزه فقتله الزبير. وروى أيضاً أن امرأة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال: من يكفيني عدوتي؟ فخرج إليها خالد ابن الوليد فقتلها. وروى أن رجلاً كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث علياً والزبير إليه ليقتلاه.

[٣١]

وروى ابن قانع أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، سمعت أبي يقول فيك قولاً قبيحاً فقتلته! فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. وبلغ المهاجر بن أبي أمية

أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم، فقطع يدها، ونزع ثيبتها، فبلغ أبا بكر رضي الله عنه ذلك، فقال له: لولا ما فعلت لأمرتك بقتلها، لأن حد الأنبياء ليس بشبه الحدود. وعن ابن عباس: هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: من لى بها؟ فقال رجل من قومها: أنا يا رسول الله. فنهض فقتلها، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لا ينتطح فيها عنزان. وعن ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر، فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه، فقتلها، وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فأهدر دمه. وفي حديث أبي برزة الأسلمي: كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق، فغضب على رجل من المسلمين - وحكى القاضي إسماعيل وغير واحد من الأئمة في هذا الحديث أنه سب أبا بكر. ورواه النسائي: أتيت أبا بكر، وقد أغلظ لرجل فرد عليه، قال: فقلت: يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه. فقال: اجلس، فليس ذلك لاحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال القاضي أبو محمد بن نصر: ولم يخالف عليه أحد، فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه. ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة، وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه، فكتب إليه عمر: إنه لا يجزئ قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن سبه فقد حل دمه. وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده، فغضب مالك، وقال: يا أمير المؤمنين، ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها! من شتم الأنبياء قتل، ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى: كذا وقع في هذه الحكاية، ورواها غير واحد من أصحاب مناقب مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم، ولا أدري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما ذكر! وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله، ولعلمهم ممن لم يشهر بعلم، أو من لا يوثق بفتواه، أو يميل به هواه بقتله أو يكون ما قاله يحمل على غير السب، فيكون الخلاف: هل

هو سب أو غير سب؟ أو يكون رجوع وتاب من سبه، فلم يقله لمالك على أصله، وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما قدمناه. ويبدل على قتله من جهة النظر والاعتبار أن من سبه أو تنقصه صلى الله عليه وسلم فقد ظهرت علامة مرض قلبه، وبرهان سر طوبته وكفره، ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة، وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي، وقول الثوري، وأبو حنيفة، والكوفيين. والقول الآخر أنه دليل على الكفر، فيقتل حدا، وإن لم يحكم له بالكفر إلا أن يكون متماديا على قوله، غير منكر له، ولا مقلع عنه، فهذا كافر، وقوله: إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه، أو من كلمات الاستهزاء والذم، فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك، وهو كفر أيضا، فهذا كافر بلا خلاف، قال الله تعالى في مثله (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم). قال أهل التفسير: هي قولهم: إن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير. وقيل: قول بعضهم: ما مثلنا ومثل محمد إلا قول القائل: سمن كلبك يأكلك، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. وقد قيل: إن قائل مثل هذا إن كان مستترا به إن حكمه حكم الزنديق يقتل، ولأنه قد غير دينه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من غير دينه فاضربوا عنقه)، ولأن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على أمته، وساب الحر من أمته يحد، فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم القتل، لعظيم قدره، وشرف منزلته على غيره.. [

الباب الخامس في الكلام على توبة المسلم واستتابته [إذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد، إذ لا فرق. وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها، فذهب جمهور أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب. وحكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة، ولم ينكره واحد منهم، وهو قول عثمان، وعلي، وابن مسعود، وبه قال عطاء بن أبي رباح، والنخعي، والثوري، ومالك، وأصحابه، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي. وذهب طاوس، ومحمد بن الحسن، وعبيد بن عمير، والحسن في إحدى الروايتين عنه - أنه لا يستتاب، وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة، وذكره عن معاذ، وأبكره سحنون عن معاذ، وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف، وهو قول أهل الظاهر، قالوا: وتنفعه توبته عند الله، ولكن لا تدرأ القتل عنه، لقوله صلى الله عليه وسلم، [من بدل دينه] فاقتلوه. وحكى أيضاً عن عطاء: إن كان ممن ولد في الإسلام لم يستتاب، ويستتاب الإسلامي. وجمهور العلماء على أن كان ممن ولد في الإسلام لم يستتاب، ويستتاب الإسلامي. وجمهور العلماء على أن المرتد والمرتدة في ذلك سواء. وروى عن علي رضي الله عنه: لا تقتل المرتدة، وتسترق، وقاله عطاء وقتادة. وروى عن ابن عباس: لا تقتل النساء في الردة، وبه قال أبو حنيفة. قال مالك: والحر والعبد والذكر والأنثى في ذلك سواء.]

الباب السادس في انتقاض عهد الذمي إذا ذم المقام الشريف ووجوب قتله والنص على ذلك [كذلك ينتقض عهد من سب منهم، ويحل لنا دمه، فكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة. قال القاضي أبو الفضل: ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا، فتأمل. ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك، فحكى أبو المصعب الزهري، قال: أتيت نصراني قال: والذي اصطفي عيسى على محمد، فاختلف على فيه، فضرته حتى قتلتها، أو عاش يوماً وليلة، وأمرت من جر برجله، وطرح على مزبلة، فأكلته الكلاب. وسئل أبو المصعب عن نصراني قال: عيسى خلق محمداً. فقال: يقتل. وقال ابن القاسم: سألت مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال: مسكين محمد، يخبركم أنه في الجنة، ما له ينفع نفسه ! إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه، لو قتلوه استراح منه الناس. قال مالك: أرى أن تضرب عنقه.] الباب السابع في عدم قبول توبته إذا سب مع بقائه على كفره [...] [قلت وهو مذكور في ثنايا البابين السابقين.] الباب الثامن في أن توبته بالإسلام هل هي صحيحة مسقط للقتل أم لا وهل يستتاب بالإسلام ويدعي الندم قال القاضي: [إن تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل، ويتسلط عليه اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله، وقوة الشهادة عليه، وضعفها، وكثرة السماع عنه، وصورة حاله من التهمة في الدين والنيز بالسفاهة والمجون، فمن قوي أمره أذاقه من شديد النكال من التصبيق في السجن، والشدة في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته بما لا يمنعه القيام لضرورته، ولا

يقعده عن صلاته، وهو حكم كل من وجب عليه القتل، لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه، وترىص به لإشكال وعائق اقتضاه أمره، وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله. وقد روى الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة، فإذا تاب نكل. ولمالك في العتبية وكتاب محمد، من رواية أشهب: إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه. وقاله سحنون. وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم، فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجه والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته. وقال القابسي في مثل هذا: ومن كان أقصى أمره القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن، ويستطال سجنه، ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم، ويحمل عليه من القيد ما يطيق. وقال في مثله ممن أشكل أمره: يشد في القيود شدا، ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه. وقال في مسألة أخرى مثلها: ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح، وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء، ويعاقب عقوبة شديدة، فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين، وأثبت من عدواتهما أو جرحتهما ما أسقطهما عنه، ولم يسمع ذلك من غيرها فأمره أخف لسقوط الحكم عنه، وكأنه لم يشهد عليه، إلا أن يكون ما لا يليق به ذلك، ويكون الشاهدان من أهل التبريز فأسقطهما بعدواة، فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما، وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد. والله ولي الإرشاد]. الباب التاسع في الخلاف في أن حكم الحاكم بسقوط القتل عن الساب مع بقاءه على الكفر صحيح أم لا؟ [...].

[٣٦]

جماع أبواب بعض الحوادث الكائنة بالمدينة الشريفة في سني الهجرة غير ما تقدم باب مبدأ التاريخ الإسلامي وأسقطت ذكر بقية الأبواب لكثرتها، وفيه أنواع الأول: في بيان من ابتدأ بالتاريخ. روى الحاكم في (الإكليل) عن ابن شهاب الزهري - رحمه الله تعالى -، قال: لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة أمر بالتاريخ فكتب في ربيع الأول (١). قال الحافظ - رحمه الله تعالى - هذا معضل (٢)، والمشهور خلافه. قلت: وهذا القول قدمه في الإشارة، ورواه يعقوب بن سفيان - بلفظ - (التاريخ من يوم قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة مهاجرا) قال الحافظ، وابن عساكر: وهذا أصوب، والمحفوظ أن الأمر بالتاريخ عمر بن الخطاب (٣). قال الشيخ - رحمه الله تعالى - في كتاب (التاريخ): ويعضد الأول ما رأيت به بخط ابن القماح في مجموع له، قال ابن الصلاح: وقفت على كتاب في (الشروط) لأبي طاهر محمش الزيايدي ذكر فيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرخ بالهجرة حين كتب لنصارى نجران، وأمر عليا - رضي الله تعالى عنه - أن يكتب فيه لخمس من الهجرة، فالمؤرخ إذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعمر تبعه في ذلك. وقد يقال: إن هذا صريح في أنه أرخ سنة خمس، والحديث الأول فيه أنه أرخ يوم

(١) وأخرجه الطبري في التاريخ ٢ / ٣٨٨. (٢) والمعضل ما سقط من إثنان فصاعدا مع التوالي، قال السمني وخصه التبريزي هو والمنقطع بما ليس في أول الإسناد وقال شيخ الإسلام ابن حجر: إن الموقوف على التابعي يعتبر معضلا بشرطين. أحدهما: أن يكون مما يجوز نسبته إلى غير النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإن لم يكن فمرسلا أي إن كان لا يقال من قبل الرأي، ولا يروي عن أهل الكتاب، فيتعين أن يكون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فيكون الساقط منه الصحابي فقط، فيكون مرسلا لأنه في هذه الحالة يكون في حكم المرفوع. ثانيهما: أن يروي مسندا من طريق ذلك الذي وقف عليه، فإن لم يكن موقوفه لا معضل لاحتمال أنه قاله من عنده، ولم يتحقق شرط التسمية من سقوط اثنين أ ه. قال العراقي: والمعضل الساقط منه إثنان * فصاعدا، ومنه قسم ثان حذف النبي والصحابي معا * ووقف متنه على من تبعنا نظر غيث المستغث ص ٧٤. (٣) الطبري ٢ / ٣٨٨. (*)

قدومه المدينة، [ويجاب بأنه لا منافاة فإن الطرف، وهو قوله: يوم قدم المدينة] (١) ليس متعلقا بالفعل، وهو أمر بالمصدر، وهو التاريخ أي أمر أن يؤرخ بذلك اليوم، لأنه الأمر في ذلك اليوم فتأمل، فإنه نفيس جدا انتهى كلام الشيخ - رحمه الله تعالى -، وروى البخاري في تاريخه (الصغير) عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، وروى البخاري في (صحيحة) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه عن سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - زاد ابن أبي شيبة قال: أخطأ الناس العدد انتهى، أي: لم يعدوا من مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا من متوفاه، إنما عدوا من مقدمة المدينة، قال مصعب الزبيري: وكان تاريخ قريش من متوفى هاشم بن المغيرة يعني آخر تاريخهم، قوله: (أخطأ الناس العدد) أي: أغفلوه وتركوه، ثم استدركوه ولم يرد أن الصواب خلاف ما عملوا، ويحتمل أن يريد، وأنه كان يرى أن البداءة بالمبعث أو الوفاة أولى، وله اتجاه. لكن الراجح خلافه. وقوله: (مقدمه) أي: زمن قدومه، ولم يرد شهر قدومه، لأن التاريخ إنما وقع من أول السنة، قاله الحافظ - رحمه الله -، وقال عمرو بن دينار: إن أول من أرخ في الكتب يعلى بن أمية وهو باليمن. رواه الامام أحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع بين عمرو ويعلى. الثاني: ذكروا في سبب عمل التاريخ أشياء. منها: ما رواه أبو نعيم - الفضل بن دكين بضم الدال المهملة وفتح الكاف وسكون التحتية وبالنون شيخ البخاري في (تاريخه) من طريق الشعبي أن أبا موسى - رضي الله تعالى عنه - كتب إلى عمر - رضي الله تعالى عنه -: إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الناس، فقال بعضهم: أرخ بالمبعث: وبعضهم: أرخ بالهجرة. فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرخوا بها وذلك سنة سبع عشرة، فلما اتفقوا، قال بعضهم: ابدأوا برمضان، فقال بعضهم: بل المحرم فإنه منصرف الناس من حجهم، فاتفقوا عليه.

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

ومنها: ما رواه الإمام أحمد، والبخاري في (الأدب) وأبو عروبة الحراني في (الأوائل) والحاكم من طريق ميمون بن مهران - رحمه الله تعالى - قال: رفع لعمر صك محله شعبان فقال: أي شعبان: الماضي، أو الذي نحن فيه أو الآتي؟ ضعوا للناس شيئا يعرفونه من التاريخ فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم، فقيل: إنهم يكتبون من عهد ذي القرنين، فهذا يطول، وقال بعضهم: اكتبوا على تاريخ الفرس، فقيل: إن الفرس كلما قام ملك طرح من كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا: كم أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة فوجده عشر سنين، فكتب التاريخ من هجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وروى ابن عساکر عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - قال: أول من كتب التاريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته، فكتب لسنة عشر من المحرم بمشورة علي، وروى ابن أبي خيثمة عن ابن سيرين قال: قدم رجل من اليمن فقال: رأيت شيئا يسمونه التاريخ يكتبون من عام كذا وبشهر كذا، فقال عمر: هذا حسن فأرخوا، فلما أجمع على ذلك قال قوم: أرخوا للمولد، وقال قائل: للمبعث، وقال قائل: من حين خرج مهاجرا، وقال آخرون: من حين توفي، فقال عمر: (أرخوا من خروجه من مكة إلى المدينة). ثم قال:

بأي شهر نبدأ ؟ فقال قوم: برجب، وقال قوم: برمضان فقال عثمان: أرخوا من المحرم، فإنه شهر حرام، وهو أول السنة، ومنصرف الناس من الحج، قال: فكان ذلك سنة سبع عشرة في ربيع الأول من الهجرة. وروى الحاكم عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - لما جمع عمر الناس سألهم من أي يوم نكتب التاريخ، فقال علي - رضي الله تعالى عنه - من يوم هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - وترك أرض الشرك ففعله عمر. قال الحافظ - رحمه الله تعالى: واستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الذي أشار بالمحرم عمر، وعثمان وعلي - رضي الله تعالى عنهم. الثالث: وقد أبدى بعضهم بالبداة بالهجرة مناسبة فقال: كانت القضايا التي اتفقت له ويمكن أن يؤرخ بها أربع: مولده، ومبعثه، وهجرته، ووفاته فرجح عندهم جعلها من الهجرة، لأن المولد والمبعث لا يخلو واحد منهما من النزاع في تعيين سنته. وأما وقت الوفاة فأعرضوا عنه لما يوقع تذكره من الأسف عليه فانحصر في الهجرة، وإنما أخروه من ربيع الأول إلى المحرم، لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم، إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة، وهي مقدمة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة، والعزم على الهجرة هلال المحرم، فناسب أن يجعل مبتداً.

[٢٩]

قال الحافظ: (وهذا أقوى ما وقفت عليه في مناسبة الابتداء بالمحرم). قال الشيخ - رحمه الله تعالى - وقفت على نكتة في جعل المحرم أول السنة. وروى سعيد بن منصور في (سننه) والبيهقي في (الشعب) بإسناده حسن، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال في قوله تعالى: (والفجر) [الفجر ١] قال: الفجر شهر المحرم وهو فجر السنة (١). قال الحافظ في أماليه: بهذا يحصل الجواب عن الحكمة في تأخير التاريخ من ربيع الأول إلى المحرم. بعد أن اتفقوا على جعل التاريخ من الهجرة وإن كانت في ربيع الأول. روى البخاري في (تاريخه) عن عبيد بن عمير - رحمه الله تعالى قال: المحرم شهر الله، وهو رأس السنة، فيه يؤرخ التاريخ، وفيه يكسى البيت، ويضرب فيه الوراق. قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر - رحمه الله تعالى: - ذكر أبو الحسن محمد بن أحمد الوراق المعروف بـ ابن.... [أن أول المحرم سنة الهجرة كان يوم الخميس اليوم الثاني من أيام سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة لذي القرنين قلت: أي اليوناني، لا الذي ذكر في القرآن، انتهى. تنبيهات الأول (٢): قال السهيلي - - رحمه الله تعالى -: أخذ الصحابة التاريخ من الهجرة من قوله تبارك وتعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) [التوبة ١٠٨] لأنه معلوم أنه ليس أول الأيام مطلقاً، فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمّر، وهو أول الزمن الذي عز فيه الإسلام، وعبد النبي - صلى الله عليه وسلم - ربه تبارك وتعالى آمناً، وابتدأ بناء المسجد فوافق رأي الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - ابتداء التاريخ من ذلك اليوم، وفهمنا من فعلهم أن قوله تعالى: (من أول يوم) أنه أول أيام التاريخ. قال الحافظ - رحمه الله تعالى - كذا قال، والمتبادر أن معنى قوله: (من أول يوم) أي: يوم دخل فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه المدينة. الثاني: إنما يؤرخ بالأشهر الهلالية التي قد تكون ثلاثين، وقد تكون تسعا وعشرين كما ثبت في الحديث دون الشمسية الحسبية وهي ابتداء ثلاثون فتزيد عليها. قال الله سبحانه وتعالى في قصة أصحاب الكهف (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا [الكهف ٢٥]).

(١) ابن كثير ٣ / ٢٠٥. (٢) في أ: النوع الثالث. (*)

قال المفسرون: زيادة التسعة باعتبار الهلالية، وهي ثلاثمائة فقط هلالية، وإنما كان التأريخ بالهلالية للحديث الصحيح: (إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب، الشهر هكذا، وهكذا). والحديث الصحيح: (إذا رأيتموه يعني الهلال - فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين). وإلى (١) النبي - صلى الله عليه وسلم - من نسائه شهرا، ودخل عليهن في التاسع والعشرين، فقيل له: لقد آليت فقال: الشهر تسع وعشرون قال الامام البلقيني في (التدريب): كل شهر في الشرع فالمراد به الهلال، إلا شهر المستحاضة وتخليق الحمل. الثالث: قال الصلاح الصفدي - رحمه الله تعالى -: رأيت بعض الفضلاء قد كتبوا بعض الشهور بشهر كذا، وبعضها لم يكتبوا فيه شهرا، وطلبت الحكمة في ذلك فلم أجدهم أتوا بشهر إلا مع شهر يكون أوله حرف راء وهو شهر ربيع، وشهر رجب، ورمضان ولم أدر العلة في ذلك ما هي ولا وجه المناسبة، لأنه كان ينبغي أن يحذف لفظ شهر من هذه، لأنه يجتمع في ذلك راء ان. قال الشيخ رحمه الله تعالى في كتاب (نظم العقبان في أعيان الأعيان): قد تعرض للمسألة من المتقدمين ابن درستويه فقال في كتابه المتمم: الشهور سجلها مذكرة الا جمادى، وليس شئ منها يضاف إليه شهر إلا شهر ربيع وشهر رمضان قلت وقال ابن خطيب الدهشة - رحمه الله تعالى - في (المصباح): (٢) الربيع عند العرب ربيعان ربيع شهور وربيع زمان فربيع الشهور اثنان قالوا: لا يقال فيهما إلا شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر بزيادة شهر وتوطين ربيع وجعل الأول والآخر وصفا تابعا من الإعراب ويجوز فيه الاضافة... [قال الشيخ - رحمه الله تعالى - في كتابه (التاريخ): قال المتأخرون: ويذكر شهر فيما أوله راء فيقال شهر ربيع مثلا دون غيره، فلا يقال: شهر صفر، والمنقول عن سيبويه جواز إضافة شهر إلى كل الشهور وهو المختار. انتهى. وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالى [وجاء من الشهور ثلاثة مضافة إلى شهر رمضان وشهرا ربيع.. [الرابع: إنما يؤرخ بالليالي، لأن الليلة سابقة على يومها إلا يوم عرفة شرعا، قال الله تعالى: (كانتا رتقا ففتقناهما) [الأنبياء ٣٠]. قالوا: ولا يكون مع الارتفاق إلا الظلام فهو سابق على النور.

(١) والايلاء الحلف. (٢) والمصباح ليس لابن خطيب الدهشة بل هو لولده. (*)

روي أن أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة، ثم ميز بينهما، فجعل الظلمة ليلا، والنور نهارا. وقد ثبت أن القيامة لا تقوم إلا نهارا، فدل على أن ليلة اليوم سابقة عليه، إذ كل يوم له ليلة، وتقدم الكلام على ذلك مبسوطا أول المعراج. الخامس: قال في (المصباح) أرخت الكتاب بالتحليل في الأشهر، والتخفيف لغة حكاها ابن القطاع، إذ جعلت له تاريخا [وهو معرب، وقيل عربي] وهو بيان انتهاء وقته ويقال: ورخت على البدل والتورخ قليل الاستعمال. السادس: اختلفوا في لفظ التاريخ هل هو عربي أو معرب. قال صاحب نور المقاييس، وهو مختصر كتاب (مقاييس اللغة) لابن فارس (تاريخ الكتاب): ليس عربيا ولا سمع من فصيح. وقال ابن فارس في (المجمل): التواريخ والتاريخ فما تحسبهما عربية. وقال: [غيره] التاريخ لفظ معرب أصله: ماه روز، وسبب تعريبه أن أبا موسى كتب إلى عمر - رضي الله تعالى عنهما - فذكر ما تقدم فجمع عمر الصحابة واستشارهم في ذلك فقال الهرمزان: إن للعجم حسابا بسمونه ماه روز ينسبونه إلى ما غلب عليهم من الأكاسرة، فعربوه وقالوا: مؤرخ وجعلوا مصدره التاريخ. واستعملوه في وجوه التصريف،

ثم بين لهم الهرمزان أن كيفية استعماله، فقال عمر - رضي الله تعالى عنه - ضعوا تاريخا يتعاملون عليه، فذكر نحو ما سبق أول الباب. وقال جماعة: هو عربي مشتق من الأرخ يفتح الهمزة وكسرهما وهو ولد البقرة الوحشية، إلا إذا كانت أنثى كانت فتى، وقال القزاز: الأرخ البقرة التي لم ينز عليها الثيران، والعرب تشبه بها النساء الخفريات. وقال أبو منصور الجواليقي يقال: إن الأرخ الوقت، والتاريخ: التوقيت (١). قال ابن بري: لم يذهب أحد إلى هذا، وإنما قال ابن درستوية: اشتقاق [الإرخ من يقر الوحش، واشتقاق التاريخ واحد، لأن الفتى وقت من السن، والتاريخ] (٢) وقت من الزمن. وقال ابن بري: وقد أحسن كل الإحسان وجمع الأرخ والتاريخ.

(١) وقال إن التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض، وإنما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب وتاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة كتب في خلافة عمر رضي الله عنه فصار تاريخا إلى اليوم. (٢) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[٤٢]

السابع: التاريخ: تعريف الوقت، وفي الاصطلاح: تعيين وقت ينسب إليه زمان وما بعده. وقيل: هو يوم معلوم ينسب إليه زمان يأتي بعده. وقيل: تعريف الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شائع من ظهور جولة، أو وقوع حادثة من طوفان، أو زلزلة، أو نحو ذلك من الأبيات. النوع الرابع: في حوادث السنة الأولى غير المغازي والسرايا. فيها صلى الجمعة في طريق بني سالم بن عوف، وهي أول جمعة صلاها في الإسلام وأول خطبة خطبها في الإسلام كما جزم به غير واحد وصاحب العيون. وروى ابن إسحاق والبيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة، أنه قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: (أما بعد: أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليضعفن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب، يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وأتيتك مالا وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك فليظنن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمره فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها يجزى الحسنه عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام على رسول الله ورحمه الله وبركاته). ثم خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرة أخرى. فقال: (إن الحمد لله، أحمدته وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى قد أفلح من زين الله تعالى في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس أنه أحسن الحديث وأبلغه أحيوا من أحب الله، أحيوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله تعالى وذكره، ولا تقس عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى فقد سماه الله خيرته من الأعمال. ومصطفاه من العباد، والصالح الحديث ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام، (١) فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، واتقوا الله حق تقاته، وصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، فإن الله يغضب أن ينكث عهده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى (٢).

(١) في أ: وإن كل أتى الناس فإنه أحسن الحديث من الحلال والحرام. (٢) الدر المنثور ٢ / ٦٦: وقال ابن كثير في البداية ٣ / ٢١٢: وهذه الطريقة مرسله إلا أنها قوية وإن اختلفت الألفاظ قلت: ومقصد ابن كثير رحمه الله على رواية ابن جرير الآتية. (*)

وروى ابن جرير عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، أنه بلغه عن خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عمرو بن عوف: (الحمد لله أحمدته وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به، ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة، على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وصل ضلالا بعيدا، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، - عزوجل - فاحذروا ما حذرکم الله عز وجل من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرى وإنه تقوى لمن عمل به على وجل مخافة، وعون صدق على ما تتبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله تعالى من أمر السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله تعالى يكن له ذكروا، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما، وإن تقوى الله توفي مقتته وتوقى عقوبته، وتوقى سخطه، وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضى الرب، وترفع الدرجة، خذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله، فأكثرُوا ذكر الله، وإعملوا لها بعد الموت، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله تعالى يكفه ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس، ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (١). تنبيهات الأول: قال في (الروض) قوله - صلى الله عليه وسلم - في خطبته (أحبوا الله من كل قلوبكم) يريد أن يستغرق حب الله جميع أجزاء القلب، فيكون ذكره وعمله خارجا من قلبه خالصا لله، وتقدم الكلام على محبة الله تعالى لعبده، ومحبة العبد لربه في اسمه - صلى الله عليه وسلم - (حبيب الله). وقوله: - صلى الله عليه وسلم - (لا تملوا كلام الله تعالى وذكره، فإنه من كل يخلق الله يختار ويصطفى). قال السهيلي: الهاء في قوله: (فإنه) لا يجوز أن تكون عائدة على كلام الله تعالى،

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية ٣ / ٢١٢ وفي السند إرسال. (*)

ولكنها ضمير الأمر والحديث فكأنه قال: إن الحديث من كل ما يخلق الله يختار، فالأعمال إذا كلها من خلق الله تعالى، وقد اختار منها ما شاء قال الله تعالى: (يخلق ما يشاء ويختار) [القصص ٦٨]. قوله: (قد سماه خيرته من الأعمال) يعني الذكر وتلاوة القرآن. وقوله: (المصطفى من عباده أي وسمى المصطفى من عباده بقوله تعالى: (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) [الحج ٧٥] ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده، أي العمل الذي اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم، فلا تكون (من) على هذا للتبويض، إنما تكون لابتداء الغاية، لأنه عمل استخرجه منهم بتوقيفه إياهم، والتأويل الأول أقرب مأخذا، والله تعالى أعلم بما أراد رسوله - صلى الله عليه

وسلم - . وقوله: في أول الخطبة: (إن الحمد لله أحمده) هكذا يرفع الدال من قوله الحمد لله وجدته مقيدا مصححا عليه، وإعرابه ليس على الحكاية ولكنه على إضمار الأمر كأنه قال: إن الأمر الذي أذكر وحذف الهاء العائدة على الأمر كي لا يقدم (١) شيئا في اللفظ من الأسماء على قوله: الحمد لله وليس تقديم (إن) في اللفظ من باب تقديم الأسماء، لأنها حرف مؤكد لما بعده مع ما في اللفظ من التحري للفظ القرآن والتيمن به. الثاني: اختلف في تسمية اليوم بذلك مع الاتفاق على أنه كان يسمى في الجاهلية العروبة - بفتح المهملة وضم الراء وبالموحدة - . قلت: قال ابن النحاس في كتاب (صناعة الكتاب): لا يعرفه أهل اللغة إلا بالألف واللام إلا شاذًا، ومعناه اليوم البين المعظم من أعرب (إذا) بين [...] فقول: سمي بذلك لأن كمال الخلائق جمع فيه، ذكره أبو حذيفة النجاري، في (المبتدأ) عن ابن عباس وهو ضعيف. وقيل: لأنه خلق آدم جمع فيه. روى الإمام أحمد والنسائي وابن خزيمة وابن أبي حاتم عن سليمان - رضي الله تعالى عنه - [قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أتدري ما يوم الجمعة ؟ قلت: الله ورسوله أعلم قالها ثلاث مرات ثم قال في الثلاثة: هو اليوم الذي جمع فيه أباكم آدم قال: لكني أدري ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضي الإمام إلا كان كفارة له ما بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت المقتلة (٢).

(١) في أ: كي يقدم. (٢) أحمد ٥ / ٤٣٩، والحاكم ١ / ٢٧٧، السيوطي في الدر ٦ / ٢١٦، ابن كثير في التفسير ٣ / ٢٣٦، الكنز (٢١١٩٦). (*)

[٤٥]

وله شاهد عن أبي هريرة رواه ابن أبي حاتم موفوقا بإسناد قوي في الفتح ما رواه عبد بن حميد عن ابن سيرين والحديث في المصنف أيضا والإمام أحمد مرفوعا بإسناد ضعيف. قال الحافظ: وهذا أصح الأقوال، ويليها ما رواه عبد الرزاق عن ابن سيرين بسند صحيح إليه في قصة تجميع الأنصار مع أسعد بن زرارة، وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة، فصلى بهم وذكرهم، فسموه الجمعة حين اجتمعوا إليه. وقيل: سمي بذلك لاجتماع الناس للصلاة فيه، وبهذا حزم ابن حزم، فقال: إنه اسم إسلامي لم يكن في الجاهلية، [وإنما كان يسمى العروبة، وفيه نظر، فقد قال أهل اللغة: إن العروبة اسم قديم كان للجاهلية] فإظهار أنهم غيروا أسماء الأيام السبعة بعد أن كانت تسمى أول، أهون، جبار، دبار، مؤسس، عروبة، شبار. وقال الجوهري: كانت العرب تسمى يوم الاثنين أهون في أسمائهم القديمة، وهذا يشعر بأنهم أحدثوا لها أسماء، وهي هذه المتعارفة [الآن كالسبت، والأحد] إلى آخرها. وقيل إن أول من سمى العروبة الجمعة كعب بن لؤي [وبه حزم الفراء وغيره] فيحتاج من قال إنهم غيروها إلا الجمعة فأبقوه على تسمية العروبة إلى نقل خاص. الثالث: تقدم أن صلاة الجمعة صلتها الصحابة بالمدينة، قبل مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة فقبل ذلك بإذن النبي - صلى الله عليه وسلم -، لما رواه الدارقطني عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة قبل أن يهاجر، ولم يستطع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجمع ولا يبدي لهم، فكتب إلى مصعب بن عمير، أما بعد: فانظر اليوم الذي تجتهد فيه اليهود بالزبور لسبتهم، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا إلى الله تعالى بركعتين، قال: فأول من جمع مصعب حتى قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جمع عند الزوال من الظهر، وأظهر ذلك، وفي سنده أحمد بن محمد بن غالب الباهلي، وهو متهم بالوضع. قال في (الزهر): والمعروف في هذا المتن

الإرسال، رويناه في كتاب (الأوائل) لأبي عروبة الحراني، قال: حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا ابن وهب (أبنا ابن جريح) (١) عن سليمان بن موسى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كتب إلى مصعب به. وقيل: باجتهاد الصحابة. وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال: جمع أهل المدينة قيل أن

(١) في أ: عن ابن جريح. (*)

[٤٦]

يقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل أن تنزل الجمعة، فقالت الأنصار: إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى أيضاً مثل ذلك، فهلم فلنجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي ونشكره، فجعلوه يوم العروبة، واجتمعوا إلى أسعد بن زرارة ف صلى بهم يومئذ، وأنزل الله تعالى بعد ذلك (إذا نودي للصلاة) [الجمعة ١] الآية. وقال الحافظ: وهذا وإن كان مرسلًا فله شاهد بإسناد حسن، رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه ابن خزيمة وغير واحد من حديث كعب بن مالك قال: كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - أسعد بن زرارة... الحديث، وتقدم، فمرسل ابن سيرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد، ولا يمنع ذلك أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - علمه بالوحي وهو ب (مكة) فلم يتمكن من إقامتها كما في حديث ابن عباس، والمرسل بعده. ولذلك جمع بهم أول ما قدم المدينة كما حكاه ابن إسحاق وغيره، وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتي البيان والتوفيق. وقيل: في الحكمة في اختيارهم الجمعة وقوع خلق آدم فيه، والإنسان إنما خلق للعبادة، فناسب أن يشتغل بالعبادة [فيه، ولأن الله تعالى أكمل فيه الموجودات، وأوجد فيه الإنسان الذي ينتفع بها، فناسب أن يشكر على ذلك بالعبادة فيه] (١). ولهذا تتمتع تقدمت في الخصائص. وفيها جعلت صلاة الحضر أربع ركعات، وكانت ركعتين بعد مقدمه بشهر لاثنتي عشرة من ربيع الآخر. قال الدولابي: يوم الثلاثاء قال السهيلي: بعد الهجرة بعام رواه الدولابي. وروى عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - وأكثر الفقهاء أن الصلاة نزلت بتمامها. قال ابن جرير: وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه. وفيها بني رسول الله صلى الله عليه وسلم - مسجده ومساعنه، ومسجد قباء. وسيأتي في التاسعة. لما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبني مسجده، وكان مريده اليتيمين سهل وسهيل. قال البلاذري، ويحيى بن الحسن، وغيرهما: إنهما ابني رافع بن عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وبه صرح ابن حزم وابن عبد البر، والسهيلي ورجحه السيد وغيره.

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[٤٧]

وقال ابن إسحاق: إنهما ابني عمر. وقال في (العيون): إنه أشهر. قال السهيلي فيما نقله عنه الذهبي: ما يحصل به الجمع إلا أن فيه بعض مخالفة لما تقدم. قال: (سهل بن عمرو الأنصاري النجاري أخو سهيل صاحب المريد)، ينسبان إلى جدهما وهما ابنا رافع بن عمرو

بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن النجار انتهى. فعلى هذا يكون سقط من الرواية المتقدمة ابن عمرو بن رافع وأبي عمرو تصحف وعمرو بعائذ، كانا في حجر أسعد بن زرارة كما في الصحيح عند أكثر الرواة. وقال أبو ذر الهروي: سعد بإسقاط الألف والأول هو الوجه كما قال: إذا كان أسعد من السابقين إلى الإسلام، وهو المكنى بأبي أمامة، وأما أخوه سعد فتأخر إسلامه - ولفظ - يحيى بن الحسين: كانا في حجر أبي أمامة أسعد بن زرارة. وذكر ابن زبالة ويحيى: أنهما كانا في حجر أبي أيوب وأنه قال: يا رسول الله أنا أرضيهما. وذكر ابن عقيبة: أن أسعد بن زرارة عوضهما عنه نخلا له في بني بياضة. قال: وقيل: ابتاعه منهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكر ابن إسحاق [أن المرید كان لغلّامين يتيمين، وأنهما كانا في حجر معاذ بن عفراء. قال: [...] والسيد، وقد يجمع باشتراك من ذكر كونهما كانا في حجورهم، أو بانتقال ذلك بعد أسعد إلى من ذكر واحدا بعد واحد سيما وقد روى ابن زبالة عن ابن أبي فديك قال: سمعت بعض أهل العلم، يقولون: إن أسعد توفي قبل أن يبنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد، فباعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ولي سهل وسهيل. وفي (الصحيح) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسل إلى ملاً من بني النجار بسبب موضع المسجد فقال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله. وفي رواية: فدعى بالغلّامين فساومهما بالمرید، يتخذه مسجداً فقالا: بلى نهبه لك يا رسول الله، فأبى أن يقبله منهما بهبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً. ووقع في رواية ابن عيينة فكلّم عمهما أي الذي كانا في حجره أن يبتاعه منهما، فطلبه منهما معاً، فقالا: ما تصنع به؟ فلم يجد بداً من أن يصدقهما، فأخبرهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراداه فقالا: نحن نعطيه إياه فأعطياه.

[٤٨]

وطريق الجمع بين ذلك كما أشار إليه الحافظ: أنهم لما قالوا: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله سأل عمن يختص بملكه منهم، فعيّنوا له الغلّامين، فابتاعه منهما أو من وليهما، فهما غير بالغين، وحينئذ فيحتمل أن يكون الذين قالوا: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تحملوا عنه للغلّامين اليتيمين، فقد نقل عن ابن عقيبة أن أسعد عوض الغلّامين ثمنه نخلا له في بني بياضة. وتقدم أن أبا أيوب قال: (أنا أرضيهما فأرضاهما، وكذلك معاذ بن عفراء فيكون بعد الشراء، ويحتمل أن كلا من أسعد وأبي أيوب وابن عفراء أرضى اليتيمين بشئ فنسب ذلك لكل منهم. وقد روى أن اليتيمين امتنعا عن قبول عوض، فيحتمل ذلك على بدء الأمر، لكن يشكل على هذا ما ذكره ابن سعد أن الواقدي، قال: إنه - صلى الله عليه وسلم - اشتراه من ابني عفراء بعشرة دنانير ذهباً، دفعها أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه -، وقد يقال إن الشراء وقع من ابني عفراء، لأنهم كانا وليين لليتيمين، ورغب أبو بكر في الخير كما رغب فيه أسعد وأبو أمامة، ومعاذ بن عفراء، فدفع لهم أبو بكر العشرة ودفع لهم من كل أولئك ما تقدم، ولم يقبله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - أولاً لكونه لليتيمين. وذكر البلاذري: أن أسعد بن زرارة عرض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يأخذه ويدفع لليتيمين ثمنه فأبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك وابتاعه منه بعشرة دنانير، أداها من مال أبي بكر، فيحتمل أنه - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - أخذ أولاً بعض المرید، ثم أخذ بعضاً وقد ورد ما يقتضي أن أسعد بن زرارة كان قد بنى بهذا المرید مسجداً [آخر لما سيأتي من أنه زاد فيه مرة أخرى، فليست القصة متحدة] (١). فروى يحيى بن الحسين عن النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت أنها رأت أسعد بن زرارة قيل أن يقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي بالناس الصلوات الخمس، ويجمع لهم في مسجد بناه في مرید سهل وسهيل ابني رافع بن عمرو بن عائذ بن مالك بن النجار قالت: فكأنني

أنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما قدم المدينة صلى بهم في ذلك المسجد، وبناه فهو مسجده وذكر البلاذري نحوه. انتهى. وروى الشيخان والبيهقي أن المسجد كان جدادا مجددا، ليس عليه سقف، وقبلته القدس، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنخل وبالفرقد الذي فيه أن يقطع، وكان فيه قبور جاهلية، فأمر بها فنبشت، وأمر بالعظام أن تغيب، وكان بالمريد ماء مستنجل فسيروه حتى ذهب وكان

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[٤٩]

فيه حزب فأمر بها فسويت فصفوا النخل قبلة - أي: جعلت سوارى في جهة القبلة - ليسقف عليها، وجعلوا عضادتيه حجارة. وروى ابن عائد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى فيه وهو عريش اثني عشر يوما ثم سقف. وروى ابن زبالة ويحيى عن الحسن عن شهر بن حوشب قال: لما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبني مسجدا قال: ابنوا لي عريشا كعريش موسى ثمام وخشيبات وظلة كظلة موسى والأمر أعجل من ذلك، وقيل: وما ظلة موسى؟ قال: كان إذا قام أصاب رأسه السقف. وروى البيهقي عن الحسن قال: لما بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد أعانه عليه أصحابه، وهو معهم يتناول اللبن، حتى اغبر صدره، فقال ابنوه عريشا كعريش موسى، فقيل للحسن: ما عريش موسى؟ قال: كان إذا رفع يده بلغ العريش، يعني السقف. وقد روى في الصحيح أنه طفق ينقل معهم اللبن ترغيبا لهم، ويقول وهو ينقل اللبن: هذا الحمال لا حمال خبير * هذا أبر ربنا وأطهر ويقول: لاهم، إن الأجر أجر الآخرة * فارحم الأنصار والمهاجرة قال ابن شهاب: فتمثل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشعر رجل من المسلمين وجعل الصحابة ينقلون الصخر وهم يرتجزون، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول معهم: لاهم، لا خير إلا خير الآخرة * فانصر الأنصار والمهاجرة ويذكر أن هذا البيت لعبد الله بن رواحة. وعن الزهري - رحمه الله تعالى - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: لاهم، لا خير إلا خير الآخرة * فارحم المهاجرين والأنصار وكان لا يقيم الشعر وعمل المسلمون في ذلك ودأبوا فيه فقال قائل منهم: لئن قعدنا والنبي يعمل * لذاك منا العمل المضلل وكان عثمان رجلا متنظفا، وكان يحمل اللبنة، فيجافي بها عن ثوبه، فإذا وضعها نفض كفه ونظر. [وروى ابن زبالة وغيره عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسجده] (١).

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[٥٠]

ونقل ابن الجوزي عن محمد بن عمر الأسلمي قال: كانت لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله، وكلما أحدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخلا ونزل له حارثة عن منزل - أي: محل حجرة - حتى صارت منازلها كلها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأزواجه. وروى ابن سعد ويحيى بن الحسن من طريق محمد بن عمر: حدثنا عبد الله بن زيد الهذلي قال: رأيت بيوت أزواج رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - حين هدمها عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك، كانت بيوتا باللبن ولها حجر من جريد مطرورة بالطين، عدت تسعة أبيات بحجرها، وهي ما بين بيت عائشة إلى الباب الذي يلي باب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى منزل أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، ورأيت بيت أم سلمة وحجرتها من لبن، فسألت ابن ابنها فقال: لما غزا رسول الله غزوة دومة الجندل بنت أم سلمة حجرتها بلبن، فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نظر إلى اللبن، فدخل عليها أول نسائه، فقال: ما هذا البناء؟ فقالت: أردت يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أكف أبصار الناس فقال: يا أم سلمة إن شر ما ذهب فيه مال المسلمين البنيان. قال محمد بن عمر: فحدثت هذا الحديث معاذ بن محمد الأنصاري فقال: سمعت عطاء الخراساني في مجلس فيه عمر بن أبي أنس يقول وهو فيما بين القبر الشريف والمنبر: أدركت حجر أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من جريد النخل على أبوابها المسوح، شعر أسود فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ، يأمر بإدخال حجر أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما رأيت أكثر باكيا من ذلك اليوم فقال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم (١) تركوها على حالها ينشأ ناشئ من أهل المدينة، ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حياته فيكون ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر. قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه قال عمر بن أبي أنس: كان منها أربعة أبيات بلبن، لها حجر من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مطبنة لا حجر لها، على أبوابها مسوح الشعر ذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع في ذراع والعظم أو أدنى من العظم، فأما ما ذكرت من اليكاء يومئذ فلقد رأيتني في مجلس فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وخارجة بن زيد بن ثابت، وإنهم ليبكون حتى أخضل لحاهم الدمع.

(١) في أ: لو. (*)

[٥١]

وقال يومئذ أبو أمامة: ليتها تركت فلم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويروا ما رضي الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ومفاتيح خزائن الدنيا بيده. وروى ابن سعد والبخاري في (الأدب) وابن أبي الدنيا والبيهقي في (الشعب) عن الحسن البصري قال: كنت وأنا مرأهق أدخل بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي. وروى البخاري في (الأدب) وابن أبي الدنيا والبيهقي عن داود بن قيس قال: رأيت الحجر من جريد النخل مغشى من الخارج بمسوح الشعر، وأظن عرض البيت الداخل عشرة أذرع، وأظن مسكنه بين الثمان والسبعة. وروى محمد بن الحسن المخزومي عن محمد بن هلال قال: أدركت بيوت أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر مستطيرة في القبلة، وفي المشرق وفي الشام ليس في غربي المسجد شئ منها، وكان باب عائشة يواجه الشام، وكان مصراع، واحد من عرعر أو ساج، وروى ابن منده عن بشر بن صحر العبدي قال: كنت أدخل بيوت أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنال سقفها. وروى ابن سعد عن عمرو بن دينار وعبيد الله بن أبي مرثد قال: لم يكن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حائط وكان أول من بني عليه جدارا عمر ابن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال

عبيدالله: كان جداره قصيرا ثم بناه عبد الله بن الزبير. وفي (تاريخ البخاري) أن بابه - صلى الله عليه وسلم - كان يقرع بالأظافر. قال السهيلي: فدل على أنه لم يكن لأبوابه خلق تنبيه: قال في (الروض) كانت بيوته - صلى الله عليه وسلم - تسعة، بعضها من حريد مطين بالطين. وسقفها من حريد وبعضها من حجارة مرصوة بعضها على بعض وسقفها من حريد النخل. قال: السيد: ظاهر ما نقله ابن الجوزي عن محمد بن عمر يخالف ما تقدم من أنه - صلى الله عليه وسلم - بني أولا بيتين لزوجتيه، وأنه لما تزوج نساءه بنى لهن حجرا، فظاهرة أن كان كلما أحدث زوجة أحدث لها بناء حجرة، فيحمل ما هنا على أن حارثة كان ينزل له عن مواضع المساكن وكان - صلى الله عليه وسلم - يبنها. ونقل الزركشي عن الحافظ الذهبي أنه قال في تكميل الروض: لم يبلغنا أنه - صلى الله عليه وسلم - بنى

[٥٢]

له تسعة أبيات حين بنى المسجد، ولا أحسبه فعل ذلك، إنما كان يريد بيتا واحدا لسودة أم المؤمنين ثم لم يحتج لبيت آخر حتى بنى لعائشة في شوال سنة اثنتين، فكانه - صلى الله عليه وسلم - بناها في أوقات مختلفة. قال السيد: وهو مقتضى ما قدمناه، غير أنه مخالف لما تقدم في بيت عائشة أنه بناه هو وبيت سودة في بيت المسجد مع بناء المسجد وهو الظاهر، لأنها كانت حينئذ زوجة غير أنه لم يكن بنى بها، فتأهب لذلك بأن بنى حجرتها، وفيها بدأ الأذان. وقيل: في الثانية. روى ابن إسحاق وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قدم المدينة كان يجتمع الناس للصلاة لحين وقتها بغير دعوة، فهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل بوفا كيقوق اليهود الذي يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه أحد بني الحارث بن الخزرج النداء الحديث. وفيها ولد محمد بن مسلمة - رضي الله تعالى عنه - . وفيها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وورث بعضهم بين بعض حتى نزلت (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) [الأحزاب] بعد مقدمة بثمانية أشهر كذا في العيون. ونقل القطب الحلبي عن أبي عمر أنها بعد خمسة أشهر، ونقل في الإشارة عنه ما في العيون. وفيها رمي سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - بسهم في غزوة ودان، وكان أول سهم رمي به في سبيل الله. وفيها: مات أسعد بن زرارة - رضي الله تعالى عنه - والمسجد يبنى. وقال ابن الجوزي في الثانية: فكان أول من مات من المسلمين ودفن بالبيعة، وكان أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة على قومه من بني النجار، وقد شهد العقبات الثلاث، وكان أول من بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة العقبة الثانية في قول، وكان شابا، وهو أول من جمع بالمدينة في بيع الخصاب في حرم البيت، ولما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه بن إسحاق: بنس الميت أبي أمية، ليهود ومناققي العرب ! يقولون: لو كان محمد نبيا لم يمت صاحبه، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا. قال ابن كثير: وهذا يقتضي أنه أول من مات بعد مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد زعم أبو الحسن بن الأثير: أنه مات في شوال بعد مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - بسبعة أشهر والله أعلم.

[٥٣]

وقال ابن جرير في (التاريخ): كان أول من توفي بعد مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة من المسلمين فيما ذكر صاحب

منزله كلثوم بن الهمد، لم يلبث بعد مقدم إلا يسيرا حتى مات. ثم توفي بعده أسعد بن زرارة، وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن يفرغ من بناء المسجد بالذبح والشهقة. وروى ابن جرير عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كوى أسعد بن زرارة من الشوكة، رجاله ثقات. وروى ابن إسحاق عن عامر بن عمر بن قتادة أن بني النجار سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقيم لهم نقيباً بعد أبي أمامة أسعد بن زرارة فقال: (أنتم أحوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم) وكره أن يختص بها بعضهم دون بعض فكان من فضيلة بني النجار الذي يعتدون به على قومهم أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم. قال ابن الأثير وصدقهم ابن كثير، وهذا يرد قول أبي نعيم وابن مندة في قولهما إن أسعد ابن زرارة كان نقيباً لبني ساعدة، إنما كان لبني النجار. وفيها: مات عثمان بن مظعون - رضي الله تعالى عنه - وقيل: في الثانية بعد مشهده بدر، فكان أول من دفن في البقيع من المهاجرين كلثوم ابن الهمد - رضي الله تعالى عنه - والبراء بن معرور قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم - وأوصى أن يوجه إلى الكعبة، وصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قبره، والوليد بن المغيرة بمكة، والعباس بن وائل بمكة، وأبو أحيحة بالطائف، الثلاثة ماتوا على شركهم. وفيها: ولد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة، وصححه ابن كثير. قال الذهبي: إنه ولد في الثانية، وعلى الأول فهو أول مولود ولد بالإسلام بالمدينة بعد الهجرة، وكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حنكه بتمرة، ثم دعا له. كما قالت أمه أسماء بنت أبي بكر - رضي الله تعالى عنها - وفيه أي الحديث أنها حملت بعبد الله بن الزبير، أي بمكة قالت: فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة. فنزلت بقاء، فولدته ثم أتيت به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تغل في فيه فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، فكان أول مولود ولد في الإسلام عبد الله بن الزبير. رواه البخاري، وقالت أختها عائشة - رضي الله تعالى عنها -: أول مولود في الإسلام عبد الله بن الزبير.

[٥٤]

وذكر الواقدي وغيره أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وبعياله أبي بكر فقدموا بهم أثر هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسماء حامل متم. أي: مقرب قد دنا وضعها لولدها، فلما ولدته كبر المسلمون تكبيرة عظيمة فرحا بمولده، لأنهم كانوا قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد، فأكذب الله اليهود مع هذا، فزعم الأسود أنه ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً. ورواه الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل أبي حثمة عن أبيه عن جده وزعموا أن النعمان ولد قبل ابن الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً، وما تقدم من الأحاديث الصحيحة يرد ذلك. وفيها جاءت أم سليم بآنس ليخدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن الأنصار كانوا يتقربون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهدايا رجالهم ونسأؤهم فكانت أم سليم تتأسف على ذلك، وما كان لها شئ فجاءت بابنها أنس وقالت: يخدمك يا رسول الله، قاله رزين. وفي الصحيح عن أنس قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة وليس له خادم فأخذ أبو طلحة بيدي، فانطلق بي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله إن أنسا غلام كيس فليخدمك، قال: فخدمته... الحديث. وقد يجمع بأنها جاءت به أولاً فانطلق به أبو طلحة ثانية، لأنه وليه وعصبته، وهذا غير مجيء به لخدمته - صلى الله عليه وسلم - في غزوة خيبر كما يفهمه لفظ الحديث. وفيها: فرضت الزكاة وفيها عرس بعائشة، وقيل في الثانية.

وفيها أسلم عبد الله بن سلام - رضي الله تعالى عنه - [ومكث عند [رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم رجع إلى أهل بيته فأسلموا وكنتم إسلامه، ثم خرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فإنهم إن يعلموا بإسلامي قيل أن تسألهم عني بهتوني، فأجب أن تدخلني بعض بيوتك، فأدخله بعض بيوته فجاءت اليهود إليه فقال: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرايتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا: أعاده الله من ذلك. فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا معشر اليهود اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فأني أشهد أنه رسول الله، وأومن به وأصدق وأعرفه، قالوا: كذبت، أنت بشرنا وابن بشرنا، وانتقصوا. قال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله، ألم أخبرك أنهم قوم بهت، أهل غدر، وكذب وفجور، قال: فأظهرت إسلامي، وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي [خالدة] ابنة الحارث فحسن إسلامها، وفيها: ولد عمرو بن عبسة الأسلمي.

[٥٥]

روى ابن سعد عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة السلمي - رضي الله تعالى عنه - قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية. وذلك أنها باطل، فلقيت رجلا من أهل الكتاب من أهل تيماء فقلت: إني امرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم إله، فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار فينصب ثلاثة، لغدره ويجعل أحسنها إلها ١ يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتكره ويأخذ غيره إذا نزل منزلا سواه، فرأيت أنه إله باطل لا ينفع ولا يضر، فدلني على خير من هذا فقال: يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه، ويدعوا إلى غيرها، فإذا رأيت ذلك فاتبعه، فإنه يأتي بأفضل الدين فلم تكن لي همة منذ قال لي ذلك إلا مكة، فأني فأسأل هل حدث فيها حدث ؟ فيقال: لا، ثم قدمت مرة فسألت فقالوا: حدث فيها رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعوا إلى غيرها، فشددت راحلتي برحليها، ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزل بمكة فسألت عنه، فوجدته مستخفيا، ووجدت قريشا عليه أشداء، فتلطفت له حتى دخلت عليه، فسألته فقلت: أي شيء أنت ؟ قال: نبي قلت: ومن أرسلك ؟ قال: الله قلت: وبما أرسلك قال: بعبادة الله وحده لا شريك له، ويحقن الدماء، وبكسر الأوثان، وصلوة الرجم، وأمان السبيل. فقلت: نعم ما أرسلت به، قد أمنت بك وصدقتك أتأمرني أن أمكث معك، أو أنصرف ؟ فقال: ألا ترى إلى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع أن تمكث، كن في أهلك فإذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني، فمكثت في أهلي حتى إذا خرج إلى المدينة سرت إليه، فقدمت المدينة فقلت: يا نبي الله أتعرفني ؟ قال: نعم أنت السلمي الذي أتيتني بمكة. [فسألته عن كذا وكذا فقلت لك كذا وكذا، فاعتنمت ذلك المجلس وعلمت أن لا يكون الدهر أفرغ قلبا لي منه في ذلك المجلس، فقلت: يا نبي الله أي الساعات أسمع قال: الثلث الآخر فإن الصلاة مشهودة مقبولة حتى تطلع الشمس، فإذا رأيتها طلعت حمراء كأنها الجحفة، فأقصر عنها، فإنها تطلع بين قرني شيطان، فيصلي لها الكفار، فإذا ارتفعت قيد رمح أو رمحين فإن الصلاة مشهودة مقبولة، حتى يساوي الرجل ظله فأقصر عنها، فإنها حينئذ تسجر جهنم فإذا فاء الغيئ فصل، فإن الصلاة مشهودة مقبولة حتى تغرب الشمس، فإذا رأيتها غربت حمراء كأنها الجحفة فأقصر، ثم ذكر الوضوء فقال: إذا توضأت فغسلت يديك ووجهك ورجلك، فإن جلست كان ذلك لك طهورا، وإن قمت فصليت وذكرتك ربك بما هو أهله انصرفت من صلاتك كهيئتك يوم ولدتك أمك من الخطايا]. النوع الخامس: في حوادث السنة الثانية وفيها وفاة رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زوجة عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه

- قال النووي: في ذي الحجة، لكن ذكر أهل السير ما يقتضي أن وفاتها كانت في رمضان منها.

[٥٦]

وفيها تحويل القبلة. روى ابن إسحاق وابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والستة وأبو داود في (ناسخه) وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني وابن حبان والبيهقي عن البراء بن عازب وابن إسحاق وابن أبي شيبة وأبو داود وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في (ناسخه) والطبراني وابن المنذر عن ابن عباس وأبو داود في (سننه) عن أبي العالية، ويحيى ابن الحسين بن جعفر العبيدي في أخبار المدينة، عن رافع بن خديج عن ابن عمر ويحيى عن عثمان بن محمد بن الأخفش، والبيهقي عن الزهري والإمام مالك وأبو داود في ناسخه والإمام مالك والشيخان وأبو داود في سننه والنسائي، وابن جرير عن سعيد بن المسيب وعبد بن حميد وابن المنذر عن فتادة - رضي الله تعالى عنه - أن أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، ولما هاجر إلى المدينة كان أكثر أهلها اليهود أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي نحو بيت المقدس، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى بالمدينة إلى بيت المقدس ستة عشر، وعند الزهري: تسعة عشر، وعند معاذ على رأس ثلاثة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا كذا بالشك في حديث البراء، وقال لجبريل: وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها فقال جبريل: إنما أنا عبد مثلك لا أملك لك شيئا إلا ما أمرت به فادع ربك وسله، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو الله ويكثر النظر إلى السماء فينظر أمر الله وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زائرا أم بشر بن البراء بن معمر في بني سلمة، فصنعت له طعاما، وحانت صلاة الظهر، فلما صلى ركعتين نزل جبريل، فأشار إليه أن صل إلى البيت، وصلى جبريل إلى البيت فاستدار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الكعبة، واستقبل الميزاب فهي القبلة التي أنزل الله تعالى فيها (قد نر قلب وجهك في السماء فلنو لينك قبلة ترضاها) [البقرة ١٤٤] فسمي ذلك المسجد مسجد القبليتين، وكان الظهر يومئذ أربعاً فصلى منها ثنتان إلى بيت المقدس وثنان إلى الكعبة. وفي رواية: فصرفت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا في صلاة الظهر في الركعتين الأخيرتين، فنزل جبريل فأشار إليه أن صل إلى البيت، وصلى جبريل إلى البيت فاستدار. وفي رواية: أن أول صلاة صلاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه. قال الحافظ: هو عباد بن بشر، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله

[٥٧]

لقد صليت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل البيت فاستداروا. قال رافع بن خديج: وأتاني أت ونحن نصلّي في بني عبد الأشهل فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أمر أن يوجه إلى الكعبة فأدارنا إمامنا إلى الكعبة، ودرنا معه. وقال ابن عمر: بينا الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم أت فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس

وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك، فقال المنافقون: حن محمد إلى أرضه، وقال المشركون: أراد محمد أن يجعلنا قبلة له ووسيلة، وعرف أن ديننا أهدى من دينه، وقالت اليهود للمؤمنين: ما صرفكم عن قبلة موسى ويعقوب والأنبياء إن انتم إلا تفتنون، وقال المؤمنون: [فيمن مضي من إخوانهم المسلمين وهم يصلون نحو بيت المقدس بطلت أعمالنا وأعمالهم وضاعت]. وأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي رافع والحجاج بن عمرو وحليف كعب بن الأشرف، والربيع بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فقالوا: يا محمد ما ولاك عن قبلك التي كنت عليها، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، فارجع إلى قبلك التي كنت عليها تتبعك ونصدقك، وإنما يريدون فتنة فأنزل الله تعالى (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) إلى قوله: (فلا تكونن من الممترين [البقرة ١٤٢]). تنبيهات الأول: اختلف أي صلاة كانت ذلك؟ ففي الصحيح عن [البراء] أن أول صلاة صلاها - أي متوجها - صلاة العصر. والأكثر على أنها صلاة الظهر. قال: الحافظ: والتحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة الظهر، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر. الثاني: قال الحافظ: طريق الجمع بين رواية ستة عشر وسبعة عشر شهرا ورواية الشك في ذلك، أن من جزم ستة عشر لفق من شهر التحويل وشهر القدوم شهرا وألغى الأيام الزائدة، ومن جزم بسبعة عشرة شهرا عددهما معا، ومن شك تردد في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف، وكان التحويل في نصف رجب من السنة الثانية على الصحيح،

[٥٨]

وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس، وقول ابن حبان: سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام مني على أن القدوم كان في ثاني عشر ربيع الأول. قال الحافظ: وأسانيد رواية ثلاثة عشر وتسعة عشر ونحوها شاذة. الثالث: فرض صوم رمضان على رأس سبعة عشر شهرا، وزكاة الفطر قبل العيد بيومين، وصلى العيد بالمصلى وضحى ضحوه في ذي الحجة صلى وضحى بكبشين أحدهما عن أمته، والآخر عنه وعن آله. روى ابن سعد عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري وعائشة - رضي الله تعالى عنهم - قالوا: نزل فرض شهر رمضان بعدما صرفت القبلة إلى الكعبة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه السنة بزكاة الفطر قبل أن تفرض الزكاة في الأموال، وأن تخرج عن الصغير والكبير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، صاع من تمر، أو صاع من شعير، أو صاع من زبيب أو مدان من بر، وكان يخطب قبل الفطر بيومين، فيأمر بإخراجها قبل أن يغدو إلى المصلى، وقال: اغنوهم يعني المساكين عن طواف هذا اليوم، وكان يقسمها إذا رجع، وصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العيد يوم الفطر بالمصلى قبل الخطبة، وصلى العيد الأضحى، وأمر بالأضحى، وأقام بالمدينة عشر سنين يضحى كل عام. وروى ابن سعد عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنه - قال: أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة عشر سنين لا يدع الأضحى، انتهى. قالوا: وكان يصلي العيدين قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، وكان بلال يحمل العنزة بين يديه، وكانت العنزة للزبير بن العوام قدم بها من أرض الحبشة، فأخذها منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وروى ابن سعد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت تحمل له عنزة يوم العيد يصلي إليها، انتهى. قالوا: وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ضحى اشتري كبشين سميين أقرنين أملحين، فإذا صلى وخطب أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بيده

بالمدينة، ثم يقول: اللهم هذا عن أمتي جميعا من شهد لك بالتوحيد ولي بالبلاغ، ثم يؤتي بالآخر فيذبحه بيده، ثم يقول: هذا عن محمد وآل محمد، فياكل هو وأهله منه ويطعم المساكين، وكان يذبح عند طرف الزقاق عند دار معاوية. قال محمد بن عمر الأسلمي: وكذلك تصنع الأئمة عندنا بالمدينة.

[٥٩]

وفيها قدم عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - من الحبشة فسلم عليه - فسلم يرد عليه [الصلاة] (١) والسلام - وفيها: كانت أول غنيمة وقعت في الإسلام في سرية عبد الله بن جحش - رضي الله تعالى عنه - إلى نخلة. وفيها: أعرس علي بفاطمة - رضي الله تعالى عنها - قاله مغلطاي، وغيره. قال المحب الطبري: تزوجها في صفر، وبنى بها في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من التاريخ. قال: أبو عمر: بعد وقعة أحد. وقال غيره: بعد بنائه بعائشة بأربعة أشهر ونصف. وروى الإمام أحمد في (المناقب) وابن حبان عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: جاء أبو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسكت، ولم يرجع إليهما شيئا...، وقد تقدم في أبواب أولاده - صلى الله عليه وسلم - . وفيها ولد النعمان بن بشير والمسور بن مخرمة. النوع السادس: في حوادث السنة الثالثة. فيها: تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحفصة بنت عمر في شعبان على الأصح، وزينب بنت خزيمة أم المساكين في رمضان، فمكثت عنده شهرين. وقيل: ثلاثة. وقيل: ثمانية، وماتت. وفيها: مات عبد الله بن عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنهما - ابن رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ست سنين. وقيل: في الرابعة. وفيها تزوج عثمان - رضي الله تعالى عنه - بأم كلثوم بنت سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وفيها: ولد الحسن بن علي - رضي الله تعالى عنهما - في منتصف رمضان، وعلقت أمة بالحسين بعد خمسين ليلة. وفيها: كان تحريم الخمر. وقيل: في الرابعة كما سيأتي. قال الحافظ: والذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان.

(١) سقط في أ. (*)

[٦٠]

قال السيد: واستدل بشئ فيه نظر. وفيها: أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود، وقال: لا آمن أن يبدلوا كتابي. وفيها: صلى صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع قاله القطب. وقيل: في الرابعة، ونزول آية التيمم، وبراءة الله تعالى لأم المؤمنين عائشة مما رميت به، وضياع العقد. تنبيهات الأول: قول عائشة - رضي الله تعالى عنها - في بعض أسفاره: روى ابن سعد وابن حبان وأبو عمر في (الاستذكار) والنووي وابن دقيق العيد: كان ذلك في غزوة بني المصطلق، وهي المريسي. قال الحافظ: فإن كان ما جزموا به ثابتا حمل على أنه سقط منها في تلك السفارة مرتين لاختلاف القصتين. أي: قصة سقوط العقد، وحديث الإفك، وقصة سقوط العقد في حديث التيمم كما هو بين في سياقهما استبعد بعض شيوخنا ذلك، قال: لأن المريسي من ناحية مكة بين قديد والساحل، وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها في الحديث: حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، وهما بين المدينة وخيبر، كما جزم به النووي. قال الحافظ: وما جزم به مخالف لما جزم به ابن

التين، فإنه قال: البيداء أدنى شئ إلى مكة من ذي الحليفة، ثم ساق حديث عائشة هذا ثم ساق حديث ابن عمر، قال: بيداؤكم هذا الذي تكذبون فيها من أهل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا من عند المسجد... الحديث. قال: والبيداء هو الشرف الذي قدام ذي الحليفة في طريق مكة. وقال أيضا: ذات الجيش من المدينة على بريد وبينها وبين العقيق سبعة أميال. وقال الحافظ: العقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر، فاستقام ما قاله ابن التين، ويؤيده ما رواه الحميدي في (مسنده) عن سفيان قال: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه في هذا الحديث، فقال فيه: (إن القلادة سقطت ليلة الأبواء) والأبواء بين مكة والمدينة. وفي رواية على بن مسهر في الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه قال: (وكان ذلك المكان يقال له: الصلصل) رواه جعفر الغريابي في كتاب (الطهارة). (والصلصل) بصادين مهملتين مضمومتين، وبعد كل منهما لام، الأولى ساكنة. قال البكري: هو جبل عند ذي الحليفة فعرف من تصافر هذه الروايات تصويب ما قاله ابن التين.

[٦١]

قلت: جزم محمد بن حبيب الأخباري في تعدد سقوط العقد، سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع، وفي غزوة بني المصطلق انتهى. الثاني: ورد ما يدل على تأخر سقوط العقد، فروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال لما نزلت آية التيمم لم أدر كيف أصنع... الحديث، فهذا يدل على تأخرها عن غزوة بني المصطلق، لأن إسلام أبي هريرة كان في السنة السابعة وهي بعدها بلا خلاف كما تقدم في غزوة ذات الرقاع. ومما يدل على تأخر القصة عن قصة الإفك ما رواه الطبراني من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة أخرى، فسقط أيضا عقدي حتى حبس الناس على الماء، فقال أبو بكر: يا بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله تعالى الرخصة في التيمم فقال أبو بكر: إنك لمباركة. في إسناده محمد بن حميد الرازي في إسناده مقال. الثالث: النكتة في قول عائشة - رضي الله تعالى عنها -: فعاتبني أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - ولم تقل: أبي لأن قضية الأبوة الحنو، وما وقع من العتاب بالقول، والتأنيب بالفعل مغاير لذلك في الظاهر، فلذلك أنزلته منزلة الأجنبي فلم تقل: أبي. الرابع: استدل بهذا الحديث على أن الوضوء كان واجبا عليهم قبل نزول آيته، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء. ووقع من أبي بكر في حق عائشة ما وقع. قال أبو عمر: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يصل منذ افترضت الصلاة عليه إلا بوضوء، ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند قال: وفي قوله [في هذا الحديث (آية التيمم) إشارة إلى أن الذي طرأ إليهم من العلم حينئذ حكم التيمم لا حكم الوضوء. قال: والحكمة في نزول آية الوضوء - مع تقدم العمل به - ليكون فرضه متلوا بالتنزيل]. الخامس: إنما قال أسيد بن الحضير ما قاله، لأنه كان رأس من بعث في طلب العقد الذي ضاع، قوله: ما هي بأول بركتكم، يعني أنها مسبوقة بغيرها من البركات، والمراد بأبي بكر نفسه وأهله وأتباعه. وفي رواية عمرو بن الحارث عند [البخاري]: (لقد بارك الله للناس فيكم). وفي تفسير [إسحاق البستي] من طريق عائشة عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لها: ما كان كان أعظم بركة قلادتك.

[٦٢]

السادس: في رواية عند الشيخين: فبعث ناسا في طلب العقد. وفي أخرى عند أبي داود (فبعث أسيد بن الحضير وناسا معه. وطريق الجمع بين هذه الروايات أن أسيد كان رأس من بعث فلذلك، سمي في بعض الروايات دون غيره، وكذا أسند الفعل إلى واحد منهم، وهو المراد به، كأنهم لم يجدوا العقد أولا، فلما رجعوا ونزلت آية التيمم وأرادوا الرحيل وأثاروا البعير وحده أسيد بن حضير، فعلى هذا فقولُه في رواية عروة: (فوجدها) أي: بعد جميع ما تقدم من التفتيش وغيره. السابع: في لفظ عن عائشة: (انقطع عقدي). وفي لفظ: (سقطت قلادة لي). وفي لفظ: أنها (استعارت قلادة من أسماء) - يعني أختها - فهلكت: يعني ضاعت. والجمع بينهما أن إضافة القلادة إلى عائشة لكونها في يدها وتصرفها، وإلى أسماء لكونها ملكها وجنح البخاري في التفسير إلى تعددها حيث أورد حديث الباب - التيمم - في تفسير المائدة وحديث عروة - أي بلفظ الاستعارة - في تفسير سورة النساء. النوع السابع: في حوادث السنة الرابعة. فيها: تحريم الخمر. روى أبو داود عن [عائشة] قالت: لما نزلت الآيات الأواخر من سورة البقرة خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقراهن علينا، وقال: حرمت التجارة في الخمر. قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون هذا متصلا بعد تحريم الخمر. وفيها نهي أو أوحى إليه بمنع بيع الخمر بظاهر الحديث، لأن سورة المائدة التي فيها تحريم الخمر من آخر ما نزل من القرآن، وآية الربا آخر ما نزل، ويحتمل أن يكون هذا بعد بيان النبي - صلى الله عليه وسلم - تحريم الخمر، فلما نزلت آية الربا اشتملت علي تحريم ما عدا البيع الصحيح (١) أكد تحريم ذلك. وأعلم - صلى الله عليه وسلم - أن التجارة في الخمر من جملة ذلك، ثم كرر تحريمه والإعلام بذلك عام الفتح بالنداء. قال شيخنا - رحمه الله تعالى -: قد وقفت في بعض طرق الحديث على ما يزيل الإشكال، ما خرج الخطيب في (تاريخ بغداد) من طريق الحسن بن عرفة عن داود بن الزبير

(١) سقط في أ. (*).

[٦٣]

قال: عن عبد الأعلى بن الحجاج عن أبي الضحى، عن مسروق عن عائشة قالت: لما نزلت سورة البقرة نزل فيها تحريم الخمر، فهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، يدل على أنه كان في الآيات المذكورة تحريم الخمر، وكأنه نسخت تلاوته. وفيها: فرضت صلاة الخوف. وقيل: في السابعة. وفيها: رجم النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي واليهودي. وفيها: ولد الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما. وفيها: وفاة زينب بنت خزيمة - رضي الله تعالى عنها - . وفيها: تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - . وفيها: تزوج زينب بنت جحش - رضي الله تعالى عنها - . وقيل: في الخامسة. وفيها: نزل الحجاب. وفيها: نزل قصر الصلاة في السفر. وفيها أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيد بن ثابت - رضي الله تعالى عنه - أن يتعلم كتاب يهود. النوع الثامن: في حوادث السنة الخامسة. فيها: تزوج ريحانة بنت يزيد النصرانية، وجويرية بنت الحارث. وفيها: حديث الإفك، وصححه الذهبي. وقيل: في السادسة سابق - صلى الله عليه وسلم - بين الخيل. وفيها: زلزلت المدينة فقال - صلى الله عليه وسلم -: (إن الله يستعجبكم فاعتبوه). وفيها: وفاة سعد بن معاذ - رضي الله تعالى عنه - في ذي الحجة. وقال ابن كثير: وكانت بعد منصرف الأحزاب بخمس وعشرين ليلة، وكان قدوم الأحزاب في شوال سنة خمس. وروى الإمام أحمد من طريق علقمة بن وقاص، والشيخان من طريق عروة عن عائشة،

والإمام أحمد والترمذي وصححه عن جابر، وفي حديث كل ما ليس في الآخر، أن سعدا أصيب يوم الخندق رماه حبان بن العرقه - لعنه الله - رماه في الأكل فقطعه، فضرب

[٦٤]

النبي - صلى الله عليه وسلم - خيمة في المسجد ليعوده من قريب، وحسمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنار فانتفخت يده، فتركه فنزفه الدم، فحسمه أخرى فانتفخت يده، فلما رأى ذلك سعد قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة، فاستمسك عرقه فما فطر منه فطرة حتى نزلوا علي حكمه، فأرسل إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحكم أن تقتل رجالهم وتسيب نساؤهم وذرايهم، يستعين بهم المسلمون، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لسعد: أصبت حكم الله فيهم، ثم دعا سعد فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي من أن أجاهد فيك، من قوم كذبوا رسولك، وأخرجوه، اللهم إني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فابقني لهم حي أجاهدهم فيك، وإن كنت قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها، فانفجرت من ليلته فلم ترعهم ومعهم في المسجد أهل خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم، فقال: يا أهل الخيمة: ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد جرحه يغذو فمات منها - رحمه الله تعالى ورضي عنه - . وروى الطبراني - برجال الصحيح - عن أسماء بنت يزيد قالت: لما توفي سعد بن معاذ صاحت أمة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ليرقأ دمك، وليذهب حزنك، فإن ابنك أول من ضحك الله له، واهتزله عرش الرحمن). وروى الطبراني بسند جيد عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: لما مات سعد بن معاذ بكى أبو بكر وبكى عمر حتى عرفت بكاء أبي بكر من بكاء عمر وبكاء عمر من بكاء أبي بكر فقلت لعائشة: هل كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبكي؟ قالت: لا، ولكنه كان يقبض دمه على لحيته. وروى الطبراني بسند حسن عنها قالت: رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جنازة سعد بن معاذ ودموعه تحادر على لحيته. وروى البيهقي عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: جاء جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: من هذا العبد الصالح الذي مات، ففتحت له أبواب السماء، وتحرك له العرش، فخرج فإذا سعد قد مات. وروى أيضا عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سعد بن معاذ (تحرك له العرش وتبع جنازته سبعون ألف ملك). وروى أيضا عن معاذ بن رفاعة الزرقني - رضي الله تعالى عنه - قال: أخبرني من شئت من رجال قومي أن جبريل أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - في جوف الليل معتجرا بعمامة من إستبرق فقال

[٦٥]

له: من الميت الذي فتحت له أبواب السماء، واهتزله العرش؟ فقام مبادرا إلى سعد بن معاذ فوجده قد قبض. وروى أيضا عن الحسن قال: (اهتز له عرش الرحمن فرحا بروحه). وروى أبو نعيم عن سعد بن أبي وقاص أن سعد بن معاذ لما مات بعد الخندق خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسرعا فإنه ينقطع بسبعة رجال فما يرجع ويسقط رداؤه فلا يلوي عليه، وما نفح أحد على أحد، فقالوا: يا رسول الله إن كدت لتقطعنا، قال خشيت أن تسبقنا الملائكة إلى غسله، كما سبقتنا إلى غسل حنظلة. وروى البزار - برجال الصحيح - عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك،

ما وطئوا الأرض قبلها) وقال حين دفن: (سيحان الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لا نفلت سعد بن معاذ). وروى الإمام أحمد والبخاري والطيبراني - برجال الصحيح - والإمام أحمد والطيبراني - برجال ثقات - ، عن أبي رمثة والإمام أحمد عن أسيد بن حضير، والطيبراني - برجال الصحيح - عن أسامة بن زيد وابن السكن والطيبراني عن معيقب - رضي الله تعالى عنهم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ). وروى البيهقي عن سلمة بن أسلم بن حريش قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما بالبيت أحد إلا سعد مسجى، فرأيت به يتخطاه، وأوماً أقف فوقفت ورددت من ورائي، وجلس ساعة ثم خرج، فقلت: يا رسول الله ما رأيت أحداً وقد رأيتك تتخطاه، فقال: (ما قدرت على مجلس حتى قبض لي ملك من الملائكة أحد جناحية). وروى أبو نعيم عن الأشعث بن قيس بن سعد بن أبي وقاص قال: قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ ركبتيه وقال: دخل ملك فلم يجد مجلساً، فأوسعت فلما حملوا جنازته وكان من أعظم الناس وأطولهم قال قائل من المنافقين: ما حملنا نعشا أخف من اليوم فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لقد شيعه سبعون ألفاً من الملائكة، ما وطئوا الأرض قط). وروى ابن سعد عن محمود بن لبيد قال: قال القوم: يا رسول الله ما حملنا ميتاً أخف علينا من سعد قال: (ما منعكم أن يخف عليكم وقد شيعته من الملائكة كذا وكذا، لم يهبطوا قط قبل يومهم، قد حملوه معكم). وروى ابن سعد وأبو نعيم عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال: قبض إنسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب بها نظر إليها بعد ذلك، فإذا هي مسك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (سيحان الله) حتى عرف ذلك في وجهه فقال: (الحمد لله، لو كان أحد

[٦٦]

ناج من ضمة القبر لنجا منها سعد، ضمه ضمة ثم فرج الله عنه). وروى ابن سعد عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال كنت ممن يحفر لسعد قبره، فكان يفوح علينا المسك، كلما حفرنا قبرة من تراب حتى انتهينا إلى اللحد. وروى الشيخان عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ). وروى ابن إسحاق: ولسعد يقول الرجل من الأنصار: وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو وروى عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قالت أمه كبيشة بنت رافع [بن معاوية] (١) حين احتمل على نعشه وهي تكيه: ويل أم سعد سعدا صرامة وجدا وسؤددا ومجدا وفارسا معدا سد به مسدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد). وفي لفظ: قال: - صلى الله عليه وسلم - (لا تزيدون على هذا وكان والله ما علمت حازماً في أمر الله قويا في أمر الله، كل النوائح تكذب [إلا أم سعد] (٢). وروى ابن إسحاق عنه قال: لما دفن سعد ونحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسبح الناس معه، ثم كبر فكبر الناس معه، فقالوا: يا رسول الله مما سبحت؟ فقال: (لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج عنه). وروى ابن أبي الدنيا والطيبراني - برجال ثقات - عن أسماء بنت زيد بن السكن قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأم سعد: (لا يرقاً دمعتك ويذهب حزنك، فإن ابنك لأول من ضحك الله عز وجل له واهتز له العرش). وروى البيهقي عن أمية بن عبد الله أنه سأل سعد: ما بلغكم من قول

(١) سقط في أ. (٢) سقط في أ. (*)

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذا ؟ فقالوا: ذكر لنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن ذلك فقال: (كان يقصر في بعض الطهور من البول). وروى الطبراني - برجال ثقات - عن عطارده رحمه الله تعالى أنه أهدى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثوب ديباج كساه إياه كسرى، فدخل أصحابه فقالوا: أنزلت عليك من السماء ؟ فقال: ما تعجبون من ذا لمنديل من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا ثم قال: يا غلام اذهب به إلى أبي جهم بن حذيفة، وقل له يبعث إلي بالخمصة. وروى البزار - برجال الصحيح - عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن أكيدر الدومة أهدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبة من سندس، فلبسها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتعجب الناس منها، فقال: أتعجبون من هذه، فوالله الذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها، ثم أهداها إلى عمر، فقال: يا رسول الله تكرهها وألبسها، قال: يا عمر إنما أرسلت بها إليك لتبعث بها وجهها، فتصيب بها مالا، وذلك قبل أن ينهي عن الحرير. وروى أبو يعلى - برجال ثقات - عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: ثلاثة من الأنصار كلهم من بني عبد الأشهل لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا، سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر، وفيها ماتت أم سعد بن معاذ - رضي الله تعالى عنهما - . وفيها: كسف القمر في جمادى الآخرة، فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهم صلاة الكسوف، وجعلت اليهود يضربون بالسوط، ويقولون: سحر القمر. وفيها: أصابت قريش شدة، فبعث إليهم حذيفة بفضة يتألفهم بها. وفيها: وفد بلال بن الحارث المزني، وهو أول وافد مسلم. ثم قدم ضمام بن ثعلبة قيل: وفيها إسلام خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص. وقيل: في الثالثة. النوع التاسع: في أحوال السنة السادسة فيها: قحط الناس فاستسقى لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسقوا في رمضان. وفيها: إسلام أبي العاص بن الربيع - رضي الله تعالى عنه - وفيها: نزول سورة الفتح. وفيها: فرض الحج على الصحيح. وفيها: خسفت الشمس. وفيها: ظاهر أوس بن الصامت امرأته خولة.

وفيها: قال - صلى الله عليه وسلم - (من كنت مولاه فعلي مولاه). النوع العاشر: في أحوال السنة السابعة فيها: تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وصفية بنت حيي، وميمونة بنت الحارث - رضي الله تعالى عنهم - . وفيها قدم جعفر بن أبي طالب، وأبو موسى ومن معه من الحبشة. وفيها: أسلم أبو هريرة وعمران بن الحصين - رضي الله تعالى عنهما - . وفيها: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك، واتخذ الخاتم يختم الكتب. وفيها: حرمت الحمر الأهلية. وفيها: نهى عن متعة النساء. وفيها: اتخذ المنبر كما جزم به ابن سعد وقيل في السنة الثامنة. قال الحافظ: وفيه نظر، لذكر العباس وتميم الداري فيه، وكان قدوم العباس بعد الفتح في آخر سنة ثمان، وقدوم تميم سنة تسع. وفيها كانت قصة أبي سفيان مع هرقل في الشام. وفيها: جاءته مارية القبطية - رضي الله تعالى عنها - هدية وبغلته دلدل. وفيها: أكل من الشاة المسمومة. وفيها: استشهد غلامه مدعم. وفيها: في المحرم سحر النبي - صلى الله عليه وسلم - . وفيها: عمرة القضية. وفيها: مطر الناس: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أصبح الناس بين مؤمن بالله وكافر بالكوكب، ومؤمن بالكواكب وكافر بالله. وفيها: رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع، وقدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس. النوع الحادي عشر: في حوادث السنة

الثامنة فيها: قدم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص، فأسلموا. قال ابن أبي خيثمة: كان ذلك سنة خمس. وقال الحاكم: سنة سبع.

[٦٩]

وفيها: اتخذ المنبر وحنين الجذع، وهو أول منبر عمل في الإسلام، كما جزم به ابن النجار وغير واحد. قال الحافظ: وفيه نظر لما ورد في حديث الإفك في الصحيحين عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: فثار الأوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر فنزل يخفضهم حتى سكنوا، فإن حمل على التجوز في ذكر المنبر وإلا فهو أصح مما مضى. روى الشيخان والبيهقي عن سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسل إلى علاتة امرأة قد سماها سهل أن مري غلامك النجار أن يعمل لي أعواد المنبر أجلس عليهن إذا كلمت الناس، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة. وفي رواية: فعمل هذه الثلاث درجات، ثم جاء بها فأرسلته إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمر بها فوضعت ها هنا. وروى الإمام الشافعي والإمام أحمد وابن ماجه عن أبي بن كعب - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي إلى جذع إذ كان المسجد عريشا، وكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله هل لك أن تجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك وتسمع الناس خطبتك، قال: نعم، فصنع له ثلاث درجات، هي التي أعلى المنبر، فلما صنع وضعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موضعه الذي هو فيه، فكان إذا بدأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يخطب عليه تجاوز الجذع الذي كان يخطب إليه أولا ثم أن الجذع خار حتى تصدق وانشق، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما سمع صوت الجذع مسحه بيده حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر، وكان إذا صلى صلى إليه، فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب فكان عنده حتى بلي [فأكلته الأرض وعاد رفاتا]. وروى عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد، فخطب الناس، فجاءه رومي فقال: ألا أصنع لك شيئا تقعد عليه كأنك قائم، فصنع له منبرا له درجان ومقعد على الثالثة، فما قعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر خار الجذع. وفيها: مولد إبراهيم ابن سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيها: وفاة زينب بنت سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيها: أقام عتاب بن أسيد - رضي الله تعالى عنه - للناس الحج، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما فتح مكة استعمله عليها للصلاة والحج، كما ذكره الإمام أبو الحسن

[٧٠]

الماوردي في (حاويه) في (السير) و (الحج) فحج بالناس تلك السنة على ما كان عليه الناس في الجاهلية. وفيها: أخذ الجزية من مجوس هجر وفيها: وهبت سودة يومها لعائشة حين أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طلاقها. وفيها: إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى بضم السين، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح - براء مكسورة وياء - روى البيهقي وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار وأبو البركات عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي الأسعد الأنباريان قال: خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العراف فقال بجير لكعب: أثبت في عجل هذا المكان حتىأتي هذا الرجل يعني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأسمع ما يقول، فثبت كعب وخرج

بجير فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسمع كلامه فآمن به، وذلك أن زهير فيما يزعمون كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم أنه قد أن مبعث نبي. ورأى زهير في منامه أنه قد مد سببا من السماء، وأنه قد مد يده ليتناوله ففاته، فأوله بالنبي - صلى الله عليه وسلم - يبعث، وأنه في آخر الزمان لا يدركه، وخبر بنيه بذلك وأوصاهم أن أدركوا النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يسلموا ولما اتصل خبر إسلام بجير ولأخيه أعضبه ذلك فقال: ألا أبلغن عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا فبين لنا إن كنت لست بفاعل * على أي شيء غير ذلك دلكا على خلق لم تلق أما ولا أبا * عليه ولم تدرك عليه أخوا لكا فإن أنت لم تفعل فلست بأسف * ولا قائل إما عثرت لعا لكا سقاك بها لمأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا وبعث بها إلى بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنشده إياها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (سقاك بها المأمون، صدق وإنه لكذوب وأنا المأمون وأهدر دمه وقال: من لقي كعبا فليقتله فكتب بجير إلى أخيه يذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أهدر دمه وقال: من لقي كعبا فليقتله، وليقول له النجاء وما أراك تنفلت ثم كتب إليه بعد ذلك: اعلم أن رسول الله لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا قبل ذلك منه، وأسقط ما كان قبل ذلك، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل. وذكر ابن إسحاق أن بجيرا كتب إليه: من مبلغ كعبا فهل لك في التي * تلوم عليها باطلا وهي أحزم إلى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

[٧١]

لدى يوم لا تنجو ولست بمفلت * من الناس إلا طاهر القلب مسلم فدين زهير وهو لا شيء دينه * ودين أبي سلمى علي محرم فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بدا قال قصيدته التي مطلعها: بانت سعاد... *... (١) يمدح بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النوع الثاني عشر: في حوادث السنة التاسعة. فيها توفي النجاشي - رضي الله تعالى عنه - في رجب. روى البخاري عن جابر والشيخان عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنهما - أن

(١) ومن تلك القصيدة قوله: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متمم إثرها لم يفد مكبول يسع الغواة جنابيهما وقولهم * إنك يا بن أبي سلمى لمقتول وقال كل صديق كنت أمله * لا ألهيئك إنني عنك مشغول فقلت: خلوا طريقي لا أبا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول كل ابن أنثى وإن طالعت سلامته * يوما على آلة حدياء محمول نبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول مهلا هداك الذي أعطاك نافلة إلا * قرآن فيها مواعظ وتفصيل لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم * أذنب ولو كثرت في الأقاويل لقد أقوم مقاماً لو يقوم به * أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل لظل ترعد من خوف بوادره * إن لم يكن من رسول الله تنويل حتى وضعت يميني وما أنازعها * في كف ذي نعمات قوله القيل فلهو أخوف عندي إذ أكلمه * وقيل: إنك منسوب ومسؤول من ضيغم بضراء الأرض مخدره * في بطن عثر غيل دونه غيل يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما * لحم من الناس، معفور خراذيل إذا يساور قرنا لا يحل له * أن يترك القرن إلا وهو مفلول منه تظل سباع الجو نائرة * ولا تمشي بواديه الأراجيل ولا يزال بواديه أخو ثقة * مضرخ البز والدرسان مأكول إن الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول في عصبة من فريش قال قائلهم * بطن مكة لما أسلموا زلوا زالوا فما زال أنكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل يمشون مشي الجمال الزهر بعضهم * ضرب إذا عرد السود التنايل شم العرائين أبطال لبوسهم * من نسج داود في الهيجا سراويل بيض سوابغ قد شكت لها خلق * كأنها خلق القفحاء مجدول ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا لا يقع الطعن إلا في نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل (*)

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وقال: توفي اليوم رجل من الحبشة اسمه أصحمة فهلّم فصفوا. فصفنا، فصلى عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وكبر عليه أربع تكبيرات، وقال: استغفروا لأخيكم. وفيها تتابع الوفود، وكانت تسمى سنة الوفود. وفيها ألى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا يدخل على نسائه شهرا. قال ابن حبيب: يقال إنه ذبح ذبحا فقسّمته عائشة بين أزواجه، فأرسلت إلى زينب بنت جحش بنصيها فردته، فقال: زيديها فزادت ثلاثا فقال: لا أدخل عليكن شهرا. وفيها: بيع المسلمين أسلحتهم، وقالوا: انقطع الجهاد فقال - صلى الله عليه وسلم - لا ينقطع الجهاد حتى ينزل عيسى ابن مريم. وفيها: جاء جبريل يعلم الناس دينهم. فقيل: وفيها فرض الحج. وفيها: أمر - صلى الله عليه وسلم - بهدم المسجد الضار بعد عوده من تبوك. روى بسند صحيح - عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن جبير أن موضع مسجد قباء كان لامرأة يقال لها: لية، كانت تربط حمارا لها فيه، فابتني بها سعد بن أبي خيثمة، وبنو عمرو بن عوف مسجدا، وأرسلوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوه ليصلي فيه، فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم أخوالهم بنو عمرو بن عوف، فقالوا: نحن نصلي في مريض حمار لية لا، لعمر الله، ولكننا نبني مسجدا فنصلي فيه، ويحيى أبو عامر فيؤمنا فيه، وكان أبو عامر فر من الله ورسوله فلحق بمكة، ثم لحق بعد ذلك بالشام، فتنصر فمات بها فبنوا مسجدا وأرسلوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة، والليله المطيرة وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إني لعلى جناح سفر وحال وشغل، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما قفل ونزل بذي أوان أنزل عليه فيه القرآن (والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا) [التوبة]. فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وأخاه عاصم بن عدي، فقال: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه، فانطلقوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك: انظروا حتى أخرج إليهم بنار من أهلي، فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل، فأشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدون حتى أتوا [المسجد وفيه أهله فحرقوه، وهدموه، وتفرق أهله عنه، ونزل فيه من القرآن ما نزل (والذين

اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا) [وفيها: موت عدو الله عبد الله بن أبي ابن سلول في ذي القعدة، بعد أن مرض عشرين يوما. روى البخاري عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن عبد الله بن أبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له، فأعطاه النبي - صلى الله عليه وسلم - قميصه... الحديث. وروى (١) أيضا عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - قبر عبد الله بن أبي بعدما دفن، فأخرجه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه. تنبيه: ظاهر قوله في (حديث جابر) (٢) أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن أبي بعدما دفن فأخرجه إلى آخره مخالف لقول ابن عمر: لما مات عبد الله بن أبي جاء ابنه الخ...، وقد جمع بينهما بأن معنى قول ابن عمر: فأعطاه أي أعم له بذلك فأطلق على العدة اسم العطية مجازا لتحقيق وقوعها، وكذا قوله في حديث جابر بعد ما دفن أي: ولي في حفرته، وكان أهل عبد الله بن أبي خشوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - المشقة في حضوره، فبادروا إلى تجهيزه قبل وصول النبي - صلى الله عليه وسلم

- فلما وصل وجدهم قد ولوه حفرته، فأمر بإخراجه إنجازا لوعده في تكفينه في القميص والصلاة عليه، والله تعالى أعلم. وقيل: أعطاهم - صلى الله عليه وسلم - أحد قميصيه أولا، ثم لما حضر أعطاهم الثاني بسؤال ولده، وفي (الإكليل) للحاكم ما يؤيد ذلك. وفيها لاعتن - صلى الله عليه وسلم - بين عويمر العجلاني وبين امرأته في ذي القعدة في مسجد بعد صلاة العصر، وكان عويمر قدم من تبوك فوجدها حيلى. وفيها: حج أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - بالناس في ذي القعدة، فخرج من المدينة في ثلاثمائة رجل، وبعث معه عشرين بدنة فلدها وأشعرها بيده، وعليها ناحية بن جندب الأسلمي، وساق أبو بكر خمس بدنان، وحج عبد الرحمن بن عوف - رضي الله تعالى عنه - وساق هديا وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليا على أثره ليقراً على الناس سورة براءة، فأدركه بـ (العرج) [قال ابن سعد: فلما كان بالعرج - وابن عائذ يقول: بضجان - لحقه علي بن أبي

(١) في أ: فيه. (٢) في أ: حديث ابن عمر. (*)

[٧٤]

طالب - رضي الله تعالى عنه - على العضاء، فلما رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور؟ قال: لا بل مأمور، ثم مضى [تنبيهات الأول: روى ابن حبان عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - في قوله تبارك وتعالى (براءة من الله ورسوله) [التوبة ١] قال: لما قفل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حنين اعتمر من الجعرانة ثم أمر أبا بكر في ذلك الحجة. قال الإمام محب الدين الطبري - رحمه الله تعالى -: وهذا مغاير لما تقدم، أن الذي حج بالناس تلك السنة عتاب بن أسيد، وهي سنة ثمان وأن تأمير أبي بكر كان سنة تسع وهو الأطهر. الثاني: قال في (زاد المعاد): وهل حجة الصديق هذه أسقطت الفرض؟، أو المسقطه هي حجة الوداع معه - صلى الله عليه وسلم - على قولين أصحهما الثاني، والقولان مبنيان على أصلين: أحدهما: هل كان فرض الحج قبل عام حجة الوداع أو لا؟ والثاني: هل كانت حجة أبي بكر في ذي الحجة! أم وقعت في ذي القعدة من أجل النسئ الذي كان في الجاهلية يؤخرون له الأشهر ويقدمونها؟ على قولين. روى البزار في (جامعه) في الحج والتفسير وقال: حسن، زاد في بعض النسخ صحيح، عن زيد بن يثيع، قال: سألتنا عليا بأي شئ بعثت في ذي الحجة؟ قال: بعثت بأربع... الحديث. فهذا نص صريح في ذلك كون تلك الحجة وقعت في ذي الحجة. وذكر المحب الطبري في (الأحكام) أن حج أبي بكر وقع في ذي القعدة، وعزى ذلك الماوردي في (نكته) والتعلبي والرماني وغيرهم. قلت: وجزم به في الإشارة ثم قال: وجزم الأزرقى أن حج أبي بكر كان في السنة التاسعة. قال: وذكر بعض المفسرين والروايتين. قال في النور: وأنا أستبعد كونه - عليه الصلاة والسلام - أمره عليها وأمره بها، وهي تقع في ذي القعدة على القول بأنها فرض، فهذا ما لا يدخل فهمي أما على القول بأنه فرض فهذا قريب انتهى.

[٧٥]

الثالث: الحكمة في أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث عليا ليقراً سورة براءة على الناس في حجة أبي بكر، ولم يكنف بغير علي أن العرب كان من عادتها أن الرجل المتبوع منهم إذا عقد عقداً أو عهد عهداً لا يحله إلا هو أو أحد من أهل بيته، ولهذا بعث عليا -

رضي الله تعالى عنه - . وقيل: كان فيه سورة براءة الثناء على الصديق رضي الله تعالى عنه فأحب أن يكون على لسان غيره قال في (الهدى): لأن السورة نزلت بعد ذهاب أبي بكر إلى الحج. النوع الثالث عشر: في حوادث السنة العاشرة فيها: حجة الوداع. وفيها: نزول: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) [النور ٥٨] وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك. وفيها: قدم جرير بن عبد الله بن جابر بن الشليل بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر وهو مالك بن عقبرين إراش بن عمرو بن الغوث مسلما في شهر رمضان. وفيها: أسلم فيروز بن الديلمي بأذان وهب بن منبه ب (اليمن). تنبيه في بيان غريب ما سبق: [المرید: الموضع الذي يجفف فيه التمر. الحجر: ... تأمنوني: أي اجعلوا لها ثمنا. الغرقد: ... العصاة: ... العريش: ... الثمام: ... الظلمة: ... الجمال: ...] (١) المسوح: جمع مسح وهو البلاس. مستطيرة في القبلة، منتشرة.

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[٧٦]

المصرع من الباب الشطر وهما مصراعان. (العرعر): بفتح العينين وبرائين مهملات قال في الصحاح: السرو. والساج - بالسين المهملة والجيم -: ضرب من خشب أسود عظيم من الشجر، يجلب من الهند وجمعها ساجات. قال الزمخشري: خشب أسود رزين يجلب من الهند، ولا تكاد الأرض تبليه، والجمع سيجان، مثل: نار ونيران مطروزة بالطين، بالطاء المهملة المشالة، أي: مطينة به دونه أي بضم الدال المهملة. الجندل: بالجيم والنون والدال المهملة. ينشأ: يتجدد. الأفق بضمين، الناحية. اخضل لجيته بخاء فصاد معجمتين فلام يليها. مراهق: مقارب الاحتلام. أنال: أدرك وأبلغ. المغشى: المغطى المستور. [البوق: ... بقيع الخصاب: ... الصرم: ... الذبحة: وجع في الحلق يخنق. الشهقة: الصيحة. الاستبرق: ... يلوي عليه: ... ضغطة القبر: ... النعش: .. الاشعار: .. الصرامة: ... ناجية: ...

[٧٧]

جندب: ...] (١). العرج: بفتح العين وسكون الراء المهملتين وبالجيم: قرية جامعة على نحو من ثمانية وسبعين ميلا من المدينة. ابن عائذ بتحتية وذال معجمة. ضجنان: بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم وبنونين بينهما ألف: جبل على بريد من مكة من جهة الشام. قافلين: راجعين. الحج الأكبر: يوم النحر هذا هو الصواب. كما روى الترمذي أن عليا - رضي الله تعالى عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن يوم الحج الأكبر فقال: يوم النحر. وروى أبو داود بإسناد صحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال: (أي يوم هذا) قالوا: يوم النحر فقال: هذا يوم الحج الأكبر. وروى البخاري (تعليقا) عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم النحر في الحجة التي حج فيها: هذا يوم الحج الأكبر (٢).

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (٢) رغب الله المشركين: بغين معجمة من الرغبة، لا من الرعب الذي هو الفزع، لأنه يقال: منه أرعبه ولا يقال: رعبه ورعبه مخففاً ومشدداً. عامة: بتشديد الميم. لا يخاف: بالبناء للمفعول. ولم تذكرها في الصلب لعدم وجود إشارة تدل عليهما. وهما في أ. ب. (*).

[٧٨]

جماع أبواب سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الرقى والتمائم الباب الأول في إذنه صلى الله عليه وسلم في الرقى المفهومة المعنى روى الحاكم عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (استرقوا لها، فإن بها النظرة) الباب الثاني في نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن التمام روى أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - مرفوعاً (أن الرقى والتمائم والترلة شرك). التمام: بمثابة فوقية فميمين بينهما ألف فهمزة: خرزة أو قلادة تعلق في الرأس، كانت الجاهلية تعتقد أن ذلك يدفع الأفات والترلة: بمثابة فوقية مكسورة فراء ولام مفتوحتين مخففاً شئ كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو نوع من السحر، وإنما كان من الشرك، لأنهم كانوا يرون أنها تجلب المنافع وتدفع المضار بنفسها، وذلك شرك مع الله تعالى في ألوهيته، ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله وصفاته، ولا خلاف في شرعية الفزع إلى الله تعالى واللجوء إليه في كل ما وقع وما يتوقع، والرقى المنهي عنها هي ما أضيف فيها إلى الله أسماء الله تعالى شئ من ذكر الشياطين، والاستعانة بهم، والتعوذ بمررتهم، وما كان بالعجز الذي لا يفهم معناه. وقال القرطبي: ما كان يرقى به في الجاهلية معاً لا يعقل معناه يجب اجتنابه، وما كان بكلام الله تعالى أو بأسمائه فيجوز فإن كان مأثوراً فيستحب، وما كان بغير أسماء الله تعالى من ملك أو صالح أو معظم من المخلوقات كالعرش فليس من الواجب اجتنابه ولا المشروع الذي يتضمن الالتجاء إلى الله تعالى، والتبرك بأسمائه فيكون تركه أولى، ونقل النووي عن القاضي عياض أن قول مالك اختلف في رقية اليهودي والنصراني المسلم وبالجملة قال الشافعي. وروى ابن وهب عن مالك كراهة الرقية بالحديدة والملح، وعقد الخيط، والذي يكتب خاتم سليمان، وقال: لم يكن ذلك من أمر الناس القديم.

[٧٩]

الباب الثالث في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في لدغة العقرب بالرقية روى أبو نعيم في الطب عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: كان في المدينة رجل يكنى أبا مذكر، كان يرقى من العقرب، وينفع الله تعالى بها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا أبا مذكر، ما رقيتك هذه؟ اعرضها علي، فقال أبو مذكر: شجنة قرنية ملححة بحر فقط فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إنه لا بأس بها، إنما هي مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام (١). قال ابن إسحاق: زادني رجل في هذه الرقية: شجنة قرنية ملححة بحر فقط وقطيفة موسى معها والمسيح يلبسها، ما لنا أن لا نتوكل على الله، وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما أديتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون، وقال محمد بن إسحاق: قرأت ما لا أحصي من هذه الرقى: الرقية على العقرب، فوفعت لي فيه أن رجلاً من الأنصار قال: أفي العقرب رقية؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل) وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: لدغ رجل من الأنصار على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكروه للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: ما نام فلان من لدغة أصابته من عقرب، فقال: أما إنه لو قال حين أمسى: أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم يضره

لدغة عقرب حتى يصبح. الباب الرابع في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في رقية النملة بفتح النون وإسكان الميم وهي قروح تخرج من الساق والجنب أو غيره روى أبو نعيم في الطب وأبو داود عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال للشفاء: (علمي حفصة رقيتك)، قال إسماعيل: قلت لمحمد بن المنكدر: وما رقيتها؟ قال: رقية النملة. وروى مسلم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: رخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الرقية من العين والنملة والحمة، وفي رواية: والأذن خلال أن الشفاء بنت عبد الله كانت ترقى في الجاهلية من النملة فلما هاجرت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت قد باعته بمكة، قالت: يا رسول الله، إنني كنت أرقى في الجاهلية من النملة، فأريد أن أعرضها عليك فعرضتها، فقالت: باسم الله صلو صلب خير يعود من أفواهما ولا تضر أحدا، اللهم، اكشف الناس رب الناس،

(١) ذكرها الحافظ في الإصابة ٧ / ١٧٣ وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول وضعفه. (*)

[٨٠]

كانت ترقى بها على عود سبع مرات، وتضعه مكانا وتلكه على حجر بخل خمر مصفى وتطليه على النملة. الباب الخامس في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في رقية الحية روى أبو نعيم في الطب عن علقمة عن عبد الله قال: ذكر عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رقية الحمة قال: اعرضوها علي فعرضوها عليه، بسم الله قرنية شحنة ملححة بحر قفط، فقال: هذه موثيق، أخذها سليمان بن داود على الهوام لا أرى بها بأسا قال: فلدغ رجل وهو مع علقمة فرقاه بها، فكانما نشط من عقال. الباب السادس في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في رقية القرحة والجرح روى الشيخان عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: إنه - صلى الله عليه وسلم - كان إذا اشتكى الإنسان الشئ أو كانت به قرحة أو جرح، قال بأصبعه يعني سبابته بالأرض، ثم رفعها وقال: بسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا يشفى سقيمنا، ياذن ربنا (١). وروى الحاكم في تاريخه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تربة أرضنا شفاء لقرحنا). وروى: (تربة أرضنا بريقة بعضنا تشفى سقيمنا ياذن ربنا). قال النووي: معنى الحديث أنه أخذ من ريق نفسه، على أصبعه السبابية وضعها على التراب فعلق به شئ منه ثم مسح به الموضع العليل، أو الجرح قائلًا الكلام المذكور في حالة المسح. قال القرطبي: زعم بعض علمائنا أن السر فيه أن تراب الأرض لبرودته ويبسه يبرئ الموضع الذي به الألم، ويمنع انصباب المواد إليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجروح وإندمالها.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٥) ومسلم (٥٤ / ٢١٩٤). (*)

[٨١]

وقال في الريق: لأنه يختص بالتحليل والإنضاح وإبراء الجراح والورم، ولا سيما في الصائم الجائع، وتعقبه بأن ذلك إنما يتم إذا وقعت المعالجة على قوانينها مع مراعاة مقدار التراب في الريق وملازمة ذلك في أوقاته وإلا فالنفت ووضع السبابية على الأرض إنما يعلق بها ما ليس له بال ولا أثر، وإنما هذا من باب التبرك بأسماء الله تعالى

وأثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإنما وضع بالأرض فلعله لخاصية في ذلك، وقال البيضاوي: قد شهدت المباحث الطبية على أن للريق مدخلا في النضج، وتعديل المزاج، وتراب الوطن له تأثير في حفظ المزاج ودفع الضرر، فقد ذكروا أنه ينبغي للمسافر أن يستصحب تراب أرضه، إن عجز عن استصحاب مائها، حتى إذا ورد المياه المختلفة جعل شيئا منه في سقائه، ليأمن من مضرة ذلك، ثم إن الرقى والعزائم لها آثار عجيبة تتعاقد العقول عن الوصول إلى معرفتها. وقال التوربشتي: كان المراد بالتربة الإشارة إلى فطرة آدم وبالريقة الإشارة إلى النطفة، كأنه تضرع بلسان الحال، إنك اخترعت الأصل الأول من التراب ثم أبدعته من ماء مهين، فهين عليك أن تشفي من كانت هذه نشأته. وقال النووي: وقيل: المراد بـ (أرضنا) أرض المدينة لبركتها و (بعضنا) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لشرف ريقه يشفي سقيمنا: بضم أوله على البناء للمجهول، وسقيمنا بالرفع وفتح أوله على أن الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية. الباب السابع في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في رقى عامة ورقى جامعة روى الطبراني في الكبير رجال الصحيح عن رافع بن خديج - رضي الله تعالى عنه - قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ابن نعيمان فقال: (أذهب إلياس رب الناس إله الناس) (١). وروى الإمام أحمد والطبراني في الكبير - رجال ثقات وأبو معشر - ليس هو نجيح بل من رجال الصحيح - عن كعب بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إذا وجد أحدكم ألما فليضع يده تحت ألمه، ثم ليقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته على كل شئ من شر ما أجد) (٢).

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١١٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١١٧ وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه أبو معشر نجيح وقد وثق على أن جماعة كثيرة ضعفوه وتوثيقه لين، وفيه رجاله ثقات. (*)

وروى أبو يعلي بسند حسن عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يألم، ثم يقول: (بسم الله لا بأس) (١). وروى الترمذي والحاكم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا اشتكتك فضع يدك حيث تشتكي ثم قل: بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وترا) (٢). وروى الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه وابن حبان وأبو داود والترمذي وقال: صحيح، والطبراني في الكبير عن عثمان بن أبي العاص أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (امسح بيمينك سبع مرات، وقل: أعوذ بعزة الله وقوته على كل شئ من شر ما أجد) وفي لفظ: (ضع يمينك على الذي تألم من جسدي وقل: بسم الله - ثلاثا - وقل - سبع مرات -: أعوذ بالله...) إلى آخره. وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - والخراطي في (مكارم الأخلاق) عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله تعالى عنها - قالت: خرج في عنقي خراج فتخوفت منه، فسألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال صلى الله عليه وسلم: (ضعي يدك عليه ثم قولي ثلاث مرات -: (بسم الله، اللهم أذهب عني شر ما أجد بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك بسم الله). وروى أبو داود في سننه عن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من اشتكى منكم شيئا فليقل: ربنا الله الذي السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، واغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل

رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ بإذن الله (٣). وروى الحميدي والخطيب عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتعوذ من الصداع: (بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الكبير، وأعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار، ومن شر حر النار). وروى البيهقي أن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله تعالى عنهما - أصابها ورم في

(١) أخرجه مسلم (٣١٩١) باب استحباب رقية المريض من طريق يحيى بن يحيى، والبخاري في الطب (٥٧٤٣). وأحمد ٦ / ١٢٦، وأبو يعلى في مسنده ٧ / ٤٣٦ (١٠٣) - (٤٤٥٩). (٢) أخرجه الحاكم ٤ / ٢١٩. (٣) أخرجه أبو داود ٤ / ٣١٨ (٣٨٩٣). (*)

[٨٣]

اشتها (١)، فوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده على ذلك من فوق الثياب فقال: بسم الله، أذهب عنها سوءه، وفحشته بدعوة نبيك الطيب المبارك، المكين عندك، صنع ذلك ثلاث مرات، وأمرها أن تقول [ذلك، فقالت ثلاثة أيام، فذهب الورم] (٢). وروى البيهقي أن عبد الله بن رواحة شكوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وجع ضرسه، فوضع - صلى الله عليه وسلم - يده على خده الذي فيه الوجع وقال: اللهم أذهب عنه سوء ما يجد وفحشته بدعوة نبيك المبارك، المكين عندك - سبع مرات - فشفاه قبل أن يبرح (٣). وروى الحميدي أن فاطمة - رضي الله تعالى عنها - أتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تشكو من ضر في ضرسها، فأدخل سبابته اليمنى فوضعها على الضرس الذي يألم فقال: (بسم الله، وبالله أسألك بعزك وجلالك وقدرتك على كل شئ فإن مريم لم تلد غير عيسى من روحك وكلمتك أن تكشف فاطمة بنت خديجة من الضر كله) فسكن ما بها. وروى النسائي عن أبي الدرداء أنه أتاه رجل فذكر أن أباه احتبس بوله، فأصابته حصة البول، فعلمه رقية سمعها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، واغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، فأنزل شفاء من شفائك، ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرأ) وأمره أن يرقيه بها فرقاها بها قبراً (٤). وروى البيهقي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عائشة وهي موعكة، وهي تسب الحمى، فقال: (لا تسبها فإنها مأمورة، ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا قلتها أذهبها الله عنك) فقالت: فعلمني، قال: (قولي: اللهم، ارحم جلدي الرقيق، وعظمي الدقيق من شدة الحريق، يا أم ملام، إن كنت آمنت بالله العظيم، فلا تصدعي الرأس، ولا تنتني الفم، ولا تأكلي اللحم، ولا تشربي الدم، وتحولي عني إلى من اتخذ مع الله ١ إلهاً آخر) فقالتها فذهب عنها (٥). وروى أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح عن أبان بن عثمان عن أبيه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من قال: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ من الأرض

(١) في لأسها. (٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦ / ١٠١. (٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦ / ١٨٣. (٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٦ / ٢٥٧. (٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦ / ١٦٩. (*)

[٨٤]

ولا في السماء وهو السميع العليم) ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجأة بلاء، حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي) قال: فأصاب أبان بن عثمان الفالج، فجعل الرجل، الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال: ما لك تنظر إلي، فوالله ما كذبت على عثمان، ولا كذب عثمان على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني غضبت، فنسيت أن أقوالها (١)، وفي لفظ الترمذي: فكان أبان أصابه طرف فالج، فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنتظر، أما إن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله علي قدره. وروى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) (٢). وروى الطبراني عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم). وروى ابن أبي الدنيا عن أبي موسى - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله مرة في كل يوم لم يصبه فقر). وروى الطبراني عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أبطأ عليه رزقه، فليكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله) (٣). وروى ابن السني عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى لم تضره أم الصبيان).

(١) أخرجه أبو داود ٥ / ٣٢٤ (٥٠٨٨). (٢) أخرجه الترمذي (٣٦٠١). (٣) ذكره الهيثمي في الجمع ٣ / ٢٠٤ وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه يونس بن تميم ضعفه الذهبي بهذا الحديث. (*)

[٨٥]

الباب الثامن في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في علاج داء الحريق وإطفائه روى ابن السني وابن عدي وابن عساكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا رأيتم الحريق، فكبروا فإن التكبير يطفئه). قال في زاد المعاد: لما كان الحريق سببه النار، وهي مادة الشيطان [التي خلق منها]، وكانت النار تطلب العلو والفساد، وهما هدي الشيطان، وإليهما يدعو، وبهما يهلك بني آدم، فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الأرض والفساد، وكبرياء الله تقمع الشيطان وفعله، فلماذا كان تكبير الله تعالى له أثر في إطفاء الحريق، فإن كبرياء الله تعالى لا يقوم لها شئ، فإذا كبر المسلم ربه أثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان، وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك، انتهى. الباب التاسع في علاج الفزع والأرق المانع من النوم روى الترمذي عن بريدة - رضي الله تعالى عنه - قال: شكنا خالد إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -: ما أنام الليل من الأرق. فقال - صلى الله عليه وسلم -: (إذا أويت إلى فراشك، فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين السبع وما أقلت، ورب الشياطين وما أظلت، كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط علي أحد منهم أو يبغني علي، عز جارك وجل ثناؤك، ولا إله غيرك) [ولا إله إلا أنت] (١). الباب العاشر في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في علاج حر المصيبة روى أبو داود والحاكم عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحسب مصيبتني فأجرني منها، [وأبدل لي بها خيرا منها] (٢).

[٨٦]

وروى البيهقي في الشعب والطبراني في الكبير عن سابط أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليذكر مصيبتته بي، فإنها من أعظم المصائب) (١). وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها) (٢). روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده وكتمها ولم يشكها إلى الناس كان حقا على الله أن يغفر له) (٣). وروى ابن ماجه عن حسين بن علي - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أصيب بمصيبة فذكر مصيبتته، فأحدث استرجاعا، وإن تقادم عهدها، كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب) (٤). وروى الإمام أحمد عن رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من أصيب في جسده بشئ فتركه لله كان كفارة له) (٥). وروى سعيد بن منصور وأبو نعيم في الحلية عن مسروق بن الأجدع أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الأمراض والأحزان في الدنيا جزاء). وروى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (المصيبة تبيض وجه صاحبها يوم القيامة يوم تسود وجوه) (٦). وروى مسلم وابن ماجه عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتتي، وخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبتته وأخلف الله له خيرا منها) (٧). وروى الترمذي وابن حبان عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة). * (هامش) (١) ذكره الهيثمي في المجمع ٣ / ٥ وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد، وثقه ابن حبان وضعفه غيره. (٢) أخرجه أحمد ٦ / ٨٨. (٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٢ / ٣٣٤ وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه بقية وهو مدلس. (٤) أخرجه ابن ماجه ١ / ٥١٠ (١٦٠٠). (٥) أخرجه أحمد ٥ / ٤١٢. (٦) ذكره الهيثمي في المجمع ٢ / ٢٩٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن رفاع وهو منكر الحديث. (٧) أخرجه مسلم ٢ / ٦٣٣ (٩١٨). (*)

[٨٧]

الياب الحادي عشر في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في علاج الكرب والهم والحزن روى الطبراني في الأوسط عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا أصاب أحدكم هم أو لأواء فليقل: الله الله، ربي لا أشرك به شيئا). وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالأذان، فإن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله حصاص) (١). وروى البيهقي في الشعب بسند حسن عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إذا

نزل بكم كرب أو جهد، أو بلاء، فقولوا: الله ربنا لا شريك له). وروى ابن مردويه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا حسينا الله ونعم الوكيل). وروى ابن السني في عمل اليوم والليلة عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا وقعت في ورطة فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله تعالى يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء) (٢) وروى العقيلي عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (استكثروا من لاحول ولا قوة إلا بالله، فإنها تدفع تسعة وتسعين بابا من الضر، أدناها الهم) (٣). وروى ابن أبي الدنيا في الفرج والحاكم عن سعد - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ألا أخبركم بشئ إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا، دعا به يفرج عنه: دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) (٤). وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي والحاكم والبيهقي في الشعب، والضياء عن سعد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (دعوة ذي النون إذا دعا هو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شئ إلا استجاب الله له).

(١) ذكره الهيثمي ١٠ / ١٣٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عدي بن الفضل وهو متروك. (٢) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٢٤١٦) وعزاه لابن السني عن علي. (٣) ذكره المتقي الهندي في الكنز (١٩٥٢). (٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ١ / ٥٠٥ (*).

وروى الإمام أحمد والبخاري في الأدب وأبو داود وابن حبان عن أبي بكرة، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال (دعوات المكروب، اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين. وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت) وروى أبو داود عن أبي سعيد - رضي الله تعالى عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي أمامة: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهم أذهب الله تعالى همك وقضى عنك دينك قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من ضلع الدين وغلبة الرجال). قال: فقلت ذلك، فأذهب الله همي، وقضى ديني. وروى أبو داود عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب) (١). وروى الطبراني عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل، فقال: يا محمد، قل: توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) (٢). وروى ابن أبي الدنيا في الفرج عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال (كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا وإله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم) (٣). وروى ابن أبي الدنيا في الفرج من طريق الخليل بن مرة بلاغا قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إذا أصاب عبدا هم وكرب يقول: حسبي الرب من العباد، حسبي الخالق من المخلوقين حسبي الرازق من المرتزقين، حسبي الذي هو حسبي، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم). وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن جعفر عن علي قال: علمني رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - إذا نزل بي كرب أن أقوال: (لا اله إلا الله الحليم
الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب
العالمين).

(١) أخرجه أبو داود ١٧٩ / ٢ (١٥١٨). (٢) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٤٣٤). (٣)
ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٤٣٣). (*)

[٨٩]

وروى الحاكم عن ابن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
كان إذا نزل به هم أو غم، قال: (يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث)
(١). وروى الإمام أحمد والشيخان والبيهقي والترمذي وابن ماجه عن
ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - كان رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - يدعو عند الكرب يقول: لا إله إلا الله العظيم الكريم، لا
إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا رب السموات السبع ورب
العرش الكريم (٢). وروى الطبراني في الكبير عن أسماء بنت عميس
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من أصابه هم أو غم أو
سقم أو شدة، فقال: الله ربي لا شريك له كشف عنه. وروى أبو
نعيم في الطب. عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما على أحدكم إذا ألح همه
أن يتقلد قوسه ويبقى به همه) (٣). وروى عن أنس - رضي الله
تعالى عنه - أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر قال: (يا حي
يا قيوم برحمتك أستغيث). وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أهمله الأمر، ورفع رأسه إلى
السماء، فقال: (سبحان الله العظيم)، وإذا اجتهد في الدعاء قال: (يا
حي يا قيوم، برحمتك أستغيث) (٤). وروى أبو داود عن أبي بكره -
رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:
دعوة المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين
وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت) (٥). وروى الإمام أحمد عن ابن
مسعود - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - قال: (ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن، فقال: (اللهم إني
عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل
في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في
كتابك أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب
عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء
حزني وذهاب همي وغمي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجا)
(٦).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ١ / ٥٠٩. (٢) أخرجه البخاري ١١ / ١٤٥ (٦٣٤٥).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤ / ١٥٤. (٤) أخرجه الترمذي ٥ / ٤٦٣ (٣٤٣٦). (٥)
أخرجه أبو داود (٥٠٩٠). (٦) أخرجه أحمد ١ / ٣٩١. (*)

[٩٠]

تنبيهان: الأول: قال الطبري: معنى قول ابن عباس: (يدعو) إنما هو
تهليل وتعظيم، إذ المراد تقديم ذلك كما عند ابن حميد (كان إذا حزبه
أمر قال)... فذكر الذكر المأثور ثم دعا. وقد روى الأعمش عن إبراهيم،
قال: كان يقال: إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء استجيب له، وإذا بدأ
بالدعاء قبل الثناء كان على الرجاء، أو معناه: أنه لما اشتغل بذكر الله
تعالى أعطاه أفضل ما أعطى السائلين، لقوله - صلى الله عليه

وسلم - عن ربه عزوجل: من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، كما أجاب سفيان بن عيينة من سأله عن أكثر ما كان يدعو به - صلى الله عليه وسلم - [قال]: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له). الثاني في غريب ما سبق: الهم: الفكر فيما يتوقع حصوله من أذى وحزن.

[٩١]

الباب الثاني عشر في سيرته - صلى الله عليه وسلم في علاج الصرع أخرجنا في (الصحيحين) من حديث عطاء بن أبي رباح، قال: قال ابن عباس: ألا أريك امرأة ما أهل الجنة؟ قلت: بلي. قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، فقال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك)، فقالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها (١). قلت: - والقائل ابن القيم - الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة. والثاني: هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه. وأما صرع الأرواح، فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدفع أثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك بقراط في كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة. وأما الصرع الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج. وأما جهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم، ومن يعتقد بالزندقة فضيلة، فأولئك ينكرون صرع الأرواح ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك، والحس والوجود شاهد به، وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط، هو صادق في بعض أقسامه لا في كلها. وقدماء الأطباء كانوا يسمون هذا الصرع: المرض الإلهي، وقالوا: إنه من الأرواح، وأما جالينوس وغيره، فتناولوا عليهم هذه التسمية، وقالوا: إنما سموه بالمرض الإلهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس، فتضر بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ. وهذا التأويل نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح وأحكامها، وتأثيراتها، وجاءت زنادقة الأطباء فلم يشبوا إلا صرع الأخلاط وحده. ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم. وعلاج هذا النوع يكون بأمرين: أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ

(١) أخرجه البخاري ١٠ / ٩٩ في المرض: باب من يصرع من الريح، من الريح، ومسلم (٣٢٦٥). (*)

[٩٢]

الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان، فإن هذا نوع محاربة، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً، وأن يكون الساعد قوياً، فمضى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل، فكيف إذا عدم الأمران جميعاً: يكون القلب خراباً من التوحيد، والتوكل، والتقوى، والتوجه، ولا سلاح له. والثاني: من جهة المعالج، بأن يكون فيه هذان الأمران أيضاً، حتى أن من المعالجين من يكتفي بقوله: (أخرج منه). أو بقول: (بسم الله)، أو بقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، والنبي - صلى الله

عليه وسلم - كان يقول: (أخرج عدو الله أنا رسول الله) (١). وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يحل لك، فيفبق المصروع، وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب، فيفبق المصروع ولا يحس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا. وكان كثيرا ما يقرأ في أذن المصروع: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) [المؤمنون ١١٥]. وحدثني أنه قرأها مرة أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومد بها صوته. قال: فأخذت له عصا، وضربته بها في عروق عنقه حتى كلت يداي من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضرب. ففي أثناء الضرب قالت: أنا أحبه، فقلت لها: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به، فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك، فقالت: أنا أدعه كرامة لك، قال: قلت: لا ولكن طاعة لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يمينا وشمالا، وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ؟ قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال: وعلى أي شئ يضريني الشيخ ولم أذنب، ولم يشعر بأنه وقع به ضرب البتة. وكان يعالج بأية الكرسي، وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومن يعالجه بها، وبقراءة المعوذتين. وبالجملة فهذا النوع من الصرع، وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر، والتعاويد، والتحصينات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عربانا فيؤثر فيه هذا.

(١) أخرجه أحمد ٤ / ١٧٠ - ١٧٣. (*)

[٩٣]

ولو كشف الغطاء، لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى هذه الأرواح الخبيثة، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت، ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها، وبها الصرع الأعظم الذي لا يفبق صاحبه إلا عند المفارقة والمعانية، فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقة، وبالله المستعان. وعلاج هذا الصرع بافتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءت به الرسل، وأن تكون الجنة والنار نصب عينيه وقبلة قلبه، ويستحضر أهل الدنيا، وحلول المثلات والآفات بهم، ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر، وهم صرعى لا يفبقون، وما أشد داء هذا الصرع، ولكن لما عمت البلية به بحيث لا يرى إلا مصروعا، لم يصر مستغربا ولا مستنكرا، بل صار لكثرة المصروعين عين المستنكر المستغرب خلافة. فإذا أراد الله بعبد خيرا أفاق من هذه الصرعة، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حوله يمينا وشمالا على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من أطبق به الجنون، ومنهم من يفبق أحيانا قليلة، ويعود إلى جنونه، ومنهم من يفبق مرة، ويجن أخرى، فإذا أفاق عمل أهل الإفاقة والعقل، ثم يعاوده الصرع فيقع في التخبط. فصل وأما صرع الأخلاط، فهو علة تمنع الأعضاء النفسية عن الأفعال والحركة والانتصاب منعا غير تام، وسببه خلط غليظ لزج يسد منافذ بطون الدماغ سدة غير تامة، فيمنع نفوذ الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذا تاما من غير انقطاع بالكلية، وقد تكون لأسباب أخر كريح غليظ يحتبس في منافذ الروح، أو بخار ردي يرتفع إليه من بعض الأعضاء، أو كيفية لاذعة، فينقبض الدماغ لدفع المؤذي، فيتبعه تشنج في جميع الأعضاء، ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصبا، بل يسقط، ويظهر في فيه الزيد غالبا. وهذه العلة تعد من جملة الأمراض الحادة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصة، وقد تعد من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مكثها، وعسر برئها، لاسيما إن تجاوز في السن خمسا وعشرين سنة،

وهذه العلة في دماغه، وخاصة في جوهرة فإن صرع هؤلاء يكون لازماً. قال أبقراط: إن الصرع يبقى في هؤلاء حتى يموتوا. إذا عرف هذا، فهذه المرأة التي جاء الحديث أنها كانت تصرع وتتكشف، يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع، فوعدها النبي - صلى الله عليه وسلم - الجنة بصيرها على هذا المرض، ودعا لها

[٩٤]

أن لا تتكشف، وخيرها بين الصبر والجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان، فاختارت الصبر والجنة وفي ذلك دليل على جواز ترك المعالجة والتداوي، وأن علاج الأرواح بالدعوات والتوجه إلى الله يفعل ما لا يناله علاج الأطباء، وأن تأثيره وفعله، وتأثر الطبيعة عنه وانفعالها أعظم من تأثير الأدوية البدنية، وانفعال الطبيعة عنها، وقد جربنا هذا مرارا نحن وغيرنا، وعقلاء الأطباء معترفون بأن لفعل القوى النفسية، وانفعالاتها في شفاء الأمراض عجائب، وما على الصناعة الطبية أضر من زنادقة القوم، وسفلتهم، وجهالهم. والظاهر أن صرع هذه المرأة كان من هذا النوع، ويجوز أن يكون من جهة الأرواح، ويكون رسول الله، - صلى الله عليه وسلم - قد خيرها بين الصبر على ذلك مع الجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء، فاختارت الصبر والستر، والله أعلم. [الباب الثالث عشر في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في علاج الغيرة روى الطبراني في الكبير وابن السني في عمل اليوم والليلة بسند ضعيف عن ميمونة بنت أبي عسيب أن امرأة من جرش أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - على بعير فنادت: يا عائشة أعينيني بدعوة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تسكنيني قالت: (ضعي يدك اليمنى على فؤادك فامسحيه، وقولي: بسم الله، اللهم، داوني بدوائك واشفني بشفائك، وأغنني بفضلك عن سواك وأحدر عني أذاك) (١).

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠ / ١٨٣ وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم. (*)

[٩٥]

جماع أبواب سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الطب الباب الأول في فوائد كالمقدمة للأبواب الآتية وفيه أنواع: الأول: في ابتدائه: روى البزار في مسنده والطبراني في الكبير وابن السني وأبو نعيم كلاهما في الطب النبوي من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: (أن نبي الله سليمان - عليه الصلاة والسلام - كان إذا قام يصلي رأى شجرة نابتة بين يديه، فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا، فيقول: لأي شئ أنت؟ فتقول: لكذا، فإن كانت لداء كنت وإن كانت لغرس غرست) (١). وروى الحاكم في المستدرک وصححه وابن مردويه من طريق سلمة بن كميل عن سعيد بن جبير عنه قال: (كان سليمان بن داود - عليهما الصلاة والسلام - إذا صلى الصلاة طلعت بين عينيه شجرة، فيقول لها: ما أنت؟ فتقول أنا شجرة كذا وكذا، فيقول: لأي شئ طلعت؟ فتقول: طلعت لكذا وكذا، فيؤمر بها فتزرع) (٢). وروى ابن مردويه من طريق علي بن بزيمة عن عكرمة عنه قال: (كان يبيت في مصلى سليمان بن داود - عليهما الصلاة والسلام - كل غداة شجرة، فيقول لها سليمان: ما أنت؟ فتقول: أنا كذا وكذا، فيقول لها: لأي شئ تصلحين؟ فتقول: لكذا وكذا فيعطيها طباخه). وروى أبو نعيم في الطب من طريق قتادة عن الحسن قال: (إن سليمان بن

داود - عليهما الصلاة والسلام - لما فرغ من بناء بيت المقدس، وأراد الله قبضه، دخل المسجد فإذا أمامه في القبلة شجرة خضراء بين عينيه، فلما فرغ من صلاته تكلمت الشجرة فقالت: ألا تسألني، ما أنا ؟ فقال سليمان: ما أنت ؟ قالت أنا شجرة كذا وكذا، دواء كذا وكذا من داء كذا

(١) ذكر الهيثمي في المجمع ٨ / ٢١٠، ٢١١ وقال: رواه الطبراني والبرار بنحوه مرفوعا وموقوفا. وقال: وفيه عطاء وقد اختلط وبقيّة رجالهما رجال الصحيح. (٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤ / ١٩٨. (*)

[٩٦]

وكذا، فأمر سليمان بقطعها، وكان كل يوم إذا دخل المسجد يرى شجرة قد نبتت، فوضع عند ذلك كتاب الطب الفيلسوفيون ووضعوا الأدوية وأسماء الأشجار التي نبتت في المسجد. روى البيهقي - بإسناد ضعيف - عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم. تنبيه: أخرج البيهقي من طريق أرطاة قال: اجتمع رجال من أهل الطب عند ملك من الملوك، فسألهم ما رأس دواء المعدة ؟ فقال كل رجل منهم قولا وفيهم رجل ساكت فلما فرغوا قال: ما تقول أنت ؟ قال: ذكروا أشياء وكلها تنفع بعض النفع، ولكن ملاك ذلك ثلاثة أشياء: لا تأكل طعاما أبدا إلا وأنت تشتهي، ولا تأكل لحما يطبخ لك حتى يتم إنضاجه، ولا تبتلع لقمة حتى تمضغها مضغا شديدا لا يكون على المعدة فيها مؤونة. وروى البيهقي عن إبراهيم بن علي الذهلي قال: (أخرج من جميع الكلام أربعة آلاف كلمة، وأخرج منها أربعمئة كلمة، وأخرج منها أربعون كلمة، وأخرج منها أربع كلمات، أولهن لا تثقن بالنساء والثانية: لا تحمل معدتك ما لا تطيق، والثالثة: لا يغرنك المال، والرابعة: يكفيك من العلم ما ينتفع به. والأمور الطبيعية سبعة: إحداها: الأركان، وهي أربعة: النار وهي حارة يابسة باردة. الثاني: المزاج، وأقسامه تسعة وهي منقسمة إلى: معتدل، وغير معتدل. فالمعتدل: واحد. وغير المعتدل: إما مفرد، وهو أربعة: حار، وبارد ورطب ويابس. وإما مركب وهو أربعة أيضا: حار يابس، وحار رطب، وبارد يابس، وبارد رطب. وأعدل أمزجه الحيوان مزاج الإنسان، وأعدله مزاج المؤمنين، وأعدله مزاج الأنبياء، وأعدله مزاج المرسلين، وأعدله مزاج أولي العزم، وأعدل أولي العزم مزاجا مزاج محمد - صلى الله عليه وسلم - وعليهم أجمعين وذلك أن من فوائد الأطباء أن أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن، فكلما كان أعدل كانت أخلاق النفس أحسن. إذا علم ذلك فالحق - سبحانه وتعالى - قد شهد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنه على خلق عظيم، وقالت عائشة - رضي الله تعالى عنها -: (كان خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن). فلزم من ذلك أن مزاجه - صلى الله عليه وسلم - أعدل الأمزجة، وإذا كان كذلك كان خلقه أحسن

[٩٧]

الأخلاق، والشباب أعدل، والصبيان أرطب، والكهل والشيخ أبرد، وأعدل الأعضاء مزاجا جلد أنملة السبابة، ثم جلد الأنامل. وأحر الأعضاء القلب ثم الكبد ثم اللحم. قال وهب بن منبه: ومن قدرته تعالى ولطفه جعل عقله في دماغه، وسره في كليته وغضبه في

كبده وصرامته في قلبه وصحته في طحاله وحزنه وفرحه في وجهه، وجعل فيه ثلاثمائة وستين مفصلاً، وأبردها العظم ثم العصب ثم النخاع ثم الدماغ، وأبيسها العظم،. أرطبها السمين. وثالثها: الأخلاط الأربعة، فإذا تساوت في الشخص اعتدل خلقه، فإذا غلب أحدهم سمي الشخص باسم ما يغلب عليه منها، فيقال لصاحب الدم - وهو أفضلها - وهو رطب حار دموي. وفائده: تغذية البدن الطبيعي ومنه يتولد عنه حمرة العينين والرمد والجدرى والدماويل والأورام الرخوة وأمراض أخر ثم البلغم، وهو رطب بارد. فائده أن يستحيل دما إذا فقد البدن الغذاء وأن يرطب الأعضاء لئلا تجففها الحركة. والطبيعي منه: ما قارب الاستحالة إلى الدموية. وغير الطبيعي منه: المالح، ويميل إلى حرارة، والحامض ويميل إلى البرد والمشبخ وهو خالص البرد ويتولد منه البرص، والفالج، والحمى المطبقة، وأمراض أخر ثم الصفراء وينصب جزء منها إلى الأمعاء، فينبه على خروج البخار. والطبيعي منها: أحمر خفيف. وغير الطبيعي: فالمخي والكداني والزنجاني والاحتراقي وهو في الزنجاري أقوى من الكداني، فلذلك، ينذر بالموت، وتسمى المرة الصفراء وينشأ عنه الصداع واليرقان الأصفر، والأورام الصفراء، وحمى الغب، وأمراض أخر، ثم السوداء وهي يابسة باردة، وهي تغلظ الدم، وتغذي الطحال والعظام، وينصب جزء منها إلى فم المعدة، فينبه على الجوع لحموضتها. والطبيعي منها: ردى الدم. وغير الطبيعي: يحدث عن احتراق أي خلط كان، ويسمي المرة السوداء، وينشأ عنها الجذام والجرب والحكة والفالج والسكتة وحمى الثلث. ورابعها: الأعضاء الأصلية، وهي تتولد من المنى. وخامسها: الأرواح. وسادسها: القوي، وهي ثلاث: الطبيعية، والحيوانية، والنفسانية.

[٩٨]

وسابعها: الأفعال، وهي الجذب والدفع. وأحوال بدن الإنسان ثلاثة: الصحة، والمرض وحالة لا صحة ولا مرض كالناقة، وهو الذي برئ من مرضه ولم يرجع لحالته الأولى، والشیخة فالصحة هيئة بدنية تكون الأفعال معها سليمة، فالعافية أفضل ما أنعم الله على الإنسان بعد الإسلام، إذ لا يتمكن الإنسان من حسن تصرفه والقيام بطاعة ربه إلا بوجودها، ولا مثل لها فليشكرها العبد ولا يكفرها. وقد قال - صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ) (١) رواه البخاري. وقال - عليه الصلاة والسلام -: (سلوا الله، العفو والعافية، فإنه ما أوتي أحد بعد اليقين خيراً من معافاة) (٢) رواه النسائي. وعنه - صلى الله عليه وسلم -: (ما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية) (٣) رواه الترمذي. وسأل أعرابي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، ما أسأل الله بعد الصلوات ؟ قال: (سل الله العافية). وفي حكمة داود - عليه الصلاة والسلام -: (العافية ملك خفي وغم ساعة هزم سنة). وقيل العافية تاج على رؤوس الأصحاء، لا يبصرها إلا المرضى. وقيل: العافية نعمة مغفول عنها. وكان بعض السلف يقول: كم الله من نعمة تحت كل عرق ساكن، اللهم، ارزقنا العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. والمرض: حالة مضادة للصحة يخرج بها الجسم عن المجرى الطبيعي، وكل مرض له ابتداء فيزيد، وانحطاط وانتهاء، والأسباب ستة: أحدها: الهواء، ويضطر إليه لتعديل الروح، فما دام صافياً لا يخالطه نتن وريح خبيثة، كان حافظاً للصحة، فان تغير حكمه، وكل فصل فانه يورث الأمراض المناسبة له ويزيل المضادة له، فالصيف يثير الصفراء، ويوجب أمراضها، ويبرئ الأمراض الباردة، والهواء البارد يشد البدن ويقويه، ويجيد الهضم، والحار بالصد، وعند تغير الهواء يكون الوباء.

[٩٩]

والثاني: ما يؤكل ويشرب، فإن كان حاراً أثر في البدن حرارة وبالضد. والثالث: الحركة والسكون البدنيان، فالحركة تؤثر في البدن تسخيناً، والسكون بالضد. والرابع: الحركة والسكون النفسانيان، كما في القبض والفرح والهم والغم والخجل، فإن هذه الأحوال تحصل بحركة الروح، إما إلى داخل البدن، وإما إلى خارجه. والخامس: النوم واليقظة، فالنوم يغور الروح إلى داخل البدن، فيبرد الطاهر ولذلك يحتاج النائم إلى الدثار، واليقظة بالضد. والسادس: الاستفراغ والاحتباس. فالمعتدل منهما نافع حافظ للصحة ولعق الإناء يعيق على الهضم ويفتق المعدة. الثالث: في كيفية تولد الأخلاط فالغذاء إذا ورد على المعدة استحال فيها إلى جوهر شبيه بماء الكشك الثخين، ويسمى كيلوجاً وينجذب الصافي منه إلى الكبد، فينطبق فيه، ويحصل منه شئ كالرغوة، وشئ كالرسوب، وقد يكون معهما شئ محترق، إن أفرط الطبخ، وشئ فحج إن قصر الطبخ، فالرغوة هي الصفراء الطبيعية والرسوب السوداء الطبيعية، والمحترق صفراء غير طبيعية، وكثيفة سوداء غير طبيعية. والفج هو: البلغم، والمتصفي من هذه الجملة نضجاً هو الدم، فإذا انفصل هذا الدم عن الكبد تصفى أيضاً عن ما فيه فضله فينجذب إلى عرق نازل إلى الكليتين، ومعها جزء من الدم بقدر غذاء الكليتين، فتغذوهما ويندفع بقيتها إلى المثانة والإحليل، وأما الدم الحسن القوام فيندفع إلى العرق الأعظم الطالع من حدة الكبد، فيسلك في الأوردة المتشعبة منه ثم في جداول الأوردة ثم في سواقي الجداول ثم في روافع السواقي ثم في العروق الليفية الشعرية ثم يرشح فوهاتها في الأعضاء بتقدير العزيز الحكيم. والغذاء جسم من شأنه أن يصير جزءاً من بدن الإنسان. روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما نبت من سحت فالنار أولى به). والأعضاء: أجسام تتولد من أول مزاج الأخلاط كما أن الاخلاط أجسام متوكدة من أول مزاج الأركان والأعضاء مفردة: كاللحم والعظم والعصب. ومركبة: كالوجه واليدين. وأول الأعضاء المتشابهة الأجزاء: العظم، وقد خلق صلباً، لأنه أساس البدن، ودعامة الحركة، ثم الغضروف وهو أصلب من سائر الأعضاء، ومنفعته: أن يحسن اتصال العظام

[١٠٠]

بالأعضاء اللينة، ثم الأعصاب وهي أجزاء دماغية المنبت، أو نخاعية في الهواء والمنبت بيض لدنه لينة في الانعطاف، صلبة من الانفصال، خلقت ليتم بها للأعضاء الإحساس والحركة، ثم الأوتار وهي أجسام نبتت من أطراف العضل شبيهة بالعصب، ثم الرباطات وهي أجسام شبيهة بالعصب، ثم الشريانات وهي أجسام نابثة في القلب، ممتدة مجوفة طولاً، عصبانية رباطية الجوهر، ثم الأوردة وهي شبيهة بالشريانات، لكنها نابثة من الكبد، ثم الأغشية وهي أجسام منتسجة من ليف عصباني غير محسوس، ثم اللحم وهو حشم جلل، وعليه وضع هذه الأعضاء في البدن وقوتها، ثم من الأعضاء ما هو قريب المزاج من الدم فلا يحتاج الدم في تغذيته إلى أن ينصرف في استحالات كثيرة، ومنها ما هو بعيد المزاج عنه، فيحتاج الدم في أن يستحيل إليه إلى أن يستحيل أولاً استحالات متدرجة إلى مشاكلة جوهره كالعظم. وقال - عليه الصلاة والسلام -: (إن أحكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك،

ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم ينفخ فيه الروح. قال في المنهج السوي:
واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر. وروي
فيه عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما -: (أن خزيمة بن
حكيم السلمى سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قرار
ماء الرجل وماء المرأة ؟ وعن ما للرجل من الولد وما للمرأة ؟ وعن
موضع النفس من الجسد ؟ وعن شراب المولود في بطن أمه ؟ فقال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أما ما للرجل من الولد وما
للمرأة، فإن للرجل العظام والعروق والعصب، وللمرأة اللحم والدم
والشعر، وأما قرار ماء الرجل فإنه يخرج ماؤه من الإحليل، وهو عرق
يجري [من ظهره حتى يستقر قراره في البيضة اليسرى، وأما ماء
المرأة فإن ماءها في الثائية يتغلغل لا يزال يدنو حتى تذوق
عسيتها، وأما موضع النفس ففي القلب، والقلب معلق بالنياب
والنياب تسقي العروق، فإذا هلك القلب انقطع العرق، وأما شراب
المولود في بطن أمه، فإنه يكون نطفة أربعين ليلة ثم علقه أربعين
ليلة ومشيجا أربعين ليلة ونجيشا أربعين ليلة ثم مضغة أربعين ليلة
ثم العظم حبيكا أربعين ليلة ثم جنينا، فعند ذلك يستهل وينفخ فيه
الروح وتجلب عليه عروق الرحم]. قال الخطابي: اعلم أن الطب على
نوعين: الطب القياسي: وهو طب يونان الذي يستعمل في أكثر
البلاد. وطب العرب والهند: وهو طب التجارب، وأكثر ما وصفه النبي -
صلى الله عليه وسلم - إنما هو على مذهب العرب، إلا ما خص به
من العلم النبوي من طريق الوحي، فإن ذلك يخرق كل ما تدركه

[١٠١]

الأطباء، وتعرفه الحكماء، وكل ما فعله أو قاله في أعلى درجات
الصواب، عصمه الله أن يقول إلا صدقا حقا. وقال ابن القيم في
الهدى: كان علاجه - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أنواع: أحدها:
بالأدوية الطبيعية. والثاني: بالأدوية الإلهية. والثالث: بالمركب من
الأمرين، ثم قال: كان من هديه - صلى الله عليه وسلم - فعل
التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه،
ولكن لم يكن من هدية - صلى الله عليه وسلم - ولا هدي أصحابه -
رضي الله تعالى عنهم - فعل هذه الأدوية المركبة، التي تسمى
أقرباذين، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات، وربما أضافوا إلى المفرد
ما يعاونه أو يكسر سورته، وهذا غالب طب الأمم على اختلاف
أجناسها من العرب والترك وأهل البوادي قاطبة، وإنما عنى
بالمركبات الروم واليونان، وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن
التداوي بالغذاء لا يعدل إلى الدواء ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل إلى
المركب. قالوا: وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية، لم يحاول
دفعه بالأدوية. قالوا: ولا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية، فإن
الدواء إذا لم يجد في البدن داء حله أو وجد داء لا يوافقه أو وجد ما
يوافقه، فزادت كميته عليه، أو كفيته، تشبت بالصحة، وعيث بها،
وأرباب التجارب من الأطباء طبهم بالمفردات غالبا، وهم أحد فرق
الطب الثلاث، والتحقيق في ذلك أن الأدوية من جنس الأغذية،
فالقوم الذين غالب أغذيتهم المفردات، أمراضهم قليلة جدا، وطبهم
بالمفردات، وأهل المدن الذين غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون
إلى الأدوية المركبة، وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركبة،
فالأدوية المركبة أنفع لها، وأمراض أهل البوادي والصحاري مفردة،
فيكفي في مداوتها الأدوية المفردة، فهذا برهان بحسب الصناعة
الطبية. ونحن نقول: إن هاهنا أمرا آخر، نسبة طب الأطباء إليه
كنسبة طب الطرقية والعجائز إلى طبهم، وقد اعترف به حذاقهم
وأئمتهم فإن ما عندهم من العلم بالطب إما قياس، وإما تجربة، وإما
إلهامات ومنامات وحس صائب، وإما مأخوذ من الحيوانات، كما
نشاهد السنابير إذا أكلت ذوات السموم تعمد إلى السراج فتبلغ من
الزيت تتداوى به، وكما رؤيت الحيات إذا خرجت من بطون الأرض وقد
غشيت أبصارها تأتي إلى ورق الرازيانج، فتمر عيونها عليها، وابن

يقع هذا وأمثاله من الوحي الذي يوحيه الله إلى رسوله بما ينفعه
ويضره فنسبة ما عند الأطباء من الطب إلى هذا الوحي كنسبة ما
عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء - صلوات الله وسلامه
عليهم -

[١٠٢]

وقال (١) الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تلخيص المستدرک: تشريع
النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه يدخل فيه كل الأمة إلا أن
يخصه يدل دليل، وتطبيبه لأصحابه وأهل أرضه خاص بأرضهم
وطباعهم إلا أن يدل على التعميم الرابع: وقد نهى عن الجمع بين
السمك واللبن والخس والسمك، والثوم والبصل، والقديد والطري،
والحامض والحريف، وسماق وخل وأرز والعنب والروس المغنومة
والرمان والهريسة وبين غذاءين باردین أو حارین أو منفخين وينبغي
أن يتجنب الخل والدهن إذا باتا تحت إناء نحاس وكذلك الجبن
والشواء والطعام الحار إذا كن في خبزه أو غيره، وكذلك يتجنب
الطعام المنشوف، والماء المكشوف، فإن في السنة ليلة ينزل فيها
وباء من السماء، لا يصادف إناء مكشوفاً إلا وقع فيه من ذلك الوباء
وقال - صلى الله عليه وسلم -: (غطوا الإناء وأوكنوا الأسقية لئلا
يسقط فيه حيوان سمي فيقتل أكله أو شاربته). رواه مسلم. (ومن
أكل البصل أربعين يوماً فكلف وجهه فلا يلومن إلا نفسه. ومن اقتصد
فأكل مالحة فأصابه بهق أو جرب فلا يلومن إلا نفسه. ومن أكل البيض
والسمك معاً ففلج فلا يلومن إلا نفسه. ومن شبع ودخل الحمام
ففلج فلا يلومن إلا نفسه. [ومن احتلم فلم يغتسل حتى جامع فولد
له مجنون أو مختل فلا يلومن إلا نفسه]. (٢) ومن نظر في المرأة
ليلاً فأصابته لقوة فلا يلومن إلا نفسه. ومن أكل الأترج ليلاً فانحول
فلا يلومن إلا نفسه. وروى أنيس وابن مسعود - رضي الله تعالى
عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (أصل كل داء
البردة) (٣) وهي التخمّة، لأنها تبرد حرارة الشهوة، فينبغي الاقتصار
على الموافق للشهوة بلا إكثار منه، فقد قال - عليه الصلاة والسلام
-: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكالات يقمن
بها صلبه للكسب والعمل، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث
لشرابه، وثلث لنفسه) (٤) رواه النسائي والترمذي وقال حسن
صحيح، والشعب بدعة ظهرت بعد القرن الأول.

(١) في أ وروى. (٢) ما بين المعكوفين سقط في أ. (٣) ذكره المتقي الهندي في
الكنز (٢٨٠٧٥). (٤) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠). (*)

[١٠٣]

قال - عليه الصلاة والسلام -: (المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر
يأكل في سبعة أمعاء). ونهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن
الطعام الثخن، الخامس: في كثرة أمراضه إذا لم يطل مكثه في
المصانع. روى أبو نعيم - في الطب - عن أبي سعيد الخدري - رضي
الله تعالى عنه - (أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر على نهر
من ماء السماء في يوم صائف، والمشاة كثير، والناس صيام، فقال:
(أيها الناس، اشربوا). وقد نهى - عليه الصلاة والسلام - عن الماء
المشمس، فقد روى أبو نعيم - في الطب - عن عائشة - رضي الله
تعالى عنها - قالت: (سخت للنبي - صلى الله عليه وسلم - ماء
في الشمس، فقال: لا تفعلوا يا حميراء، فإنه يورث البرص) (١).
ومياه السباح يتولد منها الأمراض البلغمية، وبلدانها وبيئته. روى أبو

نعيم - في الطب - عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة، قدمها وهي أوبأ أرض الله تعالى وكانت بطحاؤه تجري نجلا فوعك أبو بكر وبلال، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: اللهم، بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة (٢). والماء العذب في الاغتسال أنفع من المالح، لأنه ينقي البدن والملح يورث الجرب. روى أبو نعيم - في الطب - عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب جار أو غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، ماذا يبقى عليه من درنه ؟) (٣)، وكثرة الاغتسال بالماء مما يتغير منه اللون ويسحب منه الجلد. وروى الحاكم وصححه عن صهيب: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ألا إن سيد الأشربة في الدنيا والآخرة الماء، وأنفع الماء ما كان مصا ويقطعه على ثلاثة مرات) (٤). وروى أبو نعيم - في الطب - عن شهر قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستاك عرضا، ويشرب مصا ويقول: هو أهنا وأمرأ وأبرأ).

(١) انظر إرواء الغليل ١ / ٥٠. (٢) أخرجه البخاري (١٨٨٩). (٣) أخرجه أحمد ٢ / ٤٣٦. (٤) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤ / ١٣٨. (*)

[١٠٤]

وروى فيه عن أنس قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا شرب تنفس وقال: هو أهنا وأمرأ وأبرأ) (١). وفيه عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : تنفسوا في الإناء فإنه أهنا وأمرأ وأبرأ) (١). وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتنفس في الإناء ثلاثا إذا شرب ويقول: (هو أمرأ وأروى وأبرأ). وأجود الأواني للشرب ما يظهر كل ما فيه من القذى وغيره وفيه عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا شرب قطعه ثلاثة أنفاس، يسمي إذا بدأ ويحمد إذا قطع. ونبذ الزبيب يخضب البدن بسرعة وكان أحب الأشربة إليه - عليه الصلاة والسلام. الحلو البارد (٢)، كما رواه أبو نعيم - في الطب - والترمذي والحاكم - وصححه - والبيهقي في شعب الإيمان. ورواه ابن السني، والبيهقي في الشعب - عن ابن عباس، والبيهقي عن الزهري: أنه - عليه الصلاة والسلام - سئل أي الشراب أطيب ؟ فقال: الحلو البارد (٣). وروى الثعلبي في تفسيره عن أنس - مرفوعا -: (إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبرد ما يقدر عليه، لأنه أطيب للمعدة وأنفع لليلة، وأبعث للشكر). وروى عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان - صلى الله عليه وسلم - يحب الحلواء والعسل وقد رواه عنها وقالت: إنه يسرو عن فؤادي ويجلو لي عن بصري، وإذا شرب بعد الطعام دفع مفسدة الأغذية. وعن عبد الله بن فيروز الديلمي قال: قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله، إنا أصحاب أعناب كرم، وقد نزل تحريم الخمر، فماذا نضع بها ؟ قال: تصنعونها زبيبا، قالوا: يا رسول الله، فنضع بالزبيب ماذا ؟ قال: تنقعونه على غذائكم، وتشربونه على عشائكم، وتنقعونه على عشائكم وتشربونه على غذائكم) (٤).

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٢ / ٣٢٥. (٢) أخرجه الترمذي (١٨٩٥). (٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥ / ٩٧. (٤) ذكره المتقي الهندي في الكنز (١٣٨٥٧). (*)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ولا تؤخروه حتى يشتمد ولا تجعلوه في القلال ولا في الدبا، واجعلوه في الشنان فإنه إن أخر عن عصره صار خلا) رواه أبو نعيم - في الطب - . ونبذ التمر رخم غليظ ويولد دما جيدا، وقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يخلط الزهو والتمر، وعن خلط الزبيب والتمر، وقال: (انتدوا كل واحد منهما على حدته في الأسقية التي يلان على أفواهما، فإذا خشيتم أن يشتمد عليكم فآكثروا بيبسته بالماء). رواه أبو نعيم - في الطب - . والزبيب يعد غذاء صالحا، وأكله على الريق ينفع عللا كثيرا، وينبغي أن لا يكثر أكله على الريق إلا مقدار ما لا يتخمر، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل سبع تمرات أو سبع زبيبات، رواه أبو نعيم - في الطب - . فائدة: قال ابن عباس (١) - في قوله تعالى -: (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) [إبراهيم ٢٥] هو شجر جوز الهند، يحمل في كل شهر لا يتعطل من الثمر. والبلح الأخضر بارد يعتقد البطن، فإذا أكل بالتمر كان أقل ضررا. والبسر الأحمر والأصفر معتدل، فيه شئ من الحرارة. ونبذة يقال له الفضيخ والرطب يلطخ المعدة. وروى أبو نعيم - في الطب - عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: (كنت إذا أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرطب أكل المعذق وترك المذنب، ويؤكل مع غيره، ليذهب ثلمته، فقد كان - عليه الصلاة والسلام - يأكله بالقثاء والبطيخ. وقال - عليه الصلاة والسلام - لعائشة - رضي الله تعالى عنهما -: أنت أطيب من اللبيا بالتمر. وقرب إليه - عليه الصلاة والسلام - شئ من سمسمر وشئ من تمر، حتى إذا أكل وأراد أن يقول دعا له، وأطعم سعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تمرا بكسب وأناه بقدر من لبن فشرب منه. وأجود أجناس التمر: البرني فقد قال - عليه الصلاة والسلام -: (خير تمراتكم البرني)، يذهب بالداء، ولا داء فيه. وأكله بالقثاء يخصب البدن، فقد قالت عائشة - رضي الله تعالى عنها -: (لما تزوجني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عالجتنني أمي بكل شئ فلم أسمن، فأطعمتني القثاء والرطب فسمنت كأحسن السمن. وأنفع تمر الحجاز العجوة. ولحم الكتف والذراعين مثل لحمه الرقبة في سرعة

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤ / ١٤٥. (*)

الانهضام والرطوبة للفضلة والزوجة، وكذا لحم المقدم أجود وأرطب من لحم العجز وما والاها، والعضد والذراع وغيره من الأطراف يسهل الطبيعة، وينفع من السعال المتولد من الحرارة. والأحمر من لحم الظهر كثير الغذاء. وأطيب ما في الأرنب المتن والأركان، وأجود ما يؤكل من الأرنب مشويا بيسان. ولحم الدجاج يولد دما جيدا، ويزيد في المنى، وقد أكله - عليه الصلاة والسلام - كما رواه أبو نعيم - في الطب. ولحم الطيور الجبلية شديدة الإسخان تولد دما سوداويا، وقد أكل - عليه الصلاة والسلام - لحم حباري، رواه أبو نعيم في الطب ولحم القبيح مسكن للبطن قوي الإغذاء، وهو الحجل. وقد أهدي إليه - عليه الصلاة والسلام - حجل مشوي فحجده وصاغه، فقال: (اللهم، ائنتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا، فدخل علي - رضي الله تعالى عنه -) (١) رواه أبو نعيم - في الطب - . ولحم العصافير حارة تهيج الباءة. وإذا أديم أكل لحم الضب سخن البدن، ويتعالج بأكله للسمنة. والجراد إذا أديم أكله هزل البدن، وأحمد ما

أكل منه ما قلبي وجفف. تنبيهات الأول: الأمراض نوعان: أمراض مادية: تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أخرجت أفعاله الطبيعية، وهي الأمراض الأكثرية، وسببها: إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع البطينة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، وإملاء الأدمي بطنه من هذه الأغذية، واعتياد ذلك، أورثته أمراضا متنوعة، فإذا توسط في الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلا في كميته وكيفيته، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير. ومراتب الغذاء ثلاث:

(١) أخرجه الحاكم ٣ / ١٣٠. (*)

[١٠٧]

أحدها: مرتبة الحاجة. والثانية: مرتبة الكفاية. والثالثة: مرتبة الفضلة، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يكفيه لقيمات يقمن صلبه، فلا تسقط قوته، ولا تضعف معها، فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطن، ويدع الثلث الآخر للماء، والثلث للنفس، وهذا أنفع ما للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلا من الطعام، ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب، ضاق عن النفس، وعرض عليه الكرب والتعب بحمله، بمنزلة حامل الحمل الثقيل، والشبع المفرط يضعف القوى والبدن، وإنما يقوي البدن بحسب ما يقل من الغذاء لا بحسب كثرته، ومن تأمل هدية - صلى الله عليه وسلم - وجده أفضل هدي لحفظ الصحة، فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المعظم والمشرب والملبس والمسكن والهواء والنوم واليقظة والحركة والسكون والمنكح والاستفراغ والاحتباس. الثاني: كان - عليه الصلاة والسلام - إذا عاف طعاما يأكله، ولم يكره نفسه عليه، وهذا أصل عظيم في حفظ الصحة، وكان يحب اللحم، ويحب من الذراع، لأنه أخف على المعدة، وأسرع انهضاما، وكذلك لحم الرقبة والعنق، وكان يحب الطواء والعسل، وهذه الثلاثة من أفضل الأغذية وأنفعها للبدن، والكبد والأعضاء وللاعتناء بها نفع عظيم في حفظ الصحة والقوة، ولا ينفر منها إلا من به علة أو آفة، وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها، ولا يحتمي عنها، وهذا أيضا من أكبر أسباب حفظ الصحة، فإن الله - تعالى - بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته، فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الأدوية إذا لم يسرف في تناولها ولم يفسد بها الغذاء قبل هضمه ولا أفسدها بشرب الماء عليها، وتناول الغذاء بعد التخلي منها فمن أكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي كانت له دواء نافعا، وقل من احتمي عن فاكهة بلده خشية السقم إلا وهو أسقم الناس وأبعدهم من الصحة والقوة. ولم يأكل طعاما في وقت شدة حرارته، ولا طبيخا بايتا يسخن له بالغد، ولا جمع قط بين غذاءين، وكان يأكل متوركا على ركبتيين، ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى، وهذه الهيئات أنفع هيئات الأكل وأفضلها، لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي وأردأ الجلسات للأكل الاتكاء على الجنب فإنه يمنع مجرى الطعام على هيئته، ويعوقه عن سرعة تعوده إلى المعدة، ولذا قال - عليه الصلاة والسلام -: (لا أكل متكئا) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، فإنه يمنع مجرى الطعام ويعوقه على سرعة نفوذه إلى المعدة وقد نهى عن الأكل منبطحا عن ابن عمر والحاكم عن علي.

[١٠٨]

الثالث: قال ابن القيم: وأما هدية - عليه الصلاة والسلام - في الشرب فمن أكمل هدي يحفظ به الصحة، فإن الماء إذا جمع وصفي مع الحلاوة والبرودة كان من أنفع شئ للبدن، ومن أكبر أسباب الصحة، وللأرواح والقوى والكبد والقلب عشق شديد له واستمداد منه والماء البارد رطب يجمع الحرارة ويحفظ على البدن رطوبته الأصلية، ويرد عليه بدل ما تحلل منها، ويرقق الغذاء وينفذه في العروق وإذا كان بارداً أو خالطه ما يحليه كالعسل أو الزبيب أو التمر أو السكر كان من أنفع ما يدخل البدن ويحفظ عليه صحته، والماء الفاتر ينفخ ويفعل ضد هذه الأشياء، والبيات أنفع من الذي يشرب وقت استيقاظه، فإن الماء البات بمنزلة العجين الخمير، والذي يشرب لوقته بمنزلة الفطير. وكان من هديه - عليه الصلاة والسلام - الشرب قاعداً، لأن في الشرب قائماً آفات عديدة، [منها أنه لا يحصل به الري التام، ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء] (١) فينزل بسرعة واحدة إلى المعدة فيخشى منه أن يبرد حرارتها، ويسرع النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدرج، وكل هذا يضر بالشرب، وأما الشرب منبطحاً فالأطباء تكاد تحرمه ويقولون لأنه يضر بالمعدة. وكان من هدية - صلى الله عليه وسلم - أنه يشرب في ثلاث أنفاس، وفي هذا الشرب حكم حمة وفوائد مهمة، وقد نبه - عليه الصلاة والسلام - على مجامعها لقوله إنه أروى وأمرأ وأبرأ. وكان - صلى الله عليه وسلم - يشرب نقيع التمر يلطف به كيموسات الأغذية الشديدة، وله نفع عظيم في زيادة القوة وحفظه الصحة. وكان يشرب اللبن خالصاً تارة ومشوباً بالماء أخرى وله أخرى وله نفع عظيم في حفظ الصحة، وترطيب البدن، وري الكبد، ولا سيما اللبن الذي يرعى دوابه والقيصوم والخزامي وما أشبهها فإن لبنها غذاء من الأغذية، وشرب مع الأشربة، ودواء مع الأدوية. وكان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدى إلى معرفته إلا أفاضل الأطباء، فإن شربه ولعقه على الريق يذيب البلغم ويغسل حمل المعدة، ويجلو لزوجتها، ويدفع عنها الفضلات ويسخنها، ويفتح سددها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها وإنما يضر بالعرض لصاحب الصفراء لحدته ودفع مضرته بالخل، قوله (فإنه أروى): أشد ربا فأبلغه وأنفعه، وأبرأ: أفعال من البرء وهو الشفاء أن يبرأ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما

(١) ما بين المعكوفين سقط في ج.)*

[١٠٩]

عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت عنه الثانية، وأيضاً، فإنه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد، وهلة واحدة، فيطفئ الحرارة الغريزية، ويؤدي إلى فساد مزاج المعدة والكبد، وإلى أمراض رديئة. وقوله: (وأمرأ): بميم بعد الهمزة، أي: ألد وأنفع، وقيل: أسرع انحذاراً عن المرئ لسهولته وخفته عليه. ومن آفات الشرب دفعة واحدة أنه يخاف منه الشرق، لأن الشارب إذا شرب تصاعد البخار الدخاني الحار الذي كان على القلب والكبد لورود الماء البارد عليه، فإذا أدام الشرب اتفق نزول الماء وصعود البخار، فيتدافعان ويتعالجان ومن ذلك يحدث الشرق ولا يهنأ الشارب ولا يتم ربه وقد علم بالتجربة أن ورود الماء على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها، ولذا قال - صلى الله عليه وسلم -: (أصل الكباد من العب). قال في المنهج السوي: الكباد بضم الكاف وتخفيف الباء. وجع الكبد. الرابع: في كثرة أمراضه. روى ابن السني وأبو نعيم عن هشام عن عروة عن أبيه قال: (قلت لعائشة: يا أم المؤمنين، وفي لفظ: يا خالة، إنني لأفكر في أمرك وأتعجب، إنني وجدتك عالمة بالطب، فمن أين؟

قالت: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما طعن في السن كثرت أسقامه، فوفدت إليه وفود العرب والعجم فتنعت له فكنا نعالجه (١). وروى ابن سعد عنها قالت: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً سقاماً، وكانت العرب تنعت له فيتداوى بما تنعت له العرب فيتداوى). وروى البيهقي وأبو داود عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات) ومسح عنه بيده. وروى مسلم عنها قالت: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا اشتكى رقاها جبريل، بسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل عين) (٢). وروى الخطيب عن أنس قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا اشتكى تقمح كفا من شونيز وشرب عليه ماء وعسلاً (٣). وروى مسلم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا

(١) أخرجه أحمد ٦ / ٦٧ / (٢) أخرجه مسلم ٤ / ١٧١٨ / (٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف. (*)

[١١٠]

مرض أحد من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات وروى الترمذي عن علي - رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عادة عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عادته عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف فيه. وروى أبو داود والحاكم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من عاد مريضاً لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم، أن يشفيك. وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا دخلتم على المريض فوسعوا له في الأجل، فإن ذلك لا يرد شيئاً وهو يطيب نفس المريض). وروى الحاكم عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا عاد أحدكم مريضاً فليقل: اللهم، اشف عبدك ينعاً لك عدواً أو يمشي لك إلى الصلاة). وروى أبو يعلى عن عثمان - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعود مرضاناً وبشهد جنازناً. وروى الحميدي برجال ثقات عن عبد الرحمن بن أزهر - رضي الله تعالى عنه - قال: (جرح خالد بن الوليد في يوم حنين، فمر بي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا غلام، وهو يقول: من يدل على رجل خالد بن الوليد، فخرجت وأنا أسعى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأنا أقول: من يدل على رجل خالد، حتى أتاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مستند إلى رجل، قد أصابته جراحة، فجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنده، ودعا له نفث عليه (١). وروى البخاري في الأدب وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا عاد مريضاً جلس عند رأسه ثم قال سبع مرات: (أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفيك، فإن كان في أجله تأخير عوفي من وجعه (٢). الخامس: في إرشاده - صلى الله عليه وسلم - إلى ما يفعله العائد وما له من الفضل. روى ابن حبان والطبراني في الكبير وابن السني في عمل يوم وليلة والحاكم عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ضع يدك على المكان الذي تشتكي منه فامسح بها سبع مرات، * (هامش) (١) أخرجه الحميدي في مسنده (٨٩٧). (٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٣٦). (*)

وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر كل ما أجد في كل مسحة (١).
 وروى ابن عساكر عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله تعالى عنها -
 قالت: خرج في عنقي خراج فتخوفت منه فأتيت رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم - فقال (ضعي يدك عليه ثم قولي ثلاث مرات: بسم
 الله، اللهم، أذهب عني شر ما أجد بدعوة نبيك الطبيب المبارك،
 والمكين عندك، بسم الله). وروى الطبراني في الكبير وابن السني
 في عمل يوم وليلة عن ميمونة بنت أبي عسيب - أن رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - قال: (ضعي يدك اليمنى على فؤادك
 فامسحيه وقولي: بسم الله، داوني بدوائك، واشفني بشفائك،
 واغنني بفضلك عن سواك، وأحدر عني أذاك). وروى البيهقي في
 الشعب عن وثالة: أن رجلا اشتكى إلى النبي - صلى الله عليه
 وسلم - وجعا في حلقه، فقال: (عليك بقراءة القرآن) (٢). وروى أبو
 داود عن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم -: (من اشتكى منكم شيئا، أو اشتكى أخ له،
 فليقل: ربنا الله الذي في السماء [تقديس اسمك أمرك في السماء
 والأرض كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا
 حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين] (٣)، أنزل رحمة من رحمتك،
 وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ) (٤). وروى الترمذي وابن
 ماجه عن أبي سعيد - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم -: (إذا دخلتم على المريض، فنفسوا له في
 أجله، فإن ذلك لا يرد شيئا، وهو يطيب نفس المريض) (٥). وروى
 الحاكم عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم - قال: (إذا عاد أحدكم مريضا، فليقل: اللهم، اشف
 عبدك ينيا لك عدوا، أو يمشي لك إلى الصلاة) (٦). وروى الطبراني
 في الأوسط عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم -

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ١ / ٢٤٢. (٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٢ / ٥١٩. (٣) سقط في ج. ٤) أخرجه أبو داود ٤ / ٢١٨ (٢٨٩٢). (٥) أخرجه الترمذي ٤ / ٣٥٦ (٢٠٨٧). (٦) أخرجه الحاكم ١ / ٣٤٤ (*).

قال: (عودوا المرضى ومروهم فليدعوا لكم، فإن دعوة المريض
 مستجابة وذنبه مغفور) (١). وروى البغوي في مسند عثمان عنه أن
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عودوا المريض، واتبعوا
 الجنائز والعيادة غيا أو ربعا، إلا أن يكون مغلوبا فلا يعاد، والتعزية مرة)
 (٢). وروى الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي سعيد - رضي
 الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عودوا
 المريض، واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة). وروى الطبراني في الكبير
 عن سلمى امرأة أبي رافع قالت: (كان رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - إذا مرض أحد من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات). وروى
 البخاري عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: (كان رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل على مريض يعوده قال: (طهور
 إن شاء الله). وروى مسلم عن ثوبان - رضي الله تعالى عنه - أن
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من عاد مريضا لم يزل في
 خرفة الجنة حتى يرجع) (٣). وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن
 السني والطبراني في الكبير والحاكم عن ابن عمر - رضي الله تعالى
 عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا جاء الرجل
 يعود مريضا فليقل: اللهم، اشف عبدك فلانا، ينيا لك عدوا، أو يمشي

لك إلى الصلاة).. وروى ابن ماجة عن رافع بن خديج - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (اكتشف الباس، رب الناس، إله ١ الناس). وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق عن عائشة - رضي الله تعالى عنهما - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اكتشف الباس رب الناس، لا يكشف الكرب غيرك) (٤). وروى أبو داود والنسائي عن ثابت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (اكتشف الباس رب الناس). وروى الترمذي عن علي - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألفاً حتى يمسي، وإن عادة عشية إلا صلى عليه سبعون ألفاً حتى يصبح وكان له خريف في الجنة) (٥). وروى أبو داود والحاكم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن * (هامش) (١) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٢٥١٤٧). (٢) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٢٥١٤٨). (٣) أخرجه مسلم كتاب البر والصلوة باب عيادة المريض ٤ / ١٩٨٩ (٤٠ - ٢٥٦٨). (٤) أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق ٢ / ٩٦٩. (٥) أخرجه الترمذي ٣ / ٣٠١ (٩٦٩) (*).

[١١٣]

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من عاد مريضاً لم يحضر أجله، فليقل عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض) (١). وروى الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من عاد مريضاً، أو زار أخاً له في الله ناده مناد أن طبت وطاب ممشاك، وتبوات من الجنة منزلاً) (٢). وروى البزار برجال الصحيح عن الأعمش قال: سمعت حيان بن جد بن أيجر الأكبر يقول: (دع الدواء ما احتمل جسديك الداء) (٣). وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته فيسأله كيف هو، وتمام تحيتكم بينكم المصافحة) (٤). وروى ابن ماجة وابن السني في عمل يوم وليلة عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا دخلت على مريض فمره يدعو لك، فإن دعاه كدعاء الملائكة). السادس: في عيادته - صلى الله عليه وسلم - بعض المنافقين. روى الإمام أحمد وأبو داود عن أسامة بن زيد - رضي الله تعالى عنهما - قال: (دخلت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عبد الله بن أبي يعوده في مرضه الذي مات فيه، فلما دخل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرف فيه الموت، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قد كنت أنهاك عن حب يهود، فقال: فقد أبعضهم أسعد بن زرارة، فمات) (٥). السابع: في عيادته - صلى الله عليه وسلم - بعض أهل الكتاب. روى البخاري وأبو داود عن أنس - رضي الله تعالى عنه - (أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض، فعاده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقعد عند رأسه فقال: أسلم، فنظر إلي أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار). وروى مسلم عن ثوبان - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عائد

(١) أخرجه أبو داود (٣١٠٦). (٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠٨). (٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٨٩ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. (٤) أخرجه أحمد ٥ / ٣٦٠. (٥) أخرجه أحمد ٥ / ٣٠١ (*).

المريض في مخرفة الجنة حتى يرجع). وروى الإمام أحمد والطبراني عن أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عائد المريض يخوض في الرحمة، فإذا جلس عنده غمرته الرحمة. ومن تمام عيادة المريض أن أحدكم يده على وجهه، أو على يده، فيسأله كيف هو، وتمازج تحيتكم بينكم المصافحة) (١). وروى البيهقي في الشعب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا عاد رجلا على غير الإسلام جلس عنده، وقال: كيف أنت يا يهودي، كيف أنت يا نصراني،) بدينه الذي هو عليه (٢). وصار كثير من الناس يعتمدونه. تنبيه: لم يكن - صلى الله عليه وسلم - يخصص يوما من الأيام بعيادة المريض، ولا وقتا من الأوقات فترك العيادة يوم السبت مخالفة للسنة ابتدئها يهودي طبيب لملك قد مرض، وألزمه بملازمته، فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته، ومن سفك دمه، فقال: إن المريض لا يدخل عليه يوم السبت، فتركه الملك، ثم أشيع عليه ذلك. لكن روى ابن أبي داود عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (أيما رجل عاد مريضا فإنما يخوض في الرحمة، فإذا قعد عند المريض غمرته الرحمة، فقليل له: هذا للصحيح، فما للمريض؟ قال: تحط عنه ذنوبه) (٣). وروى ابن ماجة والبيهقي في الشعب، وقال: إسناده غير قوي عن أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - (كان لا يعود مريضا إلا بعد ثلاث). الثامن: في نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن إكراه المريض على التداوي، وعلى الطعام وأمره بإطعامه ما اشتهاه روى البزار والحاكم والطبراني برجال ثقات غير الوليد بن عبد الرحمن بن عوف فيحرق حاله عن عبد الرحمن بن عوف، والترمذي وقال: حسن غريب، وابن ماجة، والحاكم، والطبراني في الكبير والبيهقي عن عقبة بن عامر، والشيرازي في الألقاب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر عن جابر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تكرهوا مرضاكم على الطعام، فإن الله يطعمهم ويسقيهم). ورواه أبو نعيم في الطب - عن ابن عمر وعقبة بن عامر.

(١) أخرجه أحمد ٥ / ٣٦٨. (٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦ / ٥٤٧. (٣) أخرجه أحمد ٣ / ٢٥٥. (*)

وروى ابن ماجة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: [إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاد رجلا من الأنصار، فقال: أتشتهي شيئا؟ قال: نعم، خبزا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للقوم: من كان عنده شئ من الخبز البر، فليأتني به، فجاء رجل بكسرة فأطعمه إياه] (١)، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا اشتهي مريض أحدكم شيئا فليطعمه إياه) (٢). وروى أبو نعيم في الطب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مريضا فقال له: أتشتهي كعكا؟ قال: نعم، فطلبه له. وروى فيه عن علي - رضي الله تعالى عنه - أنه دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو رمد، وبين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تمر فأكله، فقال: يا علي، أتشتهي؟ قال: نعم، فرمى إليه بتمرة، ثم رمى إليه بأخري، حتى رمى إليه تسعا، ثم قال: حسبك يا علي (٣). وفيه عن جعفر بن محمد - رضي الله تعالى عنه - قال: أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم صاع من تمر وعليه محمود فناوله ثمرة ثم أخرى حتى ناوله سبعا ثم قال: (حسبك). وروى فيه عن محمد بن إسحاق أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زار أخواله من الأنصار، ومعه علي بن أبي

طالب - رضي الله تعالى عنه - فقدموا إليه صاعا من رطب، فأهوى علي لياكل، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تأكل فإنك حديث عهد بجمي). التاسع: في عيادته - صلى الله عليه وسلم - بعض نساء أصحابه روى أبو داود عن أم العلاء عمة حزام بن حكيم الأنصاري - رضي الله تعالى عنهما - قالت: عادني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [وأنا مرضية فقال: أبشري، يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة] (٤). العاشر: في عيادته - صلى الله عليه وسلم - من يشتكي عينيه. روى الإمام أحمد عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: دخلت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعود زيد بن أرقم - رضي الله تعالى عنه - قال: أصابني رمد، فعادني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحديث. [وروى الإمام أحمد وأبو داود والبخاري في الأدب والحاكم وصححه عن زيد بن أرقم - رضي الله تعالى عنه - قال: أصابني رمد فعادني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحديث] (٥).

(١) ما بين المعكوفين سقط في ج. (٢) أخرجه ابن ماجة (٣٤٤٠). (٣) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٢٨٤٧١). (٤) أخرجه أبو داود ٢ / ٢٠٠ (٣٠٩٢). (٥) سقط في ج. *

[١١٦]

الحادي عشر: في سؤاله - صلى الله عليه وسلم - عن المريض وعن حاله: روي عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أبي سلمة، فقال: (كيف تجدك؟) قال: صالحا [قال: [أصلحك الله. وروى الإمام أحمد والترمذي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رجل ليعوده وهو في الموت فسلم عليه فقال: (كيف تجدك؟) قال: بخير، يا رسول الله، أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا يجتمعان في قلب رجل عند هذا الموطن إلا أعطاه الله رجاءه وأمنه مما يخاف) (١). الثاني عشر: في تبشيره - صلى الله عليه وسلم - المريض: روى الإمام أحمد والبيهقي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مريضا من وعك كان به وأنا معه فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبشر إن الله عز وجل يقول: [ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة] (٢). وروى الطبراني في الكبير والضياء عن أسد بن كرز أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (المريض تحات خطاياه كما يحات ورق الشجر) (٣). وروى الخليلي في جزء حديثه عن جرير قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (المرض سوط الله في الأرض يؤدب به عباده) (٤). وروى الإمام أحمد والحاكم والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: قال الله تعالى: (إذا ابتليت عبدا من عبادي مؤمنا فحمدني وصبر على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمة من الخطايا). ويقول الرب للحفظة (إني أنا قيدت عبدي هذا وابتليته فأجروا له ما كنتم تجرون له قبل ذلك من الأجر وهو صحيح) (٥). وروي الحكيم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: قال الله تعالى: (إذا وجعت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده فاستقبله بصبر جميل

(١) أخرجه الترمذي (٩٨٣). (٢) أخرجه أحمد ٤٤٠ / ٢ والبيهقي في السنن ٢ / ٢٨٢.
(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٢ / ٣٠٤ وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير
وإسناده حسن. (٤) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٦٦٨٠). (٥) أخرجه أحمد
٤ / ١٢٣. (*)

[١١٧]

استحيت يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا (١).
وروى الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: قال الله تعالى: (إذا ابتليت
عبيد المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلقته من أسارى ثم أبدلته
لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل) (٢).
وروى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال:
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من مرض ليلة فصر ورضي
بها عن الله، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمة.

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٦٥٦١). (٢) أخرجه الحاكم في المستدرک
١ / ٢٤٩. (*)

[١١٨]

الباب الثاني في أمره - صلى الله عليه وسلم - بالتداوي وإخباره -
صلى الله عليه وسلم - بأن الله تعالى خلق لكل داء دواء [إلا الهرم
والموت] (١) وروى أبو داود الطيالسي وابن حبان عن أنس - رضي
الله تعالى عنه - عن أسامة بن شريك والقضاعي عن أبي هريرة وأبو
نعيم في الطب عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله عز وجل لم ينزل داء، وفي
لفظ: (في الأرض) إلا أنزل الله له شفاء، وفي لفظ: (إلا وقد أنزل له
شفاء) إلا السام والهرم، وفي لفظ: (إن الذي أنزل الداء أنزل الدواء).
وروى الطبراني برجال الصحيح عن أم الدرداء - رضي الله تعالى عنها
- قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن الله خلق الداء
والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام). وروى أبو داود
والطبراني في الكبير وابن السنني وأبو نعيم في الطب والبيهقي عن
أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قال: (إن الله تعالى أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء
دواء فتداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام) (٢). وروى مسلم عن جابر -
رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قال: (لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى) (٣).
وروى أبو داود والترمذي عن أسامة بن شريك - رضي الله تعالى عنه
- قال: جاءت الأعراب من هاهنا ومن هاهنا يسألونه فقالوا: يا رسول
الله أنتداوي؟ قال: (نعم عباد الله تداووا، فإن الله تعالى لم يضع داء
إلا وضع له شفاء أو دواء إلا داء واحدا) قالوا: يا رسول الله ما هو؟
قال: (الهرم). وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه -
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما أنزل الله تعالى من
داء إلا [كتب] (٤) له دواء). وروى الإمام أحمد والطبراني ورجال
ثقات ومسدد والحميدي عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه -
قال: قال رسول الله -: صلى الله عليه وسلم -: (ما أنزل الله - عز
وجل - داء إلا وأنزل له دواء

(١) سقط في أ. (٢) سقط في أ. (٣) أخرجه مسلم ٤ / ١٧٢٩ (٦٩ - ٢٢٠٤). (٤) سقط في
ب أنزل. (*)

علمه من علمه وجهله من جهله) ورواه ابن ماجة بلفظ (ما أنزل الله داء إلا أنزل...) (ومن علمه) إلى آخره (١). وروى الإمام أحمد برجال الصحيح عن رجل من الأنصار - رضي الله تعالى عنهم - قال: عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً من جرح فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ادعوا له طيب بنى فلان) فدعوه ف جاء فقالوا: يا رسول الله ويغني الدواء شيئاً فقال: (سيحان الله، وهل أنزل الله تبارك وتعالى من داء في الأرض إلا جعل له شفاء. وروى الطبراني بسند جيد عن الحارث بن سعيد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أ رأيت رقى نسترقى لها وأدوية نتداوى بها هل ترد من قدر الله؟ قال: هي من قدر الله). وروى الإمام أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى بسند حسن وابن السنني وأبو نعيم في الطب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - والضياء عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله - عز وجل - حين خلق الداء خلق الدواء فتداواوا). وروى الحاكم عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم فعليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل الشجر وهو شفاء من كل داء) [(٢)]. [وروى الإمام أحمد عن طارق بن شهاب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء فعليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل الشجر] (٣). وروى الحاكم عن [أبي سعيد] (٤) - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام وهو الموت). وروى عن أبي صالح ذكوان عن رجل من الأنصار قال: عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً به قرح فقال: (ادعوا له طيب بنى فلان) قالوا: يا رسول الله، ويغني الدواء شيئاً قال: (سيحان الله، وهل أنزل من داء إلا أنزل معه شفاء). وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال - (إن الذي أنزل الداء أنزل له الدواء، فجعل شفاء ما شاء فيما يشاء).

(١) أخرجه ابن ماجة (٣٤٢٨). (٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤ / ٤٠٣. (٣) سقط في ج. ٤) في ج عن ابن مسعود. (*)

وروى الإمام أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم عن أسامة بن شريك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (يا عباد الله، تداواوا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد وهو الهرم). وروى الطبراني في الكبير بسند حسن وأبو نعيم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (الدواء من القدر وقد ينفع بإذن الله). وروى ابن السنني عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الدواء من القدر؛ وهو ينفع من يشاء بما يشاء) انتهى.

الباب الثالث في نهيهِ - صلى الله عليه وسلم - عن التداوي بالخمر وغيرها مما يذكر روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي عن وائل بن حجر - رضي الله تعالى عنه - أن طارق بن سويد الجعفي - رضي الله تعالى عنه - سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخمر ؟ فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إنها ليست بدواء ولكنها داء) (١). وروى أبو يعلى وابن حبان في صحيحه والطبراني عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: اشتكت ابنة لي فنبذت لها في تور، فرآه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يغلي فقال: (ما هذا) ؟ فقلت: إن ابنة لي اشتكت فنبذت لها هذا فقال: (إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم في حرام) (٢). وروى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كل دواء خبيث كالسم ونحوه. وروى أبو داود والأمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم بلفظ: نهى عن الدواء الخبيث يعني السم. وروى أبو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن عثمان - رضي الله تعالى عنه - قال (إن طبيبا سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ضفدع يجعلها في دواء فنهاه عن قتلها) (٣). وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن طارق بن سويد - رضي الله تعالى عنه - قال: قلت: يا رسول الله، إن بأرضنا أعنابا نتصرها فنشرب منها ؟ فقال: (لا) فراجعته فقال: (لا) فقلت: إنا نستشفى بها للمريض، فقال: (إن ذلك ليس بشفاء. ولكنه داء) (٤). وروى ابن عساکر عن أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من أكل الطين حوسب على ما نقص من لونه). وروى الطبراني في الكبير عن سلمان وابن عدي والبيهقي عن أبي هريرة - رضي الله

(١) أخرجه مسلم ٣ / ١٥٧٣ (١٩٨٤). (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٨٩ وقال: رواه أبو يعلى والبخاري إلا أنه قال في كوز بدل تور، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح خلا حسان بن مخلوف وقد وثقه ابن حبان. (٣) أخرجه أبو داود (٢٨٧١). (٤) أخرجه ابن ماجه (٣٥٠٠). (*)

[١٢٢]

تعالى عنه - والبيهقي وضعفه وابن عساکر عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من أكل الطين) وفي لفظ: (من انهمك في أكل الطين فقد أعان على قتل نفسه) (١). وروى الطبراني في الكبير عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم). وروى الطبراني في الكبير عن أم الدرداء - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - (إن الله تعالى خلق الداء والدواء فتداووا ولا تداووا بحرام). وروى الترمذي عن وائل بن حجر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [(إنها ليست بدواء، ولكنها داء) (٢) يعني: الخمر] (٣). وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من تداوى بخمر لم يجعل الله له فيه شفاء). وروى أبو نعيم في الطب عن علقمة بن وائل عن أبيه أن سويد بن طارق سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن الخمر يجعل في الدواء فقال: (إنها داء وليست بالدواء). وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من أصابه شئ من هذه الأدوية فلا يفزعن إلى شئ مما حرم الله تعالى، فإن الله لم يجعل في شئ مما حرم شفاء). وروى ابن السنني وأبو نعيم فيهما عن صالح بن خوات عن أبيه عن جده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى أن يؤكل ما حملت النملة بفيها

وقوائمها. وروى أبو نعيم في الطب عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (اتقوا بيتا يقال له الحمام)، قالوا: يا رسول الله إنه يذهب بالدرن وينفع المريض قال: (فمن دخله فليستتر) وفي لفظ: (بئس البيت الحمام)، قالوا: يا رسول الله، إنه يستشفى به المريض ويذهب عنه الوسخ قال: (فإن فعلتم فاستتروا). وفيه عن ثعلبة عن سهيل قال: (إن الحمام جيد للتحمة). وفيه (نعم البيت الحمام يذهب الوسخ ويذكر النار) وما أحسن ما ذكر في ذلك:

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٤٨ وقال: رواه الطبراني وقال فيه يحيى بن يزيد الأهوازي جهله الذهبي من قبل نفسه، وبقيّة رجاله رجال الصحيح. (٢) أخرجه الترمذي (٢٠٤٦). (٣) سقط في أ. (*)

[١٣٣]

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * يذكر لكن أين من يتذكر يجرد من أهل ومال وملبس * ويتبعه من كل ذلك مستر وروى ابن عدي في الكامل عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أنه - عليه الصلاة والسلام - نهى عن أذني القلب (١). وروى الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن محمد - رضي الله تعالى عنه - قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكره من الشاة سبعا: المرارة والمثانة والحياء والذكر والأنثيين والغدة والدم) (٢). وروى ابن السني عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكره الكلوتين لمكانهما من البول (٣). وروى البيهقي عن صهيب قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أكل الطعام الحار حتى يسكن (٤). وروى مسلم والترمذي وابن ماجه والبيهقي في الشعب من طريق قتادة عن أنس قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الشرب قائما قال: قلت: فالأكل؟ قال: ذاك أشر قال البيهقي: النهي عن الشرب قائما لما فيه من الداء فيما زعم أهل الطب وخصوصا لمن كان في أسافله علة يشكوها من برد. وروى سعيد بن منصور في سننه عن إبراهيم النخعي قال: إنما كره البول تحت الميزاب وفي البالوعة، وفي الماء الراكد والشرب قائما، لأنه إذا حدث عنده داء اشتد. وروى ابن السني والبيهقي في الشعب عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فإن الكباد من العب) (٥). وروى البيهقي عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مصوه مصا، ولا تعبوه عبا) (٦). وروى البيهقي عن معمر عن ابن أبي حسين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا شرب أحدكم فليمص مصا، ولا يعب عبا فإن الكباد من العب) (٧).

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٤ / ٢١٦. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٢٩ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف. (٣) ذكره المتقي الهندي في الكنز (١٨٢١٦). (٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٩١٢). (٥) أخرجه البيهقي في الشعب (٦٠١٢) (٦) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٤١٠٧٦) (٧) أخرجه البيهقي في الشعب (٦٠١٢). (*)

[١٣٤]

وروى أبو داود والبيهقي في الشعب أنه - عليه الصلاة والسلام - نهى عن الشرب من ثلثة القدح، وأن ينفخ في الشراب (١). وروى

الحاكم وصححه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: لا يتنفس أحدكم في الإناء إذا كان يشرب منه ولكن يؤخره ويتنفس). وروى الشيخان عن أبي قتادة قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يتنفس في الإناء. [وروى البيهقي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يتنفس في الإناء] (٢) أو ينفخ فيه. قال الحلبي: وهذا لأن البخار الذي يرتفع من المعدة أو ينزل من الرأس قد يعلقان بالماء فيضران. انتهى.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٦٠١٩). (٢) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[١٣٥]

الباب الرابع في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في التطيب وفيه أنواع: الأول: في أمره بدعاء الطبيب: روى الإمام أحمد عن رجل من الأنصار - رضي الله تعالى عنه - قال: عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً من جرح، فقال: (ادعوا له طبيب بني فلان، قال: فدعوه فجاء فقال: يا رسول الله، أو يغني الدواء شيئاً؟ فقال: سبحان الله، وهل أنزل الله من داء في الأرض إلا جعل له شفاء). الثاني: في تضمينه - صلى الله عليه وسلم - الطبيب إذا جنى: روى أبو نعيم في الطب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من تطيب ولم يكن بالطب معروفاً فأصاب نفسه فما دونها فهو ضامن). الثالث: في كراهيته أن يسمى طبيباً: روى أبو نعيم في الطب عن أبي رمنة قال: دخلت مع أبي علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرأى أبي الذي بظهره، فقال: دعني أعالج الذي بظهرك فإني طبيب فقال: أنت رفيق والله الطبيب (١). الرابع: في استعمال الفراسة والاستدلال في صناعة الطب: روى أبو نعيم في الطب عن أبي سعيد وأبي أمامة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله عزوجل. وروى فيه عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن لله عبداً يعرفون الناس بالتوسم). وروى فيه عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: إذا رأيتم الرجل اصفر من غير مرض ولا عبادة فذلك من غش الإسلام في قلبه (٢). قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي في المنهج السوي: قاعدة: تشريع النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) أخرجه أحمد ٤ / ١٦٣، والبيهقي ٨ / ٢٧. (٢) انظر كشف الخفاء للعجلوني ١ / ٩٣. (*)

[١٣٦]

لأصحابه يدخل فيه كل الأمة إلا أن يخصه دليل، وتطبيبه - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه. وأهل أرضه خاص بطبائهم، إلا أن يدل دليل على التعميم. فائدة: الأولى: طب النبي - صلى الله عليه وسلم - طب التجارب، وأكثر ما وضعه - صلى الله عليه وسلم - إنما هو على مذهب العرب إلا ما خصه الله تعالى به من العلم النبوي من طريق الوحي، فإن ذلك يخرق كل ما تدركه الأطباء، وتعرفه الحكماء، وكل ما فعله أو قاله في أعلى درجات الصواب، عصمه الله تعالى فلا يقول إلا صدقاً أو حقاً، وقال ابن القيم: كان علاجه - صلى الله عليه وسلم -

للمريض ثلاثة أنواع: أحدها: بالأدوية الطبيعية. والثاني: بالأدوية الإلهية. والثالث: المركب من الأمرين. الثانية: أخرج أبو نعيم في الحلية عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [إن الله تعالى جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمتان، ولولا ذلك لذابتا، وجعل المرارة في الأذنين حجابا من الدواب فإن دخلت الرأس دابة والتمست الوصول إلى الدماغ، فإذا ذاقت المرارة التمسست الخروج، وجعل الحرارة في المنخرين يستنشق بهما الريح ولولا ذلك لأنتن الدماغ، وجعل العذوبة في الشفتين يجد بهما استطعام كل شئ، ويسمع الناس بها حلاوة منطقه (١) وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير وأبو الشيخ في العظمة. الثالثة: روى ابن السنني عن عبد الله بن بسر المازني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال [(٣): (لا تتفوا الشعر الذي في الأنف، فإنه يورث الأكلة ولكن قصوه قصا).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣ / ١٩٧. (٢) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[١٣٧]

الباب الخامس في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في حفظ الصحة بالصوم والسفر ونفي الهموم وتعديل الغذاء والطبيب وغير ذلك وقد أشار الله تعالى إلى حفظ الصحة بقوله تعالى (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) [البقرة ١٨٤] لأن السفر مظنة التعب وهو من مغيرات الصحة، فإذا وقع فيه الصيام ازداد فأبيح الفطر وكذا القول في المرض. وروى ابن السنني وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (صوموا تصحوا). وروى البخاري في الأدب والترمذي والحاكم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شئ فلا يلومن إلا نفسه). وروى الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من بات وفي يده ريح غمر فأصابه وضح فلا يلومن إلا نفسه (١)). [وروى أبو داود والترمذي وحسنه وابن السنني وأبو نعيم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شئ فلا يلومن إلا نفسه) (٢) [(٣). وروى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شئ فلا يلومن إلا نفسه) وفي رواية: (فأصابه لمم) وفي رواية: (فأصابه خبل) وفي بعضها (فأصابه وضح) (٤). وروى الإمام أحمد ومسلم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عطوا الإناء وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لم يمر ببناء لم يغط ولا سقاء ليس عليه وكاء إلا وقع فيه من ذلك الوباء) (٥). وروى أبو نعيم في الطب عن بلال قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بقيام الليل،

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٣٣ وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن. (٢) أخرجه الترمذي (١٨٥٩، ١٨٦٠). والبيهقي ٧ / ٢٧٦ والحاكم ٤ / ١٣٧، وأبو نعيم في الحلية ٧ / ١٤٤. (٣) سقط في أ. (٤) أخرجه الترمذي (١٨٥٩). (٥) أخرجه مسلم ٣ / ١٥٩٦ وابن ماجه (٣٤١٠) وأحمد ٣ / ٢٥٥ والبيهقي ١ / ٢٥٧. (*)

فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى، وتكفير للسيئات ومنهاة عن الإثم، ومطرودة للداء عن الجسد). وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: (سافروا تصحوا وتسلموا). وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من ساء خلقه عذب نفسه، ومن كثر همه سقم بدنه). عن المقدم بن معدي كرب - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه). وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (استدفئوا من الحر والبرد). وروى الطبراني عن أبي سعيد - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من شرب الماء على الريق نقصت قوته). تنبيه في بيان غريب ما سبق: (الصحة) بصاد مهملة ضد المرض، وهو مجرى الجسم عن المجرى الطبيعي. [ريح غمر: الغمر الدسم والزهومة من اللحم].

الباب السادس في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الحمية وقد أشار الله تعالى إليها بقوله تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم) [النساء ٢٩] وقال تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) [الأعراف ٣١]. روى ابن ماجة عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية - رضي الله تعالى عنها - قالت: دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه علي، وهو ناقة من مرض، ولنا دوالي معلقة فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأكل منها وقام علي ليأكل منها فطفق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لعلي: (إنك ناقة) حتى كف قالت: وصنعت شعيرا وسلعا فجئت به، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي: (من هذا اصب فإنه أنفع لك) (١). وروى ابن ماجة عن صهيب - رضي الله تعالى عنه - قال: قدمت على النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين يديه خبز فقال: إدن وكل فأخذت وأكلت فقال: تأكل تمرا، وبك رمد فقلت: يا رسول الله، امضغ من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. وروى الإمام أحمد والحاكم عن الحسن قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا يجامعن أحدكم وبه حقن من خلاء، فإنه يكون منه البواسير) (٢). وروى مسلم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (غطوا الإناء وأوكنوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا ينزل عليه الوباء). وروى أبو داود في المراسيل بإسناد صحيح عن زياد السهمي، مرفوعا قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن تسترضع الحمقى، فإن اللبن (يشبهه) وعند ابن أبي خيثمة (يعدي) (٣). وروى القضاعي بسند حسن من حديث ابن عباس مرفوعا (الرضاع يغير الطباع). وروى ابن حبيب مرفوعا أنه - عليه الصلاة والسلام - نهى عن استرضاع الفاجرة. وروى الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد مرفوعا بسند فيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف: (من شرب الماء على الريق انتقصت قوته) (٤).

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٥٦)، وأحمد (٦ / ٣٦٤). (٢) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٤٤٩٠٢). (٣) أخرجه أبو داود في المراسيل (٢٠٧). (٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط في حديث طويل هو في الزهد وفي إسناده من لم أعرفهم. (*)

وروى الدارقطني والشافعي عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تغتسلوا بالماء الشمس، فإنه يورث البرص) ورواه الدارقطني من حديث عامر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو ضعيف. وروى العقيلي نحوه عن أنس وعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء). وعن أبي داود - رضي الله تعالى عنه - فإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء فليغمسه كله وفي البخاري: (فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء). وفي مسلم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (غطوا الإناء وأوكئوا السقاء فإن في السنة ليلة فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء ولا سقاء ليس عليه وكاء إلا ينزل فيه من ذلك الوباء) قيل: وذلك في آخر شهر ربيع السنة الرومية. وروى أبو نعيم في الطب عن قتادة بن النعمان - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن الله إذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمته الماء) (١). وفيه عن محمود بن لبيد مثله وفيه قال: (إن الله تعالى يحمي المؤمن نظرا له وشفقة عليه كما يحمي المريض أهله الطعام). تنبيهات الأول: الحمية قسمان: حمية عما يجلب المرض، وهي حمية الأصحاء، وحمية عما يزيد وهي حمية المرضى، فإذا حمي وقف مرضه عن التزايد وأخذت القوى في دفعه وأمثلتها قوله تعالى: (وإن كنتم مرضى) إلى قوله (فتيمموا) [النساء ٤٣] فحمي المريض من استعمال الماء. قال بعض فضلاء الأطباء: رأس الطب الحمية، وأنفع ما يكون الحمية للناقه من المرض لأن التخليط يوجب الانتكاس، والانتكاس أصعب من ابتداء المرض والفاكهة تضر بالناقة من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة. الثاني: إنما منع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليا - رضي الله تعالى عنه - من الفاكهة لأنها نوع ثقيل على المعدة، ولم يمنعه من السلق والشعير، لأنه من أنفع الأغذية للناقه، ففي ماء الشعير

(١) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٣٣٦٥). (*)

التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة، فالحمية من أكبر الأدوية مثل الداوولي يمنع زائده وانتشاره. الثالث: وقال ابن القيم: ومما ينبغي أن يعلم أن كثيرا مما يحمى عنه العليل والناقه والصحيح إذا اشتدت الشهوة إليه، ومالت إليه الطبيعة، فتناول منه الشئ اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله، بل ربما انتفع به، فإن الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما يخشى من ضرره، وقد يكون أنفع من تناول ما تكرهه الطبيعة، وتدفعه من الداء، ولهذا أقر النبي - صلى الله عليه وسلم - صهيبا، وهو أرمد على تناول التمرات اليسيرة، وعلم أنها لا تضره فإن المريض إذا تناول ما يشتهي عن جوع صادق وكان فيه ما كان أنفع وأقل ضرا مما لا يشتهي وإن كان نافعا في نفسه فإن صدقت شهوته ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره وكذلك العكس. الرابع: لم يكره مالك الماء الشمس مطلقا وصححه النووي في الروضة، وحكاه الروياني في البحر عن النص، ومذهب الشافعي كراهة استعماله في البلاد والأوقات الحارة، وفي الأواني المنطبعة على الأصح، دون الحجر والخشب ونحوهما،

واستثنى النقدان لصفائهما، ولا يكره في الأحياض والبرك قطعاً، والكراهة مخصوصة بالثوب لا البدن، ولو وقت حرارته، لو برد فلا كراهة على ما صححه في الروضة، وصحح في الشرح بقاءها، وخصه صاحب التهذيب بالإناء المنسد الرأس لحبس الحرارة به، وفي شرح المهذب: الكراهة شرعية يثاب تاركها، وفي شرح التنبيه: إذا اعتبرنا القصد فشرعية وإلا فإرشادية، وهي للتنزيه، فلا تمنع صحة الطهارة، وقال الطبري: إن خاف الأذى جزم، وقال ابن عبد السلام: لو لم يجد غيره وجب استعماله. الخامس: قوله (كله) رفع توهم المجاز في البعض، ولم يعين في شئ من الروايات الجناح الذي فيه الشفاء، لكن ذكر بعض العلماء أنه تأمله فوجده يتقي بجناحه الأيسر فعلم أن الشفاء في الأيمن. السادس: روى أبو يعلى عن ابن عمر مرفوعاً (الذباب غالب عمره أربعون ليلة، والذباب كله في النار إلا النحل) وسنده لا بأس به، قال الجاحظ: كونه في النار ليس تعذيباً له، بل ليعذب به أهل النار، [قال أفلاطون: الذباب أحرص الأشياء، حتى أنه يلقي نفسه في كل شئ، ولو كان فيه هلاكه]. ويتولد من العفونة [ولا جفن للذباب لصغر حدقتها، والجفن يصقل الحدقة، فالذباب تصقل بيديها فلا تزال تمسح عينها] ومن عجيب أمره أن رجيعه يقع على الثرب الأسود أبيض وبالعكس، وأكثر ما يظهر في أماكن العفونة، ومبدأ خلقه منها، ثم من

[١٢٢]

التوالد وهو أكثر الطير سفاداً [وربما بقي عامة اليوم على الأنثى] (١) ويحكى أن بعض الخلفاء سأل الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - لأي علة خلق الذباب ؟ فقال: لمذلة الملوك، وكانت أحت عليه ذبابة قال الشافعي - رحمه الله تعالى -: سألني ولم يكن عندي جواب فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة.

(١) سقط في أ. (*)

[١٢٣]

الباب السابع في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في تدبير المأكول والمشروب وفيه أنواع: الأول: في إرشاده - صلى الله عليه وسلم - لما يفعل من الآداب. روى أبو داود عن صفوان بن أمية - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أدان الطعام في فيك فإنه أهنا وأمرأ) (١). الثاني: فيما نهى عنه من ذلك. قال الله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) [الأعراف ٣١]. وروى الإمام أحمد في المسند والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن حبان والنسائي وابن السنني عن عبد الرحمن بن المرفع قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن الله لم يخلق وعاء إذا ملئ شر من بطن، فإذا كان لا يد فاجعلوا ثلثاً للطعام، وثلثاً للشرب وثلثاً للريح). وروى أبو داود وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (نهى عن مائدة يشرب عليها خمر، وأن يأكل الرجل وهو مضطجع). وروى النسائي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: (نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الشرب قائماً، والأكل قائماً). وروى البيهقي في الشعب عن عبد الواحد بن معاوية بن خديج مرسلًا، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (نهى عن الطعام الجار حتى يبرد) (٢). وروى في الشعب أيضاً عن ابن شهاب مرسلًا، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن العب نفساً واحداً، وقال:

(ذلك شرب الشيطان). وروى أبو داود والدارقطني في العلل، عن أنس وابن السنني وأبو نعيم في الطب، عن علي وعن أبي سعيد عن الزهري مرسلًا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أصل كل داء البرودة).

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٧٩). (٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٥٩١١). (*)

[١٣٤]

الباب الثامن في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في تدبير الحركة والسكون البدنيين روى ابن السنني وأبو نعيم عن بلال وابن السنني، وأبو نعيم عن سلمان أنه عليه الصلاة والسلام قال: (عليكم بقيام الليل، فإنه داب الصالحين قبلكم، وهو مطردة للداء عن الجسد). وروى الطبراني في الأوسط، وابن السنني في اليوم والليل وفي الطب، وأبو نعيم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أذبيوا طعامكم بذكر الله والصلاة، ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم). وروى ابن ماجه وابن السنني وأبو نعيم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: (دخل علي النبي - صلى الله عليه وسلم - المسجد وأنا نائم في المسجد فقال: يا شنيوز اشكمت درد؟ قلت: نعم قال: (قم فصل، فإن في الصلاة شغلا). تنبيه: قال في المنهج السوي [والمنهل الروي في الطب النبوي] في المؤخر [...] . الباب التاسع في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في تدبير الحركة والسكون النفسانيين. [...] . الباب العاشر في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في تدبير النوم واليقظة. روى أبو يعلى بسند ضعيف من طريق عمران بن حصين، عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من نام بعد العصر فاختم عقله، فلا يلومن إلا نفسه). وروى أبو نعيم في الطب عن أنس - رضي الله تعالى عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى أن ينام الرجل بعضه في الظل وبعضه في الشمس [قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قيلوا فإن الشيطان لا يقيل)] (١). وروى عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من نام وبه ريح غمر فأصابه شئ فلا يلومن إلا نفسه).

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[١٣٥]

الباب الحادي عشر في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في تدبير النكاح. روى أبو يعلى في مسنده، وعبد الرزاق في الجامع عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، فإن سبقها فلا يعجلها) وفي لفظ: (ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها) (١). وروى ابن عدي عن طلق أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا جامع أحدكم امرأته فلا ينتحى عنها حتى تقضي حاجتها، كما يجب أن يقضي حاجته) (٢). وروى بقي بن مخلد وابن عدي بسند قال ابن الصلاح: جيد عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا جامع أحدكم زوجته أو جاريته فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث

العمى). وروى ابن عساكر عن قبيصة بن ذؤيب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لا تكثروا الكلام عند مجامعة النساء، فإن منه يكون الخرس والفأفة). الباب الثاني عشر في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في تدبير فصول السنة. [...]. الباب الثالث عشر في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في تدبيره لأمر المسكن. روى البخاري ومسلم عن أنس - رضي الله تعالى عنه -: أن رهطا من عكل أو عرينة قدموا فاجتووا المدينة، فأمر لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلقاح وأمرهم أن يخرجوا ويشربوا من ألبانها وأبوالها (٣).

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٦ / ١٩٤ (١٠٤٦٨) من طريق ابن جريح قال: حدثت عن أنس... وذكره الهيثمي في المجمع ٤ / ٢٩٥ باب أدب الجماع وقال: رواه أبو يعلى وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات. وأورده ابن حجر في المطالب العالية ٢ / ٣٠ (١٥٦٩) وعزاه إلى أبي يعلى. وذكره المتقي الهندي في كنز العمال. (٤٤٨٣٧)، (٤٤٨٣٨). (٢) أخرجه ابن عدي في الكمال ٦ / ١٥٠. (٣) أخرجه البخاري (٦٨٠٥) (*).

[١٣٦]

الباب الرابع عشر في أمره - صلى الله عليه وسلم - باختياره البلدان الصحيحة التربة وتوفي الوبيئة روى محمد بن يحيى عن أبي عمرو بسند ضعيف لجهالة التابعي، وأبو نعيم في الطب وابن السنني عن فروة بن مسيك قال: قلت: عن رجل من آل بختيار بن ريسان عن رجل منهم أنه قال: يا رسول الله إن أرضا من أرضنا يقال لها أبين وهي أرض ميراثنا وريفنا وهي وبية فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (دعوها فإن من القرف التلف) (١). وروى عن عبد الله بن عمر، والصواب أنه من مراسيل عبد الله بن شداد، أن قوما جاؤوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله دخلنا هذه الدار ونحن ذو وفر فافتقرنا، وكثير عددنا فقل عددنا، وحسن ذات بيننا فسأنا ذات بيننا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (دعوها وهي ذميمة) قالوا: كيف ندعها؟ قال: (بيعوها أو هبوها). وروى الطبراني في الكبير بسند لا بأس به عن سهل بن حارثة الأنصاري قال: اشتكى قوم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم سكنوا دارا وهم ذو عدد فقلوا، فقال: (فهلأ تركتموها وهي ذميمة) (٢). وروى أبو نعيم في الطب عن أسامة بن زيد - رضي الله تعالى عنهما - أنه ذكر الطاعون عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (رجس ورجز، وعذب به أمة من الأمم، وبقيت منه بقايا، فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بها فلا تفروا منه). وفيه عن رباح قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن مصر ستفتح بعدي فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها دارا، فإنه يساق إليها أقل الناس أعمارا). وروى فيه وابن السنني عن فروة بن مسيك قال: قلت: يا رسول الله، إن عندنا أرضا يقال لها أبين، وهي أرض ريفنا وأرض بيوتنا وهي شديدة الوباء فقال: (دعها عنك فإن القرف تلف). وروى الشيخان والترمذي وابن السنني وأبو نعيم عن أسامة بن زيد - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الطاعون رجز أرسله الله على طائفة من بني إسرائيل، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه).

(١) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٢٤٣٩) (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٨ وقال رواه الطبراني وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب، وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة (*).

وروى الإمام أحمد وابن السني والطبراني في الصغير، وأبو نعيم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا طلع النجم ارتفعت العاهة [عن كل بلد] (١) (٢)).
وروى الإمام أحمد عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ما طلع النجم صباحا قط يقوم عاهة إلا ارتفعت عنهم، أو خفت) (٣). تنبيهات الأول: قال الخطابي: ليس: في هذا إثبات العدوى، وإنما هو من باب التداوي فإن استصلاح الأهوية من أنفع الأشياء على تصحيح الأبدان وفساد الهواء من أضرها وأسرعها إلى أسقام الأبدان عند الأطباء. الثاني: قال ابن القيم في الهدي: قد جمع النبي - صلى الله عليه وسلم - للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض التي بها الطاعون، وعن الخروج منها بعد وقوعه بها كمال التحرز، فإن في الدخول إلى الأرض التي هو بها تعرضا للبلاء، وموافاة له في محل سلطانه، وإعانة الإنسان على نفسه، وهذا مخالف للشرع والعقل، بل تجنب إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الشرع إليها، وهي حمية عن الأمكنة والاهوية المؤذية وأما نهيه - عليه الصلاة والسلام - عن الخروج من بلده ففيه معنيان: أحدهما: حمل النفس على الثقة بالله تعالى، والتوكل عليه والصبر على المصيبة والرضى بها. والثاني: ما قاله أئمة الطب: أنه يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة وتسكين هيجان الأخطا، ولا يمكن الخروج عن أرض الوباء والسفر منها إلا بحركته شديدة، وهي مضرة جدا قال في المنهج السوي: هذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين، وظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج القلب والبدن وصلحهما، وفي المنع من الدخول إلى الأرض التي وقع بها عدة حكم منها: تجنب الأسباب المؤذية والبعد منها. ومنها أن لا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضون.

(١) انظر كشف الخفاء ١ / ١١٠. (٢) سقط في أ. (٣) أخرجه أحمد ٢ / ٣٨٨. (*)

ومنها أن لا يجاور المرضى الذين قد مرضوا بذلك، فيحصل له بمجاورتهم من جنس أمراضهم. الثالث: قال في المنهج السوي: وأما الثريا فالأمراض تكثر وقت طلوعها مع الفجر وسقوطها قال التميمي في كتاب (مادة البقاء): أشد أوقات السنة فسادا وأعظمها بلية على الأجساد وقتان: أحدهما: وقت سقوط الثريا [للمغيب عند طلوع الفجر] (١). والثاني: وقت طلوعها من المشرق قبل طلوع الشمس على العالم، بمنزلة من منازل القمر، وهو وقت تصرم فصل الربيع وانقضائه، غير أن الفساد الكائن عند طلوعها أقل ضررا من الفساد الكائن عند سقوطها. وقال ابن قتيبة: يقال: ما طلعت الثريا، ولا نأت إلا بعاهة من الناس والإبل، وعند غروبها أهون من طلوعها، وفي الحديث قول ثالث وهو أولى الأقوال: أن المراد بالنجم الثريا، وبالعاهة الأفة التي تلحق الثمار والزرع في فصل الشتاء وصدر من فصل الربيع فيحصل في الوقت المذكور. وقيل: المراد بالنجم طلوع النبات زمن الربيع ومنه (والنجم والشجر يسجدان) [الرحمن ٦] فإن كمال طلوعها وتمامه يكون في فصل الربيع، وهو الفصل الذي ترتفع فيه الآفات. الرابع: في بيان غريب ما سبق. الغرف: بقاف فراء ففاء قال ابن قتيبة: القرب مدانة الوباء، ومدانة المرض.

(١) سقط في ج.

الباب الخامس عشر في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الجلوس في الشمس روى أبو نعيم في الطب عن أبي بردة عن أبيه، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - (نهى أن يجلس الرجل بين الظل والشمس). وروى أن مدرك بن عجرة ذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى رجلاً نائماً في الشمس فقال: (قم فإنها تغير اللون، وتبلي الثوب). وروى الحاكم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إياكم والجلوس في الشمس، فإنها تبلي الثوب، وتنتب الريح، وتظهر الداء الدفين) (١). وروى أبو داود عن قيس عن أبيه أنه جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب، فقام في الشمس فأمر به فحول إلى الظل. وروى أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا كان أحدكم في الشمس وقلص عنه الظل وصار بعضه في الشمس وبعضه في الشمس وبعضه في الظل فليقم) (٢). وروى ابن السنني وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا ينام أحدكم بعضه في الظل وبعضه في الشمس).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤ / ٤١١، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٢٥٤٠٠). (٢) أخرجه أبو داود (٤٨٢١) وأحمد ٢ / ٢٨٢. (*)

الباب السادس عشر في إرشاده - صلى الله عليه وسلم - إلى دفع مضار الأغذية بالحركة والأشربة روى أبو نعيم في الطب عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم) (١) وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا ألوي في بطني في المسجد فقال: اشكمت درد؟ قلت: نعم، قال: (قم فصل، فإن في الصلاة شفاء) (٢). وفيه عن قيس بن طلق عن أبيه قال: جلسنا عند نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء وفد عبد القيس فقال: (ما لكم قد اصفرت ألوانكم، وعظمت بطونكم، وظهر عروقكم) قالوا: أذاك سيدنا وسألك عن شراب كان لنا موافقاً فنهيته عنه، وكنا بأرض ذميمة وبيئة وخمة قال: (فاشربوا ما طالب لكم). وفيه عن صحار أنه قال: يا رسول الله إنني رجل مسقام فأذن لي أن انتبذ في جريرة مثل هاتيه يعني: صغيرة، فأذن له فيه. وعنه قال: قلت: يا رسول الله إنك نهيتنا عن ظروف كانت لنا فيما منعته فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - يا صحار أطب شرابك واسق جارك. وفيه عن عبد الله بن الديلمي عن أبيه قال: أتينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا: يا رسول الله إن لنا أعناباً فما نضع بها؟ قال: ذببها قلنا: فما نضع بالزبيب؟ قال: (انبذوه على غداكم واشربوه على عشائكم وانبذوه على عشائكم واشربوه على غداكم، وانبذوه في الشنان، ولا تنبذوه في القلل، فإنه إذا تأخر عن عصره صار خلا) (٣). وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمشى بعد عشاء الآخرة.

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٣٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه ربع أبو الخليل وهو ضعيف، وذكره المنقي الهندي في الكنز (٤٠٧٧٣). (٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٥٨). (٣) أخرجه أبو داود (٣٧١٠). (*)

[١٤١]

الباب السابع عشر في إرشاده - صلى الله عليه وسلم - إلى استعمال المعاجين والجوارش روى أبو نعيم في الطب عن أبي سعيد - رضي الله تعالى عنه - قال: أهدى ملك الروم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - حرة زنجيل فأطعم كل إنسان قطعة وأطعمني قطعة. الباب الثامن عشر في إرشاده - صلى الله عليه وسلم - إلى تعهد العادات والامتناع عن الأطعمة التي لم تجر العادة بها روى أبو نعيم في الطب عن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (الخير عادة والشر لحاجة) وفيه عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: تعشوا ولو بكف من حشف فإن ترك العشاء مهزمة). وفيه عن خالد بن الوليد دخل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيت ميمونة بنت الحارث فأتى بضب محنود، فأهوى إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال بعض النسوة اللاتي في بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أخبروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما يريد أن يأكل فقالوا: هو ضب فرفع يده فقال خالد بن الوليد: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: (لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه قال خالد: فأجترته فأكلته ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر. ورواه عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - وفيه: فقربت إليه طيبا مطبوخا بتمر فقالت: أخبروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما يريد أن يأكل منه. وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - ما عاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طعاما قط، كان إذا اشتهى طعاما ما أكل وإلا ترك).

[١٤٢]

الباب التاسع عشر في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الصداع والشقيقة روى الإمام أحمد عن بريدة - رضي الله تعالى عنه - قال: كان ربما أخذت الشقيقة النبي - صلى الله عليه وسلم - فيمكث اليوم واليومين لا يخرج. وروى البخاري عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: احتجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو محرم في وسط رأسه من شقيقة كانت به. وروى ابن ماجه عن بعض من [...] أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا صدع غلف رأسه بالحناء ويقول: (إنه نافع بإذن الله من الصداع). وروى ابن السني أبو نعيم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل عليه الوحي تصدع فيغلف رأسه بالحناء. وروى البخاري عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في مرض موته: (وارأساه) وأنه عصب رأسه. وروى أبو نعيم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: (احتجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رأسه من أذى كان به) وفي لفظ: (من شقيقة كانت به). وروى ابن السني وأبو نعيم في الطب وابن عساكر، عن قتادة مرسل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا ادهن أحدكم فليبدأ بحاجبيه فإنه يذهب بالصداع). وروى الطبراني في الكبير، وأبو نعيم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الحجامة في الرأس شفاء من سبع إذا ما نوى صاحبها، من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه). وروى ابن عساكر عن أبي الدرداء

- رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:
(المليحة والصداع يولعان بالمؤمن وإن ذنبه مثل جبل أحد حتى لا تدع
عليه من ذنبه مثقال حبة من خردل). وروى الشيخان عن ابن عباس
- رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [
(احتجم في رأسه وهو محرم من وجع كان به) وفي لفظ البخاري:
(من شقيقة كانت به بماء يقال له: لحي جمل) (١).

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٠). (*)

[١٤٣]

وروى الشيخان عن عبد الله بن بريدة - رضي الله تعالى عنه - أن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [(١) احتجم بلحي جمل من
طريق مكة وهو محرم وسط رأسه. وروى الطبراني في الكبير عن أم
سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم -: [(إن الحجامة في الرأس دواء من كل داء الجنون
والجذام والعشاء والبرص والصداع (٢). وروى الحكيم الترمذي عن
أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم -: [(٣) (إذا أدهن أحدكم فليبدأ بحاجبيه فإنه يذهب بالصداع
وذلك أول ما ينبت على ابن آدم من الشعر). ورواه أيضا ابن السني
وأبو نعيم في الطب وابن عساكر عن قتادة بن دعامة مرسلًا وسنده
ضعيف، والديلمي عنه عن أنس بدون وذلك... الخ. وروى أبو نعيم في
الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: جاء أعرابي إلى
النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعجبه صحته وجلده فقال له رسول
الله - صلى الله عليه وسلم -: (متى أحسست بالصداع) قال: (وأي
شئ الصداع ؟) قال: (ضرب يكون في الرأس قال: ما لي بذلك من
عهد قال: فلما ولي الأعرابي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم
:- (من سره أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليتنظر إلى الأعرابي)
وفي لفظ: (فهل أخذك هذا الصداع ؟ قال: وما الصداع ؟ قال (عرق
يضرب الإنسان في رأسه قال: ما وجدت هذا قط قال: من أحب أن
ينظر إلى رجل من أهل النار فليتنظر إلى هذا) (٤). وفيه عن أبي
هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - إذا نزل عليه الوحي صدع فيغلف رأسه بالحناء. وفيه عن
سلمى قالت: ما شكى أحد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم
- وجعا في رأسه إلا أمره بالحجامة. وفيه عن أنس أن النبي - صلى
الله عليه وسلم - احتجم من وجع كان برأسه وهو محرم. وفيه عن
عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم -: من صدع رأسه في سبيل الله فاحتسبه غفر له
ما كان قبل ذلك من ذنب).

(١) سقط في أ. (٢) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٢٨١٢٩). (٣) سقط في أ. (٤)
أخرجه أحمد ٢ / ٣٣٣. (*)

[١٤٤]

وروى البخاري في التاريخ وسنن أبي داود أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - (ما شكى إليه أحد وجعا في رأسه إلا قال له: احتجم
ولا شكى وجعا في رجله إلا قال له: اختضب بالحناء). تنبيهات الأول:
الخصب بالحناء خاص بما إذا كان الصداع من حرارة ملهية ولم يكن
من مادة يجب استفرغها، وإذا كان كذلك نفع فيه الحناء نفعًا ظاهرًا.

قالوا: وإذا دق دهنت وضممت به الجبهة مع الخل، سكن الصداع وهذا لا يختص بوجع الرأس بل يعم الأعضاء. الثاني: بيان غريب ما سبق: (الصداع) بصاد مهملة مضمومة ودال مفتوحة فألف فعين مهملة: ألم في بعض أجزاء الرأس أو كله، فما كان منه في أحد جانبي الرأس لازما يسمى شقيقة بشين معجمة بوزن عظيمة، ويختص بالموضع الأضعف من الرأس، وعلاجها يشد العصابة، سببه أيخرة مرتفعة وأخلط حارة أو باردة ترتفع إلى الدماغ، فإن لم تجد منفذا أحدثت الصدع، فإن مال إلى أحد شقي الرأس أحدث الشقيقة، وإن ملك كل الرأس أحدث داء البيضة، تشبيهاً ببيضة السلاح التي تشمل الرأس كلها، ومن الأسباب ما يحدث من الأعراض النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى. ومنها ما يحدث في الرأس كضربة أو ورم في صفاق الدماغ، أو حمل شئ ثقيل لضغط الرأس أو شئ خارج عن الاعتداء، أو تبريده بملاقاة الهواء، أو الماء في البرد. شقيقة بشين معجمة فقايفين بينهما تحنية ساكنة: ألم في الرأس ويختص بالموضع الأضعف من الرأس وعلاجها يشد العصابة وينفع شد الرأس من الشقيقة وغيرها من أوجاع الرأس. المليلة: [حرارة الحمى ووهجها.

[١٤٥]

الباب العشرون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في السعوط واللدود روى الترمذي وحسنه وابن السنني وأبو نعيم في الطب عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [إن خير] وفي لفظ: [خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشى]. وروى الترمذي والحاكم عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [خير ما تداويتم به اللدود والسعوط والحجامة والمشى] (١) وخير ما اكتحلتم به الإثم فإنه يجلوا البصر وينبت الشعر. وروى الإمام أحمد عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (مكان الكي التكميد، ومكان العلاق السعوط، ومكان النضخ اللدود) (٢). وروى أبو نعيم عن الشعبي مرسلًا، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير الدواء اللدود والسعوط والحجامة والمشى). وروى أبو نعيم في الطب عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم وأعطى الحجامة أجرته وأسقط، رواه ابن سعد مقتصرًا. تنبيه: اللدود: بفتح الهمزة ما سقاه المريض في أحد شقي الفم وهو كاره. والسعوط: مثله إلا أنه من الأنف. والمشى: دواء يسهل البطن.

(١) سقط في أ. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٠، ١٠١ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن إبراهيم لم يسمع من عائشة. (*)

[١٤٦]

الباب الحادي والعشرون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الحجامة والفصد [والقسط البحري] (١). وفيه أنواع: الأول في فضل الحجامة وأمره بها روى الطبراني رجال الصحيح، عن مالك بن صعصعة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما مررت ليلة أسري بي على ملأ من الملائكة إلا أمروني بالحجامة). وروى البزار رجال ثقات، عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما مررت بسماء من السموات إلا قالت للملائكة: يا محمد مر أهلك بالحجامة

وقال: خير ما تداويتم به الحجامة والقسط والشونين). وروى ابن ماجة والترمذي عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما مررت ليلة أسرى بي بملأ من الملائكة إلا قالوا: يا محمد مر أمتك بالحجامة). وروى الطبراني بسند لا بأس به عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: حدثنا أبو القاسم - صلى الله عليه وسلم - أن جبريل أخبره أن الحجامة من أنفع ما تداوى به الناس. وروى الطبراني في الكبير بسند لا بأس به جيد عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: حجج أبو طيبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل عليه عيينة بن حصين والأقرع بن حابس فقال: ما هذا الحجج؟ فقال: (هذا الحجج خير ما تداويتم به). وروى الطبراني في الكبير برجال ثقات عن سمرة - رضي الله تعالى عنه - قال: دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجاما فحجمه بقرن وشرط بشفرة فرآه رجل من بني فرارة فقال: يا رسول الله علام تدع هذا يقطع لحملك؟ قال: (هل تدري ما هذا؟ هذا الحجج، وهو خير ما تداويتم به) (٢). وروى ابن سعد عن [سمرة بن جندب] - رضي الله تعالى عنه - قال: كنت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا حجاما فحجمه بمحاجم من قرون وجعل بشرطه بطرف شفرة قال: فدخل أعرابي فرآه ولم يكن يدري ما الحجامة قال: هذا. قال: ففزع فقال: يا رسول الله على ما تعطى هذا يقطع جلدك! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (هذا الحجج). قال: يا رسول الله وما

(١) سقط في ب. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٥ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح خلا حصين أبي الحر وهو ثقة. (*)

[١٤٧]

الحجج؟ قال: (هو خير ما تداويتم به) (١). روى الطبراني في الكبير، والإمام أحمد والحاكم وأبو داود والطيالسي وأبو يعلى والضياء عن سمرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: (خير ما تداويتم به الحجامة). وروى مسلم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن في الحجج شفاء). وروى البزار والبراني في الكبير برجال الصحيح عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالحجامة والقسط البحري). وروى الطبراني في الكبير عن سلمى امرأة أبي رافع قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا اشتكى برجله قال: اذهب فاخصبها بالحناء. وروى أبو نعيم في الطب عن علي - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير الدواء [وفي لفظ: خير ما تداويتم به] (٢) الحجامة والفضاد). وروى البخاري وابن ماجة عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الشفاء في ثلاثة: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار، أنهى أمتي عن الكي). وروى الإمام أحمد والطبراني برجال ثقات، عن عقبة بن عامر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن كان في شئ شفاء فشرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار تصيب ألما وأنا أكره الكي ولا أحبه) (٣). وروى الإمام أحمد، والطبراني برجال ثقات، عن معاوية بن خديج قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن كان في شئ شفاء ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار تصيب ألما ولا أحب أن أكتوي) (٤). وروى ابن أبي شيبة بسند جيد عن رجل من الأنصار من بني سلمة قال: قال

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ / ٢٤٣. (٢) سقط في أ. (٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٤ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح خلا عبد الله بن الوليد بن قيس وهو ثقة. (٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٤ وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح خلا سويد بن قيس وهو ثقة (*).

[١٤٨]

رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن كان في شئ مما تعالجون من أدويتكم شفاء ففي شربة عسل) وفي لفظ: (ففي شربة محجم). وروى الحارث وأبو يعلى وأحمد عن عقبة بن عامر والشيوخ والإمام أحمد والبيهقي والنسائي والبخاري وابن ماجه عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن كان في شئ شفاء ففي ثلاثة: في شربة عسل أو شربة محجم أو كية من نار تصيب ألما، وأنا أكره الكي ولا أحبه). وروى أبو نعيم في الحلية والضياء عن عبد الله بن سرجس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (الحجم شفاء). وروى الأئمة مالك والشافعي وأحمد والشيخان والترمذي والنسائي والدارمي وأبو عوانة عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري. [وروى الحاكم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الحجم أمثل ما تداوي به الناس)] (١). وروى أبو يعلى بسند ضعيف عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: دخلنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رجل من الأنصار وبه ورم فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ألا تخرجه عنه) قال: فبط ورسول الله صلى الله عليه وسلم - شاهد (٢). وروى البزار عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - أصيب فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لقرابته: (اطلبوا من يعالجه فجئ بالرجلين الأخوين قدما المدينة فقال لهما: بحديدة تعالجان فقالا: إنا كنا نعالج في الجاهلية بها فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - عالجاه فبطه حتى برأ (٣). وروى مسلم والطبراني في الكبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجل به جرح يستأذن في بطنه، فأذن له (٤).

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٢ وقال: رواه أبو يعلى وفيه أبو الربيع السمان وهو ضعيف. (٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٢ وقال: رواه البزار وفيه عاصم بن عمر العمري وقد ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان وقال يخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات. (٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٢ وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن خراش وقد ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان وقال: يخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات. (*)

[١٤٩]

وروى مسلم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن في الحجم شفاء). [وروى الحاكم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أنه دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يحتجم فقال: أي شئ هذا يا رسول الله ؟ فقال: (الحجم) قلت: وما الحجم يا رسول الله ؟ قال: (خير ما يتداوى به العرب). ورواه الحاكم عن سمرة قال: دخل أعرابي على النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكره (١) [(٢). وروى أبو نعيم في الطب عن علي - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير ما تداويتم به الحجامة والفضاد). وفيه عن أبي

هريرة - رضي الله تعالى عنه - أنه دخل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يحتجم فقال: أي شئ هذا يا رسول الله ؟ فقال: (الحجم) قلت: وما الحجم ؟ قال: (خير ما تداوى به العرب). وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله -: (إن كان فيما تداويتم به شفاء فالحجامة خير). وفيه عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا الدم تبيغ بصاحبه قتل). وفيه عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (احتجموا لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم). وفيه عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث إلى أبي بن كعب متطببا، فكواه وفسد العرق. الثاني: في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في موضع الحجم من البدن. روى الخطيب والطبراني في الكبير عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يحتجم في رأسه وروى في لفظ: في مقدم رأسه ويسميها أم مغيث (٣). وروى الترمذي والحاكم عن أنس والطبراني في الكبير والحاكم عن ابن عباس - رضي

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤ / ٢٠٩. (٢) ما بين المعكوفين سقط في ب، ج.
(٣) أخرجه الخطيب في التاريخ ١٣ / ٩٥. (*)

[١٥٠]

الله تعالى عنهم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يحتجم في الأذعين، والكاهل وكان يحتجم لسبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين. وروى الطبراني في الكبير وابن السني وأبو نعيم في الطب عن عبد الحميد بن زياد بن صفى عن أبيه عن جده والطبراني في الكبير برجال ثقات عن صهيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالحجامة في جوزة القمحدوة فإنها دواء من اثنين وسبعين داء، خمسة أدواء من الجنون والجذام والبرص ووجع الضرس) (١). وروى أبو داود والبيهقي وابن ماجه عن أبي كبشة الأنماري - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يحتجم على هامته وبين كتفيه ويقول: (من هراق من هذه الدماء فلا يضره أن لا يتداوى بشئ لشئ) (٢). وروى الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحجامة التي في وسط الرأس إنها أمان ودواء من الجنون والجذام والبرص والنعاس والأضراس كان يسميها أم مغيث ورواه أيضا عن ابن عمر بسند ضعيف، ورواه أيضا عن ابن عباس بسند ضعيف، وزاد الصداع. وروى الطيالسي عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم في وسط رأسه وسماه المنقذ. وروى عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم في الأذعين وبين الكتفين. وروى الطبراني في الكبير وابن السني في الطب عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الحجامة في الرأس دواء من الجنون والجذام والبرص والأضراس والنعاس). وروى ابن أبي شيبة [بسنده ضعيف] (٣) عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: احتجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - على الأذعين اثنتين، والكاهل واحدة، ورواه الحاكم وزاد: وكان يحتجم بسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين. وروى ابن أبي شيبة برجال ثقات قال: احتجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو محرم من وجع وجده في رأسه.

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. (٢) أخرجه أبو داود (٢٨٥٩)، والبيهقي ٩ / ٢٤٠ وابن ماجه (٢٤٨٤). (٣) في أ، ب (بسنده صحيح). (*)

[١٥١]

وروى ابن حبان في صحيحة عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم وهو محرم على ظهر القدم من وجع كان به. وروى الأربعة وابن سعد عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - أنه وضع يده على المكان الناتئ من الرأس فوق اليافوخ فقال: هذا موضع محجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وروى ابن سعد عن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يحتجم على هامته وبين كتفيه (١). وروى أيضا عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قال: احتجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وسط رأسه، وكان يسميه منقذا (٢). وروى أيضا عن جبير بن نفير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم في وسط رأسه. الثالث: في استحبابه - صلى الله عليه وسلم - الحجامة في أيام مخصوصة. روى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير ما تحتجمون يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم إحدى وعشرين) زاد الإمام أحمد والحاكم (وما مررت بملا من الملائكة ليلة أسري بي إلا قالوا: عليك بالحجامة يا محمد). وروى ابن ماجه والبيهقي والترمذي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من أراد الحجامة فليتحجر سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله) (٣). وروى أبو داود عن أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (يوم الثلاثاء يوم الدم فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم أي لا ينقطع) (٤). وروى أبو داود من طريق أبي بكر بن عبد العزيز ويكار استشهد به البخاري في الصحيح، وروى له في الأدب، وقال ابن معين: صالح، وقال ابن عدي: أرجو أن لا بأس به

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١ / ٢٤٤. (٢) أخرجه ابن سعد ١ / ٢٤٥. (٣) أخرجه ابن ماجه (٣٤٨٦). (٤) أخرجه أبو داود (٢٨٦٢). (*)

[١٥٢]

وهو ممن يكتب حديثه عن كيسه - بمثناة تحتية ثقيلة وسين مهملة - بنت أبي بكره أن أباهما كان ينهي أهله عن الحجامة يوم الثلاثاء، ويزعم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن يوم الثلاثاء يوم الدم وفيه ساعة لا يرقأ فيها الدم). قوله: (لا يرقأ بالهمز أي: لا ينقطع). وروى البيهقي وابن ماجه عن نافع - رحمه الله تعالى - أن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال له: يا نافع قد [تبيغ بي الدم، فالتمس لي حجاما، واجعله رفيقا إن استطعت ولا تجعله شيئا كبيرا ولا صبيا صغيرا، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (الحجامة على الريق أمثل وفيه شفاء وبركة، وتزيد في العقل، وفي الحفظ، فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء والجمعة والسبت ويوم الأحد تحريا، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء، فإنه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء وضربه بالبلاء يوم الأربعاء، فإنه لا يبدو جزام ولا برص إلا يوم الأربعاء أو ليلة الأربعاء] (١). وروى أبو داود والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - (قال: (من احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع عشرة وإحدى وعشرين كان له شفاء من كل داء) (٢). وروى ابن عساكر عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: (من احتجم يوم الخميس فمرض فيه مات فيه. وما رواه أبو يعلى عن الحسن بن علي - رضي الله تعالى عنهما - أن في الجمعة ساعة لا يحتجم فيها أحد إلا مات ففيه يحيى بن العلاء وهو كذاب. وحديث أبي هريرة: (من احتجم يوم الأربعاء ويوم السبت فأصابه وضع فلا يلومن إلا نفسه) رواه البزار من طريق سليمان بن أرقم وهو كذاب، ورواه الشيرازي في الألقاب والحاكم وتعقب والبيهقي. وحديث ابن عمر: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الحجامة يوم الثلاثاء رواه الطبراني في الكبير من طريق مسلمة بن علي الخشني. وروى الطبراني في الكبير وابن عدي وابن سعد عن معقل بن يسار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: (الحجامة يوم

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٨٧). (٢) أخرجه أبو داود (٣٨٦١)، والبيهقي ٩ / ٣٤. (*)

[١٥٢]

الثلاثاء لسبع عشرة خلت من الشهر دواء لداء السنة) وفي لفظ: (من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة كان دواء لداء سنة) وفي لفظ: (أخرج الله منه داء سنة) انتهى. وروى ابن حبيب في الطب النبوي عن عبد الكريم الحضرمي معضلا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [الحجامة تكره أول النهار، ولا يرجى نفعها حتى ينقص الهلال] (١). وروى الطبراني [(٢) في الكبير من طريق أبي هرمر عن نافع عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يحتجم يوم الثلاثاء فقلت: في هذا اليوم تحتجم؟ قال: (نعم. ومن وافق منكم يوم الثلاثاء لسبع عشرة مضت من الشهر فلا يتجاوز حتى يحتجم. فاحتجموا. وروى الطبراني في الكبير أيضا برجال الصحيح عن زيد العمي عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار أن رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء السنة). وروى الطبراني في الكبير أيضا برجال ثقات، وفي سنده انقطاع عن ابن سيرين قال: أنفع الحجامة ما كان في نقصان الشهر. وروى البزار وأبو نعيم في الطب عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (احتجموا لخمسة عشرة أو لسبع عشرة أو لتسع عشرة أو إحدى وعشرين لا يتبغ عليكم الدم فيقتلكم). وروى العقيلي في الضعفاء من حديث أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالحجامة يوم الخميس فإنها تزيد في الأرب) قيل: وما الأرب؟ قال: (العقل) (٣). الرابع: في نهيه عن الحجامة في أيام مخصوصة. وروى الشيرازي في الألقاب وابن النجار عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تحتجموا يوم الخميس، فمن احتجم يوم الخميس فأصابه مكروه فلا يلومن إلا نفسه). ورواه الشيرازي في الألقاب والخطيب والديلمي وابن عساكر بلفظ: (فناله مكروه، فلا يلومن إلا نفسه).

(١) انظر كشف الخفا ١ / ٤١٥. (٢) ما بين المعكوفين سقط في أ. (٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٦ / ١٧. (*)

الخامس: في الحجامة على الريق. روى ابن ماجة وابن السني وأبو نعيم عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الحجامة على الريق أمثل، وفيها شفاء وبركة، وتزيد في الحفظ وفي العقل، فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت والأحد، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء فإنه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب وما يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء أو ليلة الأربعاء) (١). السادس: في أمره - صلى الله عليه وسلم - بدفن الدم وأمور جامعة. روى الطبراني بسند ضعيف عن أم سعد امرأة زيد بن ثابت - رضي الله تعالى عنهما - قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمر بدفن الدم إذا احتجم. وروى ابن سعد عن هارون بن رثاب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم ثم قال لرجل: (ادفنه لا يبحث عنه كلب). وروى عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم وهو صائم محرم. وروى ابن سعد عن جابر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم حجه أبو طيبة وأمر له بصاعين من طعام، ثم سأله: كم خراجك؟ قال: ثلاثة أصع فوضع عنه صاعا، وفي لفظ: فكلم أهله أن يضعوا عنه من ضربته صاعا. وروى ابن سعد عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: احتجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالقاحة وهو صائم وأعطى أجره ولو كان خبيثا ما أعطاه. وروى ابن سعد عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: أخرج إلينا أبو طيبة المحاجم لثمان عشرة من رمضان نهارا فقلت: أين كنت؟ قال: كنت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحجمه. قال ابن سعد: أخبرنا نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن أبي عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم وهو صائم فغشي عليه يومئذ، فلذلك كرهت الحجامة للصائم. وروى ابن سعد بسند فيه بشر بن سعيد والبخاري بسند ضعيف عن زيد بن ثابت - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم في المسجد. وروى ابن عدي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٤٨٨). (*)

يكتحل كل ليلة، ويحتجم كل شهر، ويشرب الدواء كل سنة. وروى الترمذي وابن ماجة والحاكم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (نعم العبد الحجام يذهب بالدم، ويخف الصلب ويجلو البصر). وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ثوبان - وهو متواتر - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أفطر الحاجم والمحجوم). وروى الحاكم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا اشتد الحر فاستعينوا بالحجامة، لا يتبغ الدم على أحدكم فيقتله). وروى أبو داود والدارقطني عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن أبا هند حجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في اليافوخ). تنبيهات الأول: قال الأطباء: الحجامة في وسط الرأس نافعة للدم جدا، والحجامة على الأذنين والعينين والأسنان والأنف وعصب الرأس ينفع من الشقيقة وغيرها من أوجاع الرأس. والحناء علاج خاص بما إذا كان الصداع من حرارة ملتهبة، ولم يكن من مادة يجب استفرغها، وإذا كان كذلك نفع الحناء نفعا ظاهرا، قالوا: وإذا دق وصمدت به

الجبهة مع الخل سكن الصداع، وهذا لا يختص بوجع الرأس بل يعم الأعضاء. الثاني: قال الشيخ في شرحه على ابن ماجه: ذهب جمع من الأئمة كأحمد وإسحاق إلى حمل حديث (أفطر الحاجم والمحتمم) على ظاهره وقال آخرون: تكره الحجامه للصائم، وحملوا الحديث على التشديد، ومعناه تعرضا للإفطار. الثالث: في بيان غريب ما سبق. القمحوءة: نقرة القفاء، وهي التي إذا استلقى الرجل أصابته الأرض من رأسه فمكان الإصلاية هي القمحوءة.

[١٥٦]

الباب الثاني والعشرون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الإسهال والقئ روى الطبراني في الكبير عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (ما لي أراك مرتة ؟) فقلت: شربت دواء أستمشي به قال: (وما هو) ؟ قلت: السرم قال: (ما لك وللسرم فإنه حار نار وعليكم بالسنة والسنة فإن فيهما دواء من كل شئ إلا السام) (١). وروى البخاري في تاريخه الكبير والترمذي وابن ماجه عن أسماء بنت عميس قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (بماذا كنت تستمشين) ؟ قالت: بالشبرم قال: (حار حار) ثم استمشيت بالسنة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لو أن شيئاً فيه شفاء من الموت لكان في السنة). وروى ابن ماجه والحاكم في الكنى وابن منة وقال: غريب والطبراني في الكبير وابن السنن وأبو نعيم في الطب والبيهقي وابن عساكر عن عبد الله ابن أم حرام قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول (عليكم بالسنة والسنة فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام) قيل: يا رسول الله وما السام ؟ قال: (الموت) (٢). وروى أبو نعيم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالسنة، فإن الله تعالى جعل فيه شفاء من كل داء). تنبيه في بيان غريب ما سبق: (الشبرم) قشر عروق شجرة وهو حار يابس، وهو في الدرجة الرابعة، وهو من الأدوية التي منع الأطباء من استعمالها لخطرها وفرط إسهالها، السنة: نبت حجازي أفضله المكى، وهو دواء شريف مأمون الغائلة، قريب من الاعتدال، حار يابس في الدرجة الأولى، يسهل الصفراء والسوداء، ويقوي جرم القلب، وهذه فضيلة شريفة فيه وخاصيته النفع من الوسواس السوداوي. قال الرازي: السنة والشاهترج يسهلان الأخلاط المحترقة، وينفعان من الجرب والحكة، قال: والشربة من كل واحد منهما من أربعة دراهم إلى سبعة. السنة: قيل هو العسل، وقيل هو رب عكة السمن يخرج خططا سوداء على السمن وقيل: حب يشبه الكمون وليس به، وقيل: هو الكمون الكرمانى، وقيل: إنه الرازيانج، وقيل:

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٣ وقال: رواه الطبراني من طريق وكيع بن أبي عبيدة عن أبيه عن أمه ولم أعرفهم. (٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤٥٧). (*)

[١٥٧]

إنه الشبث، وقيل: إنه العسل الذي يكون في زقاق السمن، قال بعض الأطباء: وهذا أجدر بالمعنى، وأقرب إلى الصواب، أي يخلط السنة مدفوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يعلق فيكون أصلح من استعماله مفردا، لما في العسل والسمن من إصلاح السنة، وإعانتة على الإسهال.

الباب الثالث والعشرون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الكي وفيه أنواع: الأول: فيما قيل إنه - صلى الله عليه وسلم - اكتوى قال الحافظ - رحمه الله تعالى -: لم أر في أثر صحيح أنه اكتوى، إلا أن القرطبي نسب إلى (أدب النفوس) للطبري أنه - صلى الله عليه وسلم - اكتوى ذكره الحلبي بلفظ (روى أنه اكتوى للجرح الذي أصابه بأحد) قال الحافظ: والثابت في الصحيح في غزوة أحد (أن فاطمة - رضي الله تعالى عنها - أحرقت حصيرا فحشيت به جرحه) وليس هذا الكي المعهود. الثاني: في نهيه - صلى الله عليه وسلم - عنه لغير حاجة. روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن عمران بن حصين - رضي الله تعالى عنه - نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكي، فاكتونا فما أفلحنا ولا أنجحنا). وروى الإمام أحمد بسند جيد عن عقبة بن عامر - رضي الله تعالى عنه - قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكي، وكان يكره شرب الحميم. وروى الطبراني في الكبير رجال الصحيح وابن قانع عن سعد الطفري - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - (نهى عن الكي) وفي لفظ قال: (أنهى عن الكي) وقال: (أكره شرب الحميم) (١). وروى الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين - رضي الله تعالى عنه - أن رجلا جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه أخوه وقد سقي فقال: يا رسول الله إن أخي قد سقي بطنه فأتينا الأطباء فأمروني بالكي أفأكويه؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تكوه وردة إلى أهله فمر به بعير، فضرب بطنه فأحمص بطنه فأتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (أما إنك لو أتيت به الأطباء، قلت: النار شفته) (٢). وروى الإمام أحمد رجال الصحيح ومسدد وأبو نعيم في الطب عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مكان الكي التكميد ومكان العلاق السعوط ومكان النخ اللدود) (٣).

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٠ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٠ وقال: رواه الطبراني في الثلاثة وفيه عبد الله بن عيسى الخزاز وهو ضعيف. (٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٠، ١٠١، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن إبراهيم لم يسمع من عائشة. (*)

وروى أبو نعيم في الحلية عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكره الكي والطعام الحار ويقول: (عليكم بالبارد فإنه ذو بركة، ألا وإن الحار لا بركة فيه). وروى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن المغيرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من اكتوى أو استرقى برئ من التوكل). وروى الطيالسي وابن حبان ومسدد والحاكم والطبراني في الكبير رجال ثقات عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - (أن ناسا من الأنصار أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: إن صاحبنا لنا مرض مرضا شديدا، وإنه نعت له الكي أفنكويه؟ فسكت، فعاودناه فسكت، ثم عاودناه الثالثة، فقال: (ارصفوه احرقوه، وكره ذلك)، وفي لفظ أبي يعلى: (إن شئتم فاكوه وإن شئتم فارصفوه) (١). وروى مسدد وابن أبي شيبة بسند ضعيف عن جابر - رضي الله تعالى عنه -: قال: اشتكى رجل منا شكوى شديدة فقال الأطباء: لا يبرأ إلا بالكي، فأراد أهله أن يكوه فقال

بعضهم: لا حتى نستأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستأمره فقال: (لا)، فبرأ الرجل فلما رآه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (هذا صاحب بني فلان) ؟ قالوا: نعم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن هذا لو اکتوى لقال الناس: إنما برئ بالكبي). وروي الحارث مرسلًا عن العلاء بن زياد - رحمه الله تعالى - أن امرأة أتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بابن لها قد سقي بطنه فقالت: يا رسول الله إن ابني لمصاب فما ترى أفأكويه فقال: (لا تكويه) فأجمعت أن لا تكويه، فضربه بعير فخبطه أو لبطه وفقاً بطنه، فبرأ، فرجعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله استأذنتك في ابني أن تكويه فنهيته، فمر به بعير فخبطه أو لبطه ففقا بطنه ويزأ، فقال: أما إنني لو أذنت لك لزعمت أن النار هي التي شفته. الثالث: في كيه - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بيده. روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والبيهقي عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: [رمي سعد بن معاذ - رضي الله تعالى عنه -] (٢) في أكحله فحسمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده بمشقص ثم [ورمت فحسمه الثانية] (٣).

(١) انظر المجمع ٥ / ١٠٢ . (٢) سقط في أ. (٣) أخرجه مسلم ٤ / ١٧٣١ . (*)

[١٦٠]

وروى الطبراني برجال الصحيح عن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زارة قال: حدثني عمي أن أبا أمامة أصابه وجع يسميه أهل المدينة الذبح، فكواه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده (١). وروي أبو يعلى برجال الصحيح عن أبي بن كعب - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كواه. الرابع: في وصفه - صلى الله عليه وسلم - الكي لبعض أصحابه. روى الإمام أحمد والشياخان وأبو داود وابن ماجه عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: رمي أبي بن كعب - رضي الله تعالى عنه - يوم الأحزاب في أكحله فبعث إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه. وروي الطبراني في الكبير عن كعب بن مالك - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاد البراء بن معرور وقد أخذته ذبحة فأمر من يبطنه بالنار حتى يوجهه (٢). تنبيهات الأول: قال الأطباء: إنما يستعمل الكي في الخلط الباغى الذي لا تنحسم مادته إلا به، ولهذا وصفه - صلى الله عليه وسلم - ثم نهى عنه، وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم، ولهذا كانت العرب تقول في أمثلتها: (آخر الدواء الكي) والنهي فيه محمول على الكراهة، أو على خلاف الأولى لما يقتضيه مجموع الأحاديث. وقيل: إنه خاص لعمران بن حصين، لأنه كان به الباسور، وكان موضعه خطر فنهاه عن كيه، فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح قال ابن قتيبة: الكي نوعان: كي الصحيح لئلا يعتل، فهذا الذي قيل فيه: لم يتوكل من اکتوى، لأنه يريد أن يدفع عنه القدر، والقدر لا يدافع. والثاني: كي الجرح إذا فسد، والعضو إذا قطع فهو الذي شرع التداوي له، فإن كان الكي لأمر محتمل فهو خلاف الأولى، لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لأمر غير محقق، قال الحافظ: وحاصل الجمع أن الفعل يدل على الجواز، وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على أن تركه أرجح من فعله، ولذا وقع الثناء على تركه، وأما النهي عنه فإما على سبيل الاختيار والتنزيه، وإما عما لا يتعين طريقاً للشفاء.

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠١ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٢ وقال: رواه الطبراني وفيه عيسى بن عبد الرحمن من ولد النعمان بن بشير وهو ضعيف. (*)

[١٦١]

الباب الرابع والعشرون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الحمى روى الإمام أحمد برجال ثقات، وفيه راو لم يسم، عن أبي بشير الأنصاري - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في الحمى: (أبردوها بالماء، فإنها من فيح جهنم) (١). وروى الطبراني والبزار عن سمرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى قطعة من النار فأبردوها عنكم بالماء البارد) وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا حم دعى بقربة من ماء فأفرغها على قرنه فأغتسل. وروى الطبراني في الكبير برجال ثقات عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: إذا حم أحدكم فليسن عليه من الماء البارد ثلاث ليال. وروى الطبراني عن عبد الرحمن بن المرفع أن المسلمين في غزوة خيبر وقعوا في الفواكه فأخذتهم الحمى، فشكوا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (إن الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الأرض فبردوا لها الماء في الشنان وصبوا عليكم فيما بين الأذنين أذان المغرب وأذان العشاء)، ففعلوا فذهبت عنهم فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبروه بذلك فقال: (إنه لا وعاء إذا ملئ شر من بطن قال: فإن كنتم لا بد فاعلين فاجعلوها ثلثا للطعام وثلثا للشرب وثلثا للريح أو النفس) (٢). وروى أبو يعلى والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم والنسائي والضياء عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: (إذا حم أحدكم فليسن عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر). وروى الإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس والإمام أحمد والبيهقي والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء). وروى والبيهقي والترمذي وابن ماجه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - والإمام أحمد والبيهقي والترمذي والنسائي وابن ماجه عن رافع بن خديج والبيهقي والترمذي وابن ماجه عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء). وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى كير من جهنم فما أصابت المؤمن منها كان حظه من النار).

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٧. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٧، ٩٨ وقال: رواه الطبراني وفيه المحبر بن هارون ولم أعرفه، وبقيته رجاله ثقات. (*)

[١٦٢]

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الحمى كير من جهنم، فنحوها عنكم بالماء البارد). وروى الطبراني في الكبير عن أبي ربحانة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى كير من جهنم وهي نصيب المؤمن من النار). وروى الطبراني في الأوسط عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى حظ أمتي من النار). وروى ابن قانع عن أسد بن كرز أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى تحت الخطايا كما تحت الشجرة ورقها). وروى ابن السني وأبو نعيم في الطب عن

أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى رائد الموت وسجن الله في الأرض). وروى البيهقي في الشعب عن الحسن مرسلًا، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى رائد الموت وسجن الله في الأرض المؤمن، يحبس بها عبده إذا شاء ثم يرسله إذا شاء، ففتروها بالماء). وروى البزار عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى حظ كل مؤمن من النار). وروى ابن أبي الدنيا عن عثمان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى حظ المؤمن من النار يوم القيامة). وروى القضاعي عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحمى حظ كل مؤمن من النار، وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة، وروى الطبراني في الكبير والحاكم عن سمرة - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا حم دعا بقرية من ماء فأفرغها على قرنه فاغتسل. وروى الطبراني في الكبير عن عبد ربه بن سعيد بن قيس عن عمته أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن أم ملام تخرج خبث ابن آدم كما يخرج الكير خبث الحديد). وروى ابن ماجة عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تسبوا الحمى فإنها تنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد). وروى الإمام أحمد والترمذي وقال حسن غريب، وابن السني في عمل اليوم والليلة، وأبو نعيم في الطب، والطبراني في الكبير عن ثوبان - رضي الله تعالى عنه - قال: قال

[١٦٣]

رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا أصاب أحدكم الحمى، فإن الحمى قطعة من نار) ولفظ الطبراني: (من نار جهنم فليطفئها عنه بالماء) زاد الطبراني (البارد فلينع في نهر جار، ويستقبل جريته ويقول: بسم الله، اللهم اشف عبيدك، وصدق رسولك) هذا بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس، ولينعس فيه ثلث غمسات ثلاثة أيام، فإن لم يبرأ في ثلاث فخمس، فإن لم يبرأ فسبع، فإن لم يبرأ فتسع، فإنها لا تكاد تجاوز تسعا بإذن الله تعالى. وروى النسائي وأبو يعلى والحاكم وأبو نعيم والضياء عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا حم أحدكم فليسن عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر). قال الضياء وروى: (فليشن) أي بالمعجمة ولعله تصحيف. تنبيهات الأول: قوله - صلى الله عليه وسلم - (فأبردوها بالماء) زاد في رواية (البارد) قيل: المراد بغسله بالماء إن قيل: الإبراد والإطفاء بحقن الحرارة إلى الباطن فتزيد الحمى وربما يهلك؟ أوجب بأن المراد من ذلك الحمى الصفراوية، فإن أصحاب الصناعة الطبية يسلمون أن تبريد صاحبها أن يستقي بالماء البارد ويغسل أطرافه به، وقيل: المراد الرش بين البدن والثوب، وقيل: المراد التصديق بالماء عن المريض ليشفه الله تعالى، لما رواه الإمام أحمد غيره وأولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما فعلته أسماء بنت الصديق - رضي الله تعالى عنها - فإنها كانت ترش على البدن المحموم شيئًا من الماء بين يديه وثوبه، فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها، والصحابي ولا سيما مثل أسماء التي كانت ممن يلزم بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - أعلم بالمراد من غيرها. الثاني: اختلف في نسبتها إلى جهنم فقيل: حقيقة، واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم، وقد الله ظهورها بأسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك، كما أن أنواع الفرح واللذة من نعيم الجنة، أظهرها في هذه الدار عبرة ودلالة، وقيل: بل الخبر ورد مورده التشبيه والمعنى أن حر الحمى شبيه بحر جهنم، تنبيهًا للنفوس على شدة حر النار، وأن هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرپ منها من حرها. الثالث: قال ابن القيم: قوله (بالماء) فيه قولان: أحدهما: أنه كل ماء وهو الصحيح. الثاني: أنه ماء زمزم.

واختلف من قال: إنه على عمومه هل المراد به الصدقة بالماء أو استعماله على قولين والصحيح أنه استعماله. قال الإمام المازري: لا شك أن علم الطب من أكثر العلوم احتياجاً إلى التفصيل حتى أن المريض يكون الشئ دواء له في ساعة، فيصير داء له في الساعة التي تليها لعارض يعرض له، فإذا فرض وجود الشفاء لشخص بشئ من حاله ما لم يلزم منه وجود الشفاء به له أو لغيره في سائر الأحوال، والطباء مجتمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء والتأثير المألوف وقوة الطباع، ويحتمل أن يكون هذا في وقت مخصوص، فيكون من الخواص التي اطلع عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - بالوحي، ويضمحل عند ذلك جميع كلام أهل الطب. الخامس: جعل ابن القيم خطابه - صلى الله عليه وسلم - خاصاً بأهل الحجاز وما والاهاً إذا كان أكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس، قال: وهذا ينفع فيها الماء البارد شرباً واغتسالاً لأن الحمى حرارة تستعمل في القلب، وتنبت منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى جميع البدن، وهي قسمان: عرضية وهي الحادثة عن ورم أو حركة أو إصابة حرارة الشمس ونحو ذلك ومرضية: وهي ثلاثة أنواع، وتكون من مادة ومنها ما يسخن جميع البدن، فإن كان مبدأ تعلقها بالروح سميت حمى يوم، لأنها في الغالب تزول في يوم، ونهايتها ثلاثة أيام وإن كان مبدأ تعلقها بالأخلاق سميت عفنية، وهي أربعة أصناف: صفراوية وسوداوية وبلغمية ودموية. وتحت هذه الأنواع المذكورة أصناف كثيرة بسبب الأفراد والتركيب انتهى.

الباب الخامس والعشرون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في المعيون وفيه أنواع: الأول: في أن العين حق وجل من يموت بها. روى أبو يعلى والطيالسي والبخاري في التاريخ والحكيم والضياء والبخاري ورجال ثقات غير طالب بن حبيب بن عمر بن سهل الأنصاري وهو ثقة، قاله الهيثمي عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (جل) وفي لفظ (أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله عز وجل وكتابه وقدره بالأنفوس يعني بالعين) (١). وروى الإمام مالك [...] . وروى أبو داود الطيالسي والإمام أحمد وابن حبان والحاكم والطبراني في الكبير والضياء عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (على ما يقتل أحدكم أخاه ألا بركت؟ إن العين حق ترصاً له) وفي لفظ (اغتسل له إذا رأى أحدكم شيئاً يعجبه فليبرك) (٢). وروى النسائي وابن ماجه والطبراني في الكبير عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف والطبراني في الكبير عنه عن أبيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (على ما يقتل أحدكم أخاه، إذا رأي من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة) (٣). وروى ابن قانع عن أبيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (على ما يقتل أحدكم أخاه، وهو عن قتله غني، إن العين حق فمن رأى من أحد شيئاً يعجبه أو من ماله فليبرك عليه فإن العين حق). وروى الإمام أحمد والبخاري ورجال ثقات والبيهقي عن أبي ذر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إن العين لتولع الرجل بإذن الله تعالى حتى يصعد حالقا ثم يتردى منه) (٤). وروى الطبراني في الكبير عن أسماء بنت عميس - رضي الله تعالى عنها - قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (نصف ما يحفر لأمتي من القبور من العين) (٥).

(١) انظر المجمع ٥ / ١٠٩. (٢) أخرجه ابن حبان في موارد الظمان (١٤٢٤). (٣) أخرجه البيهقي ٩ / ٣٥١. (٤) ذكره البيهقي في المجمع ٥ / ١٠٩ وقال: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات. (٥) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٩ وقال: رواه الطبراني وفيه علي بن عروة الدمشقي وهو كذاب. (*)

[١٦٦]

وروى الإمام أحمد والطبراني في الكبير والحاكم بسند لا بأس به عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (العين حق حتى يستنزل الحالق). ورواه مسلم عنه بلفظ: [(العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين). ورواه الإمام أحمد برجال الصحيح والكجى في سننه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [(١) (العين حق، ويختص بها الشيطان وحسد بني آدم). وروى ابن ماجة والحاكم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [(استعيذوا بالله من العين فإن العين حق). وروى ابن عدي وأبو نعيم في الحيلة عن جابر وابن عدي عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - [(٢) قال: (العين حق تدخل الجمل القدر، والرجل القبر). وروى الإمام أحمد ومسلم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فأغسلوا). وروى ابن ماجة عن عامر بن ربيعة والإمام أحمد والبيهقي وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (العين حق). الثاني: في أمره - صلى الله عليه وسلم - بالاسترقاء للمعيون. روى أبو يعلى والطبراني برجال الصحيح إلا شيخه سهل بن مودود فيحرق حاله عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: دخل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندنا صبي يشتكي فقال: (ما هذا) ؟ قلنا: إنما به العين قال: (ألا تسترقون له من العين) (٣). وروى البيهقي عنها قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (استرقوا لها فإن لها النظرة). وروى الحكيم [عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أفلا استرقيتم لها فإن ثلث منايا أمتي من العين). روى البيهقي عنها قالت: قالت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (استرقوا لها فإن لها النظرة).

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (٢) ما بين المعكوفين سقط في أ. (٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١١٥ وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه سهل بن مودود ولم أعرفه، وبقيته رجاله رجال الصحيح. (*)

[١٦٧]

وروى البزار [(١) عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من رأى شيئاً فأعجبه) فقال: (ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره). وروى البزار برجال ثقات عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا رقية إلا من عين أو حمة) (٢). وروى الطبراني بسند حسن عن عبادة بن الصامت - رضي الله تعالى عنه - قال: كنت أرقى من حمة العين في الجاهلية، فلما أسلمت ذكرتها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (أعرضها على)، فعرضتها عليه، فقال: (ارق بها فلا بأس)، ولو لا ذلك ما رقيت بها إنساناً أبداً (٣). وروى البزار عن

أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره). وروى مسلم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمر أن يستترقى من العين. الثالث: في أمره - صلى الله عليه وسلم - العائن بالوضوء وصبه على المعين روى الإمام مالك وأحمد وابن معين برجال ثقات عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمر بالذي أصاب بعين أن يتوضأ ويغتسل به المعين) (٤). روى الإمام مالك وأحمد برجال الصحيح عن محمد بن أبي أمامة، وابن أبي شيبة والطبراني برجال الصحيح عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه وابن أبي شيبة والطبراني والنسائي برجال الصحيح عن عامر بن ربيعة والإمام أحمد برجال الصحيح والطبراني عن [...] قال سهل: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج وسار نحو مكة حتى إذا كان بشعب الخرار من الجحفة قال عامر: انطلقت أنا وسهل بن حنيف نلتمس الخمر فوجد خمرا وغديرا، وكان أحدنا يستحي أن يغتسل وأحد يراه، فاستتر مني حتى إذا رأى أن قد فعل نزع جيبته عليه من كساء ثم دخل الماء، فنظرت إليه نظرة فأعجبني خلقه قال محمد: وكان سهل شديد البياض حسن الخلق، وقال سهل: فقال عامر: ما رأيت كالليوم ولا جلد مخبأة فليط به حتى ما يعقل من شدة الوجع، وقال عامر: فأصبته بعيني فأخذه قعقة وهو في الماء فانطلقت إلى

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (٢) أخرجه أحمد ١ / ٢٧١، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٢٨٣٦٥). (٣) انظر المجمع ٥ / ١١٤. (٤) أخرجه أبو داود (٣٨٨٠). (*)

[١٦٨]

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته الخبر، وقال محمد: فوعك سهل مكانه فاشتد وعكه فأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل له: هل لك في سهل ما يرفع رأسه؟ وكان قد اكتتب في جيش فقالوا: هو غير رابح معك يا رسول الله، والله ما يفيق، قال عامر: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوما، فأتاه فرفع عن ساقه، ثم دخل إليه الماء، فلما أتاه ضرب صدره فقال: (اللهم أذهب حرها وبردها ووصبها) ثم قال: (قم) فقام وفي حديث محمد والزهري فقال: (من تتهمون به) فقال عامر: فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتغيط عليه، وقال: (علام يقتل أحدكم أخاه، إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع بالبركة)، وفي رواية: (ألا بركت) ثم دعا بماء في قدح فأمر عامر أن يتوضأ، فغسل وجهه وبديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف قدميه وداخله إزاره في قدح، وأمره أن يصب الماء عليه من حلقه على رأسه وظهره ثم يكفي القدر وراءه، ففعل به مثل ذلك، فراح سهل مع الناس ليس به بأس، زاد الطبراني: قال ابن شهاب: الغسل الذي أدركت عليه علماءنا يصنعون أن يؤتى الرجل الذي يعين صاحبه بالقدر فيه الماء، فيمسك له مرفوعا من الأرض، فيدخل الذي يعين صاحبه يده اليمنى في الماء ويمض ثم يمجه في القدر، ثم يدخل يده اليمنى في الماء فيصب على وجهه الماء صبة واحدة في القدر، ثم يدخل يده اليمنى ويغسل يده اليسرى صبة واحدة في القدر إلى المرفقين، ثم يدخل يديه جميعا فيغسل صدره صبة واحدة، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفق يده اليمنى صبة واحدة في القدر وهو في يده إلى عنقه، ثم يفعل ذلك في مرفق يده اليسرى، ثم يفعل مثل ذلك على ظهر قدمه اليمنى من عند أصول الأصابع واليسرى كذلك، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ظهر ركبته اليمنى، ثم يفعل باليسرى كذلك، ثم يغمس داخل إزاره اليمنى، ثم يقوم الذي في يده القدر بالقدر فيصبه على رأس المعيون من ورائه، ثم يكفي القدر على ظهر الأرض

من ورائه (١). الرابع: في أمره - صلى الله عليه وسلم - بنصب الجماجم في الزرع لأجل المعين إن صح الخبر. روى البزار بسند ضعيف عن علي - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر بالجماجم أن تنصب في الزرع فقلت: من أجل ماذا ؟ قال: (من أجل العين) (٢).

(١) أخرجه أحمد ٤٨٦ / ٣ والبيهقي في الشعب ٦ / ١٦٣. وابن كثير في التفسير ٨ / ٢٢٢، وذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١١١، ١١٢. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١١٢ وقال: رواه البزار وفيه الهيثم بن محمد بن حفص وهو ضعيف ويعقوب بن محمد الزهري ضعيف أيضا. (*)

[١٦٩]

تنبيهات الأول: العين نظر باستحسان مشوب، تحل من خيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر. قال بعضهم: وإنما يحصل ذلك من سم يصل من عين العائن في الهوى إلى بدن المعيون، ونظير ذلك الحائض تضع يديها في إناء اللبن فيفسد، ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد، وأن الصحيح ينظر في عين الأرمد فيرمد، وينشأ أحد بحضرتة فينشأ هو. الثاني: قوله - صلى الله عليه وسلم - العين حق أي: الإصابة بها شئ ثابت موجود، قال الإمام المازري: أخذ بظاهر الحديث الجمهور، وأنكره طوائف من المبتدعة لغير معنى، لأن الشارع أخبر بوقوعه. الثالث: استشكل بعض الناس هذه الإصابة فقال: كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون ؟ وأجيب بأن طبائع الناس تختلف، فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن في الهوى إلى بدن المعيون، وقد نقل عن بعض من كان معيانا أنه قال: إذا رأيت شيئا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني، ومن ذلك الحائض إذا وضعت يدها في إناء اللبن أفسدته، ولو وضعتها بعد طهرها لم تفسد. الرابع: قال الإمام المازري: الذي يتمشى على طريقة أهل السنة أن العين إنما تصدر عن نظر العائن بعادة أجزاها الله تعالى أن يحدث الضرر عند مقابلة شخص آخر، خلافا لبعض الأطباء، يعني القائل بأن العائن يبعث من عينه قوة سمية تنصل بالمعيون فيهلك أو يفسد، وهو كإصابة السم وقد أجرى الله تعالى العادة بحصول الضرر عندها خلافا للفلاسفة وقد أجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الأجسام والأرواح، كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتسمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك، وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه وكثير من الناس يسقم لمجرد النظر إليه، ويضعف قواه، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات أشد ارتباطا بالعين وليست هي المؤثرة، وإنما التأثير للروح، والأرواح مختلفة في طبائعها وكيفياتها الخبيثة وخواصها، فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية لخبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة. والحاصل أن التأثير بإرادة الله تعالى، وخلق له ليس مقصورا على الاتصال الجسماني، بل تارة يكون به وتارة يكون بالمعانية، وأخرى بمجرد الرؤية، وأخرى بتوجيه الروح. الخامس: قال ابن القيم: والمقصود العلاج النبوي لهذه العلة، فمن التعوذات والرقى الإكثار من قراءة المعوذتين والفتحة وآية الكرسي.

[١٧٠]

والتعوذ النبوي نحو: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة. ونحو: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما خلق وذرا وبرا ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج

منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن. وإذا كان يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله (اللهم بارك عليه) كما قال - صلى الله عليه وسلم - لعامر بن ربيعة لما عان [سهل بن حنيف] (١): ألا باركت عليه. السادس: ومما يدفع إصابة العين قوله (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وما رواه مسلم أن جبريل رقي النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال (بسم الله أرقيك، من كل شر يؤذيك، ومن شر كل ذي نفس أو عين حاسدة، الله يشفيك، بسم الله أرقيك). وروى عن عائشة - رضي الله تعالى عنها -: (بسم الله يبرئك، من كل داء يؤذيك ومن شر حاسد إذا حسد، ومن شر كل ذي عين). السابع: قال الإمام المازري: المراد بداخله الإزار الطرف المتدلي مما يلي حقه الأيمن، قال: وطن بعضهم أنه كناية عن الفرج، وزاد القاضي عياض: أن المراد ما يلي حسده من إزاره، وقيل: موضع الإزار من الجسد، وقيل: وركه، لأنه معقد الإزار، قال المازري: وهذا المعنى مما يمكن تعليقه ومعرفة وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه. وقال ابن العربي: إن توقف مبتدع، قلنا له: الله ورسوله أعلم، وقد عضدته التجربة وصدفته المعاينة، أو يتفلسف: فالرد عليه أظهر، لأن الأدوية عنده تفعل بقواها، وقد تفعل بمعنى ما يدركه ويسمون ما هذا سبيله [الخواص. تنبيه في غريب ما سبق] (٢):...

(١) في أشهر من ربيع. (٢) سقط في ب. (*)

[١٧١]

الباب السادس والعشرون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في المجذومين وروى أبو يعلى وعبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند بسند لا بأس به، عن علي وأبو يعلى والطبراني بسند لا بأس به، عن الحسن بن علي، والطبراني برجال ثقاة عن الوليد ابن حماد شيخه عن معاذ بن جبل، والطبراني والطيالسي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تديموا النظر إلى المجذومين) زاد علي وابنه (وإذا كلمتموهم فليكن بينكم وبينهم قيد رمح) (١). وروى ابن السنني وأبو نعيم في الطب عن عبد الله بن أبي أوفى، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين) (٢). وروى الحارث بسند ضعيف وابن عدي عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بعسفان وادي المجذومين فأسرع السير، وقال: إن كل شئ من الداء يعدي يعني الجذام). وروى أبو نعيم في الطب عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عبار المدينة يبرئ من الجذام). وروى البخاري في التاريخ وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (اتقوا المجذوم كما يتقى الأسد). وروى ابن السنني وأبو نعيم معاً في الطب عن أبي بكر بن محمد عن سالم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عبار المدينة يبرئ من الجذام). [وروى ابن سعد عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال (اتقوا صاحب الجذام كما يتقى السبع إذا هبط واديا فاهبطوا غيره) (٣)] (٤). وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (غسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمان من الجذام). وروى ابن النجار عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (نبات الشعر في الأنف أمان من الجذام) (٥).

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٥٤٣)، وانظر المجمع ٥ / ١٠١. (٢) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٢٨٣٣٩). (٣) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٢٨٣٣٣). (٤) ما بين المعكوفين سقط في أ. ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٣، ١٠٣ وقال: رواه أبو يعلى والبخاري والطبراني في الاوسط وفيه أبو الربيع السمان وهو ضعيف. (*)

[١٧٢]

وروى الاربعة والحاكم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (كل بسم الله، ثقة بالله، وتو كلاً على الله) (١). وروى الطحاوي عن أبي ذر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (كل مع صاحب البلاء تواضعا لربك وإيماناً) (٢). وروى الحارث عن ضمرة بن حبيب قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن التخلل بعود الريحان والرمان، وقال: (إنه يحرك عرق الجذام) (٣). وروى البيهقي وأبو داود عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (فمن أعدى الأول) (٤). وروى الامام أحمد والبيهقي وأبو داود عن أبي هريرة والامام أحمد ومسلم عن السائب ابن يزيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا عدوى ولا صفر ولا هامة) (٥). وروى الامام أحمد ومسلم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول) (٦). وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) (٧). وروى الامام أحمد والبيهقي عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا عدوى ولا طيرة وإنما الشؤم في ثلاثة في الفرس والمرأة والدار) (٨). وروى الامام أحمد وأبو داود عن سعد بن مالك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا هامة ولا عدوى ولا طيرة وإن تكن الطيرة في شئ فففي الفرس المرأة والدار) (٩). وروى الامام أحمد ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لا طيرة وخيرها الغال، الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم) (١٠).

(١) أخرجه الترمذي (١٨١٧)، وابن ماجة (٢٥٤٣). (٢) انظر ضعيف الجامع (٤٢٠٣). (٣) انظر اللآلئ (٢ / ٢٥٧)، والمنهاج السوي ص ٢٧٠. (٤) أخرجه مسلم ٤ / ١٧٤٢ (٢٣٣٠). (٥) أخرجه مسلم ٤ / ١٧٤٢ (٢٣٣٠). (٦) أخرجه مسلم ٤ / ١٧٤٤ (٢٣٣٣). (٧) أخرجه مسلم ٤ / ١٧٤٦. (٨) أخرجه البخاري كتاب الطب باب لا عدوى (٥٧٥٣). (٩) أخرجه أبو داود ٤ / ٢٣٦ (٣٩٢١). (١٠) أخرجه مسلم ٤ / ١٧٤٥ (٢٣٣٣). (*)

[١٧٣]

وروى الامام أحمد والبيهقي وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الغال الصالح، والغال الصالح: الكلمة الحسنة). وروى أبو داود عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا عدوى ولا طيرة ولا نوء ولا صفر) (١). وروى الامام أحمد وابن ماجة عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [لا عدوى ولا طيرة ولا هامة] قبل: يا رسول الله أرأيت البعير يكون به الجرب فيجرب الابل كلها قال: (ذلكم القدر فمن أجرب الأول) (٢). وروى الامام أحمد والبخاري عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من

[١٧٥]

التخلل بعود الريحان الرمان، وقال: (إنه يحرك عروق الجذام). وفيه عن قبيصة بن ذؤيب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا تتخللوا بقصب أس ولا قصب ريجان، فإنى أكره أن يحرك عرق الجذام). وفيه عن الأوزاعي مرفوعاً أنه - عليه الصلاة والسلام - نهى عن التخلل بالأس وقال: (إنه يسقي عرق الجذام) (١). وفيه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء، الجنون والجذام والبرص) (٢) وفيه عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا بلغ العبد أربعين سنة عوفي من أنواع البلاء: الجنون والجذام والبرص) (٣). وفيه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الشعر في الأنف أمان من الجذام). وروى [عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الشعر في الأنف والأذنين أمان من الجذام)] (٤). وفيه عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لا تكرهوا أربعة فإنها لأربعة، لا تكرهوا الرمذ، فإنه يقطع عروق العمى، ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام، ولا تكرهوا السعال. فإنه يقطع عروق الفالج، ولا تكرهوا الدماميل فإنها تقطع عروق البرص) (٥). تنبيهات الأول: قوله - صلى الله عليه وسلم - لا عدوى: أي لا سراية للمرض عن صاحبه إلى غيره وقيل: نهى عن أن يقال ذلك أن يعتقد، وقيل: هو خير أي: لا تقع عدوى بطبعها، ولكن قد تكون بقضاء الله وقدره وإجرائه العادة في العدوى من المجذوم بفعل الله وخلقه. وقال ابن بطال: لا عدوى عام مخصوص. أي: لا عدوى إلا من المجذوم وقوله (لا نوء) [....].

(١) انظر المنهج السوي ٢٧٠. (٢) أخرجه أحمد ٣ / ٢١٧. (٣) انظر كنز العمال (٤٣٦٥٩). (٤) ما بين المعكوفين سقط في ب. (٥) أخرجه ابن عدى في الكامل ٧ / ٢٦٩٧. (*)

[١٧٦]

وقوله ولا طيرة - بكسر الطاء وفتح التحتية، وقد تسكن - التشاؤم كما كانت العرب تعتقده من التطبير بالطير وغيره، إذ كانوا ينفرون الطباء والطيور فإذا أخذت ذات اليمين تركوا به ومضوا في حوائجهم، وإذا أخذت ذات الشمال رجعوا عن ذلك وتشاءموا بها فأبطله الشرع، وأخبر أنه لا تأثير له في نفع ولا ضرر، ولا يعارضه الشؤم في ثلاث لأنه في معنى المستثنى منه، فهو كما قال الخطابي عام مخصوص. وقوله: (ولا هامة) بتخفيف الميم على الصحيح طائر، وقيل: هو البومة قالوا: إذا سقطت على دار أحدهم وقعت فيه مصيبة، وقيل: إنهم كانوا يعتقدون أن عظام الميت تنقلب هامة وتطير. وقوله: ولا صفر بفتحتين قيل: حية تكون في البطن تصيب الماشية الناس، وهي: أعدى من الجرب، وقيل: هو داء يأخذ البطن، وقيل: هو تأخير المحرم إلى صفر.

[١٧٧]

الباب السابع والعشرون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الجسد المقمل وكذا الرأس روى البزار عن عبد الرحمن بن عوف أنه شكى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الدواب فأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يلبس الحرير. وروى البخاري عنه وأبو نعيم في الطب عن أنس أن الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف شكيا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القمل فرخص لهما في لبس الحرير. وفي رواية: أُرخص لهما في لبس الحرير من حكة كانت بهما، فيحتمل كما قال الحافظ أن تكون إحدى العلتين بأحد الرجلين، أو أن الحكة حصلت من القمل، فنسب العلة تارة إلى سبب، وتارة إلى المسبب (١). وروى أبو نعيم في الطب عن عبد الرحمن بن عوف - رضى الله تعالى عنه - أنه شكى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القمل فرخص له في لبس الحرير قميص أبيض.

(١) أخرجه البخاري ٦ / ١١٨، وأحمد (٢٩٢٠). (*)

[١٧٨]

الباب الثامن والعشرون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - السحر روى الامام أحمد عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (في عجوة أول البكرة على ريق النفس شفاء من كل سحر أو سم). وروى مسلم عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن في عجوة العالية شفاء وإنها ترياق أول البكرة على الريق) (١). وروى الشيخان عن سعد بن أبي وقاص - رضى الله تعالى عنه - مرفوعا (من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر) وفي رواية لمسلم (من أكل سبع تمرات مما بين لا يبتئها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي) (٢). تنبيهات الاول: قال ابن العربي: السحر، قول مؤلف يعظم به غير الله الكائنات والمقادير وهو من الكبائر بالاجماع، قال مالك: الساحر كافر يقتل ولا يستتاب، ولا تقبل توبته. وقال النووي: قد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا، بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر وإلا فلا وأما عمله فحرام وإذ لم يكن فيه ما يقتضى الكفر عذر فاعله واستتيب منه، ولا يقتل عندنا، وإن مات قبلت توبته. قال القاضي عياض: ويقول مالك: قال أحمد بن محمد بن حنبل وهو يروي عن جماعة من الصحابة والتابعين. الثاني: اختلف هل له حقيقة، قال النووي: وهو الصحيح، وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء، وبدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة، أو لا حقيقة له، وهو اختيار أبي جعفر الاستربادي من الشافعية وأبى بكر الرازي من الحنفية وطائفة. وقال الحافظ: محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب أعيان أو لا ؟ فمن قال: إنه تخيل فقط منع من ذلك، والقائلون بأن له حقيقة اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض، أو ينتهي إلى الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه ؟ فالذي عليه

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٨)، وأحمد ٦ / ١٠٥. (٢) أخرجه البخاري في الطب (٥٧٦٩). (*)

[١٧٩]

الجمهور هو الاول، وقال الامام المازري - رضى الله تعالى عنه -: جمهور العلماء على إثبات السحر، لان العقل لا ينكر أن الله تعالى قد خرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام، أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من حذاق الاطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى الضار منها بفرده فيصير نافعا بالتركيب [وقيل: لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله، لان المقام مقام تهويل، والصحيح من جهة العقل أن] (١) يقع به أكثر من ذلك، والاية وإن كانت ظاهرة في ذلك فليست ناصية في منع الزيادة. قال الامام المازري: الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك إنما تقع غالبا اتفاقا، والمعجزة تمتاز عن الكرامة بالتحدي.

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

[١٨٠]

الباب التاسع والعشرون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الرمد وضعف البصر روى الامام أحمد رجال الصحيح والشيخان وابن ماجه وأبو داود والترمذي عن سعيد ابن زيد وأبو نعيم في الطب عن ابن عباس وعن عائشة - رضى الله تعالى عنهم - قال: قال رسول الله - - صلى الله عليه وسلم -: (الكمة من المن) وفي لفظ: الذي أنزل الله على بني إسرائيل وفي لفظ: (المن والسلوى وماؤها شفاء للعين) (١). وروى الامام أحمد رجال الصحيح عن أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (خير أكلكم الاثمد ينبت الشعر ويجلو البصر) (٢). وروى الطبراني بسند جيد عن علي - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: قال: (عليكم بالاثمد، فإنه منبته للشعر، مذهبة للقدى، مصفاة للبصر) (٣). وروى الترمذي عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اكتحلوا بالاثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر) (٤). وروى البيهقي في الشعب عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا) (٥). وروى الامام أحمد عن معبد بن هوزة - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (اكتحلوا بالاثمد المروح، فإنه يجلو البصر وينبت الشعر) (٦). وروى البخاري في التاريخ عن النعمان الانصاري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الاثمد يجلو البصر وينبت الشعر) (٧). وروى أبو نعيم في الحلية والطيالسي والبيهقي عن ابن عباس وابن النجار عن أبي هريرة وعبد بن حميد وابن ماجه وابن منيع وأبو يعلى والعقيلي في الضعفاء والضعفاء عن جابر وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر، وأبو نعيم في الحلية وابن السني الطبراني في الكبير عن علي،

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٩). (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٩ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. (٣) انظر المجمع ٥ / ٩٩. (٤) أخرجه الترمذي ٥ / ٤٤٧، وأبو داود (٢٨٧٨). (٥) أخرجه البيهقي في الشعب ٣ / ٣٦٧. (٦) أخرجه أبو داود (٢٣٧٧). (٧) أخرجه البخاري في التاريخ ٤ / ١ / ٣٩٨. (*)

[١٨١]

والبغوي في مسند عثمان - رضي الله تعالى عنهم - أن رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالاثمد عند النوم) وفي لفظ: (بالكحل فإنه يجلو البصر وينبت الشعر) وفي لفظ: (فإنه ينبت الشعر ويشد العين) (١). وروى أبو نعيم وابن السنني عن صهيب - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالكأمة الرطبة فإنها من المن وماؤها شفاء للعين) (٢). وروى البغوي والبيهقي والدلمي عن عبد الرحمن بن النعمان بن معبد بن هوزة الانصاري عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تكتحل بالنهار وأنت صائم بالاثمد اكتحل بالاثمد ليلا فإنه يجلو البصر وينبت الشعر) (٣). وروى الامام أحمد والطبراني بسند جيد عن عمرو بن حريث قال: حدثني أبي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين) (٤). وروى أبو نعيم عن أبي سعيد - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الكأمة من المن والمن من الجنة وماؤها شفاء للعين) (٥). وروى أبو نعيم في الطب عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا هم إلا هم الدين ولا وجع إلا وجع العين) (٦). وفيه عن عبد الرحمن بن النعمان بن معبد بن هوزة عن أبيه عن جده قال: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نكتحل بالاثمد المروح، وقال: ليتقه الصائم قال عبد العزيز: قيل لابي النعمان: ما المروح؟ قال: المسك (٧). وروى فيه أن عثمان بن عفان تحير عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المحرم يشتكى عينيه قال يصمدهما بالصبر، وفيه عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تكرهوا الرمذ فإنه يقطع عرق العمى). وفيه عن صهيب أنه قال: قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة وبين يديه تمر فقال:

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٩٦)، والترمذي في الشمائل (٥٠). (٢) انظر المنهج السوي ص ٣٢٥. (٣) انظر كنز العمال (٣٢٨٣٠). (٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩١ وقال: رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال من المن، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط، وبقيته رجاله رجال الصحيح. (٥) أخرجه ابن ماجه (٣٤٥٣). (٦) ذكره الهيثمي في المجمع ٢ / ٢١٣ وقال: رواه الطبراني في الصغير والاوسط وفيه مزين بن سهل قال الأزدي كذاب. (٧) أخرجه أبو داود ٣ / ٧٧٦ (٢٣٧٧). (*)

[١٨٢]

(ادن فكل) فأخذت أكل من التمر، فقال: (أتأكل تمرا وبك رمذ) ؟ فقلت: يا رسول الله أمصه من الناحية الأخرى، فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي لفظ: دخلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - فوجدته يتغذى وبين يديه تمر وترثم من خبز والترثم هو الخبر المفتوت وأنا أشتكي عيني فوقع في التمر أكله فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا صهيب أتأكل على عينيك وأنت رمذ، فقلت: أنا أكل على شقي الصحيح، وأنا أمزج مع النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى نظرت إلى نواجذه (١). وروى فيه عن أم سلمة قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إذا رمذت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ عينها) (٢). تنبيهات: الأول: الرمذ ورم حار يصعد من المعدة إلى الدماغ، فإن اندفع إلى الخياشيم أحدث الزكام أو إلى العين أحدث الرمذ أو إلى اللهاة والمنخرين أحدث الخناق بالخاء المعجمة والنون، أو إلى الصدر أحدث النزلة، أو إلى القلب أحدث الخبطة وإن لم ينحدر طلب نفاذاً، فلم يجد أحدث الصداغ. الكأمة: بفتح الكاف وسكون الميم وهمزة مفتوحة: نبات لا ورق له ولا ساق يوجد في الأرض من غير أن يزرع. وقوله: (من المن) قيل: إنه من المن المنزل على بني إسرائيل. قال الخطابي: ليس المراد أنها نوع من المن

الذي أنزل الله تعالى على بني إسرائيل، فإن الذي أنزل على بني إسرائيل كان كالترنجين الذي يسقط على الشجر، وإنما المعنى أن الكمأة شئ ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي، وإنما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة، لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة. قال ابن الجوزي: في المراد بكونها شفاء للعين قولان: أحدهما: أنه ماؤها حقيقة إلا أن أصحاب هذا القول اتفقوا على أنه لا يستعمل صرفا في العين، لكن اختلفوا كيف يصنع به على رأيين: أحدهما: أنه يخلط في الأدوية التي يكتحل بها حكاها أبو عبيد. ثانيهما: أنه يشق ويوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها، ثم يؤخذ الميل فيجعل في

(١) أخرجه الحاكم ٣ / ٣٩٩. (٢) انظر كنز العمال (١٨٣٤٢) (*).

[١٨٣]

ذلك الشق، وهو فاتر فيكتحل بمائها، لأن النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة وتبقي النافع منه، ولا يجعل الميل في مائها، وهي باردة يابسة فلا ينجح. وداء آخر تجعل الكمأة في قدر جديد ويصب عليها الماء، ليس معها ملح، ثم يؤخذ غطاء جديد بغم فيجعل على القدر فما جرى في الغطاء من بخار الكمأة فذلك الماء الذي يكتحل به. وروى ابن واقد: أن ماء الكمأة إذا انحصر ورثي منه الإثم كان من أصلح الأشياء للعين إذا اكتحل به يقوي أجفانها ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل. وروى أيضا: (إذا اكتحل بماء الكمأة وحده) وقيل: إذا كان لبرودة بماء العين من حرارة فماؤها مجرد شفاء وإلا فبالتركيب، وقيل: هو شفاء مطلقا. الباب الثلاثون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - من عرق الكلية روى الحارث وأبو نعيم في الطب والطبراني في الكبير والحاكم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن الخاصرة عرق الكلية إذا تحركت آذت صاحبها، فداووها بالماء المحرق والغسل) (١). وروى أبو نعيم في الطب عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الخاصرة عرق الكلية إذا تحركت آذت صاحبها، فداووها بالماء المحرق والغسل). وفيه عنها أن الخاصرة كانت تسهل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهرا قالت عائشة - رضي الله تعالى عنها - : فكنا ندعوها عرق الكلية.

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط في حديث طويل هو في إسناده من لم أعرفهم. (*)

[١٨٤]

الباب الحادي والثلاثون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - المفؤود روى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - قال: مرضت مرضا فأتاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعودني، فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي، وقال لي: إنك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فإنه رجل يتطبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن) (١). وروى ابن مندة عن سعد قال: مرضت، فعادني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (إني لأرجو أن يشفيك الله)، ثم قال للحارث بن كلدة: (عالج سعد مما به). وروى الطبراني في الكبير عن سعد بن

أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - قال: دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي، فقال: أنت رجل مفؤود فات الحارث بن كلدة، فإنه رجل يتطيب فليأخذ خمس تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بناهن ثم ليلدك بهن (٢). وروى الإمام أحمد والحارث بسند فيه ابن الهيعة والإمام أحمد والطبراني في الكبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - وعبد الرزاق عن رجل من بني زهرة وعبد الرزاق عن معمر بلاغا قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن في أبوال الإبل وألبانها شفاء للذرية بطونهم) (٣). وروى أبو نعيم في الطب قال: مرض سعد بن أبي وقاص، وهو مع رسول الله فقال: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أراني إلا ميت فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إني لأرجو أن يشفيك الله حتى يضر بك قوم وينتفع بك آخرون، ثم قال للحارث بن كلدة الثقفي: عالج سعدا مما به، فقال: والله إني لأرجو أن يكون شفاؤه مما به في رحله، هل معكم من هذه التمرة العجوة شئ؟ قالوا: نعم، قال: فصنع له القرنية خلط له التمر بالحلبة، ثم أوسعها سمننا ثم أحساها إياها فكأنما ينشط من عقال. [وفيه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصنع، قالت [(٤) وكان يقول: (إنه ليرتق فؤاد الحزين ويسرو عن فؤاد السقيم كما تسرو إحدا كن الوسخ عن وجهها بالماء (٥).

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٥). (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩١ وقال: رواه الطبراني وفيه يونس بن الحجاج الثقفي ولم أعرفه، وبقيته رجاله ثقات. (٣) انظر المجمع ٥ / ٩١. (٤) ما بين المعكوفين سقط في ب. (٥) أخرجه الترمذي (٢٠٣٩).

(*)

[١٨٥]

وفيه عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (في أبوال الإبل وألبانها شفاء للذرية بطونهم). وفيه عن أنس أنه قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رهط من عربية فأتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: احتوبنا المدينة وعظمت بطوننا وانتشبت أعضادنا فأمرهم أن يجئوا براعي الإبل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيشربوا من ألبانها وأبوالها، حتى ضمرت بطونهم. وفيه عن صهيب قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بأبوال الإبل البرية وألبانها) (١). وفيه عن الشيخين عن أبي سعيد أن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله إن أخي استطلق وفي لفظ: يشتكي بطنه فقال: (اسقه عسلا)، فسقاه ثم أتاه فقال: يا رسول الله قد سقيته، فلم يزد إلا استطلاقا فقال: (اسقه عسلا)، قال: أما في الثالثة أو في الرابعة قال: حسيته فسقاه فشفي ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (صدق الله تعالى وكذب بطن أخيك) (٢). تنبيهات الأول: الحارث بن كلدة بفتح الكاف واللام ذكر في الصحابة، وقال ابن حاتم: لا يصح إسلامه، قال الحافظ: وهذا الحديث يدل على جواز الاستعانة بأهل الذمة في الطب قال الأذري: [...]. الثاني المفؤود بميم مفتوحة ففاء ساكنة فهمزة مضمومة فواو فдал مهملة: الذي أصيب بفؤاده، فهو يشتكي كالميطون، وهذا الحديث من الخطاب العام الذي أريد به الخاص، كأهل المدينة ومن جاورهم، والتمر لأهل المدينة كالحنطة لغيرهم، وفي التمر خاصية لغيرهم لأهل الداء سيما تمر المدينة ولا سيما تمر العجوة وفي كونها سبعا خاصة أخرى تدرك بالوحي وفي الصحيحين: (من تصبغ بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر). الثالث: قال الخطابي وغيره: أهل

الحجاز يطلقون الكذب موضع الخطأ وقال الإمام الرازي: لعله - صلى الله عليه وسلم - علم ذلك بنور الوحي أن ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك، فلما لم يظهر نفعه في الحال مع كونه - صلى الله عليه وسلم - كان عالماً أنه سيظهر نفعه بعد ذلك ولا التفات لاعتراض بعض الملحده بأن العسل مسهل، فكيف يوصف لمن به الإسهال لأن ذلك لم يحط به علماً، جهلاً منه باتفاق الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف العادة

(١) انظر كنز العمال (٢٨٢٨٥)، (٣) أخرجه البخاري ١٠ / ١٦٨ (٥٧١٦). (*)

[١٨٦]

والزمان والغذاء المألوف والتدبير وقوة الطبيعة، وعلى أن الإسهال يحدث من [أنواع منها الهیضة التي تنشأ عن تخمة، واتفقوا على أن علاجها بترك] (١) الطبيعة وفعالها، فإن احتاجت إلى مسهل أعينت ما دام بالليل قوة، فكان هذا الرجل استطلق بطنه من تخمة أصابته فوصفه له النبي - صلى الله عليه وسلم - لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء لما من العسل من الجلاء ودفع الفضول التي تصيب المعدة من أخلاط لزجة تمنع من استقرار الغذاء فيها، وللمعدة خمل كخمل المنشفة، فإذا علقت بها الأخلاط للزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء الواصل إليها فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الأخلاط، ولا شئ في ذلك مثل العسل، لا سيما إن مزج بالماء الحار وإنما لم يفده من أول مرة، لأن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب الداء، إن قصر عنه لم يدفعه بالكلية وإن جاوزه أوهى القوة، وأحدث ضرراً آخر، فكانه شرب منه أولاً مقداراً لا يفيد بمقاومة الداء، فأمره بمعاودة سقيه، فلما تكررت الشرابات بحسب مادة الداء برأ بإذن الله تعالى. تنبيه: في بيان غريب ما سبق: (فليجأهن) أي: (فليذوقهن)، والوجيئة: تمر بيل بلبن أو سمن ثم يدق حتى يلتئم.

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

[١٨٧]

الباب الثاني والثلاثون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - عرق النسا روى الإمام أحمد والحاكم برجال الصحيح والضياء والطبراني في الأوسط وأبو يعلى وابن ماجه وأبو نعيم في الطب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (كان يصف لعرق النساء) وفي لفظ: (كان يأخذ ألية كبش عربي) وفي لفظ: (ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة)، وفي لفظ: (دواء عرق النساء ألية شاة أعرابية تذاب)، وفي لفظ: (فيقطعها صغارا ثم يذبيها فيجيد إذابتها ويجعلها)، وفي لفظ: (يتجزأ ثلاثة أجزاء فتذاب وتشرى في كل يوم جزءاً) وفي لفظ: (على الريق) وفي لفظ: (ثم يشرب على الريق كل يوم جزءاً) زاد أبو نعيم: قال أنس: لقد فعلت لأكثر من مائة من به عرق النساء فبرأ. وفي رواية: (فقد نعت لأكثر من ثلثمائة كلهم يبرؤون منه) (١). وروى الإمام أحمد عن رجل من الأنصار عن أبيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعت من عرق النسا أن تؤخذ إليه كبش عربي ليست بصغيرة ولا عظيمة فتذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء فيشرب كل يوم على الريق جزءاً (٢). وروى الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - قال: (من اشترى أو أهدي له كبش فليقسمه على ثلاثة أجزاء، كل يوم جزءا على الريق، إن شاء أسلاه، وإن شاء أكله أكلا، يعني: ألية كبش يتداوي به من عرق النسا) (٣). وروى الطبراني في الثلاثة بسند جيد عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عرق النسا ألية كبش تجزأ ثلاثة أجزاء ثم يذاب فيشرب كل يوم جزءا على الريق [إن شاء أسلاه وإن شاء أكله أكلا، يعني: كبش يتداوي به من عرق النسا (٤). وروى الطبراني في الثلاثة بسند جيد، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال:

(١) أخرجه ابن ماجة (٣٤٦٣)، والحاكم ٤ / ٢٠٦، (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩١ وقال: رواه أحمد وفيه راو لم يسم، وبقيّة رجاله رجال الصحيح. (٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٩١ وقال: رواه الطبراني وقال أسلاه يعني أذابه، ورجاله ثقات. (٤) انظر المجمع ٥ / ٩١، ٩٢ (*)

[١٨٨]

نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عرق النسا ألية كبش تجزأ ثلاثة أجزاء ثم يذاب فيشرب كل يوم جزءا على الريق [(١). وروى أبو نعيم في الطب عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال أقبلت يهود إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن ما حرم إسرائيل على نفسه قال: (كان يسكن البدو فاشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئا يداويه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمها)، قالوا: صدقت (٢). تنبيه: النساء: بفتح النون المهملة: المرض الحال بالعرق، والإضافة فيه من إضافة الشئ إلى محله، قيل: سمي به، لأن أمه ينسي ما سواه، وهذا العرق ممتد من مفصل الورك، وينتهي إلى آخر القدم وراء [الكعب] (٣) وهذا الدواء خاص بالعرب وأهل الحجاز ومن جاورهم، وهو أنفع لهم، لأن هذا المرض يحدث من ببس، وقد يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجها الإسهال والألية فيها الخاصيتان الإنضاج والتلين، وهذا المرض يحتاج علاجه إلى هذين الأمرين، وفي تعيين الشاة الأعرابية لقلة فضولها، وصغر مقدارها، ولطف جوهرها، وخاصة مرعاها، لأنها ترعى أعشاب البر الحارة، كالشيخ والقيصوم ونحوهما، وهذه إذا تغذى بها الحيوان، صار في لحمه من طبعها بعد أن يلطفها تغذية بها، ويكسبها مزاجا ألطف منها، ولا سيما الألية.

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢ / ٥٢. (٣) في ب الورك. (*)

[١٨٩]

الباب الثالث والثلاثون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - البثرة روى أبو نعيم في الطب عن بعض أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل عليها قال: (أعندك ذريدة) قالت نعم، فدعا بها فوضعها على بثرة بين أصبعين من أصابع رجله ثم قال: (اللهم مصغر الكبير ومكبر الصغير اطفأ عني قال: فطفيت) (١). الباب الرابع والثلاثون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الباسور روى الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الطب وابن السنني عن عقبة بن عامر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت

الزيتون فتداووا به فإنه مصحة للباسور) وفي لفظ: (عليكم بزيت الزيتون فكلوه وادهنوا به فإنه ينفع من الباسور) (٢). وروى أبو يعلى في مسنده وابن السنني وأبو نعيم عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بإنقاء الدبر) وفي لفظ: (يغسل الدبر فإنه يذهب بالباسور) (٣) انتهى. وروى الطبراني في الكبير عن عائشة وعبد الرزاق عن المسور بن رفاعة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (استنقوا) وفي لفظ: (استنجوا بالماء فإنه مصحة للباسور) (٤). وروى أبو نعيم في الطب عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا مصفر اللون قال: (ما هذا يا بن عباس) قلت: رويحة يعني الباسور فقال: (بحدائة سنك فأين أنت من اللصف يعني الكبر تأخذه فتدقه فتسفف منه) قال: ففعلت فبرأت. وفيه عن ابن السنني عن أبي ذر - رضي الله تعالى عنه - قال: أهدني إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - طبق من تين فقال لأصحابه: كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم لقلت هي التين وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إنه يذهب بالباسور وينفع من النقرس).

(١) أخرجه الحاكم ٣ / ٢٧٧. (٢) انظر المجمع ٥ / ١٠٣. (٣) ذكره ابن حجر في المطالب العالية ١ / ١٩ (٥٥). (٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٠٣ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمار بن هارون وهو متروك. (*)

[١٩٠]

الباب الخامس والثلاثون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الورم] روى أبو يعلى عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - قال: دخلت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعوده بظهره ورم فقالوا: يا رسول الله بهذه مدة قال: بطوا عنه قال علي: فما برحت حتى بطت والنبي - صلى الله عليه وسلم - شاهد. وروى عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر أن يبط بطن رجل، أجوى البطن، فقيل: يا رسول الله: هل ينفع الطب؟ قال: الذي أنزل الداء أنزل الشفاء فيما شاء. [الباب السادس والثلاثون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الخنازير روى الطبراني في الكبير بسنده جيد عن طارق بن شهاب أن رجلاً رأى رجلاً به الخنازير، فوصف له أبوال إبل الأراك، يعني التي تأكل الأراك، فالطيخه حتى ينعقد ثم اشربه وخذ ورق الأراك فدقه وذره عليه ففعل فبرأ (١). الباب السابع والثلاثون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الدوخة روى أبو يعلى بسند ضعيف عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (اختضوا بالحناء فإنه طيب الريح يسكن الدوخة) (٢). فائدة: شكى بعض من حصل له ذلك للشيوخ أبي محمد المرجاني، فرأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في النوم فأشار إلى هذا الدواء، قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوزة طيب وسنبل من كل واحد درهم ونصف شونيز درهمين، يدق الجميع، ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل، فإذا قرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون، ويكون عسل النحل غالباً عليه، ففعل فبرأ، فهذه وإن كانت مما فات فقد عضدته التجربة.

(١) انظر المجمع ٥ / ١٠٣. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٦٣ وقال: رواه أبو يعلى من طريق الحسن بن دعامة عن عمر بن شريك قال الذهبي: مجهولان. (*)

الباب الثامن والثلاثون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - العذرة
 روى الإمام أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أم
 قيس بن محصن - رضي الله تعالى عنهما - أنها أتت رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - بابتها قد أعلقت عليه العذرة فقال رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم -: (على ما تدغرن أولادكن بهذا العلاق
 عليكن بهذا العود الهندي، فإنه فيه سبعة أشغية منها ذات الجنب
 وفي لفظ: ويسعط به من العذرة ويلد من ذات الجنب) وأخرجه عبد
 الرزاق إلى قوله منها ذات الجنب قال الزهري: فيسعط للعذرة ويلد
 من ذات الجنب، وظاهره أن هذا القدر مدرج (١). وروى ابن أبي
 شيبة بإسناد حسن والإمام أحمد عن جابر بن عبد الله - رضي الله
 تعالى عنهما - قال: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على
 عائشة وعندها صبي يسيل منخراه دما فقال لها: ما هذا؟ فقالوا:
 به العذرة وفي لفظ: أو وجع في رأسه فقال: ويلكن لا تقتلن أولادكن
 أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه، فلتأخذ قسطا هنديا
 فلتحكه بماء، ثم تسعطه إياه، فأمرت عائشة فصنع ذلك بالصبي فبرأ
 وفي لفظ: (على ما تغدين أولادكن، إنما يكفي إحداكن أن تأخذ
 قسطا هنديا فتحكه بماء سبع مرات، ثم توجهه إياه قال: ففعلوا فبرأ
 (٢) ورواه الحاكم عن عائشة. وروى البزار بسند جيد عن عائشة -
 رضي الله تعالى عنها - أن امرأة دخلت على رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - ومعها صبي يسيل منخراه دما فقال رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم -: (علام تدغرن أولادكن ألا أخذت قسطا بحريا ثم
 أسعطته إياه فإن فيه شفاء من سبعة أدوية إحداهن ذات الجنب)
 (٣). وروى الإمام أحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن سعد والبزار
 وابن السني وأبو نعيم عن أنس والطيالسي والطبراني في الكبير،
 والإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم والبيهقي عن سمرة - رضي الله
 تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير ما
 تداويتم به الحمامة) وفي رواية (القسط البحري ولا تعذبوا صبيانكم
 بالغمز من العذرة وفي لفظ: (أفضل ما تداويتم به الحمامة والقسط
 البحري ولا تعذبوا صبيانكم بالغمز) (٤).

(١) أخرجه البخاري ١٠ / ١٧٧ (٥٧١٥، ٥٧١٨). (٢) أخرجه أحمد ٣ / ٣١٥. (٣) ذكره
 الهيثمي في المجمع ٥ / ٩٢ وقال: رواه البزار وفيه المسعودي وهو ثقة وقد حصل له
 اختلاط، وبقية رجاله ثقات. (٤) أخرجه أحمد ٣ / ١٠٧، والحاكم ٤ / ٢٠٨. (*)

وروى الطبراني في الكبير عن عبد الرحمن بن سابط وبريدة قال:
 اشتكى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العذرة حتى صدعته
 ورثي ذلك عليه فأتاه جبريل فقال: إن ربك أرسلني إليك لأرقيك فحل
 النبي - صلى الله عليه وسلم - رأسه فقال: بسم الله أرقيك من كل
 سوء (١) يؤذيك، ومن شر كل عين، وكل حاسد أرقيك قال: فرددها
 عليه ثلاث مرات فبرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٢). وروى
 البخاري عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم -: (لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وعليكم
 بالقسط) (٣). تنبيه: في بيان غريب ما سبق: العذرة: بضم العين
 المهملة وسكون الذال المعجمة: وجع في الحلق يهيج في الحلق
 يعترى الصبيان غالبا وقيل: هي قرحة تخرج بين الأذن والحلق وفي
 الخرم الذي بين الأنف والحلق وهو الذي يسمى سقوط اللهاة،
 وقيل: هو اسم اللهاة والمراد وجعها يسمى باسمها، وقيل: موضع
 قريب من اللهاة، واللهاة بفتح اللام اللحمية التي في أقصى الحلق.
 تدغرن: بالغين المعجمة والذال المهملة والذغر غمز الحلق. الغمز:
 بمعجمة وزاي رفع اللهاة بالأصابع. العود الهندي [...] . (القسط بقاف

مضمومة وقد تبدل القاف بالكاف والطاء بالتاء من عقاقير البحر طيب الرائحة، وهو إن كان حارا، والعذرة إنما تعرض في زمن الحر بالصبيان وأمزجتهم حارة لا سيما وقطر الحجاز حار، فإن مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفي القسط تخفيف للرطوبة، وقد يكون نفعه في هذا الداء بالخاصية، وأيضا فالأدوية الحارة قد تنفع من الأمراض الحارة بالعرض كثيرا، بل وبالذات أيضا، وأطبق الأطباء على أنه يدر الطمث والبول ويدفع السموم والمؤذيات والمهلكات، ويحرك شهوة الجماع ويقتل الديان في الأمعاء، ويذهب الكلف إذا طلي به، ويسخن المعدة، وينفع من حمى الربيع، ويشد اللهاة، ويرفعها إلى مكانها، وكانوا يعالجون أولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق وهي شئ يعقلونه على الصبيان، فنهاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، وأرشدهم إلى ما هو أنفع للأطفال وأسهل عليهم. السعوط - بضم السين، وضم العين المهملتين، ما يصيب من الأنف واللودود: ما يصب في أحد جانبي الفم، والوجور ما يصب في وسطه.

(١) في ب داء. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١١٥ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن أبان الجعفي وهو ضعيف. (٣) أخرجه البخاري ١٠ / ١٥٩ (٥٦٩٦). (*)

[١٩٣]

الباب التاسع والثلاثون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - العشيق روى الخطيب عن عائشة - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من عشق ففغ ثم مات مات شهيدا). وروى أيضا عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من عشق فكنتم وعف فمات مات شهيدا). الباب الأربعون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - وجع الصدر روى النسائي عن رجل من الصحابة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ألا أخبركم بما يذهب وحر الصدر صوم ثلاثة أيام من كل شهر) (١). وروى ابن السني وأبو نعيم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (كلوا السفرجل فإنه يجلي عن الفؤاد ويذهب بطخاء الصدر) (٢). وروى ابن السني وأبو نعيم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (كلوا السفرجل على الريق، فإنه يذهب وحر الصدر) (٣). وروى الفالي في أماليه عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أكل السفرجل يذهب بطخاء القلب) (٤). وروى أبو نعيم في الطب عن طلحة قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في جماعة من أصحابه وفي يده سفر جله يقلبها فلما جلست إليه رمى بها نحوي قال: دونكها أبا محمد، فإنها نشد القلب وتطيب النفس وتذهب بطخاوة الصدر وفي لفظ: (فإنها تجم الفؤاد) (٥).

(١) أخرجه النسائي ٤ / ٢٠٨. (٢) انظر كنز العمال (٢٨٢٥٨). (٣) انظر الكنز (٢٨٢٥٩). (٤) انظر الكنز (٢٨٢٦٠). (٥) أخرجه ابن ماجه (٣٣٣٩). (*)

[١٩٤]

الباب الحادي والأربعون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - ذات الجنب روى البخاري عن أم قيس بنت محصن قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة

أشفية منها ذات الجنب). وروى الإمام أحمد والطبراني والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي والضياء والترمذي وأبو نعيم في الطب عن زيد بن أرقم - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (تداووا من ذات الجنب بالسقط البحري والزيت) (١) ولفظ أبي نعيم: بالعود الهندي والزيت والقسط وفي رواية: (أمرهم أن يتداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت) وفي لفظ: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نتداوى من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت. ورواه مسدد وأبو يعلى وصححه الترمذي بلفظ: كان ينعت الزيت والورس من ذات الجنب (٢). ورواه أبو نعيم في الطب عن ميمون قال: قلت لزيد بن أرقم: بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذات الجنب قال: ورس وقسط وزيت يلت به، وروى فيه عن أم قيس بنت قالت: دخلت بابت لي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أعلقت عليه من العذرة فقال: (علام تعذبن أولادك بهذا العلق عليكن بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية يسعط من العذرة ويلد به من ذات الجنب). تنبيه: ذات الجنب: ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأعضاء، وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل التي في الصدر والأضلاع فتحدث وجعا، فالأول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الأطباء، قالوا: ويحدث بسببه خمسة أمراض: الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري ويقال لذات الجنب: وجع الخاصرة، وهو من الأمراض المخوفة، لأنها تحدث بين القلب والكبد، وهي من سبي الأسقام، والمراد بذات الجنب هنا الثاني لأن القسط هو العود الهندي الذي يداوى به الريح الغليظة، نقل ابن القيم عن المسيحي أن العود حار يابس قابض يحبس البطن، ويقوي الأعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد، ويذهب فضل الرطوبة، مانع من ذات الجنب، جيد للدماغ قال: ويجوز أن ينفع من ذات الجنب الحقيقية أيضا، إذا كان حدوثها عن مادة بلغمية ولا سيما في وقت انحطاط العلة.

(١) أخرجه أحمد ٤ / ٣٦٩. (٢) أخرجه الترمذي (٢٠٧٨) (*)

[١٩٥]

الباب الثاني والأربعون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الاستسقاء والمعدة ويبس الطبيعة روى الشيخان عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قدم رهط من عكل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فاجتوا المدينة، فشكوا ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (لو خرجتم إلى أبل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها، فلما صحوا عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم) (١) الحديث. وإنما أمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشرب ذلك، لأن في لبن اللقاح جلاء وتليينا وإمرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد، إذا كان أكثر رعيها الشيخ والقيصوم والبابونج والأقحوان والإذخر، وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء، خصوصا إذا استعمله بحرارته التي تخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان، فإن ذلك مما يزيد في ملوحة اللبن، وتقطيعه الفضول وإطلاقه البطن. وروى الطبراني في الكبير بسند ضعيف من طريق يحيى بن عبد الله البابلتي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة. فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم) (٢). وذكر ابن الحاج في المدخل أن بعض الناس مرض بمعدته، فرأى الشيخ الجليل أبو محمد المرحاني النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يشير بهذا الدواء، وهو أن يأخذ كل يوم

على الرقيق وزن درهم من الورد المربى، ويكون ملتوتا بالمصطكي بعد دقها، ويعجل فيه سبع حبات من الشونيز يفعل ذلك في سبعة أيام، ففعله فبرئ. ومرض بعض الناس ببرد المعدة، فرأى الشيخ المرجاني أيضا النبي صلى الله عليه وسلم - وهو يشير إلى هذا الدواء وهو أن يأخذ أوقية ونصفا غسل النحل ودرهمين الشونيز، ومثلها الأنسيون ونصف أوقية من النعنع الأخضر، ومن القرنفل نصف درهم، ومن القرفة نصف درهم وشينا من قشر الليمون مع قليل من الخل ويعقد ذلك على النار، فاستعمله فبرئ. وروى البخاري في تاريخه الكبير والترمذي وابن ماجه عن أسماء بنت عميس قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (بم كنت تستمشين ؟) قالت: بالشبرم قال: (حار حار) قالت: ثم

أخرجه البخاري ١٢ / ١١٣ (٦٨٠٤). (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ٨٩ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه يحيى بن عبد الله البابتلي وهو ضعيف. (*)

[١٩٦]

استمشيت بالسناء، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لو أن شيئا كان فيه شفاء من الموت لكان في السناء) (١). وروى ابن ماجه عن عبد الله بن حرام قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (عليكم بالسنى والسنوت، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام) قيل: يا رسول الله وما السام ؟ قال: (الموت) (٢). وروى أبو نعيم في الطب عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (خير ما تداويتم به اللدود والسعوط والحجامة والمشى) (٣). تنبيهات الأول: الاستسقاء: مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الأعضاء فتربو لها إما بالأعضاء الظاهرة كلها، وإما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاق. وأقسامه ثلاثة: الحمى، وهو أصعبها، وهو الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفسد مع الدم في الأعضاء، وزقي وهو الذي يجتمع معه في البطن الأسفل مادة مائية رديئة، يسمع لها عند الحركة خضضة كالماء في الزق وهو أردى أنواعه. وطبلي وهو الذي ينتفخ معه البطن عادة إذا ضربت عليه سمعت له صوتا كصوت الطبل. الثاني: في بيان غريب ما سبق: الشيخ... القيصوم... البابونج.. الأفحوان.. الإذخر... الشونيز...

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٨١). (٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٥٧). (٣) أخرجه الترمذي (٢٠٤٧) (*)

[١٩٧]

(الشبرم) بشين معجمة فموحدة فراء: قشر عرق شجرة، وهو حار يابس في الدرجة الرابعة، وهو من الأدوية التي منع الأطباء من استعمالها، لخطرها وفرط إسهالها. (السناء) - بسين مهملة ونون - نبت حجازي أفضله المكبي، وهو دواء شريف مأمون الغائلة قريب من الاعتدال، حار يابس في الدرجة الأولى، يسهل الصفراء والسوداء ويقوي جرم القلب، وهذه فضيلة شريفة ومن خاصية النفع من الوسواس السوداوي: قال الرازي: السناء والشاهترج يسهلان الأخلاط المحترقة، وينفعان من الجرب والحكة قال: والشربة من كل واحد منهما من أربعة دارهم إلى سبعة دارهم. السنوت: - بسين مهملة فنون فواو فمثناة فوقية - هو العسل، وقيل: رب عكة السن، يخرج

خططا سوداء على السمن. وقيل: حب يشبه الكمون وليس به. وقيل: هو الكمون الكرمانى. وقيل: إنه الرازيانج. وقيل: إنه الشبث. وقيل إنه العسل الذي يكون في زقاق السمن. قال بعض الأطباء: وهذا أجدر بالمعنى، وأقرب إلى الصواب أن يخلط السا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن، ثم يعلق فيكون أصح من استعماله مفردا، لما في العسل والسمن من إصلاح السنا وإعانتة على الإسهال.

[١٩٨]

الباب الثالث والأربعون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الإسهال روى الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - أن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إن أخي استطلق بطنه فقال: (اسقه عسلا) فسقاه ثم جاء فقال: سقيته عسلا فلم يزد إلا استطلاقا فقال: (اسقه عسلا) فسقاه ثم جاء، فقال: إنى سقيته عسلا فلم يزد إلا استطلاقا، ثم قال في الرابعة فقال: (اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن أخيك) فسقاه فبرأ (١). تنبيه: قال الخطابي: أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ، يقال: كذب سمعك أي: زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له، فمعنى كذب بطنه، أي لم يصلح لقبول الشفاء بل زل عنه. وقال الإمام الرازي: لعله - صلى الله عليه وسلم - علم بنور الوحي أي ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك، فلما لم يظهر نفعه في الحال مع كونه - صلى الله عليه وسلم - كان عالما بأنه سيظهر نفعه بعد ذلك، كان جاريا مجرى الكذب، فلهذا أطلق عليه هذا اللفظ، وقد اعترض بعض الملاحدة، فقال: إن العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الإسهال؟ وأجيب بأن ذلك جهل من قائله، بل هو كقوله تعالى: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) [يونس ٣٩] فقد الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المألوف والتدبير وقوة الطبيعة، وعلى أن الإسهال يحدث من أنواع منها الهیضة التي تنشأ عن تخمة، واتفقوا على أن علاجها بترك الطبيعة وفعلها، فإن احتاجت إلى مسهل معين أعينت ما دام بالعليل قوة، فكان هذا الرجل كان استطلاق بطنه من تخمة أصابته، فوصف له - صلى الله عليه وسلم - العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء لما في العسل من الجلاء ودفع الفضول التي تصيب المعدة من أخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها، وللمعدة خمل كخمل المنشفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها، وأفسدت الغذاء الواصل إليها، فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الأخلاط ولا شئ في ذلك مثل العسل، لا سيما إن مزج بالماء الحار، وإنما لم يفده في أول مرة، لأن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب الداء إن قصر عنه لم يدفعه بالكلية، وإن جاوزه أوهى القوة وأحدث ضررا آخر، فكانه شرب منه أولا مقدارا لا يفى بمقاومة الداء، فأمر بمعاودة سقيه، فلما تكررت الشربات بحسب مادة

(١) أخرجه البخاري ١٠ / ١٤٦ (٥٦٨٤).

[١٩٩]

الداء برأ بإذن الله تعالى، وفي قوله - صلى الله عليه وسلم - (وكذب بطن أخيك) إشارة إلى أن هذا الدواء نافع، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء، ولكن لكثرة المادة الفاسدة، فمن ثم أمره بمعاودة شرب

العسل، قال ابن الجوزي: في وصفه - صلى الله عليه وسلم - العسل لهذا المنسحل أربعة أقوال: أحدها: أنه حمل الآية على عمومها في الشفاء، وإلى هذا أشار بقوله: صدق الله أي في قوله تعالى (فيه شفاء للناس) فلما نبه على هذه الحكمة، تلقاها بالقبول فشفي بإذن الله. الثاني: أن الوصف المذكور على المألوف من عادتهم من التداوي بالعسل في الأمراض كلها. الثالث: أن الموصوف له ذلك كانت به هيضة كما تقدم تقريره. الرابع: يحتمل أن يكون أمره بطبخ العسل قبل شربه، فإنه يعقد البلغم فلعله شربه أولاً بغير طبخ، قال الحافظ: والثاني والرابع ضعيفان ويؤيد الأول حديث ابن مسعود: عليكم بالشفاء بين (العسل والقرآن)، رواه ابن ماجه والحاكم مرفوعاً، وابن أبي شيبة والحاكم أيضاً موقوفاً ورجاله رجال الصحيح. الباب الرابع والأربعون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - القولنج روى أبو نعيم في الطب عن جبير بن مطعم قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاد سعيد بن العاص، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكمده بخرقه، زاد في رواية أخرى: فيها ملح وسعيد مشوي حصل ذلك لرجل، فرأى الشيخ أبو محمد المرجاني النبي - صلى الله عليه وسلم - فأشار بهذا الدواء، وهو أن يأخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن درهم ونصف من الزيت المرقى، وإحدى وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع ثم يفطر عليه، ويفعل مثله عند النوم، ويعمل له تليينة وهي حساء يعمل من دقيق أو نخالة، وربما عمل فيها عسل، ويستعملها بعد أن يفطر على ذلك، ويكون غذاؤه مسلوقة الدجاج، أو لحم الضأن، ففعله فبرأ بعد أن أعى الأطباء. تنبيه: الزيت المرقى، صفته أن يأخذ شيئاً من الزيت الطيب، ويجعله في إناء نظيف ويحركه، ويعود ويقراً عليه سورة الإخلاص والمعوذتين (ولقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر السورة.

[٢٠٠]

الباب الخامس والأربعون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الدود في الجوف روى أبو بكر في الغيلانيات عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود) (١). الباب السادس والأربعون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الباه. روى الطبراني في الأوسط والضياء عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالباءة، فمن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء) (٢). وروى أبو نعيم في الطب، عن شداد بن عبد الله قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالصوم فإنه محسمة للعروق ومذهبة للأشعر). وفيه عن علي - رضي الله تعالى عنه - أن رجلاً شكى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلة الولد فأمره بأكل البيض قال: يا رسول الله، وأي بيض؟ قال: (كل بيض ولو بيض نملة). وفيه عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنه - أن رجلاً شكى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلة النسل فأمره بأكل البيض والبصل (٣). وفيه عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رجلاً أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله إنني إذا أكلت اللحم انتشرت. وفي لفظ للنسائي: (وأخذتني شهوة النساء فحرمت علي اللحم) فأنزل الله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) [المائدة ٨٧]. وفيه عن معاذ بن جبل - رضي الله تعالى عنه قال: قيل يا رسول الله هل أوتيت من طعام الجنة شيئاً؟ قال: (نعم أتاني جبريل بهريسة فأكلتها، فزادت في قوتي قوة أربعين رجلاً في النكاح). وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: شكى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جبريل

[٢٠١]

عليه الصلاة والسلام قلة الجماع فقال: (يا رسول الله أين أنت من أكل الهريسة فإن فيها قوة أربعين رجلاً). وفيه عن أبي سعيد - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ)، زاد ابن خزيمة: فإنه أنشط للعودة وفيه عن أبي رافع - رضي الله تعالى عنه - قال: كنت عند النبي - صلى الله عليه وسلم - جالسا إذا مسح بيده على رأسه ثم قال: (عليكم بسيد الخضاب الحناء يطيب البشرة ويزيد في الجماع) (١). وفيه عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اختضبوا بالحناء، فإنه يزيد في شبابكم وجمالكم ونكاحكم) (٢). وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أيعجز أحدكم أن يجمع أهله في كل جمعة، فإن له أجرين أجر غسله وأجر غسل امرأته). وفيه عن الحسن - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه -: (لا تجامع أهلك في النصف من الشهر، فإنه محضر الشياطين). الباب السابع والأربعون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - السلس [روى ابن النجار في تاريخه عن مرثد بن عبد الله اليزني قال: قال رسول - صلى الله عليه وسلم -: (لا تمشمشوا مشاش الطير، فإنه يورث السلس)]. الباب الثامن والأربعون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الجراح روى الشيخان عن سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - أنه سئل بأي شئ دووي جراح النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ فقال: كانت فاطمة تغسل الدم، وعلي يكسب الماء بالمجن، فلما رأته فاطمة الدم لا يزيد إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها، حتى إذا صارت رمادا ألصقته بالجرح فاستمسك (٣).

(١) أخرجه ابن عدي ٦ / ٢٤٤٣. (٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥ / ١٦٣ وقال: رواه البزار وفيه يحيى بن ميمون التمار وهو متروك. (٣) أخرجه مسلم ٣ / ١٤١٦ (١٧٩٠). (*)

[٢٠٢]

وروى أبو نعيم في الطب عن سلمى وكانت خادمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا اشتكى أحد منا رجله فقال: (أذهب فاخضبها بالحناء) وفي لفظ: قال كنت أخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فما كانت تصيبه قرحة ولا نكبة ألا أمرني أن أضع عليها الحناء. الباب التاسع والأربعون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الخراج والحكة ونحوهما روى ابن عساكر والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله تعالى عنهما - قالت: خرج في عنقي خراج فتخوفت منه، فسألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ضعبي يدك عليه ثم قولي ثلاث مرات: (بسم الله، اللهم أذهب عني شر ما أجد بدعوة نبيك الطيب المبارك، المكين عندك بسم الله) (١). وروى أبو نعيم في الطب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رخص لعبد الرحمن بن عوف والزيبر في قميص من حرير، من حكة كانت يجلدتهما، تنبيهات الأول: قد تقدم أنه - عليه الصلاة والسلام - أرخص لب الحرير للقمل، فيحتمل أن تكون العلتان

يأخذى الرجلين، أو أن الحكمة حصلت من القمل فنسب العلة تارة إلى السبب، وتارة إلى المسبب. الثاني: قال النووي: هذا الحديث صريح في الدلالة بمذهب الشافعي ومرافقيه، أنه يجوز لبس الحرير للرجل إذا كانت به حكة، لما فيه من البرودة، وكذا للقمل، وما في معنى ذلك، وقال مالك: لا يجوز وتعقب قوله لما فيه من البرودة فإن الحرير حار، والصواب أن الحكمة فيه لخاصية فيه تدفع الحكمة. وقال ابن القيم: وإذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه مسخنا للبدن، وقال الرازي: الأبريسم أسخن من الكتان، وأبرد من القطن يربي اللحم، وكل لباس حسن، فإنه يهزل ويصلب البشرة، فملابس الأوبار والأصواف تسخن وتدفي، وملابس الكتان والحرير والقطن تدفي ولا تسخن، فثياب الكتان باردة يابسة، وثياب الصوف حارة يابسة، وثياب القطن معتدلة الحرارة، وثياب الحرير ألين من القطن وأقل حرارة منه، ولما كانت ثياب الحرير كذلك وليس فيها شئ من اليبس والخشونة الكائنين في غيرها صارت نافعة من الحكمة.

(١) انظر كنز العمال (٢٨٣٧٦). (*)

[٢٠٢]

الباب الخمسون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الكسر والوثي والخلع روى أبو داود وابن ماجة عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - احتجم على وركه من وثن كان به (١). وروي النسائي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احتجم وهو محرم على ظهر القدم من وجع كان به، ورواه ابن ماجة بلفظ: (من رهصة أصابته) (٢). تنبيه: الوثي: وهن دون الخلع والكسر. الباب الحادي والخمسون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الخدران الكلبي [روى أبو عبيد في (غريب الحديث) عن أبي عثمان النهدي قال: إن قوما مروا بشجرة فأكلوا منها فكانت مرت بهم ريح فأجمدتهم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (قرسوا الماء في الشنان وصبوا عليهم فيما بين الأذنين)]. الباب الثاني والخمسون في إرشاده - صلى الله عليه وسلم - إلى دفع مضرات السموم بأضدادها روى أبو نعيم في الطب عن سعد - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (من أكل ما بين لابتي المدينة سبع تمرات على الريق لم يضره ذلك اليوم سم) رواه بزيادة عجوة ولا سحر (٣). وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اللعجوة من الجنة وفيها شفاء من السم). وفيه عن سعد - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أكل من ما بين لابتي المدينة سبع تمرات على الريق لم يضره ذلك اليوم السم).

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٦٣)، وابن ماجة (٣٤٨٥). (٢) أخرجه النسائي ٥ / ١٩٣. (٣) انظر المجمع ٥ / ٤٤. (*)

[٢٠٤]

وفيه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أكل سبع تمرات من عجوة المدينة في كل يوم لم يضره سم ذلك اليوم ومن أكلهن ليلا لم يضره سم ليلته) (١). وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول

في الكبير بسند لين فيه من تكلم فيه عن سهل بن أبي حثمة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج وخرج معه عبد الرحمن بن سهل فلما كانا بالحجرة نهشت عبد الرحمن بن سهل حية، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (ادعوا عمرو بن حثمة)، فدعي فعرض رقبته على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (لا بأس بها ارقه) فوضع ابن حثمة يده عليه فقال: يا رسول الله قد يموت، أو قد مات فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ارقه) وإن كان قد مات فراقه، فصح عبد الرحمن وانطلق.

[٢٠٦]

وروى الطبراني في الكبير برجال الصحيح خلا قيس بن الربيع بن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: جاء رجل من الأنصار فقال له عمرو بن حثمة وكان يرقى من الحية فقال: يا رسول الله إنك نهيت عن الرقى، وأنا أرقى من الحية، فقال (قصها علي) فقصتها عليه فقال (لا بأس بهذه هذه موثيق)، قال: وجاءه رجل من الأنصار، وكان يرقى من العقرب فقال: (من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل). وروى ابن أبي شيبة في مسنده، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي إذ سجد فلدغته عقرب في أصبعه فانصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العقرب، ما تدع نيبا ولا غيره) ثم دعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ (قل هو الله أحد) والمعوذتين حتى سكنت، وهذا طب مركب من الطبيعي والإلهي، فإن سورة الإخلاص قد جمعت الأقوال الثلاثة التي هي جامع التوحيد، وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا، وأما الماء والملح فهو الطب الطبيعي، فإن في الملح نفعا لكثير من السموم، ولا سيما لدغة العقرب، وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها، ولما كان في لسعتها قوة نارية تحتاج إلى تبريد وجذب وإخراج استعمل - صلى الله عليه وسلم - الماء والملح. الباب الخامس والخمسون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الزكام وأدواء الأنف روى ابن السنني وأبو نعيم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالمرز نجوش فشموه فإنه جيد للخشام). وروى أبو نعيم في الطلب عن سلمة بن الأكوع قال: عطس رجل عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له: (رحمك الله) فقال: ثم عطس مرة أخرى، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (الرجل مزكوم) (١). وفيه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (شمت أخاك ثلاثا، فإن زاد فإنما هي نزلة أو زكام) (٢). وفيه عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنه - قال: عطس رجل عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فشتمته رجل ثم عطس فشتمته ثم عطس فأراد أن يشتمته فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (دعه فإنه مذنوك).

(١) أخرجه مسلم ٤ / ٢٢٩٢ (٢٩٩٣). (٢) أخرجه أبو داود (٥٠٣٤). (*)

[٢٠٧]

وفيه عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تكرهوا الزكام - فإنه يقطع عرق الجذام) (١). الباب السادس والخمسون في علاجه - صلى الله عليه وسلم -

الشوكة روى أبو نعيم في الطب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كوى أسعد بن زرارة من الشوكة، وهي حمرة تعلق الوجه. وفيه عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاد أبا أمامة أخذته الشوكة بالمدينة قبل بدر، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يئس الميت لليهود، سيقولون ألا دفع عنه، ولا أملكه ولا لنفسي شيئا ولا يكون في أبي أمامة) فأمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكوى من الشوكة طرف عنقه بالكوي فلم يلبث أبو أمامة إلا يسيرا حتى مات). الباب السابع والخمسون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - أمراض الفم روى عند الجبار الخولاني في تاريخ داريا عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالسواك، فنعمة الشئ السواك يذهب بالحفر يذهب البلغم، ويجلو البصر ويشد اللثة ويذهب بالبحر، ويصلح المعدة ويزيد في درجات الجنة، ويفرح الملائكة، ويرضي الرب، ويسخط الشيطان). وروى أبو الشيخ وأبو نعيم في كتاب السواك، وضعفه عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (في السواك عشر خصال: يطيب الفم ويشد اللثة ويجلو البصر ويذهب البلغم ويذهب بالحفر وهو من السنة ويفرح الملائكة ويرضي الرب ويزيد في الحسنات ويصح المعدة) رواه البيهقي بسند فيه الجليل بن مرة، وهو ضعيف إلا أنه قال ويوافق السنة، وهو من السنة، وبدل (يطيب الفم ويرضي الرب، مطهرة للفم مرضاة للرب، وبدل يفرح الملائكة، مفرحة للملائكة). وروى الديلمي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (في السواك عشر خصال: مطهرة للفم ومرضاة للرب، ومسخطة للشيطان ومحبة للحفظة، ويشد

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٧ / ٣٦٩٧. (*)

[٢٠٨]

اللثة، ويطيب الفم ويقطع البلغم ويطفو المرة، ويجلوا البصر، ويوافق السنة). وروى الحاكم في تاريخه عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (في السواك عشر خصال، مطهرة للفم، ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان، ومحبة للحفظة، ويشد اللثة). وروى الطبراني في الأوسط عن معاذ بن جبل - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (نعم السواك الزيتون من شجرة مباركة يطيب الفم ويذهب بالحفر، وهو سواكي وسواك الأنبياء قبلي ويجلو البصر ويضعف الحسنات سبعين ضعفا، ويذهب الحفر ويشهي الطعام) (١). وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هند قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (نعم الطعام الزبيب يطيب النكهة، ويذهب بالبلغم). وفيه عن الحسن بن علي - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالزبيب فإنه يكشف المرة ويذهب بالبلغم ويشد العصب، ويذهب بالعياء، ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب بالهم). الباب الثامن والخمسون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في الأسنان روى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ثلاث لا يعاد صاحبهن: الرمذ وصاحب الضرس والدمل) (٢). وفيه عن عيد الله بن عيد الله بن أبي قال: ندرت ثنيتي يوم أحد فأمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أتخذ ثنية من ذهب (٣). وفيه عن أبي أيوب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (حبذا المتخللون) قالوا: يا رسول الله، وما المتخللون؟ قال: (المتخلل من الطعام فإنه ليس من شئ أشد على الملكين اللذين على العبد أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما

وهو قائم يصلي). وروى الديلمي عن عمران بن حصين - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تخللوا على إثر الطعام وتمضمضوا فإنه مصحة للناظر والنواجذ).

(١) انظر المجموع ٢ / ١٠٠. (٢) انظر كنز العمال (٢٥١٥٨). (٣) انظر مجمع الزوائد ٥ / ١٥٠ (*).

[٢٠٩]

الباب التاسع والخمسون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الدبيلة روى أبو نعيم في الطب عن عامر بن الطفيل أن عامر بن الطفيل أهدي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرسا، وكتب إليه عامر أنه قد ظهرت به دبيلة، فابعت إلي بدواء من عندك قال: فرد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الفرس لأنه لم يكن أسلم، وأهدي إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عكة من غسل وقال: (تداوى بهذا). وفيه عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أيضا قال: لما راح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كراع الغميم ركبانا ومشاة، فصف المشاة للنبي - صلى الله عليه وسلم - سماطا، وقالوا: نتعرض لدعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - نرجو بركتها فلما مر نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: يا رسول الله ثقل علينا المشي واشتد السفر فقال: (اللهم أعظم أجركم وذخرهم)، ثم قال: (لو استتمتكم بالنسل لخفت أجسادكم وقطعت الأرض)، فنسل المسلمون وخفت أجسادهم وقطعوا الأرض. الباب الستون في سيرته - صلى الله عليه وسلم - في غمز الظهر في السقطة والقدمين من الإعياء روى أبو نعيم في الطب عن عمر - رضي الله تعالى عنه - قال: دخلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - وغليم أسود يغمز ظهره، فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ قال: (إن الناقة اقتحمت بي البارحة) وفي لفظ: (وإنسان يغمز ظهره) فسأله عمر فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إن الناقة اتعبتني) وفيه عن أبي زيد قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: (ادن فامسح ظهري)، فدنوت فمسحت ظهره، ووضعت خاتم النبوة بين أصبعي. وفيه عن جابر - رضي الله تعالى عنه - أن قوما شكوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - المشي فدعاهم [...] شكى بعض من حصل له ذلك للشيخ أبي محمد المرجاني، فرأى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يشير بهذا الدواء وهو أن يأخذ غسل نحل شونيز ودهن إليه والزيت المرقى ورقيق البيضة ويخلط ذلك كله ويمده على الموضع، ويدر عليه دقيق العدس بقشرة من الشجر مع الحرمل بعد ما يدق دقا ناعما حتى يعود مثل الدقيق ففعله فبرئ.

[٢١٠]

الباب الحادي والستون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الإعياء من شدة المشي روى أبو نعيم عن علي - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال (عليكم بالزبيب فإنه يكشف المرة، ويذهب بالبلغم ويشد العصب ويذهب بالعياء ويحسن الخلق، ويطيب النفس، ويذهب بالهم). وروى ابن السني وأبو نعيم في الطب والخطيب في التلخيص والديلمي وابن عساكر عن سعيد بن زياد بن فائد بن زياد بن أبي هند الداري عن أبيه عن جده عن أبيه زياد عن أبي هند أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب، ويطفىئ الغضب، ويطيب النكهة، ويذهب البلغم ويصفي اللون) (١). الباب الثاني

والستون في علاجه - صلى الله عليه وسلم - الحائض والمستحاضة
والنفساء ذكر ابن الجاح في المدخل أن بعض الناس أصابه سلس
الريح، فرأى الشيخ أبو محمد المرجاني النبي - صلى الله عليه
وسلم - وهو يشير بهذا الدواء وهو أن يأخذ الشونيز ثلاثة دراهم،
ومن الخزامى درهمين ونصفا ومن الكمون الأبيض ثلاثة دراهم ومثله
من السعتر الشامى ومثله من الفلية ووزن درهم من البلوط، وهو
ثمرة الفؤاد، وأوقية من الزيت المرقى، ويجعل فيه من العسل النحل
ما يعتد به وهو ربع رطل، ويأخذ منه غدوة النهار وزن درهمين على
الريق، وعند النوم درهم ونصف فاستعمله فبرأ، ثم إنه - صلى الله
عليه وسلم - بعد ذلك قال في النوم لذلك الشخص الذي أخبره بهذا
الدواء أنه يدفع الأدوية، وهي الريح وسلس الريح والمعدة وبرودتها
ووجع الفؤاد وألم الحيض وألم النفاس. وروى الشيخان وابن السني
وأبو نعيم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن امرأة سألت النبي
- صلى الله عليه وسلم - عن طهرها من الحيض قال: (خذي فرصة
من مسك فتنطري بها) قالت: كيف أتطهر بها فاجتذبتها إلي ؟
فقلت: تتبعي بها أثر الدم (٢). وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري
- رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:
(أطيب الطيب المسك) (٣).

(١) انظر كشف الخفاء ٢ / ١٦٩. (٢) أخرجه مسلم ١ / ٣٦٠ (٣٣٣). (٣) أخرجه
مسلم (٤) ١٧٦٦ (٣٢٥٢). (*)

[٣١١]

وروى ابن السني عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: ما
تستطيع إحدا كن إذا طهرت من حيضتها أن تدهن بشئ من قسط،
فإن لم تجد فشيئ من ريحان وفي لفظ: من ريحان يعني: الأس، فإن
لم تجد فشيئ من نوى، فإن لم تجد فشيئ من ملح. وروى الشيخان
وابن السني وأبو نعيم عن أم عطية - رضي الله تعالى عنها - قالت:
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (المرأة تحد على زوجها
أربعة أشهر وعشرا ولا تطيب إلا عند أدنى طهرها نبذة من قسط
وأظفار). وفيه عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - قال:
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أكرموا عمتم النخلة فإنها
خلقت من فضلة طينة آدم - عليه الصلاة والسلام - وليس من
الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت
عمران، فأطعموا نسائكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمرة. وفيه
عن أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم -: (أطعموا نسائكم الرطب فإنه لو علم الله خيرا منه
لأطعمه مريم) قالوا: يا رسول الله ليس في كل حين يكون الرطب
قال: (فتمر) قالوا: يا رسول الله فأبي التمر ؟ قال: (كل التمر طيب
وخير تمركم البرني يشبع الجائع ويدفي بها المقرور). وفيه عن أبي
هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم -: (ما للنفساء عندي شفاء مثل الرطب ولا للمريض مثل
العسل). الباب الثالث والستون في إطعامه - صلى الله عليه وسلم -
المزورات للناقه وهو الذي برئ من مرضه ولم يصل لحالته الأولى
روى أبو نعيم في الطب عن أم المنذر قالت: دخل علي رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - ومعه علي - رضي الله تعالى عنه - وهو
ناقه قالت: ولنا دوال معلقة قالت: فقام رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - ليأكل وقام علي يأكل فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -:
(مهلا يا علي فإنك ناقه) قالت: فجلس علي فأكل منها النبي -
صلى الله عليه وسلم - ثم جعلت لهم سلقا وشعيرا فقال النبي -
صلى الله عليه وسلم -: (من هذا أصب يا علي) (١). وفيه عن
صهيب - رضي الله تعالى عنه - قال: قدمت على رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - وبين يديه تمر وخبز فقال: (ادن فكل)، فأخذت آكل من التمر فقال: (أأكل من التمر وبك رمد؟)

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٥٦). (*)

[٢١٢]

فقلت: يا رسول الله أمضغه من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. تنبيه: (الناقه) - بنون فألف فقاق - الذي قام من ضعفه. الباب الرابع والستون في تغذيته - صلى الله عليه وسلم - المريض بالطف ما اعتاده من الأغذية روى البخاري ومسلم من حديث عروة عن عائشة، أنها كانت إذا مات الميت من أهلها واجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلى أهلهن أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت وصنعت ثريدا ثم صبت التلبينة عليه، ثم قالت: كلوا منها فإنني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن). وروى ابن ماجه وأحمد والحاكم عن عائشة قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالبغيض النافع التلبين) قالت: وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار حتى ينتهي أحد طرفيه يعني: يبرأ أو يموت. الباب الخامس والستون في بعض فوائد تتعلق بالأبواب السابقة قال الله تعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حي) [الأنبياء ٣٠]. روى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: يا نبي الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي فأخبرنا عن كل شئ قال: (كل شئ خلق من الماء) قال الله تعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حي) [الأنبياء ٣٠] فالماء يحفظ على اليدين رطوبته وهو أنفع الأشربة وأوقفها. وفيه عن بريدة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (خير الشراب في الدنيا والآخرة الماء. وأنفع المياه أخفه وزنا وأعذبه طعما) (١). وروى أبو نعيم في الطب عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يستعذب له الماء العذب من السقيا. وفيه عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: وذكر العقيق قال (ما ألين موطنه وأعذب ماءه).

(١) انظر الكنز (٢٨٢٩٣). (*)

[٢١٣]

والماء البارد على الريق يبرد الكبد جيدا، وعلى الطعام يقوي المعدة وينهض الشهوة. وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (أول ما يقال للعبد يوم القيامة: ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد، وأجود المواضع لتبريد الماء المبردات والأشجار، والمواضع العالية الهوائية، لأنها أسعد إلى تبريد الماء) (١). وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: فاتتني العشاء ذات ليلة فخرجت فذكر قصة أبي الهيثم بن التيهان وفيها جاء بقرية (٢) [يزعبها، فوضعها ثم جاء يلتزم النبي - صلى الله عليه وسلم - ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطا، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقنو فوضعه، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -

وسلم - : (أفلا تنقيت لنا من رطبه) ؟ فقال: يا رسول الله إنني أردت أن تختاروا، أو قال: تخيروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة: ظل بارد، ورتب طيب وماء بارد). وأنفع المياه ما روق وسكن حتى يرسب ما خالطه. وروى أبو نعيم في الطب عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاد رجلا من الأنصار وإلى جانبه ماء في ركي، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن كان الليلة عندكم ماء بات في شبن، وإلا كرعنا في هذا) فأتي بماء وصب عليه فشرب. وأنفع المياه أخف المياه وألطفها إذا لم يطل. فائدة في الأدوية الإلهية ١ اعلم أن الله تعالى لم ينزل دواء أعم ولا أعظم في إزالة الداء من القرآن، فهو للداء شفاء قال الله تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء) [الإسراء ٨٢] فالقرآن شفاء لكل داء، والصدأ القلوب جلاء، وشفاء للأخلاق المذمومة لاشتماله على نقيضها من المفاسد والأخلاق الفاضلة والأعمال المحمودة، وإنما كان شفاء للأمراض الجثمانية، فلأن التبرك بقراءته ينفع كثيرا من الأمراض.

(١) أخرجه الحاكم ٤ / ١٣٨، والترمذي (٢٣٦٩). (٢) ثبت هذا الحديث في المخطوط هكذا (.. وفيها جاء بقربة، فأتى بها يحلبه فعلقها بكرنا، وفيه من كرائمها، ثم قال: إليها وقد شققها الريح حتى بردت فصب منها في الإناء، ثم ناول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: الحمد لله هذا من النعيم لتسألن عنه يوم القيامة. (*)

[٢١٤]

روى ابن ماجة عن علي - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا: (خير الدواء القرآن ومن أنفع الأدوية الدعاء وهو عدو البلاء). وروى الإمام مالك ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة وأبو داود الطيالسي عن عثمان بن أبي العاص قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا اشتكى أحدكم فليضع يده حيث يجد ألمه ثم ليقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سيعا). وروى الترمذي، وقال حسن غريب والحاكم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا اشتكى فضع يدك حيث تشتكي ثم قل: بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وترا) (١). وروى الإمام أحمد والطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق عن كعب بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا وجد أحدكم ألما فليضع يده حيث يجد ألمه، وليقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد). وروى ابن السني عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا عسر على المرأة ولادتها فخذ إناء نظيفا فاكتب عليه (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) [النازعات ٤٦] و (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) [يوسف ١١١] إلى آخر الآية ثم يغسل وتسقى المرأة منه وينضح على بطنها وفرجها (٢). وروى الرافعي عن ذكوان بن نوح قال: اشتكى رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجع الضرس فقال: (اسكني أيها الريح اسكنتك بالذي سكن له ما في السموات وما في الأرض وهو السميع العليم) (٣). وروى الترمذي وابن ماجة والطبراني في الكبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمهم من الحمى والأوجاع كلها أن يقولوا: (بسم الله الكبير أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعاد ومن شر حر النار) (٤). وروى ابن ماجة عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (خير الدواء القرآن) (٥).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٨٨). (٢) انظر الكنز (٢٨٢٨١). (٣) انظر الكنز (٢٨٢٨٠). (٤) أخرجه ابن ماجه (٢٥٢٦). (٥) أخرجه ابن ماجه (٢٥٠١). (*)

[٢١٥]

وروى الديلمي وأبو نعيم عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (دووا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة فإنها تدفع عنكم الأمراض والأعراض، وهي زيادة في أعماركم وحسناتكم) ورواه أبو الشيخ عن أبي أمامة: (واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء). وروى أبو نعيم في الطب، عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم دواء من سبعين داء أو تسعة وتسعين داء أيسرها الهم) (١). وروى الدارمي في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان من مرسل عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (فاتحة الكتاب شفاء من كل داء) (٢). وروى الإمام أحمد في مسنده، والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن جابر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ألا أخبركم بخير سورة نزلت في القرآن؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: (فاتحة الكتاب) وأحسبه قال: (فيها شفاء من كل داء). (٣) وروى الثعلبي من طريق معاوية بن صالح عن أبي سليمان قال: مر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض غزواتهم على رجل قد صرع فقرأ بعضهم [في أذنه] (٤) بأمر القرآن فبرأ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (هي أم القرآن وهي شفاء من كل داء. وفي سنن سعيد بن منصور وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً (فاتحة الكتاب شفاء من السم) ورواه أبو الشيخ ابن حيان في الثواب عن حديث أبي سعيد وأبي هريرة. تنبيه: قال ابن القيم: [من ساعده التوفيق، وأعين بنور البصيرة حتى وقف على أسرار هذه السورة، وما اشتملت عليه من التوحيد، ومعرفة الذات والأسماء والصفات والأفعال، وإثبات الشرع والقدر والمعاد، وتجرید توحيد الربوبية والإلهية، وكمال التوكل والتفويض إلى من له الأمر كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، والافتقار إليه في طلب الهداية التي هي أصل سعادة الدارين، وعلم ارتباط معانيها بجلب مصالحتها، ودفعت

(١) انظر كنز العمال (١٩٥٦). (٢) انظر الكنز (٢٥٠٠). (٣) أخرجه أحمد ٤ / ١٧٧. (٤) سقط في ب. (*)

[٢١٦]

مفاسدهما، وأن العاقبة المطلقة التامة، والنعمة الكاملة منوطة بها، موقوفة على التحقق بها، أغنته عن كثير من الأدوية والرقى، واستفتح بها من الخير أبوابه، ودفعت بها من الشر أسبابه. وهذا أمر يحتاج استحداث فطرة أخرى، وعقل آخر، وإيمان آخر، وتالله لا تجد مقالة فاسدة، ولا بدعة باطلة إلا وفاتحة الكتاب متضمنة لردّها وإبطالها بأقرب الطرق، وأصحها وأوضحها، ولا تجد باباً من أبواب المعارف الإلهية، وأعمال القلوب وأدويتها من عللها وأسقامها إلا وفي فاتحة الكتاب مفتاحه، وموضع الدلالة عليه، ولا منزلاً من منازل السائرين إلى رب العالمين إلا وبدايته ونهايته فيها. ولعمر الله إن شأنها لأعظم من ذلك، وهي فوق ذلك، وما تحقيق عبد بها، واعتصم

بها، وعقل عمن تكلم بها، وأنزلها شفاء تاما، وعصمة بالغة، ونورا مبينا، وفهمها وفهم لوازمها كما ينبغي ووقع في بدعة ولا شرك، ولا أصابه مرض من أمراض القلوب إلا لماما، غير مستقر. هذا، وإنما المفتاح الأعظم لكنوز الأرض، كما أنها المفتاح لكنوز الجنة، ولكن ليس كل واحد يحسن الفتح بهذا المفتاح، ولو أن طالب الكنوز وقفوا على سر هذه السورة، وتحققوا بمعانيها، وركبوا لهذا المفتاح أسنانا، وأحسنوا الفتح به، لوصلوا إلى تناول الكنوز من غير معاق، ولا ممانع. ولم نقل هذا مجازفة ولا استعمارة، بل حقيقة، ولكن لله تعالى حكمة بالغة في إخفاء هذا السر عن نفوس أكثر العالمين، كما له حكمة بالغة في إخفاء كنوز الأرض عنهم. والكنوز المحجوبة قد استخدم عليها أرواح خبيثة شيطانية تحول بين الإنس وبينها، ولا تقهرها إلا أرواح علوية شريفة غالبية لها لحالها الإيمان، معها منه أسلحة لا تقوم لها الشياطين، وأكثر نفوس الناس ليست بهذه المثابة، فلا يقاوم تلك الأرواح ولا يقهرها، ولا ينال من سلبها شيئا، فإن من قتل قتيلا فله سلبه [.

[٢١٧]

الباب السادس والستون في الكلام على بعض المفردات التي جاءت على لسانه - صلى الله عليه وسلم - روى الطيالسي بسند صحيح وابن أبي عمير وابن منيع وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن حبان عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالبيان البقر، فإنها تأكل من كل الشجر) ورواه الحاكم (وهو شفاء من كل داء). وروى الحاكم عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما أنزل الله داء إلا وقد أنزل الله له شفاء وفي البيان البقر شفاء من كل داء (١). وروى الطبراني في الكبير عن مليكة بنت عمرو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (البيان البقر شفاء وسمنها دواء ولحومها داء) (٢). وروى الطبراني في الكبير والخطيب عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تداووا بالبيان البقر فإنني أرجو أن يجعل الله فيها شفاء فإنها تأكل من كل الشجر) (٣). وروى ابن السنني وأبو نعيم عن صهيب - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بأبوال الإبل البرية وألبانها). وروى ابن عساکر عن طارق بن شهاب - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالبيان الإبل والبقر، فإنها ترم من الشجر كله، وهو دواء من كل داء). وروى ابن السنني وأبو نعيم والحاكم عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالبيان الإبل والبقر، فإنها دواء سمنانها فإنها شفاء وإياكم ولحومها فإن لحومها داء). وروى ابن السنني وأبو نعيم عن صهيب - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالبيان البقر فإنها شفاء وسمنها دواء ولحومها داء. وهو بارد يابس، يقطع الدم من الجراحة ذرورا ونصفه يقطع رائحة الثوم والبصل، وإذا نفخ رماده في أنف الراعف قطع دمه.

(١) أخرجه الحاكم ٤ / ٤٠٤. (٢) أنظر المجمع ٥ / ٩٠. (٣) أنظر المجمع ٥ / ٨٤. (*)

[٢١٨]

وروى البخاري ومسلم أنه لما كسرت رباعية النبي - صلى الله عليه وسلم - عمدت فاطمة إلى حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رمادا

ألقته على جرحه فاستمسك الدم، البطيخ: روى الديلمي والرافعي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (في البطيخ عشر خصال، هو طعام وشراب وريحان وفاكهة وأشنان ويغسل البطن ويكثر ماء الظهر ويزيد في الجماع، ويقطع الأبردة وينقي البشرة). البنفسج: قال - عليه الصلاة والسلام -: (فصل البنفسج على سائر الأدهان كفضلي على سائر الخلق) وهو بارد في الصيف حار في الشتاء رواه أبو نعيم في الطب. وروى الترمذي وأبو داود أنه - عليه الصلاة والسلام - كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول: يدفع حر هذا برد هذا، ويرد هذا حر هذا. وروى ابن السني وأبو نعيم عن صهيب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بأبوال الإبل البرية وألبانها). تنبيه: (التليينة) بمثابة فوذية فلام فموحدة فمثمثة تحتية وفسرتها أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - بلب القمح بالسمن وقال النضر بن شميل ما اتخذ من النخالة، وقيل: دقيق يحسن وقال قوم: فيه شحم. وروى محمد بن يحيى بن أبي عمر عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالبغيض النافع) قالوا: وما هو؟ قالت التليينة قالت عائشة - رضي الله تعالى عنها -: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا مرض المريض في بيته أتى بالبرمة فوضعت على النار فلم ترفع عن النار حتى يقضي على أحد طرفيه، إما أن يموت وإما أن يصح، وفي رواية له ولابن أبي شيبه والحاكم وصححه والبيهقي وابن ماجه بلفظ: (عليكم بالبغيض النافع) قالوا: وما هو؟ قال (التليينة، والذي نفسى بيده إنها لتغسل أحدكم وجهه بالماء من الوسخ) وفي لفظ: (ليغسل، بطن أحدكم كما يغسل الوسخ عن وجهه). وروى الحارث عن إسحاق بن أبي طلحة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (في التليينة شفاء من كل داء). وروى الإمام أحمد والبيهقي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (التليينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن). التمر: وروى ابن السني وأبو نعيم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالتمر فإن الله تعالى جعل فيه شفاء من كل داء). (*)

[٢١٩]

الحبة السوداء: وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه والطبراني في الكبير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام). وروى الامام أحمد والشيخان وابن ماجه عن أبي هريرة والبخاري عن عائشة والطبراني في الكبير والضياء عن أسامة بن شريك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام). وروى ابن ماجه ابن عمر والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن حبان عن أبي هريرة - والإمام أحمد عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام والسام الموت). وروى ابن السني وأبو نعيم [عن صهيب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (عليكم بأبوال الإبل البرية وألبانها). وروى [(١) الديلمي عن أبي رافع - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بسيد الخضاب الحناء فإنه يطيب البشرة ويزيد في الجماع). الرمان: وروى أبو نعيم في الطب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الرمان فقال: يا أنس ما من رمانة إلا وفيها حبة من حبات رمان الجنة فسأله الثانية فقال يا بن مالك ما لقت رمانة إلا بقطرة من ماء الجنة فسأله الثالثة فقال: نعم يا بن مالك ما أكل رجل من رمانة إلا ارتد قلبه إليه وهرب الشيطان منه أربعين ليلة، ولولا استحيائه من رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - لسأله الرابعة. الزاي الزبيب: وروى أبو نعيم عن علي - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالزبيب فإنه يكشف المرة ويذهب بالبغم ويشد العصب ويذهب بالعباء ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب بالهم). السنن: روى ابن ماجه والحاكم في الكنى وابن مندة والطبراني في الكبير والحاكم وابن السنن وأبو نعيم في الطب والبيهقي وابن عساکر عن أبي أبي ابن أم حرام أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام) قالوا: يا رسول الله وما السام؟ قال: (الموت).

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

[٢٢٠]

السنا (١) مقصور قال الفراء: ويمد أيضا، وينثنى سنوان وقال ابن زياد: هو من الأعلاف وورقته رقيقة وله سنة إذا حركته الريح تخشخش السنوت بسين مهملة فنون مضمومة فواو فمثناه فوقية، قال أبو نعيم في الطب: قال ابن أبي خيثمة: السنوت الشيت وقال آخرون: هو العسل الذي يكون في زقاق السمن وهو قول الشاعر: هم السمن بالسنوت لا ألس فيهم * وهم يمنعون جارهم أن يقردا وقيل لعمر: وما معنى قوله (لا ألس فيهم) قال: (لا غش فيهم). قلت: فما معنى أن يقردا قال: لا يذل. وقيل السنوت: الكمون. وقيل: الرازيانج. وقيل: التمر. السفرجل: روى أبو نعيم في الطب أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: (كلوا السفرجل فإنه يذهب وقر الصدر). الشين الشونيز: روى ابن أبي شيبة عن بريدة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الشونيز دواء من كل داء، إلا السام، قالوا: يا رسول الله، وما السام؟ قال: الموت) (٢). وروى الطبراني رجال ثقات عن أسامة بن شريك - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام) (٣). وروى أبو يعلى عن بريدة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (العجوة من فاكهة الجنة والكمأة دواء العين، والشونيز دواء من كل داء إلا الموت). وروى الإمام أحمد عنه مرفوعا: (اعلموا أن الكمأة دواء العين، وأن العجوة من فاكهة الجنة، وأن هذه الحبة السوداء التي تكون في الملح دواء من كل داء إلا الموت) (٤). وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٥٧). (٢) انظر الكنز (٢٨٢٥٣). (٣) انظر مجمع الزوائد ٥ / ٨٨. (٤) انظر كنز العمال (٣٨٢٠١). (*)

[٢٢١]

رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الحبة السوداء فيها شفاء من كل داء إلا الموت) (١). وروى ابن السنن في الطب وعبد الغني في الإيضاح عن بريدة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (الشونيز دواء من كل داء إلا السام وهو الموت). وروى ابن ماجه عن ابن عمر والترمذي والطبراني في الكبير عن أبي هريرة والإمام أحمد عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام وهو الموت) (٢). (الشيرم) بشين معجمة فموحدة فراء

فميم: شجرة حارة محرقة. (شيخ) بشين معجمة مكسورة، فمثلةة تحتية ساكنة، فحاء مهملة. وروى أبو نعيم في الطب عن عبد الله بن جعفر القرشي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (بخروا بيوتكم باللبان والشيخ). ورق الشيخ طعمه مر ورائحته طيبة ومنابته القبعان والرياض يقال: شيخ وشيخان للجمع (٣). العين العسل: روى ابن ماجة وابن السني في الطب والحاكم وأبو نعيم في الحلية، وابن مردويه وأبو داود والخطيب عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالشفاء بين العسل والقرآن) (٤). وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم بلاء) (٥) وفيه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما طلب الدواء بشئ أفضل من شربة عسل). العجوة: وروى مسلم وأبو نعيم في الطب عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن في عجوة العالية شفاء وإنها تريق أول البكرة). وروى أبو نعيم في الطب عنها قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (في عجوة العالية وقال

(١) انظر الكنز (٣٨٢٥١). (٢) أخرجه ابن ماجة (٣٤٤٨) (٣) انظر الكنز (٢٨٣١٧). (٤) أخرجه ابن ماجة (٣٤٥٢) (٥) انظر الكنز (٣٨١٦٩). (*)

[٢٢٢]

مرة العالية أو إنها تريق أول البكرة على الريق) وفي لفظ: (في عجوة العالية شفاء أو تريق أول البكرة على ريق النفس شفاء من كل سحر أو سم (١). وروى الشيخان عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالعود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية يسعط به من العذرة وبلد به من ذات الجنب). الهاء الهليلج: روى الحاكم وتعقب والديلمي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (عليكم بالهليلج الأسود فاشربوه فإنه من شجر الجنة طعمه مر وهو شفاء من كل داء) (٢). في بيان ما سبق: شونيز: بشين معجمة مضمومة فواو ساكنة فنون فمثلةة تحتية فزاي، قال أبو نعيم في الطب: وهو شونيز فارسي الأصل. روى عن بريدة - رضي الله تعالى عنه - الشونيز دواء من كل داء إلا الموت. صعت: بصاد فعين مهملتين فمثلةة فوقية فراء. روى أبو نعيم في الطب عن أبان بن صالح عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (بخروا بيوتكم بالشيخ والمر والصعت) (٣) وفيه عن [أنس] (٤) - رضي الله تعالى عنه - قال: مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحائط من حيطاننا، وفيه شجرة نابتة فقالت: (خذني يا رسول الله، فوالذي بعثك بالحق ما أنزل الله من داء إلا وفي له شفاء) يعني الصعت. صبر: بصاد مهملة فموحدة فراء. وروى أبو نعيم في الطب عن أبان عن عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان يخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المحرم يشتكى عينيه قال: يضمدهما بالصبر. صمغ: بصاد فعين مهملتين بينهما ميم. روى أبو نعيم في الطب عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يلبد بالصمغ والعسل.

(١) أخرجه مسلم (٣٠٤٨). (٢) أخرجه الحاكم ٤ / ٤٠٤. (٣) انظر كنز العمال (٢٨٣١٦). (٤) في ب ابن عباس. (*)

حنظل: بحاء مهملة فنون فطاء معجمة مشالة فلام. روى أبو نعيم في الطب عن أبي موسى - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (مثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحان ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها خبيث وريحها خبيث). حناء: بحاء مهملة فنون فالف. روى أبو نعيم في الطب عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (سيد الرياحين في الدنيا والآخرة الحناء). أرز: بهمزة مفتوحة فراء ساكنة فزاي: قال أبو نعيم في الطب: واحد أرزة الرء ساكنة والإنات من الأرز الصنوبر ومنه يتخذ القطران. وروى عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد). ثقاء بقاء مثلية، ففاء فالف فهمز: هو الحرف تسمية العامة حب الرشاد. وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالثفاء فإن الله تعالى جعل فيه شفاء من كل داء). قسط بقاف فسين فطاء مهملتين ويقال له: كست: بكاف فسين مهملة فمثناة فوقية. روى أبو نعيم في الطب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير ما تداويتم به الحجاماة والقسط البحري). مر: بميم فراء. وروى أبو نعيم في الطب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (بخروا بالشيخ والمر والصعتر). أهليلج: بهمزة فهاء فلامين بينهما مثناة تحتية فميم. وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الأهليلج من شجر الجنة). كماء: بكاف فميم فهمزة فهاء. وروى أبو نعيم في الطب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم).

قرع: بقاف فراء فعين مهملة. كتم: بكاف ففاء فميم. وروى أبو نعيم في الطب عن أبي ذر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم) (١). مرنجوش: بميم فراء فنون فميم فواو فشين معجمة. الهندبا: بهاء فنون ففال مهملة فموحدة فالف. روى أبو نعيم في الطب عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما من ورقة من ورق الهندباء إلا عليها قطرة من ماء الجنة) (٢). الزيت: بزاي فمثناة تحتية فأخرى فوقية. روى أبو نعيم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (كلوا الزيت وادهنوا به فإنه شفاء من سبعين داء منها الجذام) (٣). العدس: بعين ففال فسين مهملة. وروى أبو نعيم في الطب عن وائلة بن الأسقع - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالعدس فإنه قدس على لسان سبعين نبيا) (٤). العسل: بعين فسين مهملتين فلام. إتمد: روى أبو داود الطيالسي والبيهقي عن ابن عباس وابن النجار عن أبي هريرة وعبد بن حميد وابن ماجه وابن منيع وأبو يعلى والعقيلي والضياء عن جابر وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: عليكم بالإتمد) وفي

لفظ: (عند النوم فإنه يجلو البصر وينبت الشعر). وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن السني عن علي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالإثم فإنه منبته للشعر مذهبة للقضاء مصفاة للبصر) (٥). وروى عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (البلح بالتمر

(١) أخرجه الترمذي (١٧٥٣) وأبو داود (٤٢٠٥). (٢) انظر الكنز (٣٥٣٣٣). (٣) انظر الكنز (٢٨٢٩٩). (٤) انظر كنز العمال (٣٥٣٣٣). (٥) انظر كنز (١٧٢٠٥). (*)

[٢٣٥]

كلوا الخلق بالجديد فإن الشيطان إذا رآه غضب) وقال: (عاش ابن آدم حتى أكل الخلق بالجديد). الكحل: بالكاف. روى البغوي في مسند عثمان عن عثمان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (عليكم بالكحل فإنه ينبت الشعر). اللبن الحليب يخضب البدن، وينفع من الربو والسعال ويزيد في الباءة ولبن الإبل أكثرها فضولا وأدسمها، وإذا شئت اللبن بما كان أقل ضررا لمن يعتريه الصداع. وألبان الإبل تشفي من فساد المزاج وتغير المياه والصدر. وألبان الأتن نافعة من فساد الرئة، وقد ذكر أبو نعيم في الطب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رخص فيه واللبن الحليب مع التمر يخضب البدن جدا، وكان عليه والصلاة والسلام يسميهما الأطيبان، والزيد نافع للقوياء ولخشونة الصدر والسمن أقوى الأدهان وأغذاها يلين الصلابات، والجبن يقوي المعدة فإذا أكل بعد الطعام أذهب الرخامة، والبشم. اللحم. روى عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن للقلب فرحة عند أكل اللحم) رواه البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الطب وعنه - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: (سيد الأدم في الدنيا والآخرة اللحم) وعنه - عليه الصلاة والسلام - قال: (سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم ثم الأرز) وكان أحب اللحم إليه الكتف والذراع ولحم الظهر كما روى جميع ذلك كله أبو نعيم في الطب. الدباء. روى الديلمي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكثر من أكل الدباء فقلت: يا رسول الله - إنك لتحب الدباء قال: (الدباء يكثر الدماغ ويزيد في العقل) (١). الهندباء. وروى أبو نعيم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عليكم بالهندباء فإنه ما من يوم إلا وهو يقطر عليه قطر من قطر الجنة) (٢).

(١) انظر الكنز (٢٨٢٧٨). (٢) انظر الكنز (٢٨٢٨٤). (*)

[٢٣٦]

العجوة. روى الإمام أحمد عن عائشة - رضي الله تعالى عنهما - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (في عجوة العالية أول البكرة شفاء من كل سحر أو سم). غبار المدينة. روى أبو سعيد السمان في مشيخته والرافعي عن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس ابن شماس عن أبيه عن جده والديلمي عن إسماعيل عن جده ثابت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (غبار المدينة شفاء من الجذام). النبق. القرع. روى الطبراني في الكبير عن وائلة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

(عليكم بالقرع فإنه يزيد في الدماغ، وعليكم بالعدس فإنه قدس على لسان سبعين نبيا).

[٢٢٧]

جماع أبواب مرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووفاته الباب الأول في كثرة أمراضه - صلى الله عليه وسلم - روى أبو يعلى بسند جيد عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان عرق الكلية وهي الخاصرة تأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهرا ما يستطيع أن يخرج للناس، ولقد رأيت يكره حتى أخذ بيده فأثقل فيها بالقرآن ثم أكبها على وجهه التمس بذلك بركة القرآن وبركة يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقول يا رسول الله إنك مجاب الدعوة فادع الله يفرج عنك ما أنت فيه فيقول: (يا عائشة أنا أشد الناس بلاء) (١). وروى ابن السني، وأبو نعيم عنها: (أن الخاصرة كانت تنهز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكنا ندعوها عرق الكلية). وروى أبو يعلى - بسند ضعيف عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: (مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذات الجنب) (٢). قال الحافظ بهاء الدين محمد بن أبي بكر البوصيري في (إتحاف المهرة) إنه حديث منكر فقد ثبت في الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ذلك ما كان الله يعذبني به). وروى الحاكم وصححه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تأخذه الخاصرة فيشتد به جدا فاشتدت به حتى أغمي عليه وفزع الناس إليه فظننا أن به ذات الجنب فلددناه ثم سري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفاق فعرف أنه قد لد فقال: (ظننتم أن الله قد سلطها علي ما كان ليفعل إنها من الشيطان وما كان الله ليسلطه علي) (٣). وروى البخاري وابن سعد والحاكم وابن جرير عن عائشة وابن سعد عن أم سلمة وابن سعد عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قالوا: (كانت تأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخاصرة فاشتدت به فأغمي عليه حتى ظننا أنه قد مات فلددناه فجعل يشير إلينا أن لا تلدونى فقلنا: كراهية المريض للدواء فلما أفاق. قال: (ألم أنهكم أن تلدونى). وفي لفظ - (أما إنكم لدتوموني وأنا صائم) ثم قال: (أكنتم ترون أن الله يسلط علي

(١) أخرجه أبو يعلى ٨ / ٢٠٧ (٤٧٦٩). وانظر المجمع ٢ / ٢٩٤. (٢) أخرجه الحاكم ٤ / ٤٠٥. (٣) أخرجه أحمد ٦ / ١١٨. (*)

[٢٢٨]

ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا إن ذات الجنب من الشيطان والله لا يبقى في البيت أحد إلا لد وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم يشهد كم فما بقي أحد في البيت إلا لد ولدنا ميمونة وهي صائمة) (١). وروى ابن إسحاق - بسند فيه متهم وهو علي - عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت (تمادى على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجعه وهو يدور على نسائه في بيت ميمونة فاجتمع إليه أهله فقال العباس: إنا لنرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات الجنب لألدنه فلدوه وأفاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (من فعل هذا ؟) قالوا: عمك العباس تخوف أن يكون بك ذات الجنب فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إنها من الشيطان وما كان الله ليسلطه علي لا يبقى في البيت أحد إلا لدتوموه إلا عمي العباس) فلد أهل البيت كلهم حتى ميمونة وإنها

لصائمة يؤمئذ وذلك بعين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . قلت:
ولا منافاة بين حديث أبي يعلى وهذين الحديثين: لأن في ذات
الجنب تطلق بإزاء مرضين. أحدهما: ورم حار يعرض في الغشاء
المستبطن. والآخر: ریح محتقن بين الأضلاع، فالأول هو المنفي هنا،
والثاني هو الذي أثبت في حديث أبي يعلى وليس فيه محذور
كالأول. (اللذود) بفتح اللام وبدالين مهملتين أن تجعل الدواء في أحد
جانبي الفم، وكان الذي لدوه به العود الهندي، والزيت والورس.

(١) أخرجه البخاري ٧ / ٧٥٤ (٤٤٥٨، ٥٧١٢). (*)

[٢٢٩]

الباب الثاني في نعي الله تعالى إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم -
- نفسه الشريفة قال الله تعالى: (إنك ميت وإنهم ميتون) [الزمر ٣٠
]. وقال عز وجل: (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم
الخالدون) ؟ [الأنبياء ٣٤] وقال تعالى تقديس اسمه (كل نفس ذائقة
الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) [آل عمران ١٨٥] الأيات.
وقال تبارك وتعالى: (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير
فتنة وإلينا ترجعون) [الأنبياء ٣٥]. وقال سبحانه وتعالى: (وما محمد
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على
أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله
الشاكرين) [آل عمران ١٤٤]. وقال تبارك وتعالى: (بسم الله
الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين
الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) [النصر ١ - ٣].
وروى ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر والبخاري وأبو يعلى
وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر - رضي الله تعالى
عنهما - قال: نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوسط
أيام التشريق بمعنى وهو في حجة الوداع (إذا جاء نصر الله والفتح
ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) [النصر ١ - ٣] حتى
ختمها فعرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه الوداع فخطب
الناس خطبة أمرهم فيها ونهاهم. وروى الإمام أحمد والبلاذري وابن
جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت (إذا جاء نصر الله
والفتح) [النصر ١] قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (نعيت
إلي نفسي وقرب أجلي). وروى النسائي وعبد الله ابن الإمام أحمد
في زوائد الزهد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عنه قال: لما
نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) نعيت إلي رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - نفسه حتى أنزلت فأخذني أشد ما يكون اجتهدا في أمر
الآخرة. وروى الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم عن الفضيل بن عياض
قال: لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) [النصر ١] إلى آخر السورة
قال محمد - صلى الله عليه وسلم -: (يا جبريل نعيت إلي نفسي)
قال جبريل: (الآخرة خير لك من الأولى).

[٢٣٠]

وروى ابن سعد عن الحسن البصري - رحمه الله تعالى - قال: لما
نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إذا جاء نصر الله
والفتح) إلى آخرها قال قرب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أجله وأمر بكثرة التسييح والاستغفار. وروى عبد الرزاق والشيخان
وابن سعد عن عائشة وابن جرير وابن مردويه عن أم سلمة وعبد
الرزاق وابن جرير وابن المنذر والحاكم عن ابن مسعود - رضي الله
تعالى عنهم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منذ نزلت

عليها لسورة كان لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجئ إلا قال: وفي لفظ لعائشة: كان يكثر في آخر عمره من قول: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم) ويقول ذلك في ركوعه وسجوده يتأول القرآن يعني (إذا جاء نصر الله والفتح) [النصر ١] قالت عائشة: فقلت له: يا رسول الله إنك تكثر من قول سبحان الله ويحمده أستغفر الله وأتوب إليك ما لم تكن تفعله قبل اليوم، فقال (إن ربي كان أخبرني بعلامه في أمتي فقال إذا رأيتها فسيح بحمد ربك واستغفره فقد رأيتها) (إذا جاء نصر الله والفتح) [النصر ١] إلى آخر السورة. وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أم حبيبة - رضي الله تعالى عنها - قالت: لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن الله لم يبعث نبيا إلا عمر في أمته شطر ما عمر النبي الماضي قبله، وإن عيسى ابن مريم كان عمره أربعين سنة في بني إسرائيل، وهذه لي عشرون سنة وأنا ميت في هذه السنة فيكت فاطمة فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (وأنت أول أهل بيتي لحوقا بي) فتيسمت. وروى الطبراني والحاكم والطحاوي والبيهقي بسند صحيح عن فاطمة الزهراء - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إنه لم يكن نبي إلا عاش من بعده نصف عمر الذي كان قبله وإن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة، ولا أراني إلا ذاهبا على رأس الستين. يا بنية إنه ليس منا من نساء المسلمين امرأة أعظم ذرية منك فلا تكوني من أدنى امرأة صبرا، إنك أول أهل بيتي لحوقا بي وإنك سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من البتول مريم بنت عمران). وروى إسحاق بن راهويه وابن سعد عن يحيى بن جعدة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (يا فاطمة إنه لم يبعث نبي إلا عمر نصف الذي كان قبله [وإن عيسى ابن مريم بعث رسولا لأربعين وإني بعثت لعشرين] (١)).

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

[٢٣٦]

وروى البخاري في (تاريخه) عن زيد بن أرقم - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما بعث الله نبيا إلا عاش نصف ما عاش الذي كان قبله). وروى ابن سعد عن يزيد بن زياد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في السنة التي قبض فيها لعائشة - رضي الله تعالى عنها -: (إن جبريل كان يعرض على القرآن في كل سنة مرة فقد عرض على العام مرتين وأنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر أخيه الذي كان قبله عاش عيسى ابن مريم مائة وخمسا وعشرين سنة، وهذه اثنتان وستون سنة، ومات في نصف السنة). وروى أبو يعلى من طريق الحسين بن علي بن الأسود وياقي رجاله ثقات عن يحيى بن جعدة قال: قالت فاطمة - رضوان الله تعالى عليها -: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن عيسى ابن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة). تنبيه: قال البيهقي كذا في هذه الرواية. وقد روى عن المسيب أن عيسى حين رفع كان ثلاث وثلاثين سنة. وعن وهب بن منبه: اثنتان وثلاثون سنة، فإن صح قول ابن المسيب وابن وهب فالمراد من الحديث والله تعالى أعلم: ما بقى في الأرض بعد نزوله من السماء والله تعالى أعلم. قلت: لم يصح ما نقله عن سعيد وهب وقد بسطت الكلام على ذلك في باب [...] فراجع. وقال الحافظ ابن حجر بعد إيرادته في (المطالب العالية): حديث يحيى بن جعدة معناه عمره في النبوة.

الباب الثالث في عرضه - صلى الله عليه وسلم - القرآن على جبريل - عليه الصلاة والسلام - في العام الذي مات فيه مرتين وبعثه - صلى الله عليه وسلم - نفسه لأصحابه روى الإمام أحمد وابن سعد عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرض القرآن على جبريل في كل رمضان فلما كان في العام الذي مات فيه عرضه عليه مرتين). وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعتكف في كل شهر رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي توفي فيه عكف عشرين يوماً وكان جبريل يقرأ عليه القرآن مرة كل رمضان فلما كان العام الذي توفي فيه عرضه عليه مرتين. وروى الشيخان عن فاطمة الزهراء - رضي الله تعالى عنها - أنها أسر إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال (إن جبريل كان يعارضني القرآن كل عام مرة وإنه عارضني به العام مرتين ولا أرى أجلي إلا قد قرب فاتقي الله وإصبري فإنني نعم السلف أنا لك). وروى مسلم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرمي الجمار فوقف وقال: (لتأخذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا). وروى ابن مردويه عن معاوية بن أبي سفيان والإمام أحمد وابن سعد وأبو يعلى والطبراني بسند صحيح عن واثلة بن الأسقع - رضي الله تعالى عنهما - قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (أتزعمون أنني من آخركم وفاة قلنا: أجل، قال: فإنني من أولكم وفاة وتتبعوني أفنادا يهلك بعضكم بعضاً). وروى ابن سعد عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إنني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) (١). وروى ابن سعد عن عكرمة مرسلاً قال: قال العباس: لأعلمن ما بقاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فينا فقال له: يا رسول الله لو اتخذت عرشاً فإن الناس قد أخوك، فقال: (والله لا أزال بين ظهرانيهم يبارعونني ردائي وبصيني غبارهم حتى يكون الله يريحني منهم) ! قال العباس: فعرفنا أن بقاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فينا قليل.

(١) أخرجه ابن سعد ٢ / ١٥٠، وأحمد ٣ / ١٧. (*)

وروى البزار عن العباس - رضي الله تعالى عنه - قال رأيت في المنام كأن الأرض تنزع إلى السماء بأشطان شداد، فقصصت ذلك على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (ذاك وفاة ابن أخيك). أفناد قال في القاموس أي: تتبعوني ذوي فند: أي ذوي عجز وكفر للنعمة والأشطان: بشين جمع شطن بشين معجمة فطاء مهملة فنون: الحبل. الباب الرابع فيما جاء أنه خير بين أن يبقى حتى يرى ما يفتح على أمته وبين التعجيل واستغفاره - صلى الله عليه وسلم - لأهل البقيع روى ابن إسحاق والإمام أحمد وابن سعد والبيهقي عن أبي مويهبة والإمام أحمد وابن سعد والبيهقي عن أبي رافع مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عنهما - واللفظ لأبي مويهبة - قال: أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يصلى على أهل البقيع فصلى عليهم ثلاث مرات، فلما كان في الثانية هبني من جوف الليل فقال: (يا أبا مويهبة إنني أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فاسرج لي دابتي) قال: فركب ومشيت حتى انتهت

إليهم فنزل عن دابته، وأمسكت الدابة، فلما وقف بين أظهرهم قال: (السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، لو تعلمون ما نجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، يتبع آخرهم أولها، الآخرة شر من الأولى)، ثم أقبل علي وقال: (يا أبا موبهبة إني قد أتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة. فخبرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة) قال: قلت يا أبي أنت وأمي فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: (لا والله يا أبا موبهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة)، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وجعه الذي قبضه الله عزوجل فيه حين أصبح. وروى ابن سعد عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة فلبس ثيابه ثم خرج، فأمرت خادمتي بريرة، فتبعته حتى إذا جاء البقيع وقف في أدناه ما شاء الله أن يقف ثم انصرف فسبقته بريرة فأخبرتني فلم أذكر له شيئاً حتى أصبح، ثم ذكرت له ذلك فقال (إني بعثت لأهل البقيع لأصلي عليهم) (١). وروى أيضاً عنها قالت: فقدت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الليل فتبعته فإذا هو بالبقيع فقال:

(١) أخرجه ابن سعد ٢ / ١٥٦. (*)

[٢٣٤]

السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فرط أنا الله وأناكم ما توعدون، وأنا إن شاء الله بكم لا حقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم) قالت: ثم التفت إلي فقال: (ويحها لو تستطيع ما فعلت) (١). وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال: خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (إن عبداً خيره الله تعالى بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله)، فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه فكان المخير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان أبو بكر هو أعلمنا به فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تبك يا أبا بكر إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لا تأخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام، لا يبقى باب في المسجد إلا سد إلا باب أبي بكر). وروى عبد الرزاق بسند جيد قوي عن طاووس مرسلًا قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (نصرت بالرعب وأعطيت الخزائن، وخيرت بين أن أبقي حتى أرى ما يفتح علي أمتي وبين التعجيل فأخترت التعجيل). وروى عن عقبه بن عامر - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى علي قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع علي المنبر فقال: (إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد ! وإن موعدكم الحوض وإنني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها). قال عقبه: وكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تنبيه: (هب من نومته) هب بضم الهاء وأهيبته أي استيقظته وأنبهته من نومته وأنبهه بمعناه. الفطع: بكسر القاف وسكون الطاء ظلمة آخر الليل.

(١) ابن سعد ٢ / ١٥٧. (*)

الباب الخامس في ابتداء مرضه - صلى الله عليه وسلم - وسؤال أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - أن يمرضه في بيته قال ابن إسحاق: لما قفل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حجة الوداع أقام بالمدينة ذا الحجة، والمحرم، وصفر. وضرب على الناس بعث أميره أسامة بن زيد - رضي الله تعالى عنه - وقد تقدم ذكر ذلك في جماع أبواب بعوثة فيينا الناس على ذلك إذ ابتداء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشكواه الذي قبضه الله تعالى فيه إلى ما أراده من رحمة وكرامة في ليال بقين من صفر، أو في أول ربيع الأول صبيحة ليلة خروجه البقيع ليلاً مع أبي مويهبة، فلما أصبح ابتداء بمرضه من يومه ذلك. وروى ابن سعد عن محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جده - رضي الله تعالى عنه - والبيهقي عن محمد بن قيس قال: أول ما بدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شكواه يوم الأربعاء فكان شكوه إلى أن قبض - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة عشر يوماً. ومشى على ذلك أبو عمرو وغيره. وقال سليمان التيمي: يوم السبت ومشى عليه الخطابى وقال الإمام الليث بن سعد: يوم الاثنين في صفر سنة إحدى عشرة ليلة عشرين رواه يعقوب بن سفيان قال أبو عمر: لليلتين بقيتا منه. وروى محمد بن قيس لإحدى عشرة ليلة بقيت منه. وقال عمر بن علي: لليلة بقيت منه قال أبو الفرج بن الجوزي: ابتداء به صداع في بيت عائشة، ثم اشتد أمره في بيت ميمونة وقيل: في بيت زينب بنت جحش. وقيل: في بيت ربحانة. قال الحافظ: وكونه في بيت ميمونة هو المعتمد، لأنه الذي رواه الشيخان عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - وروى البلاذري عنها أنه - صلى الله عليه وسلم - أقام في بيت ميمونة سبعة أيام. وروى ابن إسحاق والإمام أحمد عنها قالت: رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم من البقيع فدخل علي وهو يصعد وأنا اشتكي رأسي فقلت: وإرأساه فقال: (والله بل أنا والله وإرأساه). وفي رواية قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا مر بابي يلقي إلي الكلمة ينفع الله بها فمر

ذات يوم فلم يقل شيئاً مرتين، أو ثلاثاً فقلت: يا جارية دعني لي وسادة على الباب؛ فجلست عليها على طريقه وعصبت رأسي فمر بي وقال: (ما شأنك)؟ فقلت: اشتكي رأسي! فقال: (بل أنا وإرأساه)! ثم مضى فلم يلبث إلا يسيراً حتى جئ به محمولا في كساء فدخل علي وقال: (وما عليك لو مت قبلي، فوليت أمرك وصليت عليك ودفنتك) فقلت: والله إنني لأحسب أن لو كان ذلك، لقد خلوت ببعض نسائك في بيتي في آخر النهار فأعرست بها فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم تمادى به وجعه وهو يدور على نسائه ثم استعز به وهو في بيت ميمونة). وروى البخاري نحوه. وروى أبو يعلى والإمام أحمد - برجال ثقات - عنها قالت: ما مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بابي قط إلا قد قال كلمة تقر بها عيني قالت: فمر يوماً فلم يكلمني ومر من الغد فلم يكلمني قالت: ومر من الغد فلم يكلمني، قلت: قد وجد علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شيء؛ قالت فعصبت رأسي وصغرت وجهي، وألقيت وسادة قبالة باب الدار فاجتنتح عليها، قالت: فمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلي فقال: (ما لك يا عائشة)؟ قالت: قلت يا رسول الله اشتكيت وصدعت قال: (تقولين: وإرأساه، بل أنا وإرأساه) قالت فما لبث إلا قليلاً حتى أتيت به يحمل في كساء قالت: فمرضته ولم أمرض مريضاً قط... الحديث. وروى ابن سعد عن عطاء بن يسار - رحمه الله تعالى - مرسلًا قال: أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل له: اذهب فصل على أهل

البيوع، فذهب فصرى عليهم فقال: اللهم اغفر لأهل البيوع، ثم رجع فرقد فأتى فقيل له: اذهب فصل على الشهداء فذهب إلى أحد فصرى على قتلى أحد فرجع معصوب الرأس فكان بدء الوجع الذي مات فيه - صلى الله عليه وسلم - . وروى أبو طاهر المخلص عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: جاء أبو بكر إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله ائذن لي فأمرضك فأكون الذي أقوم عليك فقال: (يا أبا بكر إنني إن لم أجد أزواجي وبناتي علاجي ازدادت مصيبتى عليهم عظما، وقد وقع أجرك على الله.

[٢٢٧]

الباب السادس فيما جاء أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يدور على بيوت أزواجه في مرضه روى ابن سعد عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يحمل في ثوب يطوف على نسائه وهو مريض يقسم بينهن (١). وروى البلاذري عن ابن إسحاق قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دير به (٢) على نسائه يحمل في ثوب يأخذ بأطرافه الأربعة أبو موهبة، وشقران، وثوبان، وأبو رافع مواليه وذلك أن زينب بنت جحش كلمته في ذلك فقال: أنا أطواف وأدور عليكن وأقام بيت ميمونة سبعة أيام يبعث إلى نسائه أسماء بنت عميس يقول لهن: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشق عليه أن يدور عليكن فحللنه. وروى ابن سعد بإسناد صحيح عن الزهري أن فاطمة هي التي خاطبت أمهات المؤمنين بذلك فقالت لهن: إنه يشق عليه الاختلاف. وروى ابن إسحاق - بسند فيه متهم وهو علي - كما في الصحيح والبخاري وابن سعد والحاكم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - الحديث المتقدم في الباب الأول، وفيه: ثم استأذن نساءه أن يمرض في بيتي فقال: إنني أشتكى ولا أستطيع أن أدور بيوتكن فإن شئتن أذنتن لي كنت في بيت عائشة، فأذن له فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [يهادي] (٣) إلى بيتي وهو بين العباس وبين رجل آخر تخط قدماه الأرض إلى بيت عائشة، وفي رواية عنها عند مسلم: فخرج بين الفضل بن عباس ورجل آخر، وفي أخرى: بين رجلين أحدهما علي، وعند الدارقطني أسامة والفضل وعند ابن حبان (بريرة ونوبة) بضم النون وسكون ونوبة الواو ثم موحدة، قيل: هو اسم أمة، وقيل: عبد وعند ابن سعد من وجه آخر والفضل وثوبان. وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بأن خروجه تعدد فتعدد من اتكا عليه. وروى البخاري وابن سعد عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسأل في مرضه الذي مات فيه. أين أنا غذا؟ أين أنا غذا؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، وكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت: فمات في يومي الذي كان يدور علي فيه، وفي رواية أن

(١) ابن سعد ٢ / ١٧٨. (٢) سقط في ب. (٣) سقط في ب. (*)

[٢٢٨]

دخوله - عليه الصلاة والسلام - بيتها كان في يوم الاثنين، وموته يوم الاثنين الذي يليه (١). وروى الإسماعيلي قالت: (لما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مرضه جعل يدور على نسائه ويقول أين أنا حرصا على بيت عائشة قالت: فلما كان يومي سلت). وروى البخاري والإسماعيلي والبرقاني عنها قالت كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في مرضه: أين أنا اليوم؟ أين أنا؟ استبطاء

ليوم عائشة، فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري، ودفن في بيتي). وروى البزار عنها قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا مر بحجرتي ألقى كلمة إلي ينفعني فمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً فلم يكلمني، فقلت: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعصبت رأسي ونمت على فراشي فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (ما لك يا عائشة) قلت: اشتكي رأسي، فقال: بل أنا وأرأساه، وذلك حين أخبره جبريل - صلى الله عليه وسلم - أنه مقبوض، فليث أياما يحمل في كساء بين أربعة فيدخل علي فقال: (يا عائشة استبقي إلى النسوة) فلما جئن قال: (إني لا أستطيع أن أختلف بينكن فائذن لي أن أكون في بيت عائشة)، قلن: نعم يا رسول الله فكان في بيت عائشة. الباب السابع في اشتداد الوجع عليه - زاده الله فضلا وشرفا - وروى ابن حبان وابن سعد عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشتكى ويتقلب على فراشه فقلت له: لو فعل هذا بغضنا قال: (إن الأنبياء يشدد عليهم). وروى الإمام أحمد والشيخان وابن سعد عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا قال: (أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم) قلت: ذاك بأن لك أجرين؟ قال: (نعم، والذي نفسي بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله عنه من خطاياهم كما تحط الشجرة ورقها) - وروى ابن سعد والشيخان والبلاذري عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: ما رأيت أحدا أشد عليه الوجع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) ابن سعد ٢ / ١٨٠. (*)

[٢٣٩]

وروى الإمام أحمد وابن سعد والبخاري في (الأدب) وابن أبي الدنيا وابن ماجه وأبو يعلي والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - فإذا عليه صالب من الحمى ما تكاد تقر يد أحدنا عليه من شدة الحمى. وفي رواية (دخلنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه قطيفة فوضعت يدي عليه فوق القطيفة فوجدت حرارتها فوق القطيفة فجعلنا نسيح فقال: (ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء، كما يشدد علينا البلاء يضاعف لنا الأجر، إن كان النبي من الأنبياء ليسلط عليه القمل حتى يقتله وإن كان النبي من الأنبياء ليعرى ما يجد شيئا يوارى عورته إلا العباءة يدرعها، وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء) (١). وروى ابن أبي شيبة والإمام أحمد بإسناد صحيح والنسائي والحاكم وابن الجوزي عن أبي عبيدة عن عمته فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة قالت: أتينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نساء نعوذه فإذا سقاء معلق نحوه يقطر ماؤه عليه من شدة ما يجد من حر الحمى فقلنا: يا رسول الله لو دعوت الله يكشف عنك فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم). وروى الإمام أحمد عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طرقة وجع فجعل يشتكى ويتقلب على فراشه فقالت له عائشة لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إن الصالحين يشدد عليهم وإنه لا يصيب المؤمن نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حطت بها عنه خطيئة ورفع بها درجة). وروى ابن سعد عنها قالت: مرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرضا اشتد منه ضجره أو وجعه فجعل يشتكى ويتقلب على فراشه فقلت: يا رسول الله إنك لتجزع أو

تضجر، لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إن المؤمنين يشدد عليهم، لأنه لا يصيب المؤمن نكبة من شوكة فما فوقها ولا وجع إلا رفع الله تعالى له بها درجة وحط عنه بها خطيئة). وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه عن أسامة بن يزيد - رضي الله تعالى عنه - قال: لما ثقل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجعه هيط وهيط الناس معه إلى المدينة، فدخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد أصمت فلم يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها علي، أعرف أنه يدعو لي. وروى النسائي والبيهقي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: أغمي على * (هامش * (١) أخرجه أحمد ٣ / ٩٤ وأبو يعلى (١٠٤٥). (*))

[٢٤٠]

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في حجرتي، فجعلت أمسح له وجهه وأدعو له بالشفاء، فقال: (بل أسأل الله الرفيق الأعلى لأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل). وروى الإمام أحمد في (الزهد) وابن سعد عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يوعك فوضعت يدي فوق ثوبه، فوجدت حرها من فوق الثوب، فقلت: يا رسول الله ما وجدت أحدا تأخذه الحمى أشد من أخذها إياك قال: (كذلك يضاعف لنا الأجر إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون). وروى ابن أبي شيبة والبخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان بين يديه ركوة، أو عليه فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ثم يقول: اللهم أعني على سكرات الموت) - وفي لفظ: (لا إله إلا الله إن للموت سكرات) ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى). وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن الجوزي عنها قالت: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يموت وعنده قدح فيه ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح بها وجهه - وفي لفظ - ثم يمسح وجهه بالماء، ثم قال: (اللهم أعني على سكرات الموت). وروى البلاذري عنها قالت: لا أعيط أحدا يخفف عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورواه البخاري بلفظ: لا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - صاب الحمى - قال في الصحاح: الصاب: الحارة من الحمى، خلاف الناقص تقول: صلبت عليه حمة تصلب بالكسر أي دامت واشتدت، فهو مصلوب عليه هذا أي: طورا ونارا. الباب الثامن في أمره - صلى الله عليه وسلم - أن يصب عليه الماء لتقوي نفسه فيعهد إلى الناس روى الشيخان وابن سعد وإلحاحكم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: لما ثقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واشتد وجعه قال: (اهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن، لعلي أعهد إلى الناس) قالت: فأجلسناه في مخضب لحفصة ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى جعل يشير إلينا أن قد فعلتم، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم. وروى ابن إسحاق عنها قالت: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في مرضه: (صبوا علي من سبع قرب

[٢٤١]

من أبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم) قالت: فأفعدناه في مخضب لحفصة فصبنا عليه الماء صبا أو شطنا عليه الماء شنا فوجد راحة فخرج عاصبا رأسه وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه واستغفر للشهداء من أصحاب أحد ودعا لهم ثم قال: (أما بعد فإن

الأَنْصَارُ عَيْبَتِي الَّتِي أُوبِتَ إِلَيْهَا، فَأَكْرَمُوا كَرِيمَهُمْ وَتَجَاوَزُوا عَنِ مَسِيئَتِهِمْ، إِلَّا فِي حَدِّ أَلَا إِنْ عَبَادَ اللَّهِ قَدْ خِيَرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ) فَفَهَمَهَا أَبُو بَكْرٍ وَعَرَفَ أَنَّ نَفْسَهُ يَرِيدُ، فَبَكَى وَقَالَ: بَلْ نَفْدِيكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَبْنَائِنَا فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (عَلَيَّ رَسْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ سَدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشُّوَارِعَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَمْرًا أَفْضَلَ عِنْدِي يَدَا فِي الصَّحَابَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ) وَفِي رِوَايَةٍ: (لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنَ الْعِبَادِ خَلِيلًا لَا تَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ صَاحِبَةً وَإِخَاءً وَإِيمَانَ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا عِنْدَهُ). وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبًا رَأْسَهُ بِعَصَابَةِ دَسْمَاءَ مَلْتَحِفًا بِمَلْحَفَةِ عَلِيِّ مَنَكْبِيهِ، فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ، فَحَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَّنَ عَلَيَّ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ خَلَّةَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلَ سَدُّوا غَنِيَّ كُلِّ خَوْخَةٍ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرِ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ). وَرَوَى عَنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَبْطَأَ النَّاسَ فِي بَعْثِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ فِي وَجْعِهِ، فَخَرَجَ عَاصِبًا رَأْسَهُ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمَنْبِرِ وَقَدْ كَانَ النَّاسُ قَالُوا فِي إِمْرَةِ أَسَامَةَ: أَمْ غَلَامًا حَدَثًا عَلَى جَلَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ انْفِذُوا بَعْثَ أَسَامَةَ فَلَعَمْرِي لئن قَلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ قَلْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ بِالْإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقٌ الْإِمَارَةَ ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَانْكَمَشَ النَّاسَ فِي جِهَازِهِمْ وَاسْتَقَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَعَهُ، فَخَرَجَ وَخَرَجَ جَيْشُهُ مَعَهُ حَتَّى تَدَلُّوا الْجَرْفَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى فَرَسِخٍ، فَضْرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ وَتَتَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَثَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَقَامَ أَسَامَةُ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَ مَا اللَّهُ قَاضٍ فِي رَسُولٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. وَرَوَى عَنِ أُمِّ سَلْمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَاصِبًا رَأْسَهُ بِخَرْقَةٍ فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْمَنْبِرِ تَحَدَّقَ النَّاسَ بِالْمَنْبِرِ وَاسْتَنْكَفُوا حَوْلَهُ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لِقَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ السَّاعَةَ ثُمَّ تَشَهَّدَ، فَلَمَّا قَضَى تَشَهُدَهُ كَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنَّ اسْتَغْفَرَ لِلشَّهَدَاءِ الَّذِينَ قَتَلُوا بِأَحْدَكُمْ ثُمَّ قَالَ: إِنْ عَبِدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرَ بَيْنِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَاخْتَرْتُ الْعَبْدَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَعَجَبْنَا لِبِكَائِهِ، وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي نَفْدِيكَ بِأَبْنَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُوَ الْمُخِيرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا

[٢٤٢]

بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (عَلَيَّ رَسْلُكَ) (١). فِي بَيَانٍ غَرِيبٍ مَا سَبَقَ: الْوَكَاءُ... أَحْدَقٌ مِنَ الْحَدِيقَةِ وَهِيَ الْعَيْنُ وَالتَّحْدِيقُ: شِدَّةُ النَّظَرِ. اسْتَنْكَفَ حَوْلَهُ بِمَعْنَى: أَحَاطَ عَلَيْهِ. أَهْرَقَ يُقَالُ: هَرَأَقَ الْمَاءَ يَهْرِيقُهُ - يَفْتَحُ الْهَاءَ، هَرَأَقَةٌ أَيْ صَبَّهُ. الْبَابُ التَّاسِعُ فِيمَا رَوَى أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَلَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْقَوْدَ مِنْ نَفْسِهِ رَوَى ابْنُ سَعْدٍ وَأَبُو يَعْلَى وَالتَّطْبِرَانِيُّ وَابْنُ جُرَيْرٍ وَالتَّبَهِيُّ وَأَبُو نَعِيمٍ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (شَدُّوا رَأْسِي، لَعَلِّي أَخْرَجُ إِلَى الْمَسْجِدِ)، فَشَدَّدَتْ رَأْسَهُ بِعَصَابَةٍ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ يَهَادِي بَيْنَ رَجْلَيْنِ، حَتَّى قَدَّمَ عَلَى الْمَنْبِرِ ثُمَّ قَالَ: نَادَوْا فِي النَّاسِ فَصَحَّتْ فِي النَّاسِ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: أَمَا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَإِنَّهُ قَدْ دَنَا مِنِّي خَفُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ وَإِنَّمَا أَبَا بَشِيرٍ فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا فَهَذَا ظَهْرِي فَلَيْسَتْ مِنْهُ، وَمَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَهُ مَالًا فَهَذَا مَالِي فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عَرَضًا فَهَذَا عَرَضِي فَلَيْسَتْ مِنْهُ، وَلَا يَقُولُونَ أَحَدٌ: إِنِّي أَحْشَى الشُّحْنَاءَ مِنْ

رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ألا وإن الشحناء ليست من طبعي ولا من شأني، ألا وإن أخيركم إلي من أخذ مني شيئاً كان له، أو حللني فلقيت الله عز وجل وأنا طيب النفس، وإنني أرى أن هذا غير مغن حتى أقوم فيكم مرارا ثم نزل، فصلى الظهر، ثم جلس على المنبر، فعاد لمقالته الأولى في الشحناء وغيرها فقام رجل فقال: إذا والله يا رسول الله إن لي عندك ثلاثة دراهم فقال: أما أنا فلا أكذب قائلاً ولا أستحلفه على يمين، فيم كانت لك عندي؟ فقال يا رسول الله أتذكر يوم مر بك المسكين، فأمرتني، فأعطيتني ثلاثة دراهم، فقال: يا فضل أعطه ثم قال: أيها الناس من كان عليه شئ فليؤده ولا يقولن رجل فضوح الدنيا ألا وإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ثم عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقالته الأولى ثم قال: (أيها الناس من كان عنده من الغلول شئ فليرده)، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله قال: (ولم غللتها؟) قال: كنت محتاجاً إليها، قال: (خذها منه فضل)، فقال: ألا

(١) أخرجه ابن سعد ٢ / ١٧٦، وذكره ابن حجر في المطالب العالية ٤ / ٣٢ (٢٨٨٤).
(*)

[٢٤٢]

من أحس - وفي لفظ - خشي من نفسه شئاً فليأت. أدع الله له، فقام رجل فقال: يا رسول الله إنني لكذوب وإنني لفاحش فقال: (اللهم ارزقه الصدق واذهب عنه الكذب إذا أراد)، ثم قام رجل فقال: يا رسول الله إنني منافق وإنني ليخيل وإنني لجبان [وإنني لنؤوم وإنني لكذوب فقام عمر بن الخطاب فقال: فضحت نفسك أيها الرجل] (١) فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - يابن الخطاب: فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخر فقال اللهم ارزقه إيماناً وصدقاً واذهب عنه النوم وشح نفسه وشجع جينه. قال الفضل: فلقد رأيت في الغزو وما معنا رجل [أسخى] منه نفساً ولا أشد بأساً، ولا أقل نوماً فقال عمر: كلمة فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: عمر معي وأنا مع عمر، والحق مع عمر حيث كان وقامت امرأة وأومأت بإصبعها إلى نساءها فقال: انطلقني إلى بيت عائشة حتى أتيك ثم أتاه، فوضع قضيها على رأسها ثم دعا لها، قالت عائشة - رضي الله تعالى عنها - فإني كنت لا أعرف دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها إذ كانت تقول: يا عائشة أحسني صلاتك. تنبيهات الأول: حديث ابن عباس في قصة عكاشة وطلبه القصاص من النبي - صلى الله عليه وسلم - وطلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القضيب المسوق مع الحسن والحسين من السيدة فاطمة - رضي الله تعالى عنها - فهو حديث باطل رواه الطبراني من حديث عبد المنعم بن إدريس، وهو كذاب أشرف، وقد صرح بوضعه الرازي في كتاب العلل له وابن الجوزي والذهبي في كتاب (العلو الإلهي المقدس) والشيخ وغيرهم فليحذر. الثاني: في بيان غريب ما سبق: بهادي: أي كان يمشي بينهما يعتمد عليهما من ضعفه وتمايله. خفوق: - (بخاء معجمة مضمومة وفاء آخره قاف يقال: خفقت الشمس إذا تدلت للغروب. الشحناء: - العدوأة. فضوح: (بفاء فصاد معجمة مضمومة فواو فحاء، كشف المساوي).

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

الباب العاشر في مدة مرضه - صلى الله عليه وسلم - واستخلافه أبا بكر في الصلاة بالناس قال الحافظ: اختلف في مدة مرضه، فالأكثر على أنه ثلاثة عشر يوماً. وقيل: بزيادة يوم وقيل: بنقصه. وقيل: تسعة أيام رواه البلاذري عن علي - رضي الله تعالى عنه - وقيل: عشرة، وفيه جزم سليمان التيمي، وكان يخرج إلى الصلاة إلا أنه انقطع ثلاثة أيام. قال في العيون: أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يصلي بالناس فصلي بهم فيما روينا سبع عشرة صلاة، ورواه البلاذري عن أبي بكر ابن أبي سبرة - وفي لفظ - وقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس). وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن سعد عن عبد الله بن زمعة بن الأسود قال: لما استعز برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا عنده في نفر من المسلمين قال: دعا بلال للصلاة فقال مروا من يصلي بالناس قال: فخرجت فإذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائباً فقال قم يا عمر فصل بالناس، قال: فقام فلما كبر عمر سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صوته وكان عمر رجلاً مجهراً قال: فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا، لا، لا يصلي بالناس إلا ابن أبي قحافة يقول ذلك مغضباً فأين أبو بكر بأبي الله ذلك والمسلمون، قال: فبعث إلي أبي بكر بعد ما صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس قال وقال عبد الله بن زمعة قال عمر لي: وبحك ماذا صنعت بي يا ابن زمعة، والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة. وروى الشيخان وابن سعد والبلاذري والبيهقي وابن إسحاق عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: لما مرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرضه الذي مات فيه فتقل، فحضرت الصلاة فأذن بلال فقال: (أصلى الناس؟) قلت: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! [فقال: ضعوا لي ماء في المخضب قالت: ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لبنوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال: (أصلى الناس؟) فقلت: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله [(١) فقال: (ضعوا لي ماء في المخضب) قالت: ففعلنا فاغتسل فقال: (أصلى الناس؟) فقلنا: لا، هم ينتظرونك! قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لصلاة العشاء الآخرة. فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت: إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء.

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

وفي لفظ: لم يستطع أن يصلي بالناس فعاودته مثل مقالتي فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) فقلت لحفصة: قولني له: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس)، قالت عائشة - رضي الله تعالى عنها - : لقد عاودت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك، وما حملني على معاودته إلا أن يتشائم الناس بأبي بكر. - وفي لفظ - والله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف الله ذلك عن أبي بكر، وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً، وأن الناس يتشائمون به في كل حدث كان، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر. - وفي لفظ - علمت أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشائم الناس به، فأحببت أن يعدل ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أبي بكر إلى غيره فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعاً من البكاء فقال: يا عمر صل بالناس قال: أنت أحق بذلك فصلى بهم تلك الأيام ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجد خفة فخرج يهادي بين رجلين، أحدهما العباس لصلاة الظهر كأبي أنظر إلى رجله يخطان الأرض من الوجع، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأوماً إليه أن يتأخر وأمرهما فأجلساه إلى جنب أبي بكر عن يساره فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - من حيث الآية التي انتهى أبو بكر إليها فقرأ، فجعل أبو بكر يصلي قائماً ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي قاعداً، وفي رواية: فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله والناس يصلون بصلاة أبي بكر. وروى ابن إسحاق وابن سعد والبلاذري عن عبيد الله بن أبي مليكة عن عبيد بن عمير، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما فرغ من الصلاة يوم قاعداً عن يمين أبي بكر قال: وأقبل عليهم فكلهم رافعا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد: يا أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتنة كقطع الليل المظلم وإني والله لا يمسك الناس علي بشئ إنني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القرآن يا فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا صفة عممة محمد أعملا لها عند الله فإني لم أغن عنكما من الله شيئاً، فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كلامه قال: أبو بكر: يا رسول الله إنني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب واليوم يوم بنت خارجة فأتها قال: نعم ثم دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخرج أبو بكر إلى أهله بالسج. وروى الإمام أحمد والنسائي والبيهقي والترمذي وصححه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلف أبي بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه).

[٢٤٦]

وروى ابن سعد عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: كشف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: (إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له ألا إنني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً وساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم). وروى الطبراني عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كشف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ستراً، وفتح باباً في مرضه، فنظر إلى الناس يصلون خلف أبي بكر، فسر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك، وروى ابن سعد عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: إن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي توفي فيه حتى إذا يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - ستر الحجر ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة بمصحف، ثم تبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ضاحكاً، فبهشنا ونحن في الصلاة من الفرح بخروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وفي رواية: (وهم المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رأوه ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ووطن أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خارج إلى الصلاة فأشار إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أتموا صلاتكم ثم دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأرخى الستار، قال: فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من يومه). وروي أيضاً عنه قال آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين كشف الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فلما رآه الناس تخشعوا فأوماً إليهم أن امكثوا مكانكم فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف ثم ألقى السجف وتوفي من آخر ذلك اليوم. في بيان غريب ما سبق: (استعز) بضم المثناة والفوقية وكسر العين المهملة وزاء معجمة يقال: أستعز بفلان أي غلب عن كل شئ من مرض أو غيره. وقال أبو عمر: استعز بالعليل إذا غلب على عقله.

المخضب بالكسر شبه الممرن وهي إجانة تغسل فيها الثياب [.
السنح هنا بضم السين والنون. وقيل: بسكونها، أطم الجشم وزيد
بن الحارث على ميل من المسجد النبوي، وهو أدنى العالية سميت
الناحية، ووهم من جعله بحري مسجد الفتح، لأن ذلك بالمشاة
التحتية وكسر السين قاله السيد نور الدين السمهودي في (تاريخ
المدينة). (قمن :- بقاف مفتوحة فميم مكسورة فنون: حقيق.

[٢٤٧]

الباب الحادي عشر في إرادته - صلى الله عليه وسلم - أن يكتب
لأبي بكر كتابا ثم لم يكتب روى الإمام أحمد عن عائشة - رضي الله
تعالى عنها - قالت: لما ثقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال
لعبد الرحمن بن أبي بكر: اثني بكتف أو لوح أكتب لأبي بكر كتابا لا
يختلف عليه، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: (يا أبي الله
والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر ورواه البخاري لقد: هممت أو
أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول قائلون، أو يتمني
المتمنون ثم قلت: يا أبي الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله وبأبي
المؤمنون ورواه مسلم بلفظ قال لي رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - في مرضه ادع لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فإنني
أخاف أن يتمني متمن أو يقول قائل: أنا أولى وبأبي الله والمؤمنون إلا
أبا بكر، وقد ورد أنه أراد أن يكتب كتابا ولم يذكر أبا بكر. الباب الثاني
عشر في إرادته - صلى الله عليه وسلم - أن يكتب لأصحابه كتابا
فاختلفوا فلم يكتب روى الشيخان عن سعيد بن جبير قال: قال ابن
عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمه
الخصي، قلت يا ابن عباس يوما الخميس وما يوم الخميس؟ قال:
اشتد برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجعه فقال: اثنوني أكتب
لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقال عمر: إن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - مد عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله
فاختلف أهل البيت، فاختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم
ومنهم من يقول ما قال عمر. فتنازعوا ولا ينبغي عند النبي التنازع،
فقالوا: ما شأنه أهرج؟ استفهموه! فذهبوا يعيدون عليه فقال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قوموا) لما أكثروا اللغو
والاختلاف عنده، دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه. فقال:
وأصاهم عند موته بثلاث فقال: (أخرجوا المشركين من جزيرة
العرب، وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم قال: وسكت عن الثلاثة،
أو قال: فنيسها فقال ابن عباس إن الرزينة سجل الرزينة ما حال بين
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين أن يكتب لهم هذا الكتاب لا
ختلافهم ولغظهم). وروى أبو يعلى بسند صحيح عن جابر - رضي الله
تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعا عند موته
بصحيفة ليكتب فيها كتابا لا يضلون بعده وفي رواية: (يكتب فيهما
كتابا لأمته

[٢٤٨]

لا يظلمون ولا يظلمون) وكان في البيت لغط فنكل عمر فرفضها
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وروى الطبراني من طريق ليث
بن أبي سليم - وبقية رجاله ثقات - عن ابن عباس - رضي الله
تعالى عنهما - قال دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكتف
فقال: اثنوني بكتف لكم كتابا لا تختلفون بعدي فأخذ من عنده
من الناس وفي لفظ: (فألت امرأة ممن حضر ويحكم عهد رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - إليكم فقال بعض القوم اسكتني فإنه لا
عقل لك فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - أنتم لا أحلام لكم.
وروى الإمام أحمد وابن سعد - وفي سنده ضعف - عن علي - رضي

الله تعالى عنه - قال أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن آتبه بطبق أكتب فيه ما لا تضل أمتي من بعدي قال: فخشيت أن تسبقني نفسه قال: قلت إني أحفظ وأوعى قال: أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيماكم). تنبيهات الأول: قال البيهقي والذهبي: وإنما أراد عمر التخفيف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رآه شديد الوجد لعلمه أن تبارك وتعالى قد أكمل ديننا، ولو كان ذلك الكتاب وحيا لكتبه النبي - صلى الله عليه وسلم - ولما أخل به لاختلافهم ولغظهم لقول الله تعالى: (بلغ ما أنزل إليك من ربك) [المائدة: ٦٧] كما لم يترك تبليغ غيره لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه، وإنما أراد ما حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله، أن يكتب استخلاف أبي بكر، ثم ترك كتابته اعتمادا على ما علم من تقدير الله تعالى، كما هم به في ابتداء مرضه حين قال: (وإرأساه). ثم بدا له أن لا يكتب ثم قال: (يايبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر) ثم نبه أمته على خلافته باستخلافه إياه في الصلاة حين عجز عن حضورها (١)، وبسط البيهقي الكلام في ذلك.

(١) وتكملة كلام البيهقي: (وإن كان المراد به رفع الخلاف في الدين، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه علم أن الله تعالى قد أكمل دينه بقوله: (اليوم أكملت لكم دينكم..)) وعلم أنه لا تحدث واقعة إلى يوم القيامة، إلا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - بيانها نصا أو دلالة. وفي نص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جميع ذلك في مرض موته، مع شدة وعكه، مما يشق عليه، فرأى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الاقتصار على ما سبق بيانه نصا، أو دلالة، تخفيفا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولكي لا تزول فضيلة أهل العلم بالاجتهاد في الاستنباط، وإلحاق الفروع بالأصول، بما دل الكتاب والسنة عليه. وفيما سبق من قوله - صلى الله عليه وسلم - إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران. وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر واحد دليل على أنه وكل بيان بعض الأحكام إلى اجتهاد العلماء، وأنه أحرز من أصاب منهم الأجرين الموعودين، أحدهما بالاجتهاد، والآخر بإصابة العين المطلوبة بما عليها من الدلالة في الكتاب أو السنة، وإنه أحرز من اجتهد، فأخطأ أجرا واحدا باجتهاده، ورفع اثم الخطأ عنه، وذلك في أحكام الشريعة التي لم يأت بيانها نصا، وإنما ورد خفيا. فأما مسائل الأصول، فقد ورد بيانها جليا، فلا عذر لمن خالف بيانه لما فيه من فضيلة العلماء بالاجتهاد، وإلحاق الفروع بالأصول، بالدلالة. مع طلب التخفيف على صاحب الشريعة، وفي ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإنكار عليه فيما قال واضح على استصوابه رأيه، وباللَّه التوفيق. (*).

[٢٤٩]

وقال المازري: إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره بذلك، لأن الأوامر قد يقارنهما ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم بل على الاختيار، فاختلف اجتهادهم وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه - صلى الله عليه وسلم - قال ذلك عن غير قصد جازم [وعزمه - صلى الله عليه وسلم - كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن كان بالوحي فبالوحي وإلا فبالاجتهاد أيضا]. وقال النووي: اتفق العلماء على أن قول عم (حسبنا كتاب الله) من قوة فقهه ودقيق نظره، لأنه خشى أن يكتب أمورا ربما عجزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوطة وأراد أن لا يسد باب الاجتهاد من العلماء، وفي تركه - صلى الله عليه وسلم - الإنكار على عمر الإشارة إلى تصويبه وأشار بقوله: (حسبنا كتاب الله) إلى قوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) [الأنعام: ٣٨] ولا يعارض ذلك قول ابن عباس: أن الرزية... الخ، لأن عمر كان أفاقه منه قطعا، ولا يقال: إن ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع أنه حبر القرآن وأعلم الناس بتفسيره ولكنه أسف على ما فاته من البيان وبالتنصيص عليه لكونه أولى من الاستنباط والله تعالى أعلم. الثاني: في بيان غريب ما سبق: قولهم: (أهجر) بإثبات همز الاستفهام وفتح الهاء والجيم، قالوا: ولبعضهم هجرا بضم الهاء وسكون الجيم والتنوين أي قال هجرا والهجر بضم الهاء وسكون الجيم، وهذا الهديان الذي يقع من كلام المريض، الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته ووقوع ذلك من النبي

- صلى الله عليه وسلم - في حقه مستحيل، وإنما هذا علي طريق الاستفهام الذي معناه الإنكار والإبطال - أي أنه - صلى الله عليه وسلم - لا يهجر أي: لم يختلفوا في الأخذ عنه ولم ينكروا عليه الكتاب، وهو لا يهجر أصلاً. الرزية براء مفتوحة فزاي مكسورة فياء فهمز المصيبة. اللغظ: بغين معجمة فطاء مهملة محركا الصوت أو الجلبة، أو أصوت مبهمه لا تفهم.

[٢٥٠]

الباب الثالث عشر في إخراج - صلى الله عليه وسلم - من المال كان عنده وعتق عبده روى ابن سعد والطبراني - برجال الصحيح - عن سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - قال: كان عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبعة دنانير وضعها عند عائشة فلما كان في مرضه قال: يا عائشة ابعثي الذهب إلى علي، ثم أغمي عليه وشغل عائشة ما به حتى قال ذلك مرارا كل ذلك يغمي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويشغل عائشة ما به فبعث به إلى علي فتصدق به، ثم أمسى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة الاثنين في جديد الموت، فأرسلت عائشة إلى امرأة من النساء بمصباحها فقالت: اقطري لنا في مصباحي من عكيك السن فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمسى في جديد الموت). وروى ابن سعد أيضا عن المطلب بن عبد الله بن حنطب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعائشة - وهي مسندته إلي صدرها: (يا عائشة ما فعلت تلك الذهب؟ قالت: هي عندي قال فأنفقيها ثم غشي عليه وهو على صدرها فلما أفاق قال: هل أنفقت تلك الذهب يا عائشة قالت: لا والله يا رسول الله، قالت: فدعا بها فوضعها في كفه، فعددها، فإذا هي سنة دنانير فقال: ما ظن محمد بربه أن لو لقي الله وهذه عنده؟ فأنفقا كلها، ومات من ذلك اليوم. وروى مسدد وابن أبي عمير وابن أبي شيبة والإمام أحمد - برجال الصحيح - عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وجهه الذي مات فيه: ما فعلت بالذهب؟ قلت: هو عندي يا رسول الله قال: أنت بها فاتيت بها فجعلها في كفه وهي بين الخمس والسبع فرفع بها كفه وقال: أنفقيها وقال: ما ظن محمد إن لقي الله وهذه عنده أنفقيها. وروى أبو طاهر المخلص عن سهل بن يوسف عن أبيه عن جده قال: أعتق النبي - صلى الله عليه وسلم - في مرضه أربعين نفسا -.

[٢٥١]

الباب الرابع عشر في إعلامه - صلى الله عليه وسلم - ابنته فاطمة - رضي الله تعالى عنها - بموته روى الخمسة والطبراني وابن حبان والحاكم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: اجتمع نساء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يغادر منهم امرأة في وجهه الذي مات فيه وما رأيت أحدا أشبه سمنا وهديا ودلا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قيامها وعودها من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك، فلما مرض جاءت تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: مرحبا يا بنتي فأجلسها عن يمينه أو عن شماله فأكبت عليه تقبله، فسارها بشئ، فبكت، ثم سارها فضحكت فقلت: ما رأيت اليوم فرحا أقرب من حزن فسألته عن ذلك قلت لها: ما خصك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسرار وتبكين فلما أن قامت قلت لها: أخبريني بما سارك؟ قالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أن توفي قلت لها: أسألك بما لي عليك من الحق لما أخبرتيني

قالت أما الآن فنعم: سارني فقال: إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، وإنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش بعده نصف عمر الذي كان قبله، ولا أرى ذلك إلا اقترب أجلي - وفي لفظ - فقالت إنه أخبرني أنه يقبض في وجهه، فاتقي الله واصبري، إن جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المؤمنين أعظم رزية منك فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبرا فنعم السلف أنا لك فيكيت ثم سارني فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة - وفي لفظ - (أخبرني أني أول أهله لحوقا به، فضحكت ضحكي الذي رأيت). تنبيهات الأول: قال الحافظ: اتفقت الروايات على أن الذي سارها به أولا فيكت هو إعلامه إياها بأنه ميت في مرضه ذلك، واختلف فيما سارها به فضحكت. ففي رواية عروة أنه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقا به. وفي رواية مسروق بأنه إخباره إياها أنها سيدة نساء أهل الجنة، وجعل كونها أول أهله لحوقا به مضموما إلى الأول وهو الراجح، ويحتمل تعدد القضية. الثاني: في بيان غريب ما سبق: (السمت): - بسين مهملة مفتوحة فميم ساكنة: الطريق وهيئة أهل الخير والهدى. ساره في أذنه سارة وسرارا بكسر السين، وتساروا: أي تناجوا.

[٢٥٢]

الباب الخامس عشر في وصيته - صلى الله عليه وسلم - الأنصار عند موته روى البخاري والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه بعصابة دسما ملتحفا بملحفة على منكبيه فجلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: (أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار حتى يكونوا في الناس مثل الملح في الطعام، فمن ولي منكم أمرا يضربه قوما وينفع به آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم) وكان آخر مجلس جلسه. وروى البيهقي عن أبي أيوب بن بشير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج في مرضه الذي توفي فيه فجلس على المنبر فكان أول ما ذكره بعد حمد الله تعالى والثناء عليه ذكر أصحاب أحد، فاستغفر لهم ودعا لهم، ثم قال: (يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيبتها لا تزيد، وإنهم عيبتي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئتهم). وروى البخاري وسيف بن عمر في (الفتوح) عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن أبا بكر وعمر كانا يوما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقالا: ما يبكيكم قالوا: ذكرنا مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منا، فدخل أحدهما على النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بذلك - وعند سيف - أن الأنصار لما رأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزداد وجعا طافوا بالمسجد، فدخل العباس فأعلم النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك ثم دخل عليه علي بن أبي طالب كذلك، وخرج النبي - صلى الله عليه وسلم -، زاد سيف: (متوكتنا على علي والفضل والعباس، أمامهم قد عصب على رأسه حاشية برد - زاد سيف: - يخط الأرض برجله فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم - زاد سيف - أنه جلس على أسفل مرقاة منه، وثار الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه - زاد سيف - فقال: أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم قبلكم فمن بعث إليكم فأخلد فيكم، ألا إنني لا حق بربي وإنكم لا حقون به، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم، فإن الله تعالى يقول: (والعصر إن الإنسان لفي خسر) [العصر ١، ٢] إلى آخرها، وإن الأمور تجري بإذن الله تعالى ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله عليه ومن خادع الله خدعه (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) [محمد ٢٢] انتهى. أوصيكم بالأنصار - وزاد

سيف - خيرا فإنهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلكم، ألم يشاطروكم في الثمار، ألم يوسعوا لكم في الديار، ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم خصاصة، وقد قضاوا الذي عليهم وبقي الذي لهم - زاد سيف - ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل

[٢٥٣]

من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وفي لفظ: فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم. - زاد سيف - ولا تستأثروا عليهم، ألا وإني فرط لكم وأنتم لا حقون بي ألا وإن موعدكم الحوض فمن أحب أن يرده غدا فليكشف لسانه ويده ألا فيما ينبغي يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسمة، فإذا بر الناس برهم وإذا فجر الناس عقهم. في بيان غريب ما سبق. دسما: بدال فسين مهملتين فميم أي: سوداء الملحفة. كرشى وعييتي قال الحافظ: أي بطانتني وخاصتي قال الفزاز: ضرب المثل بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه، ويقال: كرش منثور أي عيال كثيرة، والعيبة بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، يريد أنهم موضع سره وأمانته، قال ابن دريد: هذا من كلامه - صلى الله عليه وسلم - الموحز الذي لم يسبق إليه وقال غيره الكرش بمنزلة المعدة للإنسان والعيبة: مستودع الثياب، والأول أمر باطن، والثاني أمر ظاهر، فكانه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة، والأول أولى وكل من الأمرين مستودع لما يخص فيه [. الباب السادس عشر في جمعه - صلى الله عليه وسلم - أصحابه في بيت عائشة - رضي الله تعالى عنها - ووصيته لهم روى عن مرة عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنهم - قال: نعى إلينا نبينا وحبينا - صلى الله عليه وسلم - نفسه قبل موته بشهر، فملا دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة فنظر إلينا وتشدد ودمعت عيناه، وتداوم القوم ونظر إلى الأرض وقال: مرحبا بكم - حياكم الله رحمكم الله أواكم الله قبلكم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله عزوجل بكم وأستخلفه عليكم وأذركم الله وأشهدكم أنني لكم منه نذير وبشير أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده فإنه عز وجل قال لي ولكم (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) [القصص: ٨٣] وقال: (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) [الزمر: ٦٠] قلنا: متى أجلك يا رسول الله؟ فقال دنا الأجل والمنقلب إلى الله عز وجل وإلى سدرة المنتهى، وإلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكاس الأوفى والعيش والحظ المهني قلنا: فمن يغسلك يا رسول الله؟ قال رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى.

[٢٥٤]

قلنا: فقيم نكفك يا رسول الله؟ قال في ثيابي هذه إن شئتم، أوفى بياض مصر أو حلة يمانية. قلنا: فمن يصلي عليك يا رسول الله؟ قال: فبكي وبكىنا فقال: (مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري من بيتي هذا ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي خليلي وحببي جبريل، ثم ميكائيل ثم إسرافيل، ثم ملك الموت معه جنوده بأجمعهم مع الملائكة عليهم الصلاة والسلام ثم ادخلوا علي أفواجا فصلوا علي وسلموا تسليما، ولا يؤمكم أحدا، ولا تؤذوني بتزكية ولا بضجة ولا برنة أقرؤوا أنفسكم مني السلام، ومن كان غائبا من أصحابي فأبلغوه عني السلام، وأشهدكم أنني قد سلمت على من دخل في الإسلام ومن تابعني على ديني إلى يوم القيامة قلنا: فمن يدخلك قبرك يا رسول الله؟ قال: رجال من أهل

بيتي، الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثير، يرونكم من حيث لا ترونهم. روى البزار عن محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن ابن الأصبهاني عن مرة بن عبد الله، وعبد الرحمن هذا لم يسمع من مرة كما قال البزار بينه وبينه اثنان كما عند ابن منيع والطبراني، أو ثلاثة كما عند ابن جرير والطبراني وخلاد بن مسلم الأسدي الصفا والأشعث بن طليق ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً (١). روى عن الحسن العرنبي وروى عن خلاد بن مسلم الصغار أبو مسلم ثقة في الكوفيين، سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك، وذكر الأزدي في الضعفاء وتبعه وقال: لا يصح حديثه لكنهما صحفاً اسم أبيه فقالا: طابق. والحسن العرنبي هو ابن عبد الله ثقة من رجال البخاري ومسلم، ورواه ابن سعد عن شيخه محمد بن عمر قال: حدثني عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون عن ابن مسعود به. قلت: ورواه أحمد بن منيع في مسنده والطبراني في (الدعاء) عن ابن الأصبهاني عن الأشعث بن طليق أنه سمع الحسن العرنبي يحدث عن مرة عن ابن مسعود. ورواه ابن جرير عن محمد بن عمر الصباح الهمداني، حدثنا يحيى بن عبد الرحمن حدثنا مسلم بن جعفر الجلي قال: سمعت عبد الملك بن الأصبهاني عن خلاد الأسدي قال: قال عبد الله بن مسعود يذكره.

(١) انظر كشف الخفا ١ / ٣٣٨ (٨٤٧). (*)

[٢٥٥]

ورواه ابن سعد عن محمد بن عمر قال: حدثني عبد الله بن جعفر عن أبي عون عن ابن مسعود به. ورواه الطبراني في (الدعاء) من طريق ابن عيينة حدثني نبيط بن شريط عن عبد الملك بن عبد الرحمن الأصفهاني عن الأشعث بن طليق أنه سمع الحسن العرنبي يحدث عن مرة. ومن طريق محمد بن أبان البلخي، حدثنا عمرو بن محمد العبقري حدثنا عبد الملك الأصبهاني حدثنا خلاد بن الصغار عن الأشعث بن طليق عن الحسن العرنبي عن مرة. ورواه البيهقي من طريق سلام بن سليم الطويل عن عبد الملك بن عبد الرحمن وقال: انفرد به سلام الطويل وقد علمت مما تقدم أن سلام لم ينفرد به. وروى أبو الحسن بن الضحاك من طريق سيف عن بشر بن الفضل عن أبيه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في مرضه الذي توفي فيه لأبي بكر: (أجمع لي يا أبا بكر الأربعين الذين سبقوا الناس إلى هذا الدين، وأودع عمر معهم ففعل، وكان قبل وفاته بخمسة عشر ليلة، فخلص لهم ودعا لهم، وعهد عهده وهم شهود، وهي آخر وصية أوصاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -). وروى ابن أبي شيببة وأبو يعلى والنسائي في (الكبرى) عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: والذي أحلف به إن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم قبض في بيت عائشة فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غداة بعد غداة يقول: جاء علي، مرارا قالت فاطمة: كان بعثه في حاجة، فخرجنا من البيت، فقعدنا عند البيت، فكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه علي فجعل يساره ويناجيه حتى قبض من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهداً (١).

أخرجه أبو يعلى ١٢ / ٤٠٤ (٦٩٦٨).

الباب السابع عشر في وصيته - صلى الله عليه وسلم - بالصلاة وغيرها من أمور الدين وأنه لم يوص بشئ من أمور الدنيا وروى الإمام أحمد والشيخان والنسائي وابن ماجه وابن سعد والبيهقي وابن الجوزي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: كانت عامة وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين حضره الموت هو يغرغر بنفسه (الصلاة وما ملكت أيمانكم) - وفي لفظ (الصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم) حتى جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يغرغر بها في صدره، وما يفيض بها لسانه - وفي لفظ - ما كان يفيض بها لسانه. وروى الجماعة إلا البخاري عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشئ. وروى الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن سعد عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما حضر جعل يقول: (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم) فجعل يتكلم بها وما كان لسانه يفيض بها. وروى ابن سعد عن كعب بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: أغمي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أفاق فقال: (الله الله فيما ملكت أيمانكم، ألبسوا ظهورهم وأشبعوا بطونهم، وألبنوا لهم القول). وروى الجماعة إلا أبا داود عن طلحة بن مصرف قال: سألت ابن أبي أوفى هل أوصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال: لا. قلت: كيف كتب على الناس وأمر بها ولم يوص ؟ قال: أوصى بكتاب الله. وروى أبو داود وابن ماجه عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: كان آخر كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (الصلاة وما ملكت أيمانكم) يغرغر بها نفسه.

الباب الثامن عشر في تحذيره - صلى الله عليه وسلم - أن يتخذ قبره مسجداً روى الشيخان عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - وابن سعد قال: لما نزل برسول الله - صلى الله عليه وسلم - طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) قالت عائشة: يحذر مثل ما صنعوا. وروى البخاري عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مرضه الذي لم يقم منه: (لعن الله اليهود [والنصارى] (١) اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). قالت عائشة: لولا ذلك لأبرز قبره خشياً أن يتخذ مسجداً. وروى الطيالسي والإمام أحمد عن أسامة بن زيد - رضي الله تعالى عنه - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:- (أدخلوا علي أصحابي) فدخلوا عليه وهو متفجع ببرد له معافر. فقال: (لعن الله اليهود) زاد الإمام أحمد (والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). وروى ابن أبي شيبه والحارث وأبو يعلى عنه قال: دخلنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعوده وهو مريض فوجدناه نائماً قد غطى وجهه ببرد عدني فكشف عن وجهه ثم قال: لعن الله اليهود يحرمون شحم الغنم ويأكلون أثمانها... الحديث. وروى الحارث عن حذيفة - رضي الله تعالى عنه - قال: دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مرضه الذي مات فيه (أجلسوني). فأجلسه [علي - رضي الله تعالى عنه -] (٢) إلى صدره.

(١) سقط في ب. (٢) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

الباب التاسع عشر في ما يؤثر عنه - صلى الله عليه وسلم - من ألفاظه في مرض موته وآخر ما تكلم به روى البخاري عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: لما ثقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة - رضي الله تعالى عنها - وأكرب أبتاه فقال: (ليس على أبيك كرب بعد اليوم)، ورواه الإمام أحمد وابن ماجه بلفظ إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله تبارك وتعالى بتارك منه أحدا لموافاة يوم القيامة (١). وروى ابن سعد والشيخان عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة قالت: فأصابت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحبة شديدة في مرضه فسمعتة يقول: (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)) [النساء: ٦٩] فظننت أنه خير. وروى الإمام أحمد وابن سعد والشيخان والبيهقي عنها قالت: كان جبريل يعوذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا مرض (وفي لفظ: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعوذ بهؤلاء الكلمات: (أذهب البأس رب الناس، أشف أنت الشافعي، شفاء لا يغادر سقما)، قالت: فلما ثقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذت بيده فجعلت أمسحه بها وأعوذه فنزع يده مني. زاد ابن سعد (ارفعي، فإنها إنما كانت تنفعني في المرة). وعند الحاكم من حديث أنس أن آخر كلمة يتكلم بها: جلال ربي الرفيع. وروى النسائي والجارث بن أبي أسامة عنها قالت: أغمي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في حجري فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء بهذه الكلمات: (أذهب البأس رب الناس) ففاق فانزع يده من يدي فقال: (بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل). وروى ابن سعد عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه - أن كعب الأحبار قدم زمن عمر فقال: يا أمير المؤمنين، ما كان آخر ما تكلم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: فقال: سل عليا فسأله فقال: الصلاة الصلاة فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء). وروى البلاذري عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: كشف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - - الستر، فرأيتة معصوبا في مرضه الذي مات فيه، فقال: اللهم هل بلغت ثلاثا ثم قال: لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح، أو ترى له.

(١) أخرجه أحمد ٣ / ١٤١. (*)

وروى الإمام أحمد من طريقين منها ثقات متصل اتصل إسنادهما عن أبي عبيدة - رضي الله تعالى عنه - قال: آخر ما تكلم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وروى البخاري والبيهقي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين يديه ركوة أو علبة وفيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات، ثم نصب يده اليمنى فجعل يقول: في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده في الماء. وروى ابن سعد والبيهقي وصححه الذهبي عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل موته بثلاث يقول: (أحسنوا الظن بالله). وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي

عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يموت وعنده قدح فيه ماء، يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: (اللهم أعني على سكرات الموت). وروى الإمام أحمد بسند قال ابن كثير: لا بأس به عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إنه ليهون علي الموت، إنني رأيت بياض كف عائشة في الجنة) (١) ورواه ابن سعد عن الشعبي مرسلاً، وهذا دليل على صحة محبته - عليه الصلاة والسلام - لعائشة. تنبيه في بيان غريب ما سبق: (الكرب): بكاف مفتوحة فراء ساكنة فموحدة الغم. (البحّة): بموحدة فمهملة خشونة وغلظ في الصوت. (الركوة): [شبه تور من آدم وقال المطرزي: دلو صغير: وقال غيره: كالقصعة تتخذ من جلد، ولها طوق خشب]. (العلبة): بعين مهملة مضمومة فلام ساكنة فموحدة المراد به هنا قدح من خشب. الرفيق قيل: هو اسم من أسماء الله تعالى. قال الأزهري: وهو غلط، بل الرفيق هاهنا جماعة يسكنون أعلا عليين، اسم جاء على فعيل ومعناه: الجماعة من قوله تبارك وتعالى: (وحسن أولئك رفيقا) [النساء: ٦٩] ويجوز أن يقال في الجماعة: هم لي صديق وعدو فتفرد، لأنه صفة الرفيق، ويصح أن يقال: قومك

(١) أخرجه أحمد ٦ / ١٣٨. (*)

[٣٦٠]

صاحبك وأبوك، وإنما يحسن هذا إذا وصف الصديق ورفيق وعدو، لأنها صفة لرفيق والحزب، لأن الصداقة والعدواة صفتان متضادتان، فإذا كان أحدهما على الرفيق الواحد كان الآخر على ضدها، وكانت قلوب أحد الرفيقيين في تلك الصفة على قلب رجل واحد في عرف العادة، فحسّن الأفراد وليس يلزم مثل هذا في القيام والقعود ونحوه حتى يقال: هو قائم أو قاعد كما يقال: هم لي صديق وعدو كما قدمناه من الاتفاق والاختلاف، وأهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد، وهذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي تتضمن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن لأنه - صلى الله عليه وسلم - قال: (مع الذين أنعم الله عليهم) [النساء: ٦٩] وهم أصحاب الصراط المستقيم وهم أهل لا إله إلا الله، ويؤيد ذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها (ثم نصب يده). وفي رواية عنها (فأشار بإصبعه). وفي رواية: (اللهم الرفيق الأعلى) وأشار بإصبعه السبابة يريد التوحيد قاله السهيلي. الباب العشرون في آخر صلاة صلاها بالناس - صلى الله عليه وسلم - روى البخاري والبلاذري عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - عن أمه أم الفضل قالت: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عاصب رأسه في مرضه بيته في ثوب واحد، قد توشح به، فصلى بنا المغرب، فقرأ بالمرسلات فما صلى لنا بعدها حتى لقي الله، أرادت فما صلى بعدها بالناس. وروى البيهقي من طريقين، قال ابن كثير: وإسناده على شرط الصحيح عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: آخر صلاة صلاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع القوم في ثوب واحد برد مخالفاً بين طرفيه فلما أراد أن يقوم قال: ادع لي أسامة بن زيد فجاء فأسند ظهره إلى نحره فكانت آخر صلاة صلاها. قال البيهقي: ففي هذا دلالة أن هذه الصلاة التي صلاها خلف أبي بكر كانت صلاة الصبح يوم الاثنين يوم الوفاة، لأنها آخر صلاة صلاها لما ثبت أنه توفي في ضحى يوم الاثنين. قال ابن كثير: وهو تابع في ذلك ابن عقبة وعروة وهو قول ضعيف، بل هذا آخر صلاة صلاها مع القوم، ثم لا يجوز أن تكون هذه صلاة الصبح من يوم الاثنين يوم الوفاة، لأن تلك لم يصلها مع الجماعة، بل في بيته لما به من الضعف - عليه الصلاة والسلام - ويدل لذلك

حديث أنس الآتي في ذلك في تاريخ وفاته - صلى الله عليه وسلم - وهو أوضح دليل على أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يصل يوم الاثنين صلاة الصبح وأنه كان قد انقطع عنهم لم يخرج إليهم، فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها الظهر كما جاء مصرحا به في حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - في صلاة أبي بكر، ويكون ذلك يوم الخميس لا يوم السبت، ولا يوم الأحد كما حكاه البيهقي عن مغازي ابن عفة وهو ضعيف لما قدمناه من خطبته بعدها، ولا انقطع عنهم يوم الجمعة والسبت والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل. الباب الحادي والعشرون في استعماله - صلى الله عليه وسلم - السواك قبل وفاته روى الشيخان عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: (إن من أنعم الله علي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توفي في بيتي وبين سحري ونحري) وفي رواية (بين حاقنتي ودافنتي) وأن الله تعالى جمع بين ريفي وريفه عند الموت، فدخل علي عبد الرحمن ويده سواك). وفي رواية (جريدة خضراء يشمير بها وأنا مسندة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى صدري، فرأيت ينظر إليه، فعرفت أنه يحب السواك فقلت: أخذه لك، فأشار برأسه أي نعم فقصمته ثم مضغته ونقضته فأخذه، فاستن به أحسن ما كان مستتنا. وروى محمد بن يحيى بن أبي عمرو العرنبي - برجال ثقات - عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رفع رأسه في مرضه قالت: فأخذه فأسندته إلى صدري فدخل أسامة بن زيد ويده سواك أراك رطب، فلحظه إليه، فظننت أنه يريد، فأخذه فنكشته بفي، فدفعته إليه فأخذه وأهواه إلى فيه، فخفقت يده فسقط من يده. وروى الجارث بن أبي أسامة وابن أبي شيبه عنها قالت: (مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو توفي بين حافتي ودافنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد الذي رأيت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -). وروى ابن سعد عنها قالت: لا أزال أعبط المؤمن شدة الموت بعد شدته على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تنبيهات الأول: قال السهيلي في هذا الحديث أي: حديث السواك: فيه من الفقه التنظف

والتطهر] ولذلك يستحب الاستعداد لمن استشعر القتل أو الموت لأن الميت قادم على ربه كما أن المصلي مناج لربه فالنظافة من شأنهما. الثاني: في بيان غريب ما سبق: (السحر) بسين مفتوحة وتضم وحاء ساكنة مهملتين وبفتحتان الرثة يريد أنه مات وهو مستند لصدرها ما بين جوفها وعنقها وما ألصق بالحلقوم والمرئ من أعلى البطن، ورواه عمار بن عقيل بشين وجيم معجمتين وسئل عنه فشبك بين أصابع يديه وضماها إلى نحره، كأنه يضم شيئا إليه أي أنه مات وقد ضمته بيدها إلى صدرها ونحرها، والشجر التشبيك وهو الذفن أيضا والمحفوظ الأول. (القضم) بالقاف وهو الكسر ودق الشيء وأباته أي كسرتة فأبانت منه الموضع الذي كان استن به عبد الرحمن، وإن كان تالفا فهو الكسر من غير إبانة. والحاقة: المعدة أو النقرة بين الترقوة وحبل العاتق. الذاقنة: طرف الحلقوم، وقيل: الذفن، وقيل: ما يناله الذفن من الصدر. والله تعالى أعلم. الباب الثاني والعشرون في معاتبته - صلى الله عليه وسلم - نفسه على كراهية الموت روى ابن سعد عن أبي الجويرث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يشتك شكوى إلا سأل الله تعالى العاقبة، حتى كان في مرضه الذي توفي فيه فإنه لم يكن يدعو بالشفاء وطفق يقول: (يا نفسي ما لك تلوذين كل ملاذ). الباب الثالث والعشرون فيما جاء أنه قبض ثم أرى مقعده من الجنة ثم ردت إليه روحه ثم خير

روى الإمام أحمد والشيخان وابن سعد والطبراني وأبو نعيم بسند صحيح عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول وهو صحيح: ما من نبي إلا تقبض نفسه ثم يرى مقعده من الجنة ثم ترد إليه روحه فيخبر بين أن يرد إليه إلى أن يلحق، فكنت قد حفظت ذلك، فإني لمسندته إلى صدري، فنظرت إليه قد غشى عليه ساعة حتى مالت عنقه،

[٣٦٢]

فقلت قد قضي قالت: فعرفت الذي قال: ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، فنظرت إليه حين ارتفع نظره فقلت: إذا والله لا يختار إلا الرفيق الأعلى، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل، ومع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، فعرفت أنه الحديث الذي حدثناه وهو صحيح. قال الحافظ: وفي (مغازي) أبي الأسود عن عروة: أن جبريل نزل إليه في تلك الحالة (فخيره) وتقدمت أحاديث في باب (ما يؤثر عنه من ألفاظه). الباب الرابع والعشرون في تردد جبريل إليه واستئذان ملك الموت وزيارة إسماعيل صاحب السماء الدنيا له - صلى الله عليه وسلم - وقبض روحه الشريفة وصفة خروجها وصفة الثياب التي قبض فيها روى ابن سعد والبيهقي عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه معصلا والإمام الشافعي في مسنده، والطبراني عنه عن جده عن أبي الحسين مرسلًا، ومحمد بن يحيى وبقي بن مخلد عنه عن أبيه عن جده عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب موصولًا - ورجاله ثقات - أنه لما كان قبل وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاثة أيام هبط جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد وفي رواية يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا وخاصة لك، ليسالك عما هو أعلم به منك - وفي حديث أبي هريرة عن ابن الجوزي فقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام يقول: كيف تجدك؟ قال: (أجدني يا جبريل مغموما، وأجدني يا جبريل مكروبا) [فلما كان اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسالك عما هو أعلم به منك، يقول لك: كيف تجدك؟ قال: (أجدني يا جبريل مغموما؟ وأجدني يا جبريل مكروبا)]. فلما كان اليوم الثالث هبط جبريل ومعه ملك الموت، ومعهما ملك آخر يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط، ولم يهبط إلى الأرض قط، يقال له إسماعيل، على سبعين ألف ملك كل ملك على سبعين ألف ملك، فسبقهم جبريل فقال: يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا وخاصة لك، يسالك عما هو أعلم به منك - وفي حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - عند ابن الجوزي فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام [يقول: كيف تجدك؟ قال: (أجدني يا جبريل مغموما، وأجدني يا جبريل مكروبا) وفي حديث أبي الجويرث

[٣٦٤]

عند البيهقي (إن جبريل قال له: إن ربك يقرئك السلام) [(١) ويقول لك: إن شئت شفيتك وكفيتك، وإن شئت توفيتك، وعفرت لك قال: (ذلك إلى ربي يصنع بي ما يشاء) انتهى. ثم استأذن ملك الموت على الباب فقال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على آدمي كان قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك، قال إذن له، فدخل. وفي حديث ابن عباس عند الطبراني أنه قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، إن ربك يقرئك السلام، قال: فبلغني أن ملك الموت لم يسلم علي أهل بيت قبله، ولا يسلم بعده. انتهى. فوقف بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فقال: إن الله أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها يا أحمد، وإن أمرتني أن أتركها تركتها قال: وتفعل ذلك يا ملك الموت؟ قال نعم، بذلك أمرت أن أطيعك في كل أمرتني، فقال جبريل: يا أحمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك. فقال: يا ملك الموت امض لما أمرت به فقال جبريل عليه الصلاة والسلام: عليك يا رسول الله، هذا آخر موطن الأرض. وفي حديث أبي هريرة عند ابن الجوزي وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك، وهذا آخر عهدك بها، ولن أستاذن علي هالك من بني آدم بعدك، ولن أهبط إلى الأرض على أحد بعدك أبدا، فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - سكرات الموت. وفي حديث عائشة عند البخاري وغيره: (فبينما رأسه على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي، فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجت من فيه نقطة باردة فوفقت على ثغري ونحري فاقشعر لها جلدي، فظننت أنه أغشي عليه، فسجيته ثوبا. وفي حديث عائشة عند الطبراني فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمد يده ويقول: (يا جبريل) وهو يقبضها ويبسطها. وعند ابن عقبة فلم يزل يغمى عليه ساعة ثم يفيق، ثم يشخص بصره إلى السماء. وفي حديث أبي الحويرث عند البيهقي أنه قال: ادن مني يا جبريل، ادن مني يا جبريل. وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه أنه جعل يقول: (ادن مني يا جبريل، ادن مني يا جبريل) ثلاثا قالت عائشة: فلقد سمعت ما لم أسمع أدن مني يا جبريل، وهو يقول: لبيك لبيك. وفي حديث علي عند محمد بن يحيى بن أبي عمر - برجال ثقات - فقال جبريل: يا

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

[٣٦٥]

أحمد عليك السلام هذا آخر موطن الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا. وفي حديث علي عند أبي نعيم لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صعد ملك الموت باكيا إلى السماء والذي بعثه بالحق. لقد سمعت صوتا من السماء ينادي وا محمداه. انتهى. وعند ابن عقبة واشتد برسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوجع فأرسلت إلى علي، وأرسلت حفصة إلى عمر، وأرسلت كل امرأة إلى خيمها، فلم يرجعوا حتى توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على صدر عائشة في يومها. وعند البلاذري عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - رأيت يوما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحمر وجهه ويعرق جبينه ولم أكن رأيت قط ميتا قبله ثم قال: أقعديني فأفعدته فأسندته إلي ووضعت يدي عليه فقلب رأسه فوضعت يدي عنه ووفقت من فيه نقطة على صدري - أو قالت على ترقوتي - فسقط على الفراش فسجيناه بثوب فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وفي حديث عائشة عند الإمام أحمد والبخاري والبيهقي بسند صحيح قالت: لما خرجت نفسه لم أجد قط ريحا أطيب منها. وفي حديث لعائشة عند أبي يعلى وأحمد - برجال ثقات - ثم أقبل بوجهه إلي حتى إذا كان فاه في ثغرة نحري سال من فيه نقطة باردة اقشعر منها جلدي، وثار ريح المسك في وجهي، ومال رأسه فظننت أنه غشي عليه، فأخذته فنومته على الفراش وعظيت وجهه. وفي حديث أم سلمة عند البيهقي قال: وضعت يدي على صدر النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم مات فمر بي جمع، أكل وأتوصأ ما تذهب ريح المسك من يدي. وفي حديث ابن عمر عند البلاذري أنه - صلى الله عليه وسلم - لما قبض سجي بثوب، وقعدنا حوله، فبكي، انتهى، فأتاهم أن يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته. وفي حديث ابن عمر عند البلاذري فرددنا عليه السلام فقال: (كل نفس ذاتة

الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) [آل عمران ١٨٥] إلى قوله:
(متاع الغرور) انتهى، إن في الله خلفا من كل هالك، وعزاء عن كل
مصيبة ودركا من كل ما فأت فبالله فثقوا وإياه فارحوا. وفي حديث
ابن عمر عند البلاذري نظركم في النبي ومصيبتكم، فإن المصاب من
حرم الثواب. انتهى. وفي حديث ابن عمر عند البلاذري فظننا أنه
جبريل جاء يعزينا.

[٣٦٦]

وفي حديث بقي بن مخلد عند الشعبي وعند المدائني فقال علي:
هذا الخضر يعزيكم عن نبيكم. وروى البخاري والطبراني وابن سعد
عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قالت فاطمة لما مات
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا أبتاه أجاب ربا دعاه، يا أبتاه
من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه إلى جبريل فنعاه، يا أبتاه من ربه ما
أدناه. وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبي بردة قال: أخرجت لنا
عائشة - رضي الله تعالى عنها - كساء مليدا وإزارا غليظا فقالت:
قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذين. وروى الإمام
أحمد والبيهقي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: رأيت
رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: بين سحري ونحري وفي
دولتي لم أظلم فيه أحدا. فمن سفهي وحدائة سني أن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - قبض وهو في حجري، ثم وضعت رأسه على
وسادة وقمت مع النساء أبكي وألتم. وروى البار وأبو الحسن بن
الضحك عنها قالت: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما
في مرضه وقد عرق وجهه وجبينه فقال: (أقعديني) فأسندته إلي
فوضعت يدي عليه، فقلت رأسه فرفعت يدي عنه، فظننت أنه يريد
شيئا من رأسي، فوفعت من فمه نقطة باردة على صدري، ثم مال
فسقط على الفراش فسجيته بثوب ولم أكن رأيت الموت). تنبيهات
الأول: قوله: (إن الله قد اشتاق إلى لقاءك) معناه: قد أراد لقاءك بأن
يردك من دنياك إلى معادك. زيادة في قربك وكرامتك. الثاني: روى
البيهقي وأبو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه: شكوا في النبي
- صلى الله عليه وسلم - قال بعضهم: مات وقال بعضهم: لم يموت،
فوضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفي النبي - صلى الله عليه
وسلم - فقالت قد رفع الخاتم من بين كتفيه فكان هذا عرف بعد
موت النبي - صلى الله عليه وسلم - ورواه ابن سعد (١) عن
الواقدي حدثني القاسم بن إسحاق عن أمة عن أبيها القاسم بن
محمد بن أبي بكر أو عن أم معاوية أنه لما شك فذكره. قال ابن كثير:
والواقدي ضعيف وشيوخه لم يسمون، ثم هو منقطع بكل حال
ومخالف لما صح، وفيه غرابة شديدة. قلت: وذكر في (الزهر) أن
الحاكم رواه في تاريخ نيسابور عن عائشة فطلبت التاريخ

(١) ابن سعد ٢ / ٢٠٨. (*)

[٣٦٧]

لأنظر سنده فرأيت منه مجلدات فمررت عليه فلم أر ذلك فيه فليحرج
حاله فإنه كثيرا ما يسأل عن ذلك. الثالث: اشتهر على الألسنة أن
جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي - صلى الله عليه وسلم -.
قال الشيخ في (فتاويه) وهذا شيء لا أصل له، ومن الدليل على
بطلانه ما رواه الطبراني عن ميمونة بنت سعد قالت: قلت: يا رسول
الله هل يرقد الجنب قال: (ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ فأني أخاف أن
يتوفى فلا يجهزه جبريل). وما رواه أيضا نعيم بن حماد [في كتاب

الفتن والطيراني [من حديث ابن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في وصف الدجال قال: (فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت ؟ فيقول: أنا ميكائيل بعثني الله لأمنعه من حرمة [ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت ؟ فيقول: أنا جبريل بعثني الله لأمنعه من حرمة [(١). وقال الضحاك: في قوله تعالى: (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) [القدر ٤] إن الروح هنا جبريل، وإنه ينزل مع الملائكة في ليلة القدر، ويسلمون على المسلمين في كل سنة. الرابع: قول السيدة عائشة (أنتم). قال السهيلي وغيره: الانتدام: ضرب الخد باليد، واللام: المرأة التي تدم والجمع: اللدم بتحريك الدال وقد لدمت المرأة تدم لدماء ولم يدخل هذا في التحريم، لأن التحريم، إنما وقع على الصراخ والنوح، ولعنت الخارقة والحالقة والصالقة - وهي الرافعة لصوتها - ولم يذكر اللدم لكنه وإن لم يذكر فإنه مكروه في حال المصيبة، وتركه أحمد إلا على أحمد - صلى الله عليه وسلم - : فالصبر يحمد في المصائب كلها * إلا عليك فإنه مذموم وقد كان يدعي لابس الصبر حازما * فأصبح يدعي حازما حين يجزع وهذا الحديث تفرد به ابن إسحاق، وهو حسن الحديث إذا صرح بالتحديث، وقد صرح به فقال: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: سمعت عائشة إلخ. وقول السهيلي: إنه لا يدخل في التحريم خلاف الصحيح. الخامس: في بيان غريب ما سبق (سجيته): بسين مهملة مفتوحة فميم: غطيت سائر بدنه.

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

[٣٦٨]

الباب الخامس والعشرون في إخبار أهل الكتاب بموته - صلى الله عليه وسلم - يوم مات وهم باليمن روى البخاري عن جرير بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه - قال: كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كناع وذا عمرو، فجعلت أحدثهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لي: إن كان تقول حقا فقد مضى صاحبك إلى أجله منذ ثلاث، قال فأقبلت وأقبل معي حتى إذا كنا في البعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة، فسألناهم فقالوا: قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [واستخلف أبو بكر، والناس صالحون. قال: فقال لي: أخبر صاحبك أنا قد جئنا، ولعلنا سنعود - إن شاء الله - ووجه إلى اليمن، قال فأخبرت أبا بكر بحديثهم، فقال: أفلا جئت بهم، قال: فلما كان بعد، قال لي ذو عمر يا جرير، إن بك علي كرامة وإني مخبرك خيرا، إنكم معشر العرب، لم تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير، تأمرتم في آخر، فإذا كانت بالسيف، كانوا ملوكا يغضبون غضب الملوك، ويرضون رضي الملوك [وروى البيهقي من وجه آخر عنه قال: لقيني حبر باليمن فقال: إن كان صاحبكم نبيا فقد مات يوم الاثنين. وروى عن كعب بن عدي قال: أقبلت في وفد من أهل الحيرة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ثم انصرفنا إلى الحيرة فلم نلبث أن جاءنا وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فارتد أصحابي وقالوا: لو كان نبيا لم يمتم فقلت: قد مات الأنبياء قبله، وثبت على الإسلام، ثم خرجت أريد المدينة فمرت براهب كنا لا نقطع أمرا دونه فأخبرته فأخرج سفرا فنصفح فيه فإذا بصفة النبي - صلى الله عليه وسلم - كما رأيته وإذا هو يموت في الحين الذي مات فيه، فاشتدت بصيرتي في إيماني، وقدمت على أبي بكر فأعلمته. [فأقمت عنده، فوجهني إلى المقوقس، فرجعت، فوجهني أيضا عمر بن الخطاب، فقدمت عليه بكتابه، فأتيته وقعة اليرموك، ولم أعلم بها، فقال لي: علمت أن الروم قتلت العدو، وهزمتهم، قلت: كلا، قال: ولما، قلت: إن الله وعد نبيه -

صلى الله عليه وسلم - أن يظهره على الدين كله، وليس يخلف الميعاد، قال: إن نبيكم قد صدقكم، قتلت الروم، والله قتل عاد، ثم سألتني عن وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - فأخبرته، فأهدى إلي، عمرو إليهم، وكان ممن أهدى إليه علي وعبد الرحمن والزبير، وأحسبه ذكر العباس، قال كعب: وكنت شريكا لعمر في اليمن في الجاهلية، فلما فرض الديوان، فرض لي في بني عدي بن كعب [. وروى ابن سعد عن محمد بن عمرو الأسلمي عن شيوخه قالوا: كان عمرو بن العاص عاملا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عمان فجاءه يهودي فقال رأيت إن سألتك عن شئ يخشى

[٢٦٩]

علي منك ؟ قال: لا، قال اليهودي: أنشدك بالله من أرسلك إلينا ؟ قال اللهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال اليهودي: الله إنك لتعلم أنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له عمرو: اللهم نعم، قال اليهودي: إن كان ما تقول حقا لقد مات اليوم، ثم بلغ عمرو وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وروى ابن سعد وأبو نعيم عن الحارث بن عبد الله الجهني قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن ولو أظن أنه يموت لم أفارقه فأتاني الخبر فقال إن محمدا قد مات قلت له: متى ؟ قال: اليوم فلم أن عندي سلاحا لقتلته، فلم أمكث إلا يسيرا حتى أتى كتاب من أبي بكر بذلك فدعوت الخبر فقلت: من أين تعلم ذلك ؟ فقال: إنه نبي نجاه في الكتاب أنه يموت يوم كذا وكذا، قلت: وكيف، يكون بعده ؟ قال: تستدير رحاكم إلى خمس وثلاثين سنة ما زاد يوما. وروى ابن عساکر عن كعب الأخبار قال: خرجت أريد الإسلام فلقيت ذا قريات الحميري، فقال لي: أين تقصد فأخبرته فقال لي: لئن كان نبيا إنه الآن تحت التراب، فخرجت فإذا أنا براكب فقال: مات محمد. وروى ابن عساکر عن أبي ذؤيب خويلد وقيل: ابن الحارث الهذلي قال: بلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليل فاستشعرت حزنا، وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها، ولا يطلع نورها فظلمت أقاسي طولها حتى إذا كان قرب السحر أعفيت فهتف بي هاتف وهو يقول: خطب أجل أناخ بالإسلام * بين النخيل ومعقد الأظام قبض النبي محمد فعيوننا * تذري الدموع عليه بالتسجام فوثبت من نومي فرعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع في العرب، وعلمت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد قبض وهو ميت من علته، فركبت ناقتي وسرت، فلما أصبحت طلبت شيئا أزر به فعن شيهم - يعني الفنفذ - وقد قبض على صل يعني الحية فهي تلتوي عليه والشيهم يقضمها حتى أكلها، فزجرت ذلك وقلت: الشيهم شئ مهم والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعده على الأمر فحثت ناقتي حتى إذا كنت بالغبابة فزجرت الطائر، فأخبرني بوفاته ونعب غراب سانح، فنطق بمثل ذلك، فتعوذت بالله من شر ما عن لي في طريقي، وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج إذا أهلوا بالإحرام فقلت: مه ؟ فقالوا: قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجئت إلى المسجد فوجدته خاليا فأتيت بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأصبت بابه مرتجا، وقيل: هو مسجى وقد خلا به أهله.

[٢٧٠]

تنبيه: في بيان غريب ما سبق (الحيرة): - بحاء مهملة مكسورة فمثمثة تحتية فراء محلة بنيسابور. السفر: بسين مهملة مكسورة ففاء ساكنة فراء المراد به هنا [جزء من أجزاء التوراة. تنجاب: -

بمثناة فوقية فنون فجييم فألف فباء ينكشف ولا يذهب. الديجور: -
بدال مهملة فتحتية فجييم - المراد به هنا [(١) الظلام الهاتف.
الخطب - بقاء معجمة فطاء مهملة فموحدة هنا الأمر العظيم. معقد -
بفتح القاف وكسرهما - الأظام: - حصن ميني بحجارة. بالتسجام: -
بفتح التاء مصدر ويكسر اسم. أجزر: بهمزة فزاي فجييم فراء نظير.
شيهم: - بشين معجمة فمثناة تحتية فهاء القنغد. الصل: بصاد
مهملة فلام: الحية. نعب: - بنون فعين مهملة فباء فموحدة: الغراب
وغيره، ونعبانا: صاح وصوت ومد عنقه وحرك رأسه [في صياحه].
السانح: - بسين مهملة فألف فنون فحاء مهملة المبارك، وفي
المثل: (من لي بالسانح بعد البارح) أي: المبارك بعد الشؤم.

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*).

[٢٧١]

الباب السادس والعشرون في بيان معنى قوله - صلى الله عليه
وسلم -: (حياتي خير لكم وموتي خير لكم) روى مسلم عن أبي
موسى - رضي الله تعالى عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - أنه قال: (إذا إراد الله بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله فرطا
وسلفا بين يديها، وإذا أراد هلاك أمة عذبها، ونبيها حي، فأهلكها
وهو ينظر فيقر عينه بهلاكها حيث عذبه وعصوا أمره وإنما كان قبض
النبي - صلى الله عليه وسلم - خيرا لأمتهم لأنهم إذا قبضوا قبله
انقطعت أعمالهم وإذا أراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا
ببقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات،
نسلا بعد نسل، وعقبا بعد عقب). وروى ابن سعد وإسماعيل
القاضي - بسند رجاله ثقات - عن بكر بن عبد الله المازني مرسلا
قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (حياتي خير لكم
تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خير لكم، تعرض علي
أعمالكم، فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شرا استغفرت لكم).
قال الشيخ: - رحمه الله تعالى - في (فتاويه): ليس قوله (خيرا)
أفعل تفضيل فإن (خيرا) لها استعمالان: أحدهما: أن يراد بها معنى
التفضيل لا الأفضلية، وضدها الشر وهي كلمة باقية على أصلها لم
يحذف منها شيء. والثاني: أن يراد بها معنى الأفضلية، وهي التي
توصل بـ (من) وهذه أصلها أخير حذفت همزتها تخفيفا، ويقابلها شر
التي أصلها أشر. قال في (الصحاح): الخير ضد الشر قال الشاعر:
فما كنانة في خير بخائرة * ولا كنانة في شر بأشرار وتأنيت هذه
خيرة وجمعها: خيرات وهن الفاضلات من كل شيء، قال تعالى:
(فيهن خيرات حسان) [الرحمن ٧] (أولئك لهم الخيرات) [التوبة ٨٨]
[ولم يريدوا بها معني أفعل فلو أردت معنى التفضيل قلت: فلانة خير
الناس ولم تقل: خيرة] وفلان خير الناس ولم تقل أخير [ولا تثنى ولا
تجمع، لأنه في معنى أفعل انتهى كلام الصحاح. وقال الراغب في
(مفردات القرآن) الخير والشر يفلان على وجهين أحدهما: أن يكونا
اسمين كقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) [آل
عمران ١٠٤].

[٢٧٢]

الثاني: أن يكونا وصفين وتقديرهما تقدير أفعل من نحو: هذا خير من
ذاك وأفضل وقوله تعالى: (فأت بخير منها) [البقرة ١٠٦] ويحتمل
الاسمية والوصفية معا كقوله تعالى: (وأن تصوموا خير لكم) [البقرة
١٨٤]. وقال أبو حيان في (البحر) في قوله تعالى: (ولو أنهم آمنوا

واتقوا لمثوبة من عند الله خير) [البقرة ١٠٣] ليس (خير) هذا أفعل تفضيل بل هي للتفضيل لا للأفضلية كما في قوله تعالى (أفمن يلقى في النار خير) [فصلت ٤٠] و (خير مستقرا) [الفرقان ٢٤]. وفي قول حسان:.... فشر كما لخير كما الفداء وإذا عرفت ذلك (فخير) من الحديث من القسم الأول وهي التي يراد بها التفضيل لا الأفضلية، فلا توصل بـ (من) وليست بمعنى أفعل وإنما المقصود إن في كل من حياته ومماته - صلى الله عليه وسلم - خيرا لا أن هذا خير من هذا، ولا أن هذا خير من هذا.

[٢٧٢]

الباب السابع والعشرون في عظيم المصيبة وما نزل بالمسلمين بموته - صلى الله عليه وسلم - والظلمة التي غشيت المدينة وتغير قلوب الناس وأحوالهم وبعض ما رثي به من الشعر روى ابن ماجه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: فتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بابا بينه وبين الناس أو كشف سترا فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم ورجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رأهم فقال: يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبته فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فإن أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتني. وروى ابن سعد وابن الجوزي عن عطاء مرسل قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا أصابت أحدكم بمصيبة فليذكر مصابه بي، فإنها من أعظم المصائب) (١). وروى البيهقي عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: يا لها من مصيبة ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت، إذا ذكرنا مصيبتنا به - صلى الله عليه وسلم -. وروى ابن سعد عن سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (سيعزي الناس بعضهم بعضا من بعدي التعزية بي) (٢) فكان الناس يقولون: ما هذا ؟ فلما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقي الناس بعضهم بعضا يعزي بعضهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم -. ورحم الله تعالى القائل: اصبر لكل مصيبة وتجد * وإعلم بأن المرء غير مخلد واصبر كما صبر الكرام فإنها * نوب تنوب اليوم تكشف في غد وإذا أتت مصيبة تسجي بها * فاذكر مصابك بالنبي محمد وقال القائل: تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسي بالنبي محمد وقلت لها إن المنايا سبيلنا * فمن لم يمتم في يومه مات في غد

(١) ابن سعد ٢ / ١١٠. (٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٦٧. (*)

[٢٧٤]

قال ابن المنير: لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسجته الملائكة ودهش الناس واختلف أحوالهم في ذلك وأفجموا واختلطوا فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ومنهم من أصمت فلم يطق الناس الكلام، ومنهم من أخيل فكان عمر فجعل يجلب ويصيح ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكنه ذهب إلى ربه كما موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم، وكان ممن أقعد وفي لفظ عقر علي فلم يستطع حراكا، وكان من أخرس عثمان بن عفان حتى جعل يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما، وأما عبد الله بن أنيس فأضنى حتى مات كمدا. وروى ابن سعد عن عكرامة قال: لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- قالوا: عرج بروحه كما عرج بروح عيسى الحديث وقال العباس - رضي الله تعالى عنه -: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأسن كما يأسن البشر وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد مات... إلى آخره، فهذا مرسل كما ترى، ورواه إسحاق بن راهوية بسند رجاله رجال البخاري إلا أن عكرمة لم يسمع من العباس فإن كان الواسطة بينهما عبد الله بن عباس فهو صحيح، وقد رواه الطبراني من طريق ابن عيينة عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس عن العباس بنحو وهو على شرط البخاري. قال الحافظ ابن حجر فما وجد بخطه: وهذا الذي قاله العباس لم ينقله عن توقيف بل اجتهدا على العادة ولا يستلزم أن يقع ذلك، ولما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزينت الجنان لقدم روحه الكريمة كزينة المدينة يوم قدومه إذا كان عرش الرحمن قد اهتز بموت بعض أتباعه فرجا واستبشارا فكيف يقدم روح الأرواح، وكادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقتها - صلى الله عليه وسلم - فكيف بقلوب المؤمنين لما فقد الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حن إليه وصاح، كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشية تحن إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه. فلو ذاق من طعم الفراق رضوى * لكان من وجده يميذ فقد حملوني عذاب شوق * يعجز عن حمله الحديد وقال غيره: وقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فأصبح يدعى حازما حين يجزع وروى أبو علي بن شاذان عن سالم بن عبيد الأشجعي قال: لما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أجزع الناس عليه عمر بن الخطاب. وروى أبو الحسين البلاذري بسند جيد عن عروة قال: لما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل عمر فأصابه خيل فأقبل يقول ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

[٢٧٥]

وروى أيضا عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: بكى الناس يوم مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى النساء في الخدور، وكادت البيوت تسقط من الصراخ. وروى ابن عساکر عن أبي ذؤيب الهذلي: أنه لما قدم المدينة يوم مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا لها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام. وروى ابن سعد عن القاسم بن محمد أن رجلا ما أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذهب بصره فدخل عليه أصحابه يعودونه، فقال: إنما كنت أريدهما لأنظر بهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأما إذ قبض الله نبيه فما يسرنى أن ما بهما بطني من ظباء تباله. وروى الامام أحمد وأبو يعلى بسند صحيح وابن أبي شيبه والبخاري والطبراني عن الزهري قال: أخبرني رجل من الأنصار من أهل الثقة، وأبو عبد الله بن سعد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعنا عثمان بن عفان يقول: لما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسوس رجال فإني كنت فيمن وسوس فمر علي عمر فسلم فلم أرد عليه ما علمت بتسليمه... الحديث. وروى ابن سعد وابن أبي شيبه والإمام أحمد وابن عدي والدارقطني في (الإفراد) والعقيلي والبيهقي في (شعب الإيمان) والضياء عن عثمان - رضي الله تعالى عنه - أن رجلا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حزنوا عليه حتى كاد بعضهم يوسوس وكنيت منهم فقلت لأبي بكر: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسأله عن نجات هذه الأمة، قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك، فقال: من قبل مني الكلمة التي عرضتها على عمي فردها علي فهي له نجات. وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه والبيهقي بسند قال ابن كثير: على شرط الشيخين عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: لما كان اليوم الذي [دخل فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة أضاء منها كل شئ، فلما كان اليوم الذي] (١) مات فيه أظلم من المدينة كل

شيء. وفي رواية: أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض، وكان أحدها يبسط يده فلا يبصرها، وفي رواية: فلم أر يوما أقيح منه فما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا انتهي. وروى الإمام أحمد ومسلم والبيهقي عنه قال: إن أم أيمن بكت لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل لها: ما يبكيك يا أم أيمن ما عند الله خير لرسوله - صلى الله عليه وسلم - وأدخله جنته، وأراحه من نصب الدنيا فقالت: والله ما أبكي، أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء كان يأتينا غضا حديدا كل يوم وليلة، فعجب الناس من قولها).

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

[٢٧٦]

وروى أبو الربيع بهذا اليوم - يعني يوم الاثنين - كم خير لست فيه إلى أهل الأرض وأي مصيبة نزلت فيه عشية ضاق عنها منفسح الطول والعرض: وهل عدلت يوما رزينة هالك * رزينة يوم مات فيه محمد فيا لها والله مصيبة أحرقت الأكباد * وغمرت بالأسف والحزن الأبناء والآباء وزرا ثقيلًا إلى كاهل الإيمان منه ما أباد * وخطبا جليلا أودى بكل جميل أو كاد وأنشد بعض الأنصار عند موته - صلى الله عليه وسلم -: فالصبر يحمد في المصائب كلها * إلا عليك فإنه مذموم ولولا أن الله سبحانه وتعالى ربط على القلوب من بعده بأمر من عنده لأورث مكانها كمدا، ولما وجدت إلى البقاء مستلغا ولا عن وحي الغناء ملتجدا. وقال أبو الفتح: فيا له من خطب جل على الخطوب * ومصاب دمع العين كيف يصبوب؟ ورزء عزيت له النيران * ولا تغل شروقها والغروب وجادت هجمة الموت فلا نجا * منها هارب ولا فرار منه لمطلوب ولا صباح له فتجلو غياهبه الملمة ودياجيه المدلهمة، ولكل ليل إذا رجي صباح يؤوب، ومن شر أهل الأرض ثم بكى أنس، بكى بعيون سرفها وقلوب فينا لله وإنا إليه راجعون. من نار حنت عليه الأضالع * ولا تخبو ولا تخمد ومصيبة تستك منها المسامع * فلا يبكي على مر الجديد من حزنها المجدد وهل عدلت يوما رزينة هالك * رزينة يوم مات فيه محمد وما فقد الماضون مثل محمد * ولا مثله حتى القيامة يفقد وقال أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - فيما ذكره ابن سعد يرثيه - صلى الله عليه وسلم -: أجدك ما لعينك لا تنام * كأن جفونها فيها كلام بوقع مصيبة عظمت وجلت * فدمع العين أهونه انسجام فجعنا بالنبى، وكان فينا * مقدمنا، وسيدنا الإمام وكان قوامنا، والرأس فينا * فنحن اليوم ليس لنا قوام ننوح ونشتكي ما قد لفينا * وبشكو فقدته البلد الحرام كأن أنوفنا لاقين جدعا * لفقد محمد، فيها اصطلام

[٢٧٧]

لفقد أعر أبيض هاشمي * إمام نبوة، ربه الختام أمين مصطفى، للخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام سأتبع هديه ما دمت حيا * طوال الدهر ما سجع الحمام كأن الأرض بعدك طار فيها * فأشعلها لساكنها ضرام وفقد الوحي إذا وليت عنا * وودعنا من الله الكلام سوى أن قد تركت لنا سراجا * تواريه القراطيس الكرام لقد ورثتنا مرأة صدق * عليك به التحية والسلام من الرحمن في أعلى جنان * من الفردوس طاب بها المقام رفيق أبيك إبراهيم فيه * وما في مثل صحبته ندام وإسحاق وإسماعيل فيه * بما صلوا لربهم وصاموا وقال

أيضا - رضي الله تعالى عنه - ورحمه: يا عين فابكي ولا تسأمي، *
وحق البكاء على السيد ! على خير خندق عند البلا * ء أمسى
يغيب في الملحد فضلى المليك ولي العباد * ورب البلاد على أحمد
فكيف الحياة لفقد الحبيب * وزين المعاشر في المشهد ؟ فليت
الممات لنا كلنا * وكنا جميعا مع المهدي ! وقال أبو بكر - رضي الله
تعالى عنه - فيما ذكره ابن سعد: لما رأيت نبينا متجدا لا * ضاقت
علي بعرضهن الدور وارتعت روعة مستهام واله، * والعظم مني
واهن مكسور أعتيق ويحك ! إن حيك قد ثوى * وبقيت منفردا وأنت
حسير يا ليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في جدث علي
صخور ! فلتحدثن بدائع من بعده، * تعيا بهن جوانح وصدور وقال أبو
بكر أيضا: فيما ذكره ابن سعد: باتت تاويني هموم... حشد * مثل
الصخور فأمسيت هدت الجسدا يا ليتني حيث نبئت الغداة به * قالوا
الرسول قد أمسى ميتا فقد

[٢٧٨]

ليت القيامة قامت بعد مهلكه، * ولا نرى بعده مالا ولا ولدا ! والله
أثني علي شئ فجعت به * من البرية حتى أدخل اللحد كم لي
بعدك من هم ينصني * إذا تذكرت أني لا أراك أبدا ! كان المصفا
في الأخلاق قد علموا، * وفي العفاف فلم تعدل به أحدا نفسي
فداؤك من ميت ومن بدن ! * ما أطيب الذكر والأخلاق والجسدا !
وقال عبد الله بن أنيس - رضي الله تعالى عنه - فيما ذكره ابن سعد:
تطاول ليلى واعترتني القوارع * وخطب جليل لليلية جامع ! عذاة
نعى الناعي إلينا محمدا، * وتلك التي تستك منها المسامع فلو رد
ميتا قتل نفسي قتلتها ! * ولكنه لا يدفع الموت دافع فآليت لا أثني
على هلك هالك * من الناس، ما أوفى ثبير وفارع ولكنني باك عليه
ومتبع * مصيبتة، إنني إلى الله راجع ! وقد قبض الله النبيين قبله، *
وعاد أصيبت بالرزى والتبايع فيا ليت شعري ! من يقوم بأمرنا ؟ *
وهل في قريش من إمام ينازع ؟ ثلاثة رهط من قريش هم هم *
أزمة هذا الأمر، والله صانع علي أو الصديق أو عمر لها، * وليس لها
بعد الثلاثة رابع ! فإن قال منا قائل غير هذه * أبينا، وقلن: الله راء
وسامع فيا لقريش ! قلدوا الأمر بعضهم، * فإن صحيح القول للناس
نافع ولا تبطنوا عنها فواقا فإنها * إذا قطعت لم يمن فيها المطامع
وقال حسان بن ثابت - رضي الله تعالى عنه - فيما ذكره ابن سعد:
يا عين جودي بدمع منك إسبال ! ولا تملن من سح وإعوال ! لا
ينفدن لي بعد اليوم دمعكما، * إنني مصاب وإنني لست بالسالي فإن
منعكما من بعد بذلكما * إياي مثل الذي قد غر بالآل ! لكن أفيضي
على صدري بأربعة، * إن الجوانح فيها هاجس صالي سح الشعيب
وماء الغرب يمنحه * ساق يحمله ساق بإزالال حامي الحقيقة نسال
الوديقة فك * اك العناة، كريم ماجد عال !

[٢٧٩]

على رسول لنا محض ضربيته، * سمح الخليفة، عف غير مجهال !
كشاف مكرمة، مطعم مسغبة، * وهاب عانية وجناء شملال ! عف
مكاسبه، جزل مواهبه، * خير البرية سمح غير نكال ! واري الزناد
وقواد الجياد إلى * يوم الطراد، إذا شبت بأجدال ولا أركي على
الرحمن ذا بشر * لكن علمك عند الواحد العالي ! إنني أرى الدهر
والأيام يفجعني * بالصالحين، وأبقى ناعم البال ! يا عين فابكي
رسول الله إذ ذكرت * ذات الإله ١، فنعم القائد الوالي ! وقال فيما
ذكره ابن سعد - رضي الله تعالى عنه - : يا عين فابكي بدمع ذرى ١
* لخير البرية والمصطفى ! وبكي الرسول ! وحق البكاء * عليه، لدى
الحرب عند اللقا ! على خير من حملت ناقة، * وأتقى البرية عند

التقى علي سيد ماجد جحفل، * وخير الأنام وخير اللها ! له حسب فوق كل الأنا * م من هاشم ذلك المرتجى نخص بما كان من فضله، * وكان سراجا لنا في الدجى ! وكان بشيرا لنا منذرا، ونورا لنا ضوءه قد أضا فأنقذنا الله في نوره، * ونجى برحمته من لظى ! وقالت عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما: عيني، جواد طوال الدهر وانهمرا * سكبا وسحا بدمع غير تعذير ! يا عين، فاسحنفري بالدمع واحتفلي * حتى الممات بسجل غير منزور يا عين، فانهملي بالدمع واجتهدي * للمصطفى، دون خلق الله، بالنور بمستهل من الشؤبوب ذي سيل، * فقد رزئت نبي العدل والخير ! وكنت من حذر للموت مشفقة * والذي خط من تلك المقادير ! من فقد أزه ز صافي الخلق ذي فخر * صاف من العيب والعاهات والزور ! فاذهب حميدا ! جزاك الله مغفرة، * يوم القيامة، عند النفخ في الصور وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه فيما ذكره ابن إسحاق: بطيبة رسم للرسول ومعهد * منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

[٢٨٠]

ولا تمتحي الآيات من دار حرمة * بها منبر الهادي الذي كان يصعد وواضح آثار وياقي معالم * وربع له فيه مصلى ومسجد بها حجرات كان ينزل وسطها * من الله نور يستضاء ويوقد معارف لم تطمس على العهد أيها * أتاها البلى فالآدي منها تجدد عرفت بها رسم الرسول وعهده * وقبرا بها وأراه في التراب ملحد ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت * عيون ومثلاها من الجفن تسعد يذكرك الآء الرسول وما أرى * لها محصيا نفسي فنفسى تبدل مفاجئة قد شفها فقد أحمد * فظلت لآلاء الرسول تعدد وما بلغت من كل أمر عشيره * ولكن لنفسي بعد ما قد توجد أطالت ووقفا تذر العين جهدها * على طلل القبر الذي فيه أحمد فيوركت يا قبر الرسول وبوركت * بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد وبورك لحد منك ضمن طيبا * عليه بناء من صفيح منضد تهيل عليه التراب أيد وأعين * عليه وقد غارت بذلك أسعد لقد غيبوا حلما وعلمنا ورحمة * عشية علوه الثرى لا يوسد وراحوا بحزن ليس فيهم نعيم * وقد وهنت منهم ظهور وأعضد ييكون من تبكي السماوات يومه * ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد وهل عدلت يوما رزية هالك * رزية يوم مات فيه محمد تقطع فيه منزل الوحي عنهم * وقد كان ذا نور يغور وينجد يدل على الرحمن من يقتدي به * وينفذ من هول الخزايا ويرشد إمام لهم يهديهم الحق جاهدا * معلم صدق إن يطبعوه يسعدوا عفو عن الزلات يقبل عذرهم * وإن يحسنوا فالله بالخير أجود وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله * فمن عنده تيسير ما يتشدد فبينا هم في نعمة الله بينهم * دليل به نهج الطريقة يقصد عزيز عليه أن يجورا عن الهدى * حريص على أن يستقيموا ويهدوا عطوف عليهم لا يثني جناحه * إلى كنف يحنو عليهم ويمهد

[٢٨١]

فبينا هم في ذلك النور إذ غدا * إلى نورهم سهم من الموت مقصد فأصبح محمودا إلى الله راجعا * يبيكه حق المرسلات ويحمد وأمسيت بلاد الحرم وحشا بقاعها * لغيبة ما كانت من الوحي تعهد فقارا سوى معمورة اللحد ضافها * فقيد يبيكه بلاط وعرقد ومسجده فالموحشات لفقده * خلاء له فيه مقام ومقعد وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت * ديار وعرضات وربع ومولد فيكي رسول الله يا عين عبرة * ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد وما لك لا تبيكين ذا النعمة النبي * على الناس منها سابع يتغمد فجودي عليه بالدموع وأعولي * لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد وما فقد الماضون مثل محمد * ولا مثله

حتى القيامة يفقد أعف وأوفى ذمة بعد ذمة * وأقرب منه نائلا لا ينكد وأبذل منه للطريف وتالد * إذا ضن معطاء بما كان يتلد وأكرم صيتا في البيوت إذا انتمى * وأكرم جدا أبطحيا يسود وأمنع ذروات وأثبت في العلا * دعائم عز شاهقات تشيد وأثبت فرعا في الفروع ومنبتا * وعودا غذاه المزن فالعود أعيد رياه وليدا فاستتم تمامه * على أكرم الخيرات رب ممجد تناهت وصاة المسلمين بكفه * فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند أقول ولا يلقي لقولي عائب * من الناس إلا عازب العقل مبعد وليس هواي نازعا عن ثنائه * لعلي به في جنة الخلد أخلد مع المصطفى أرجوا بذاك جواره * وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد وقال حسان بن ثابت أيضا [بيكي رسول الله صلى الله عليه وسلم -]: ما بال عينك لا تنام كأنما * كحلت مآقيها بكحل الأرمد جزعا على المهدي أصبح ثاويا * يا خير من وطى الحصى لا تبعد وجهي بيقك الترب لهفي ليتني * غيبت قلبك في بقيع الغرقد بأبي وأمي من شهدت وفاته * في يوم الاثنين النبي المهدي

[٢٨٢]

فظللت بعد وفاته متبلدا * متلدا يا ليتني لم أولد أقيم بعدك بالمدينة بينهم * يا ليتني صبحت سم الاسود أو حل أمر الله فينا عاجلا * في روحة من يومنا أو من غد فتقوم ساعتنا فنلقى طيبا * محضا ضرائبة كريم المحتد يا بكر أمانة المبارك بكرها * ولدته محصنة بسعد الأسعد نورا أضاء على البرية كلها * من يهد للنور المبارك يهتدي يا رب فاجمعنا معا ونبينا * في جنة تنثني عيون الحسد في جنة الفردوس فاكتمها لنا * يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد والله أسمع ما بقيت بهالك * إلا بكيت على النبي محمد يا ويح أنصار النبي ورهطه * بعد المغيب في سواء الملحد ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا * سودا وجوههم كلون الإثم ولقد ولدناه وفينا قبره * وفضول نعمته بنا لا تجحد والله أهدها لنا وهدي به * أنصاره في كل ساعة مشهد صلى الإله ومن يحف بعرشه * والطيبون على المبارك أحمد وقال رضي الله عنه: نب المساكين أن الخير فارقمهم * مع النبي تولى عنهم سحرا من ذا الذي عنده رحلي وراحتي * ووزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا أم من نعاب لا نخشى جنادعة * إذا اللسان عتا في القول أو عثرا كان الضياء وكان النور نتبعه * بعد الإله وكان السمع والبصر فليتنا يوم واروه بملحدة * وغيبوه وألقوا فوقه المدار لم يترك الله منا بعده أحدا * ولم يعيش بعده أنثى ولا ذكرا ذلت رقاب بني النجار كلهم * وكان أمرا من أمر الله قد قدرا واقتسم الفيئ دون الناس كلهم * وبددوه جهارا بينهم هدرنا وقال حسان بن ثابت بيكي رسول الله - صلى الله عليه وسلم أيضا: آيت ما في جميع الناس مجتهدا * مني إليه بر غير إفناد

[٢٨٣]

تالله، ما حملت أنثى ولا وضعت * مثل الرسول نبي الأمة الهادي ولا برا الله خلقا من برينه * أوفى بذمة جار أو بميعاد من الذي كان فينا يستضاء به * مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد أمسى نساؤك عطلن البيوت فما * يضرين فوق قفا ستر بأوتاد مثل الرواهب يلبسن المبادل قد * أيقن باليؤس بعد النعمة البادي يا أفضل الناس إنني كنت في نهر * أصبحت منه كمثل المفرد الصادي وقال أيضا - رضي الله تعالى عنه: - إن الرزية لا رزية مثلها * ميت بطيبة مثله لم يفقد ولقد أصيب جميع أمته به * من كان مولودا، ومن لم يولد والناس كلهم بما قد عالهم * يرجو شفاعته بذاك المشهد حتى الخليل أبوه في أشياعه * ونجيه موسى النبي المهدي متواضعين لربهم

برقابهم * تلك الفضيلة، واجتماع السؤدد يا خير من شد المطية نحوه * وفد لحاجته يروح ويغتدي أنت الذي استنقذتنا من حفرة * من يهو فيها من هواه يبعد فهديتنا بعد الضلالة والردى * بهدى الإله إلى السبيل الأرشد فجزاك عنا الله خير جزائه * بمقام محمود المقام مسدد وقالت عاتكة بنت عبد المطلب - رضي الله تعالى عنها -: يا عين، جودي - ما بقيت - بعيرة * سحا على خير البرية أحمد يا عين، فاحتفلي وسحي واسجمي * وابكي على نور البلاد محمد ! أنى، لك الويلات ! مثل محمد * في كل نائية تنوب ومشهد ؟ فابكي المبارك والموفق ذا التقى، * حامى الحقيقة ذا الرشاد المرشد من ذا يفك عن المغل غله * بعد المغيب في الضريح المجلد ؟ أم من لكل مدفع ذي حاجة، * ومسلسل يشكو الحديد مقيد ؟ أم من لوحى الله يترك بيننا * في كل ممسى ليلة أو في غد ؟ فعليك رحمة ربنا وسلامه، * يا ذا الفواضل والندى والسودد !

[٢٨٤]

هلا فداك الموت كل ملعن * شكس خلائقه لئيم المحتد ؟ وقالت أيضا - رضي الله تعالى عنها -: أعيني، جودا بالدموع السواجم * على المصطفى بالنور من آل هاشم على المصطفى بالحق والنور والهدى * وبالرشد بعد المنديات العظام وسحا عليه وابكيا، ما بكيما، * على المرتضى للمحكومات العزائم على المرتضى للبر والعدل والتقى * وللدن والإسلام بعد المظالم على الطاهر الميمون ذي الحلم والندى * وذى الفضل والداغي لخير التراحم أعيني، ماذا، بعدما قد فجعتما * به، تكيان الدهر من ولد آدم ؟ فجودا بسجل وانديا كل شارق * ربيع اليتامى في السنين البوازم ! وقالت أروى بنت عبد المطلب - رضي الله تعالى عنها -: ألا يا عين ! ويحك أسعديني * بدمعك، ما بقيت وطاوعيني ألا يا عين ويحك ! واستهلي * على نور البلاد وأسعديني ! فإن عدلتك عاذلة فقولي: علام وفيم، ويحك ! تعذليني ! على نور البلاد معا جميعا * رسول الله أحمد فاتركيني فإلا تقصري بالعدل عني، * فلومي ما بدا لك أو دعيني ! لأمر هذني وأذل ركني، * وشيب بعد جدتها قروني ! وقالت أيضا - رضي الله تعالى عنها -: ألا يا رسول الله، كنت رجاءنا، * وكنت بنا برا ولم تك جافيا ! وكنت بنا روبا رحيمنا، * ليك عليك اليوم من كان باكيا ! لعمرك، ما أبكي النبي لموته ! * ولكن لهرج كان بعدك أتيا كان على قلبي لذكر محمد، * وما خفت من بعد النبي المكاويا أفاطم، صلى الله، رب محمد، * على جدت أمسى بيثرب ثاويا ! أبا حسن، فارقت وتركته، * فبك بحزن آخر الدهر شاجيا ! فدا لرسول الله أمي وخالتي * وعمي ونفسي قصرة ثم خاليا صبرت وبلغت الرسالة صادقا، * وقمت صليب الدين أبلج صافيا !

[٢٨٥]

فلو أن رب الناس أبفك بيننا * سعدنا، ولكن أمرنا كان ماضيا ! عليك من الله السلام تحية، * وأدخلت جنات من العدن راضيا ! وقال كعب بن مالك - رضي الله تعالى عنه -: وباكية حراء تحزن بالباكا * وتلطم منها خدها والمقلدا على هالك بعد النبي محمد * ولو علمت لم تيك إلا محمدا فجعنا بخير الناس حيا وميتا * وأدناه من رب البرية مقعدا وأفطعهم فقدا على كل مسلم * وأعظمهم في الناس كلهم يدا لقد ورثت أخلاقه المجد والثقى * فلم تلقه إلا رشيدا ومرشدا وقالت صفية بنت عبد المطلب - رضي الله تعالى عنها -: لهف نفسي ! وبك كالمسلوب * أرق الليل فعلة المحروب ! من هموم وحشيرة ردفتني، * ليت أني سقيتها بشعوب ! حين قالوا: إن الرسول قد امسى * وافقته منية المكتوب ! إذ رأينا أن النبي صريع، * فأشاب

القدال أي مشيب إذ رأينا بيوته موحشات، * ليس فيهن بعد عيش حبيبي أوث القلب ذاك حزنا طويلا، * خالط القلب، فهو كالمربوب ليت شعري ! وكيف أمسي صحيحا * بعد أن بين بالرسول القريب ؟ أعظم الناس في البرية حقا، * سيد الناس حبه في القلوب فألى الله ذاك أشكور وحسبي، * يعلم الله حويتي ونحبيبي ! وقالت أيضا - رضي الله تعالى عنها - : أفاطم، بكى ولا تسأمني * بصحك، ما طلع الكوكب ! هو المرء يبكي، وحق البكاء ! * هو الماجد السيد الطيب ! فأوحشت الأرض من فقده، * وأي البرية لا ينكب ؟ فما لي بعدك حتى المما * ت إلا الجوى الداخل المنصب فيكي الرسول ! وحقته له * شهود المدينة والغيب ! لتبيك شمطاء مضرورة، * إذا حجب الناس لا تحجب

[٢٨٦]

ليبيك شيخ أبو ولدة * يطوف بعقوته أشهب وبيك ركب إذا أرملوا، * فلم يلف ما طلب الطلب وتبكي الأباطح من فقده، * وتبكي مكة والأخشب وتبكي وعيرة من فقده * بحزن ويسعدھا الميثب ! فعيني ما لك تدمعين ؟ * وحق لدمعك يستكب ! وقالت صفية بنت عبد المطلب - رضي الله تعالى عنها - : ما لعيني لا تجودان ريا * إذ فقدنا خير البرية حيا يوم نادى إلى الصلاة بلال * فبكينا عند النداء مليا لم أجد قبلها، ولست بلاق * بعدها غصة أمر عليا جل يوم أصبحت فيه عليلا * لا يرد الجواب منك إيا ليت يومي يكون قبلك يوما * أنضج القلب للحرارة كيا خلقا عاليا، ودينا كريما * وصراطا يهدى إليه سوبا وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مسدا عربيا حازما، عازما، حلما، كريما * عائدا بالنوال، برا تقيا إن يوما أتى عليك ليوم * كورت شمسه وكانت جليا فعليك السلام منا ومن ربك بالروح بكرة وعشيا وقالت هند بنت أئمة بن عباد بن عبد المطلب - رضي الله تعالى عنها - : [أشاب ذؤابتي وأذل ركني * بكاؤك، فاطم، الميت الفقيدا فأعطيت العطاء فلم تكرر، * وأخدمت الولائد والعبيدا وكنت ملاذنا في كل لرب، * إذا هبت شامية برودا] وإنك خير من ركب المطايا، * وأكرمهم إذا نسبوا جدودا ! [رسول الله فارقنا، وكنا * نرجي أن يكون لنا خلودا] أفاطم ! فاصبري فلقد أصابت * رزيتك التهائم والنجودا وأهل البر والأبحار طرا، * فلم تخطئ مصيبتة وحيدا وكان الخير يصبح في ذراه، * سعيد الجد قد ولد السعودا ! فموتي إن قدرتي أن تموتي * فقدت الطبيب الرجل الحميدا

[٢٨٧]

رسول الله خير الناس حقا * فلست أرى له أبدا مديدا وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - : ما زالت مذ وضع الفراش لجنبه * وثوى مريضا خائفا أتوقع شفقا عليه أن يزول مكانه * عنا، فنبقى بعده نتوجع نفسي فداؤك من لنا في أمرنا * أو من نشاوره إذا فترجع وإذا تحدثنا الجوادث؛ من لنا * بالوحي من رب رحيم يسمع ليت السماء تقطرت أكنافها * وتناثرت فيها النجوم الطلع لما رأيت الناس هد جميعهم * صوت ينادي بالنعي فيسمع وسمعت صوتا قبل ذلك هدني * عباس ينعا بصوت يقطع فليبيكه أهل المدائن كلها * والمسلمون بكل أرض تجدد وقال علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - : ألا طرق الناعي بليل فراغني * وأرقني لما استهل مناديا فقلت له لما رأيت الذي أتى * أغير رسول الله أصبحت ناعيا فحقق ما أشفيت منه ولم يبل * وكان خليلي عدتي وجماليا فوالله، لا أنساك احمد ما مننت * بي العيس في أرض وجاوزت واديا وكنت متى أهبط من الأرض تلة * أجد أثرا منه جديدا وعافيا جواد تشظى الخيل عنه كأنما * يرين به ليثا عليهن ضاريا من الأسد قد أحمي

العرين مهابة * تغادى سباع الأرض منه تغاديا شديد جري النفس نهد مصدر * هو الموت مغدو عليه وغاديا (١)

(١) ومن مرآثيه صلى الله عليه وسلم - قال حسان رضي الله تعالى عنه: إن الرزية لا رزية مثلها * ميت بطيبة مثله لم يفقد ميت بطيبة أشرفت لحياته * ظلم الحياة لمتهم أو منجد والكوكب الدرّي أصبح أفلا * بالنور بعد تبلج وتصعد لله ما ضمنت حفيرة قبره * منه، وما فقدت سوارى المسجد وقال حسان: يا لهف نفسي عليه حين ضمنه * بطن الصريح علي وابن عباس = (*)

[٢٨٨]

[...]

= مادت بي الأرض حتى كدت أدخلها * بعد النبي رسول الله والأسبي وقال حسان: متى بيد في الداجي إليهم جيبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد فمن كان أو من يكون كأحمد * نظام لحق أونكال لملمد وقال حسان: كنت السودا الناظري * فعمي عليك الناظر من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر وقالت فاطمة الزهراء رضي الله عنها ترثي أباه صلى الله عليه وسلم: لقد سال دمع العين من بعد حسرتي * على صحن خدي من فراق أحبتي وقد تركوني باكى العين اشتكى * فراقهم دوما وقلّة حيلتي فبت على فرش السفام مسهدا * أراعي نجوم الليل من عظم بلوتي وقد أورثوني حسرة لفرافهم * ونيران وجد في جوانب مهجتي وقد سكنوا تحت التراب وأفقرت * منازلهم من بعد حسن وبهجة أحياء إن العبد والسقم والنوى * لقد غيرت لوني وجسمي وصحتي فيا رب بلغني المرام بنظرة * إليه لتطفي نار حزني ووحشتي وأرقق نورا للحبيب محمد * إمام البرايا خير كل الخليقة وأشكو إليه الوجد والسقم والجوى * ليرثني لحالي في الهوى وصابتني وأنشده يا خير من وطئ الثرى ويا خير مرسل إلى خير أمة يحقك كن لي في معادي شافعا * فانت غيائي في أمانتي وشدتني عليك صلاة الله ثم سلامه * مدى الدهر، ما غنى الحمام بروضة وقالت فاطمة: قل صبري، وبان عني عزائي * بعد فقدي لخاتم الأنبياء عين يا عين أسكبي الدمع سحا * ويك لا تيلخي بفيض الدماء يا رسول الإله، يا خيرة الله * وكهف الأيتام والضعفاء قد بكتك الجبال والوحش جمعا * والطير والأرض بعد بكى السماء ويكاك الحجون والركن والمشد * عر يا سيدي مع البطحاء ويكاك المحراب والدرس للقرا * ن في الصبح معلنا والمساء ويكاك الإسلام إذ صار في * الناس غربيا عن سائر الغرباء لو ترى المنبر الذي كنت تعلقو * ه، علاه الظلام بعد الضياء يا إلهي عجل وفاتي سريرا * فلقد نغص الحياة يا مولائي وقالت فاطمة: قد كنت لي جبلا ألوذ بظله * فالיום تسلمني لأجر ضاح قد كنت جار حميتي ما عشت لي * واليوم بعدك من يريش جناحي وأغض من طرفي وأعلم أنه * قد مات خير فوارسي وسلاحي حضرت منيته فأسلمني العزا * تمكنت ريب المنون جواحي نشر الغراب على ريش جناحه * فظلت بين سيوفه ورماح إنبي لأعجب من يروح ويغتدي * والموت بين بكونه ورواح فاليوم أخضع للدليل وأنقى * ذلي، وأدفع ظالمي بالراح وإذا بكت قمرية شجنا به * ليلا على غصن بكيت صباحي

[٢٨٩]

[...]

= فالله صبرني على ما حل بي * مات النبي، قد انطفى مصباحي وقالت الزهراء: قل للمغيب تحت أطباق الثرى * إن كنت تسمع صرختي وندائيا صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الأيام صرن لياليا قد كنت ذات حمى لظل محمد * لا أخشى من ضمير، وكان جماليا فاليوم أشتع للدليل وأتقي * ضيمي، وأدفع ظالمي بردائيا فأذا بكت قمرية في ليلها * شجنا على غصن بكيت صباحيا فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي * ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشتم مدى الزمان غواليا وقالت فاطمة الزهراء: أغير آفاق السماء وكورث * شمس النهار، وأظلم العصران فالأرض من بعد النبي كئيبة * أسفا عليه، كثيرة الرجفان فليبيك شرق البلاد وغربها * ولتيك مضر، وكل يمان وليبيك الطود المعظم جوده * والبيت ذو الأستار والأركان يا خاتم الرسل المبارك ضوءه * صلى عليك منزل القرآن نفسي فداؤك، ما لرأسك مائلا

* ما وسدك وسادة الوسنان وقالت الزهراء: إذا مات قمر قل والله ذكره * وذكر أبي مذ مات والله أزيد تذكرت لما فرق الموت بيننا * فعزيت نفسي بالنبي محمد فقلت لها: إن الممات سبيلنا * ومن لم يممت في يومه مات في غد وقالت الزهراء: إنا فقدناك فقد الأرض وابلها * وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب فليت قبلك كان الموت صادفنا * لما نعت وحالت دونك الكتب وقالت فاطمة: ماذا على من شم تربة أحمد * أن لم يشم مدى الزمان الغواليبا صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الأيام عدن لباليا وقالت الزهراء: قد كان بعدك أنباء وهنبة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب إنا فقدناك فقد الأرض وابلها * إذ غاب مذ غبت عنا الوحي والكتب وزاد جرمي بعد أبي العلاء بيتا ثالثا روي بروايتين: واختل لقومك لما غبت وانقلبوا * لما قضيت، وحالت دونك الكتب فليت قبلك كان الموت صادفنا * لما قضيت، وحالت دونك الكتب وقد أورد بعضهم بعد البيتين الأولين: أبدى رجال لنا نجوى صدورهم * لما مضيت، وحالت دونك التراب تجهمتنا أناس، واستخف بنا * لما فقدت، وكل الأثر مغتصب وكنيت بدرا ونورا يستضاء به * عليك تنزل من ذى العزة الكتب وكان جبريل بالآيات يؤنسنا * وإذ فقدت فكل الخير محتجب فليت قبلك كان الموت صادفنا * لما مضيت وحالت دونك الكتب إنا رزينا بما لم يرز ذو شجن * من البرية، لا عجم ولا عرب

[٢٩٠]

[...]

= وقالت فاطمة: إن حزني عليك حزن جديد * وفؤداي والله صب عنيد كل يوم يزيد فيه شجونتي * واكتنابي عليك ليس يبيد جل خطبي، وبان عني عزائي * فبكاتي كل وقت جديد إن قلبا عليك يالف صبورا * أو عزاء إنه لجليد وقالت فاطمة الزهراء: أبي وأبته أجاب ربا دعاه جنة الفردوس مأواه من ربه ما أدنا إلى جبرئيل نعاها وقالت فاطمة: إذا اشتد شوقي رزت قيرك باكيا * أنوح وأشكو لا أراك مجاوبي فيا ساكن الصحراء علمتني البكا * وذكرك أنساني جميع المصائب فإن كنت عني في التراب مغيبا * فما كنت من قلب الحزن بغائب وقالت صفية بنت عبد المطلب (عمة الرسول) ترثيه: أفاطم بكى ولا تسأمي * بصيحك ما طلع الكوكب هو المرء يبكي وحق البكا * هو الماجد السيد الطيب فأوحشت الأرض من فقدته * وأي البرية لا ينكب فمالي بعدك حتى المما * ت إلا الجوى الداخل المنصب فيكي الرسول وحققت له * شهود المدينة والغيب لتبيك شمطاء مضورة * إذا حجب الناس لا تحجب ليبيك شيخ أبو ولده * يطوف بعقوته أشهب وببيك ركب إذا أرملوا * فلم يلف ما طلب الطلب وتبكي الأباطح من فقدته * وتبكيه مكة والأخشب وتبكي وعيرة من فقدته * بحزن، ويسعدها الميثب فعيبي ما لك لا تدمع * ين وحق لدمعك يستسكب وقال سالم بن زهير المحاربي أفاطم بكى ولا تسأمي * فقد فأنك الماجد الطيب جوى حل بين الحشا والشفا * ف، فخيم فيه فلا يذهب فيا عين ويحك لا تهجعي * وما بال دمعك لا يسكب فمن ذا - لك الويل - بعد الرسو * ل، يبكي من الناس أو يندب وقال عبد الله بن سلمة الهمداني: أنشد معترفا للمهاجرين بفضل هجرتهم، وللأنصار بفضل نصرتهم مشاركا لهما في رثاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: إن فقد النبي جزعنا اليو * م فذته الأسماع والأبصار ما أصيبت به الغداة قريش * لا، ولا أفردت به الأنصار فعليه السلام ما هبت الري * ح، ومدت جناح للظلام نوار وقال علي بن أبي طالب أمن بعد تكفين النبي ودفنه * تعيش بالآء ونجنح للسلاوى رزنا رسول الله حقا فلن نرى * بذالك عديلا ما حيننا من الردى

[٢٩١]

[...]

= وكننت لنا كالحصن من دون أهله * له معقل حرز حريز من العدى وكنا بمراكم نرى النور والهدى * صباح مساء، راح فينا أو اعتدى لقد عشتينا ظلمة بعد فقدكم * نهارا وقد زادت على ظلمة الدجى فيا خير من ضم الجوانح والحشا * ويا خير ميت ضمه التراب والنرى كان أمور الناس بعدك ضمنت * سفينة موج حين في البحر قد سما وضاق فضاء الأرض عنا برجيه * لفقد رسول الله إذ قيل قد مضى فقد نزلت بالمسلمين مصيبة * كصدع الصفا، لا شعب للصدع في الصفا فلن يستقل الناس ما حل فيهم * ولن يجبر العظم الذي منهم وهى وفي كل وقت للصلاة يهيجها * بلال، ويدعو باسمه كلها دعا ويطلب أقوام موراث هالك * وفينا موراث النبوة والهدى وقال الإمام علي: أمن بعد تكفين النبي ودفنه * بأنوابه أسى على هالك ثوى رزنا رسول الله فينا فلن نرى * بذالك عديلا ما حيننا من الورى وكان لنا كالحصن من دون أهله * لهم معقل حرز حريز من العدى وكنا به شم الأنوف بنحوه * على موضع لا يستطاع ولا

يرى فيا خير من ضم الجوانح والحشا * ويا خير ميت ضمه التراب والثرى كأن أمور
الناس بعدك ضمنت * سفينة موج البحر، والبحر قد طمى وضاق فضاء الأرض عنهم
برحبه * لفقد رسول الله إذ قيل قد قضى فيا حزنا إنا رأينا نبينا * على حين تم الدين
واشتدت القوى وكان الألى شبيهته سفر ليلة * أضل الهدى لا نجم فيها ولا ضوى
وقالت أم سلمة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم -: فجعنا بالنبي، وكان فينا * إمام
كرامة، نعم الإمام وكان قوامنا، والرأس منا * فنحن اليوم ليس لنا قوام ونشككي
ما قد لقينا * ويشكو ففدك البلد الحرام فلا تبع، فكل فتى كريم * سيدركه - وإن كره
- الحمام وقال كعب: ألا أنعي النبي إلى العالمينا * جميعا لا سيما المسلمينا ألا
أنعي النبي لأصحابه * وأصحاب أصحابه التابعينا ألا أنعي النبي إلى من هدى * من
الجن ليلة إذ تسمعونا لفقد النبي إمام الهدى * وفقد الملائكة المنزلينا وقال سودا بن
قارب الدوسي: جلت مصيبتك الغداة سواد * وأرى المصيبة بعدها تزداد أبقي لنا فقد
النبي محمد * صلى الإله عليه ما يعتاد

[٢٩٢]

[...]

= حزنا لعمرك في الفؤاد مخامرا * أم هل لمن فقد النبي فؤاد ؟ كنا نحل به جنابا
ممرعا * جف الجناب، فأجذب الرواد فيكت عليه أرضا وسماؤنا * وتصدعت وحدا به
الأكباد قل المتاع به وكان عيانه * حلما تضمن سكرتيه رقاد إن العيان هو الطريف
وحزته * باق لعمرك في الفؤاد تلاد إن للنبي وفاته كحياته * الحق حق والجهاد جهاد
لو قيل تغدون النبي محمدا * بدلت له الأموال والأولاد وتسارعت فيه النفوس ببدلها *
هذا له الأغياب والأشهاد هذا وهذا لا يرد نبينا * لو كان يفديه سواد إنني أحاذر
والحوادث حمة * أمرا لعاصف ريحه إرعاد إن جعل منه ما يخاف فأنتمو * للأرض أن
رجفت بنا أوتاد لو زاد قوم فوق منية صاحب * زدتم، وليس لمنية مزداد وقال عبد الله
بن مالك الأرحبي: لعمرى لمن مات النبي محمد * لما مات يابن القيل رب محمد دعاه
إليه ربه فأجابه * يا خير غورى ويا خير منجد وقال عامر بن الطفيل الأزدي: بكت الأرض
والسما على النو * ر الذي كان للعباد سراجا من هدينا به سبل الحق * وكنا لا
نعرف المنهاجا وقال مران ذي عمير بن أبي مران الهمداني: إن حزني على الرسول
طويل * ذك مني على الرسول قليل بكت الأرض والسما عليه * وبكاه خديمه جبريل
وقال أبو الهيثم بن التيهان: لقد جدعنا أذاننا وأنوفنا * غداة فجعنا بالنبي محمد وقال
أبو ذؤيب الهذلي: لما رأيت الناس في عسلاتهم * ما بين ملجود له ومضرح متبادرين
لشرجع بأكفهم * نص الرقاب لفقد أبيض أروح فهناك صرت إلى الهموم ومن بيت * جار
الهموم بيت غير مروح كسفت لمصرعه النجوم ويدرها * وتضعضت أطام بطن الأبطح
وتزعزت أجيال يثرب كلها * ونخيلها لجلول خطب مفدح ولقد زحرت الطير قبل وفاته *
بمصابه، وزحرت سعد الأذبح وزحرت أن نعب المشحج سائجا * متفانلا فيه بفأل أقبج
وقال عمر الفاروق: لعمرى لقد أيقنت أنك هالك * ولكنهما أبدي الذي قلته الجزع

[٢٩٣]

[...]

= وقلت يغيب الوحي عنا لفقده * كما غاب موسى، ثم يرجع كما رجع (كذا) وكان
هواي أن تطول حياته * وليس لحي في بقا ميت طمع فلما كشفنا البرد عن حر
وجهه * إذا الأمر بالجزع الموعب قد وقع فلم تك لي عند المصيبة حليلة * أرد بها أهل
الشماتة والقدع سوى أذن الله الذي في كتابه * وما أذن الله العباد به يقع وقد قلت
من بعد المقالة قولة * لها حلوق الشامتين به بشع إلا إنما كان النبي محمد * إلى
أجل وافى به الموت فانتقطع ندين على العلات منا بدينه * ونعطي الذي عطى ونمنع
ما منع ووليت محزوننا بعين سخينة * أكفكف دمعي والفؤاد قد انصدع وقلت لعيني كل
دمع دخرت * فيجودي به إن الشجي له دفع وقال الصديق: باتت تأويني هموم حشد *
مثل الصخور، فأمست هدت الجسدا يا ليتني حيث نبئت الغداة به * قالوا: الرسول قد
أمسى ميتا، فقدا ليت القيامة قامت بعد مهلكه * ولا نرى بعده مالا ولا ولدا والله أننى
على شئ فجعت به * من البرية حتى أدخل اللحد كم لي بعدك من هم ينصيني *
إذا تذكرت أني لا أراك أبدا كان المصفاة في الأخلاق قد علموا * وفي العفاف. فلم
تعدل به أحدا نفسي فداؤك من ميت ومن بدن * ما أطيب الذكر، والأخلاق، والجسدا
وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية: أمست مراكيه أوحشت * وقد كان
بركيها زينها وأمست تبكي علي سيد * تردد عبرتها عينها وأمست نساؤك ما تستقي
* ق، من الحزن يعتادها دينها وأمست شواحب مثل النسا * ل، قد عطلت، وكيا لونها
يعالجن حزنا بعيد الذها * ب، وفي الصدر مكتنح حينها يضرين بالكف حر الوجو * ه،

على مثله جادها شونها هو الفاضل السيد المصطفى * على الحق مجتمع دينها فكيف حياتي بعد الرسو * ل، وقد حان من مية حينها وقالت هند بنت الجارث بن عبد المطلب: يا عين جودي بدمع منك وابندري * كما تنزل ماء الغيب فانتعبا أو فيض غرب على عادية طويت * في جدول خرق بالماء قد سريا لقد أنتني من الأنباء معضلة * أن ابن أمة المأمون قد ذهب أن المبارك والميمون في حدث * قد ألقوه تراب الأرض والحديا أليس أوسطكم بيتا، وأكرمكم * خلا وعمما، كريما ليس مؤتسبا

[٢٩٤]

تنبيهات الأول: روى الإمام أحمد وابن ماجة والحاكم عن عبد الله بن أبي أوفى قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن المراثي وعند ابن أبي شيبة بلفظ: نهانا عن أن نترائي. الثاني: في بيان غريب ما سبق سجي: أي عظمي [والمتسجي: المتغطي من الليل الساجي، لأنه يغطي بظلامه، وسكونه]. يجلب: بمثابة تحية فجيم فلام يقال: جلب عليه يجلب بضم اللام جلبا بالفتح صاح من خلفه وأجلب مثله. عقر: بكسر القاف. دهش فلا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر. وقيل: سقط إلى الأرض من قامته وحكاه ابن السكيت بالفاء من العفر وهو التراب وصبوب ابن كيسان والروائين معا والعفر بفتحيتين. يأسن: [أي يتغير]. حن [أي نزع واشتاق وأصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها]. ضوي: الخدور... الصراخ... الحجيج... تباله...

= وقالت حاضنته أم أيمن: عين جودي فإن بذلك للدم * ع شفاء، فأكثرني من البكاء حين قالوا: الرسول أمسى فقيدا * ميتا كان ذاك كل البلاء وأيكيا خير من رزناه في الدني * يا، ومن خصه بوحى السماء بدموع غزيرة منك حتى * يقضي الله فيك خير القضاء فلقد كان ما علمت وصولا * ولقد جاء رحمة بالضياء ولقد كان بعد ذلك نورا * وسراجا يضيء في الظلمات طيب العود والضريبة والمع * دن والخيم، خاتم الأنبياء (*)

[٢٩٥]

العض: ... الأكباد... الأسف... الحزن... الوزر... الكاهل... أودي: [أهلك]. الكمد: [هم وحزن لا يستطاع إمضاؤه وقيل: الحزن المكتوم]. الدياجي: [...]. المدلهمة: [شديدة الظلمة]. * * تستك... روعة: [الروع الفزع]. المستهام: [هام فلان خرج على وجهه في الأرض لا يدري أين يتوجه]. واله: [حزين]. نوى: [أقام]. حسير: [حسر فلان يحسر حسرا: أسف]. جدت: [قبر جمعة أحداث]. صخور: بدائع: جوانح: [الجانحة: الضلع القصيرة مما يلي الصدر جمعها جوانح]. صدور: ... تأويني: ... حشد:...

[٢٩٦]

أمسى: ... فجعت: [يقال أمر فاجع: يفجع الناس بالدواهي]. اللحد: ... ينصيني: [من نصب ينصب نصبا: أعيا وتعب]. القوارع: [مفردتها القارعة وهي المصيبة]. البلية: [المصيبة]. قارع: ... فيا ليت شعري... إسبال: [يقال: أسبلت العين: سال دمعها]. سح: [يقال: سح الماء ونحوه: سال من أعلى إلى أسفل وأبضا: سح الماء ونحوه: صبه صبا متتابعا كثيرا]. إعوال: [يقال: أعوال إعوالا، وعول تعويلا إذا صاح ويكى]. هاجس: [هجس الأمر في صدره: خطر بباله]. صالي: ... سح الشعيب: ... محصن ضريبته: ... حامى الحقيقة: ... تسال الوديقة: سريع ومتقدم للقوم في شدة الحر ودنو الشمس. العناة: الأسرى. ماجد: الشريف الخير. شمالا: السريع الخفيف.

وجناء: الشديدة. نكال: المعاقب بما يردع، والمروع لغيره من إتيان
مثل صنيع من نكل به. وارى الزناد: الذي إذا رام أمرا أنجح فيه وأدرك
ما طلب. جحفل: الجيش الكثير فيه الخيل.

[٢٩٧]

الحسب: ما يعده المرء من مناقبه وشرف آبائه. انهمر: انسكب بقوة.
السجل: الدلو المملأى ماء. الشؤبوب: الدفعة من المطر. العبرة:
الدمعة. الضريح: القبر. فجعتما: أولمتما إيلا ما شديدا. البوازم:
الشدائد. العذل: اللوم. قروني: القرن من رأس الإنسان، موضع
القرون منه. الشعوب: ... صريع: المصروع: أي صرعه المنية. القذال:
جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس. حوبة: ... النخب: رفع
الصوت بالبكاء. الجوى: شدة الوجد من العشق أو الحزن. شمطاء:
المختلطة سواد شعرها ببياض. الطوف: ... أشهب: المخالط بياض
شعره سواد، أو حال لونه وتلوح من برد وحر. أرملوا: ... يلف: ...
الأباطح: الأمكنة المتسعة يمر بها السيل، فيترك فيه الرمل والحصى
الصغار. الأخشب: جبل بمكة.

[٢٩٨]

الباب الثامن والعشرون في بلوغ هذا الخطب الجسيم إلى الصديق
الكريم وثبوته في هذا الأمر روى البزار والبلاذري وبقي بن مخلد عن
أبي هريرة وابن عباس، وأبو يعلى وأحمد برجال ثقات والطيالسي
والترمذي في (الشمائل). - بإسناد حسن - عن عائشة والطبراني
برجال ثقات عن عكرمة عن ابن عباس وإسحاق بن راهوية عن
عكرمة وعبد بن حميد بسند صحيح عن سالم بن عبيد الصحابي، أن
الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - أرسلوه خلف أبي بكر وفي لفظ
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما خرج يوم الاثنين قال له
أبو بكر: يا رسول الله وفي لفظ: (أصبح رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - يوم الاثنين خفيفا فقال أبو بكر: يا رسول الله: أراك قد
أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب، واليوم يوم ابنة خاتمة يعني:
امرأته أفاتها قال: نعم، ثم دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
ورجع أبو بكر إلى أهله بالسنة فلما مات رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - سجي بثوب وجاء عمر فاستأذن على عائشة ومعه المغيرة
بن شعبه، فأذنت لهما ومدت الحجاب، فقال: عمر: يا رسول الله -
فقلت: عائشة غشي عليه مذ ساعة، فكشف عن وجهه وقال:
واغشياه ما أشد غشي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي
لفظ: دخل أبو بكر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل
يرواح بين حزنه ميلا وجعل يقول: وانبياه واصفياه ثم غطاه، ولم يتكلم
المغيرة، فلما أن دنوا من عتبة الباب قال: مات رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - يا عمر: فقال عمر: كذبت، ما مات رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - والله لا يموت حتى يؤمر بقتال المنافقين، ولكنه
ذهب إلى ربه كما ذهب موسى إلى ربه، وغاب عن قومه أربعين
ليلة، والله ليرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليقطعن
أيدي رجال وأرجلهم وألسنتهم، وتكلم حتى أزيد شدقاها: بل أنت
امرؤ تحوشك فتنة وابن أم مكتوم في مؤخرة المسجد يقرأ و (وما
محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) [آل عمران ١٤٤] والناس
يموجون ويكفون ولا يسمعون، فخرج عباس بن عبد المطلب على
الناس فقال: يا أيها الناس هل عند أحد منكم من عهد رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فليحدثنا قالوا: لا. قال: هل عندك يا عمر من
علم؟ قال: لا. فقال العباس: أشهد أيها الناس أن أحدا لا يشهد
على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعهد عهده إلي في وفاته،
والله الذي لا إله إلا هو فقد ذاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

الموت، فادفنوا صاحبكم أيّمت أحدكم إماتة ويميته إماتتين، هو أكرم على الله من ذلك فإن كان كما تقولون فليس على الله بعزير أن عنه التراب فيخرجه إن شاء الله، ما مات حتى ترك السبيل نهجا واضحا، أحل الحلال وحرّم الحرام، ونكح وطلق، وحارب وسالم، وما كان راعي غنم يتبع بها صاحبها رؤوس الجبال يخط عليها العضاة بمخبطه يحدر حوضها بيده بأنصب ولا أداّب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان فيكم، فذهب سالم بن

[٢٩٩]

عبيد وراء أبي بكر إلى السنح فأعلمه بموت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما بلغ أبو بكر الخبر وهو بالسنح أقبل على فرس حتى نزل على باب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعمر يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيت عائشة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسجى في ناحية البيت عليه برد حبرة. زاد أبو الربيع وأبو اليمن بن عساكر في (إتحاف الزائر) وعيناه تهملان وزفراته تتردد في صدره وعصمه ترتفع كقطع الحرة، وهو في ذلك جلد العقل والمقالة حتى دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكشف عن وجهه ومسح وقبل بين عينيه، وجعل يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء، فعظمت عن الصفة، وجللت عن البكاء وحصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرت فينا سواء، ولولا أن موتك كان اختبارا لجدنا لموتك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء عليك ما الشئون، فاما ما لا نستطيع تقية ففيه كمد وإدناف يتخالفان لا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا، اذكرنا يا محمد عند ربك ولتكن من جاء لك فلولا ما خلقت من السكينة لم تعم لما خلقت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه ميتا ثم صرخ. انتهى. وفي حديث عائشة عند ابن سعد وأبي يعلى وأحمد برجال ثقات أن أبا بكر لما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم تحول من قبل رأسه فقال: وإني، ثم حدر فمه وقبل وجهه ثم [قال: واصفياه ثم] (١) رفع رأسه وحدر فمه وقبل جبهته وقال: واخيلاه، مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي حديث عائشة عند أبي يعلى وأحمد فقال: كيف ترين؟ قالت: غشي عليه فدنا منه فكشف عن وجهه فقال: يا غشياه ما أكون هذا الغشي، ثم كشف عن وجهه فعرف الموت فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ثم بكى قالت عائشة: فقلت في سبيل الله انقطاع الوحي ودخول جبريل بيتي، ثم وضع يديه على صدغيه ووضع فاه على جبهته فبكى حتى سالت دموعه على وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي لفظ ثم أقبل عليه فقبله ثم قال: بأبي وأمي أما الموتة التي كتب الله عليك فقد متها فلي يصيبك بعدها موتة أبدا، ثم رد البرد على وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم خرج إلى الناس. زاد أبو الربيع: وهم في خطبهم غمراتهم وشديد سكراتهم، ثم خرج عمر يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر أنصت ثلاث مرات فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه.

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب.

[٣٠٠]

زاد أبو الربيع وأبو اليمن، ثم خطب خطبة جملها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - وقال فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين، في كلام طويل انتهى. ثم قال: أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلى هذه الآية: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) [آل عمران ١٤٤]. زاد ابن عقبة وقال: (إنك ميت) [الزمر ٣٠] وقال: (كل نفس ذائقة الموت) [آل عمران ١٨٥] وقال: (كل شئ هالك إلا وجهه) [القصص ٨٨] (كل من عليها فإن، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) [الرحمن ٢٦، ٢٧] زاد أبو الربيع وأبو اليمن: إن الله قد تقدم لكم في أمره فلا تدعوه جزعا، وأن الله تعالى قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) [النحل ٩٦] وقبضه إلى ثوابه، وخلف فيكم كتابه وسنة رسوله، فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكروا، (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) [النساء ١٣٥] لا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم، وعالجوا الشيطان بالخزي تعجزوه ولا تستنظروه فليحق بكم، انتهى. زاد ابن عقبة إن الله عمر محمدا وأيقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله وبلغ رسالة الله وجاهد أعداء الله حتى توفاه الله صلوات الله وسلامه عليه وهو على ذلك وترككم على الطريقة فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة [والشفاء فمن كان الله ربه فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدا وينزله إلها ١ فقد هلك إلهه] ١ فاتقوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم وكلمته باقية، وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه وأن كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمدا صلى الله عليه وسلم - وفيه حلال الله وحرامه والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة، ما وضعناها بعد ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا يبقين أحد إلا على نفسه. انتهى. وفي لفظ فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الآية نزلت [إلا] حين تلاها أبو بكر يومئذ فأخذها الناس عن أبي بكر وإنما هي في أفواههم، فلما تلاها أبو بكر أيقن الناس بموت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتلقاها كثير من الناس من أبي بكر حتى تلاها. قال عمر - رضي الله تعالى

[٢٠١]

عنه - فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت وأنا قائم حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت حين تلاها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد مات. زاد أبو الربيع فلما فرغ من خطبته التفت إلى عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فقال: يا عمر أنت الذي تقول على باب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: والذي نفسي بيده ما مات رسول الله، أما علمت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم كذا وكذا، أو قال يوم كذا وكذا، وقال الله تعالى في كتابه (إنك ميت وإنهم ميتون) [الزمر ٣٠] فقال عمر: لكأنني والله لم أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل ذلك لما نزل بنا، أشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الحديث كما حدث، وأن الله تعالى حي لا يموت - صلوات الله وسلامه علي رسوله - وعند الله تحتسب رسوله وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فيما كان منه يومئذ: لعمرى لقد أيقنت أنك ميت * ولكنما أبدي الذي قلته الجزع وقلت يغيب الوحي عنا لفقده * كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع وكان هوأي أن تطول حياته * وليس لحى في بكا ميت طمع فلما كشفنا البرد عن حر وجهه * إذا الأمر بالجزع المرعب قد وقع فلم يك

لي عند المصيبة حيلة * أرد بها أهل الشامات والقزع سوى إذن الله في كتابه * وما أذن الله العباد به يقع وقد قلت من بعد المقالة قوله * لها في حلوق الشامتين به بشع إلا إنما كان النبي محمد * إلى أجل وأفى به الموت فانقطع ندين على العلات منا بدينه * ونعطي الذي أعطى ونمنع ما منع ووليت محزوناً بعين سخينة * أكفك دمعي والفؤاد قد انصدع وقلت لعيني كل دمع دخرته * فجوذي به إن الشجي له دفع وروى ابن إسحاق عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن عمر - رضي الله تعالى عنه - قال له في خلافته: هل تدري ما حملني على مقاتلي التي قلت حين توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين أنت أعلم قال: فإنه والله ما حملني على ذلك إلا أنني كنت أقرأ هذه الآية: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) [البقرة ١٤٣] فوالله إنني كنت لا أظن أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيبقي في أمته حتى تشهد عليها بأخر أعمالها، فإنه الذي حملني على أن قلت ما قلت.

[٢٠٢]

تنبيهات الأول: قول سيدنا أبي بكر - رضي الله تعالى عنه -: (لا يجمع الله عليك موتتين). قيل: هو علي حقيقته، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم بأنه سيحيا ليقطع أيدي رجال، لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موته أخرى، فأخبر أنه أكرم على الله من أن يجمع عليه موتتين كما جمع على غيره، كالذين خرجوا من ديارهم ألوف أو كالذي مر على قرية. قال الحافظ: وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها وقيل: أراد لا يموت موته أخرى في القبر كغيره، إذ يحيا ليسأل ثم يموت، قاله الداودي. وقيل: لاي يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك. وقيل: كنى بالموت الثاني عن الكرب أي: لا تلقي بعد كرب هذا الموت كرباً آخر. الثاني: في بيان غريب ما سبق (السنخ) هنا بضم السين والنون. وقيل: بسكونها أطم لجشم ومنازل بني الحارث على ميل من المسجد النبوي، وهو أدنى العالية، وسميت به الناحية، ووهم من جعله نجدياً مساجد الفتح، لأن ذاك بالمشاة التحتية وكسر السين، قاله السيد نور الدين السمهودي في تاريخ المدينة. (أزبد) (شداها). (تحوسك) بحاء وسين مهملتين بينهما واو أي: تخالطك وتحت على ارتكابها. (بيرحون). مسلاة.

[٢٠٣]

الباب التاسع والعشرون في اختيار الله تعالى له - صلى الله عليه وسلم - بأن يجمع له مع النبوة الشهادة روى البخاري تعليقا والبيهقي مسندا عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير وهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم وفي رواية (ما زالت أكله خبير تعاودني). وروى ابن سعد بسند صحيح، والبيهقي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: لأن أخلف تسبعا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتل قتلاً أحب إلي من أن أحلف واحدة، وذلك أن الله اتخذ نبياً، وجعله شهيداً). وروى ابن سعد عن ابن عباس - وجابر وأبي هريرة وغيرهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاش بعد أكله الشاة المسمومة بخبير ثلاثة سنين حتى وجعه الذي توفي فيه، فجعل يقول في مرضه: ما زلت أجد من الأكلة التي أكلتها يوم خبير عدا حتى كان هذا وأوان انقطاع أبهري، وذلك عرق في الظهر، وتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهيداً. وروى الإمام أحمد والحاكم عن أم معبد امرأة كعب أن أم مبشر

دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وجعه الذي قبض فيه فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما تتهم بنفسك؟ فأني لا أتهم بابني إلا الطعام الذي أكل معك بخبير، وكان ابنها مات قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: وأنا لا أتهم غيرها هذا أوان انقطاع أبهرى). وروى ابن ماجه عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قالت: أم سلمة يا رسول الله لا يزال يصيبك كل عام وجع من الشاة المسمومة التي أكلت؟ قال: ما أصابني شئ منها إلا وهو مكتوب علي وأدم في طينته). وروى ابن سعد عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله وابن عباس - رضي الله تعالى عنهم - وسعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - حديث الشاة المسمومة، وفيه (واحتجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على كاهله من أجل الذي أكل، حجمه أبو هند بالقرن والشقرة، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه فاحتجموا أوساط رؤوسهم وعاش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قبض فيه، جعل يقول: هذا أوان انقطاع أبهرى، وهو عرق في الظهر وتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شهيدا).

[٢٠٤]

تنبيه في بيان غريب ما سبق: الأبر بفتح الهاء عرق إذا قطع مات صاحبه وهما أبرهان يخرجان من القلب، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين. (الأكلة) بالضم اللقمة التي أكل من الشاة، وبعض الرواة بفتح الألف وهو خطأ لأنه - صلى الله عليه وسلم - لم يأكل منها إلا لقمة واحدة. قال ابن الأثير: ومعنى الحديث أنه نقض سم الشاة التي أهدتها له اليهودية وكان ذلك يثور عليه أحيانا. تعاودني أي: تراجعني ويعاودني ألم سمها، في أوقات معلومة ويقال به: عداد من ألم: أي: يعاوده في أوقات معلومة، والعداد - بعين مكسورة فداين مهملات - احتياج وجع اللديغ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم لدغ هاج به الألم.

[٢٠٥]

الباب الثلاثون في تاريخ وفاته - صلى الله عليه وسلم - روى الشيخان والبلاذري وابن جرير والبيهقي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يخرج ثلاثا وأبو بكر يصلي بالناس، وأن الناس بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، فما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن هيئة منه في تلك الساعة، وكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم صفوف في الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف فظن أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأشار إليهم أن أتوا صلاتكم فقال: (أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو ترى له إلا واني نهييت أن أقرأ راکعا أو ساجدا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمم أن يستجاب لكم)، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر فتوفي من يومه ذلك. وروى ابن سعد عن ابن شهاب قال: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين حين زاغت الشمس. وروى عنه أيضا عن ابن شهاب قال: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين لاثنتين عشرة ليلة مضت من

ربيع الأول). تنبيهات الأول: قال السهيلي وابن كثير والحافظ: لا خلاف أنه - صلى الله عليه وسلم - توفي يوم الاثنين في ربيع الأول. قال: ابن عقبة حين زاغت الشمس. قال في المنهل: والأكثر على أنه حين اشتد الضحى. قال الأكثر في الثاني عشر منه وعند ابن عقبة، والليث والخوارزمي من هلال ربيع الأول. وعند أبي مخنف والكلبي في ثانيه، وحزم به سليمان بن طرخان في (مغازيه) ورواه ابن سعد عن محمد بن قيس، ورواه ابن عساكر عن سعيد بن إبراهيم عن الزهري وعن أبي نعيم الفضل بن دكين ورجحه السهيلي.

[٢٠٦]

وعلى القولين يتنزل ما نقله الرافعي أنه عاش بعد حجته ثمانين يوما. وقيل: إحدى وثمانين، وأما على جزم به النووي فيكون عاش بعد حجته تسعين يوما، أو إحدى وتسعين يوما. الثاني: استشكل السهيلي وتابعه غير واحد ما عليه الأكثر من كونه مات يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، وذلك أنهم اتفقوا على أن وقفه عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة، وهو التاسع من ذي الحجة، فدخل ذي الحجة يوم الخميس، فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت، فإن كان الجمعة فقد كان صفر إما السبت وإما الأحد، وإن كان السبت فقد كان ربيع الأول الأحد أو الاثنين، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب فلم يكن الثاني عشر من ربيع الأول بوجه. وقول أبي مخنف والكلبي وإن كان خلاف [أهل] الجمهور، فإنه لا يبعد أن كانت الثلاثة الأشهر التي قبله كلها تسعة وعشرين فتدبره، فإنه صحيح. وقول ابن عقبة والخوارزمي أقرب في القياس من قول أبي مخنف ومن تابعه. قال ابن كثير: وقد حاول جماعة الجواب عنه، ولا يمكن الجواب عنه إلا بمسلك واحد، وهو اختلاف المطالع، بأن يكون أهل مكة رأوا هلال ذي الحجة ليلة الخميس، وأما أهل المدينة فلم يروه إلا ليلة الجمعة. ويؤيد هذا قول عائشة وغيرها، خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لخمسة بقين من ذي القعدة، يعني: من المدينة إلى حجة الوداع [ويتعين بما ذكرناه أنه خرج يوم السبت، وليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس، لأنه قد بقي أكثر من خمس بلا شك، ولا جائز أن يكون خرج يوم الجمعة لأن أنسا قال: صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذئ الحليفة ركعتين فتعين أنه خرج يوم السبت لخمسة بقين [فعلى هذا إنما رأى أهل المدينة هلال ذي الحجة ليلة الجمعة، وإذا كان هلال ذي الحجة عند أهل المدينة الجمعة، وحسبت الشهور بعده كوامل يكون أول ربيع الأول يوم الخميس، فيكون ثاني عشر يوم الاثنين، والله تعالى أعلم. الثالث: في بيان غريب ما سبق: لم يفجأهم: ... (الستر: ... نكص): ... قمن: بغاف فميم مفتوحين أي: خليق وحقيق وجدير لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، فإن كسرت الميم أو قلت: قمين ثنيت وجمعت، وهذا مقمنة أي: مخلقة ومجدرة وتقمنت موافقتك: توخيتها.

[٢٠٧]

الباب الحادي والثلاثون في مبلغ سنه - صلى الله عليه وسلم - روى مسلم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: (قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقبض أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقبض عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة) (١). وروى الإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنزل عليه وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة، فهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث

وستين سنة) (٢). وروى أبو داود الطيالسي ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله تعالى عنهما - قال: قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وعمر وأنا ابن ثلاث وستين (٣). وروى الشيخان عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثلاث وستين (٤). وروى الإمام أحمد ومسلم عن عمار بن أبي عمار قال: قلت لابن عباس: (كم أتى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم مات قال: أتحسب؟ قلت: نعم قال: أمسك أربعين. بعث لها خمس عشرة بمكة، يأمن ويخاف وعشر من مهاجره إلى المدينة) (٥). وروى الحاكم في (الإكليل) عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن خمس وستين. وروى ابن سعد وعمر بن شبة والحاكم في (الإكليل) عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفي وهو ابن ستين سنة). تنبيهات الأول: قال ابن عساکر، والإمام النووي: القول بأن عمره حين توفي ثلاث وستون سنة هو الأصح الأشهر.

(١) أخرجه مسلم ٤ / ١٨٢٥ في الفضائل (١١٤ / ٢٣٤٨). (٢) أخرجه البخاري ٧ / ١٦٢ (٢٨٥١) (٣٩٠٣، ٣٩٠٣) ومسلم ٤ / ١٨٢٦ في الفضائل (١١٧ - ١١٨ / ٢٣٥١). (٣) أخرجه مسلم ٤ / ١٨٢٦ (١١٩، ١٣٠ / ٢٣٥٢) وقوله (وأنا) أي وأنا متوقع موافقتهم، وأناي أموت في سنتي هذا. (٤) مسلم ٤ / ١٨٢٥ (١١٥ / ٢٣٤٩). (٥) مسلم ٤ / ١٨٢٧ (١٣١ / ٢٣٥٣). (*)

[٢٠٨]

وقال أبو عمر: هو الصحيح عندنا. وقال ابن سعد: هو الثابت إن شاء الله تعالى. قال الذهبي: وهو الصحيح الذي قطع به المحققون. الثاني: قال الحاكم في (الإكليل) والنووي: اتفق العلماء على أن أصح الروايات ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقي على ذلك، فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسور. ورواية الخمس وستين متأولة عليها أو حصل فيها شك، وقد أنكر عروة على ابن عباس قوله: خمس وستون، ونسبه إلى الغلط، وأنه لم يدرك أول النبوة بخلاف الباقيين. قلت: أكثر الرواة عن ابن عباس حكوا عنه رواية ثلاث وستين، فالظاهر أنه إن كان قال غير ذلك فقد رجع إلى ما عليه الأكثرون، والله تعالى أعلم. قالوا: واتفقوا على أنه - صلى الله عليه وسلم - أقام بالمدينة بعد الهجرة عشرة سنين، وبمكة قبل النبوة أربعين سنة، وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة، الصحيح أنه ثلاث عشرة سنة، فيكون عمره ثلاث وستين سنة. قال النووي: وهذا الصواب المشهور الذي أطبق العلماء عليه. وحكى القاضي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة، أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة والصواب أربعون كما سبق.

[٢٠٩]

الباب الثاني والثلاثون في عدم استخلافه أحدا بعينه، وأنه لم يوص إلى أحد بعينه روى البخاري والبيهقي عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني: أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (١). وروى البيهقي عن علي - رضي الله تعالى عنه - أنه قال (يوم الجمل): إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وسلم - لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئا، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب بالدين بجرانه ثم إن أقواما طلبوا هذه الدنيا فكانت أمور يقضي الله - عز وجل - فيها (٢). وروى البخاري وابن جرير والبيهقي عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهم -: (أن عليا خرج من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً قال: فأخذ بيده العباس فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وإني والله لأرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سوف يتوفاه الله من وجعه هذا، إنني أعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب بنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلنسأله فيمن هذا الأمر فإن كان فينا علمنا ذلك وإن في غيرنا كلمناه، فأوصى بنا، قال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمعتناها، لا يعطيناها الناس بعده أبداً. وإني والله، لا أسألها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٣). وروى البخاري والبيهقي عن إبراهيم بن الأسود قال: قيل لعائشة: إنهم يقولون إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوصى إلى علي فقالت: بما أوصى إلى علي وقد رأيت دعا بطست ليبول فيها، وأنا مسندته إلى صدري فانخنس أو قال: فانحنث، فمات وما شعرت فيم يقول هؤلاء إنه أوصى إلى علي (٤). وروى البخاري والبيهقي عن إبراهيم النبي عن أبيه قال: خطبنا علي فقال: من زعم أن عندنا كتابا نقرأه ليس إلا كتاب الله وهذه الصحيفة صحيفة معلقة في سيفه، فيها أسنان الإبل

(١) أخرجه البخاري ١٣ / ٢١٨ (٧٣١٨) والبيهقي في الدلائل ٧ / ٢٢٢ ومسلم في الإمارة باب الاستخلاف ٣ / ١٤٥٤ (١١). (٢) أخرجه البيهقي ٧ / ٢٢٢. (٣) أخرجه البخاري في المغازي حديث (٤٤٤٧)، والبيهقي في الدلائل ٧ / ٢٢٤. (٤) أخرجه البخاري في الوصايا وفي مرض النبي - صلى الله عليه وسلم - ومسلم ٣ / ١٢٥٧ (١٩) وأحمد ٦ / ٢٢٦، والبيهقي في الدلائل ٧ / ٢٢٦.*

[٢١٠]

وأشياء من الجراحات فقد كذب [وفيها المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث يعني حدثاً أو أوى محدثاً. فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين...] (١). وروى البيهقي عن أبي حسان أن علياً قال: ما عهد إلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا خاصة دون الناس إلا شيئا سمعته منه في صحيفة في قراب سيفي، قال: فلم أزل به حتى أخرج الصحيفة، فإذا فيها من أحدث حدثاً أو أوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وإذا فيها أن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم المدينة ما بين حرتيها وجماهما، ولا يختلي خلاها، ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها - يعني منشداً - ولا يقطع شجرها، إلا أن يعلف رجل بعيرا، ولا يحمل فيها السلاح لقتال، والمؤمنون يكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده (٢). تنبيهان: الأول: حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب مرفوعاً: (يا علي أوصيك بوصية فاحفظها؟ فإنك لا تزال ما حفظت وصيتي يا علي، يا علي إن للمؤمنين من ثلاث عاملات الصلاة والصيام والزكاة، فذكر حديثاً طويلاً في الرغائب والآداب وهو حديث موضوع اختلقه حماد بن عمرو النصيبى، وهو كذاب وضاع وقد أوضعه الحارث بن أبي أسامة في مسنده. وقال الحافظ في (المطالب العلية) [...] الثاني في بيان غريب ما سبق: انخنس: ... الحدث: ... الصرف: ... العدل: ... يختلي: ... خلاها: ... أشاد: ...

(١) أخرجه البخاري من باب ذمة المسلمين، وفي باب إثم من عاهد ثم غدر وأحمد ١ / ٨١ وأبو داود في المناسك ٢ / ٣١٦ والبيهقي في الدلائل ٧ / ٢٢٧، ٢٢٨. (٢) أخرجه أبو داود في المناسك ٢ / ٣١٦ (٣٠٣٥). (*)

[٣١١]

الباب الثالث والثلاثون في ذكر خبر السقيفة وبيعة أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - بالخلافة بعد موت سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ابن إسحاق: ولما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة واعتزل علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر، وانحاز معهم أسيد بن حضير في بني عبد الأشهل، فأتى أت إلى أبي بكر وعمر فقال: إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة وقد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فادركوا قبل أن يتفاقم أمرهم ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله. قال عمر: فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء حتى ننظر ما هم عليه (١). وروى ابن إسحاق والإمام أحمد والبخاري وابن جرير عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال وهو على المنبر: إنه قد بلغني أن فلانا، وفي رواية البلاذري عن ابن عباس أن قائل ذلك الزبير بن العوام، قال: والله لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا. وفي رواية البلاذري عن ابن عباس: (بايعت عليا) لا يغرن إمرء أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت. [والله ما كانت بيعة أبي بكر فلتة، ولقد أقامه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقامه واختاره لدينهم على غيره وقال: (يا أيها الله والمؤمنون إلا أبا بكر) فهل منكم أحد تقطع إليه الأعناق كما تقطع إلى أبي بكر؟ فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له، وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلا صالحا عويم بن ساعد وهو الذي قال فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما سئل من الذين قال الله لهم [فيهم رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (نعم المرء

أخرجه البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٢٩ وابن كثير في البداية ٥ / ٢٥٢ وانظر ترجمة حماد في الميزان ١ / ٥٩٨ البخاري في التاريخ ٢ / ٢٨ والضعفاء للعقيلي ١ / ٣٠٨، والمجروحين لابن حبان ١ / ٢٥٢. (*)

[٣١٢]

عويم بن ساعدة) [(١) ومعن بن عدي ويقال: إنه لما بكى الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين توفاه الله تعالى، وقالوا وددنا والله أن متنا قبله، إنا نخشى أن نفتن بعده، فقال معن: إني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا، وقتل رحمه الله شهيدا يوم القيامة، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم، وقالوا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار قالوا: فلا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين، اقضوا

أمركم قال: قلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عباد، فقلت: ما له؟ فقالوا: وجع فلما جلسنا نشهد خطيبهم، فأنتى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا، وقد دفت إلينا دافة من قومكم، قال: وإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وبغصونا الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم، وقد زودت في نفسي مقالة قد أعجبتني، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أدري منه بعض الجد فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر فكرهت أن أعصيه، فتكلم وكان هو أعلم مني، وأوقر فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني كنت زورتها في نفسي إلا قالها في يديه أو مثلها أو أفضل منها، حتى سكت. وذكر ابن عقبة أن عمر أراد أن يتكلم ويسبق بالقول ويمهد لأبي بكر ويتهدد من هناك من الأنصار، وقال عمر: خشيت أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام، وعن ما أجد في نفسي من الشدة على من خالفنا، وزجره أبو بكر، فقال: على رسلك، فسيكثر الكلام إن شاء الله تعالى، ثم سوف تقول بعدني ما بدا لك فتشهد أبو بكر، وأنصت القوم ثم قال: بعث الله محمدا بالهدى ودين الله حق، فدعى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا، إلى ما دعانا إليه، فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما، ونحن عشيرته وأقاربه وذوو رحمه، فنحن أهل النبوة وأهل الخلافة وأوسط الناس أنسابا في العرب، ولدتنا كلها، فليس منا قبيلة إلا لقريش فيها ولادة، ولن تعترف العرب ولا تصلح إلا على رجل من قريش، هم أصبح الناس وجوها، وأبسطهم لسانا، وأفضلهم قولاً، فالناس لقريش تبع، فنحن الأمراء وأتتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم قسمة إلا بثلمة، وأنتم يا معشر الأنصار إخواننا في كتاب الله، وشركاؤنا في الدين، وأحب الناس إلينا، وأنتم الذين أووا ونصروا، وأنتم أحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لفضيلة ما أعطي الله إخوانكم من المهاجرين، وأحق الناس ألا تحسدوهم على خير أتاهم الله إياه وأما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر، إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين،

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

[٣١٣]

فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيدي ويبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئا مما قاله غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي ولا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، وعند ابن عقبة فقال أبو بكر: فأنا أدعوكم إلى أحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح، ووضع يده عليهما، وكان نائما بينهما، فكلاهما قد رضيته للقيام بهذا الأمر، ورأيته أهلا لذلك الأمر، فقال عمر وأبو عبيدة: ما ينبغي لأحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يكون فوقك يا أبا بكر، أنت صاحب الغار مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وثاني اثنين، وأمرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين اشتكى فضليت بالناس فأنت أحق بهذا الأمر، قالت الأنصار والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، وما خلق الله قوما أحب إلينا ولا أعز علينا منكم، ولا أرضي عندنا هديا منكم، ولكننا نشفق بعد اليوم، فلو جعلتم اليوم أصلا منكم، فإذا مات أخذتم رجلا من الأنصار فجعلناه، فإذا مات أخذنا رجلا من المهاجرين فجعلناه، فكنا كذلك أبدا ما بقيت هذه الأمة، بايعناكم ورضينا بذلك من أمركم، وكان ذلك أجدد أن يشفق القرشي، إن زاع أن ينقض عليه الأنصاري، فقال عمر لا

ينبغي هذا الأمر، ولا يصلح إلا لرجل من قريش، ولن ترضى العرب إلا به، ولن تعرف العرب الإمارة إلا له، ولن يصلح إلا عليه، والله لا يخالفنا أحد إلا قتلناه انتهى. وروى الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا بكر قال لسعد بن عباد، لقد علمت يا سعد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال وأنت قاعد: (قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم، قال: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء، وعند الإمام أحمد قال قائل من الأنصار: أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير، ومنكم أمير يا معشر قريش، قال: فكثرت اللغظ، وارتفعت الأصوات، حتى خشينا الاختلاف، فقلت أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، وعند ابن عتبة فكثرت القول حتى كادت الحرب تقع بينهم وأوعد بعضهم بعضا، ثم تراضى المسلمون، وعصم الله لهم دينهم، فرجعوا وعصوا الشيطان، ووثب عمر فأخذ بيد أبي بكر، وقام أسيد بن حضير الأشهلي وبشر بن سعد أبو النعمان بن بشير يستيقان لبايعا أبا بكر فسبقهما عمر فبايع، ثم بايعا معا وعند ابن إسحاق في بعض الروايات وابن سعد أن بشر بن سعد سبق عمر. وروى البيهقي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - أن خطيب الأنصار قام فقال: تعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم، أما لو قتلتم غير هذا لم نتابعكم، ووثب أهل السقيفة يتدرون البيعة وسعد بن

[٣١٤]

عبادة مضطجع يوعك فازدهم الناس على أبي بكر، فقال رجل من الأنصار: اتقوا سعدا لا تطاوه فتقتلوه فقال: عمر: وهو مغضب قتل الله سعدا، فإنه صاحب فتنة، فلما فرغ أبو بكر من البيعة رجع إلى المسجد، ففعد على المنبر، فبايعه الناس حتى أمسى، وشغلوا عن دفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال ابن أبي عزة القرشي في ذلك: نشكو لمن هو بالثناء خليك * ذهب اللجاج وبويع الصديق من بعد ما وخضت بسعد بغلة * ورجا رحاه دونه العيوق جاءت به الأنصار عاصب رأسه * فأتاهم الصديق والفاروق وأبو عبيدة والذين إليهم * نفس المؤمل للبقاء تشوق كنا نقول لها علي ذو الرضى * وأولادهم عمر بتلك عتيق فدعت قريش باسمه فأجلبها * إن المنوه باسمه الموثوق وذكر وثيمة بن موسى أنه كان لأشرف قريش فيما من الأنصار مقامات محمودة، فمن ذلك أن خالد بن الوليد قام على أثر أبي بكر بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان خطيب قريش، فقال: أيها الناس إنا رمينا في بدء هذا الدين بأمر ثقل علينا محمله وصعب علينا مرتقاه وكنا كأننا منه على أوفاز، والله ما لبثنا أن خف علينا ثقله وذللنا صعبه، وعجبنا من شك فيه بعد عجبنا من أمن به، حتى والله أمرنا بما كنا ننهي عنه، ونهينا عما كنا نأمر به، ولا والله ما سبقنا إليه بالعقول ولكنة التوفيق، ألا وإن الوحي لم ينقطع حتى أكمل، ولم يذهب النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى أعذر، فليسنا ننتظر بعد النبي نبيا ولا بعد الوحي وحيا، ونحن اليوم أكثر منا بالأمس، ونحن بالأمس خير منا اليوم، من دخل في هذا الدين كان من ثوابه على حسب عمله، ومن تركه ودنا إليه، إنه والله ما صاحب هذا الأمر، يعني أبا بكر بالمسؤول عنه، ولا المختلف فيه، ولا بالمخفي الشخصي، ولا المغمور القناة ثم سكت فعجب الناس من كلامه، وقام حزن بن أبي وهب، وهو الذي سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سهلا: وقامت رجال من قريش كثيرة * فلم يك في القوم القيام كخالد ترقى فلم يزلق به صدر بغله * وكف فلم يعرض لتلك الأوابد فجاء بها غدو كاليدر وسهلة * فشبهتها في الحسن أم القلائد أخالد، لا تعدم لؤي بن غالب *

قيامك فيها عند قذف الجلامد كسك الوليد بن المغيرة مجده *
وعلمك الشيطان ضرب القماحد

[٢١٥]

تقارع في الإسلام عن صدر دينه * وفي الشرك عن إجلال جد ووالد
وكنيت المخزوم بن يقظة جنة * كلا أسببك فيها ماجد وابن ماجد إذا
ما عنا في هيجها ألف فارس * عدلت يالف عند تلك الشدائد ومن
يك في الحرب المصرة واحدا * فما أنت في الحرب العوان بواحد إذا
تاب أمر في فريش مخلج * تشيب له رأس العذارى النواهد توليت
منه ما يخاف وإن تغب * يقولوا جميعا خطبنا غير شاهد روى ابن
إسحاق والبخاري عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال:
لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغد جلس أبو بكر، فقام عمر
فتكلم، وأبو بكر صامت لا يتكلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله،
ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما
وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدا عهدة إلي رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - ولكنني كنت أرى أن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - سيدبر أمرنا بقول يكون آخرنا، وإن الله تعالى قد أبقي فيكم
كتابه الذي به هدى الله رسوله، فإن اعتصمتم هذاكم الله كما كان
هداه به وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه،
فبايع الناس أبا بكربيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر
فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله. وفي رواية البلاذري عن
الزهري أنه قال: الحمد لله أحمده وأستعينه على الأمر كله، علانيته
وسره، ونعوذ بالله من شر ما يأتي بالليل والنهار، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق
بشيرا ونذيرا، فدام الساعة، فمن أطاعه رشد ومن عصاه هلك،
انتهى. ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم وليست
بخيركم وقد كانت بيعتي فلتة، وذلك أني خشيت الفتنة، وأيم الله ما
حرصت عليها يوما قط، ولا طلبتها ولا سألت الله تعالى إياها سرا ولا
وعلانية وما لي فيها من راحة، ولقد قلدت أمرا عظيما ما لي به طاقة
ولا يدان ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني، فعليكم بتقوى الله،
فإن أكيس الكيس التقى وإن أحقق الحمق الفجور، وإني متبع
ولست بمبتدع) زاد عاصم بن عدي كما رواه ابن جرير (إنما أنا مثلكم
وإنني لا أدري لعلمكم ستكلفونني ما كان رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - يطبق، إن الله اصطفى محمدا على العالمين، وعصمه من
الآفات، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبض وليس أحد من
هذه الأمة يطلبه بمظلمة، ضربة سوط فما دونها، ألا وإن شيطانا
يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني، لا

[٢١٦]

أوتر في أشعاركم وأبشاركم، تعدون وتروحون في أجل قد غيب
عنكم علمه، فإن استطعتم أن لا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في
عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل
أجالكم من قبل أن تسلمكم أجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوما
نسوا أجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم. الجد
الجد، والوفا الوفا والنجاء النجاء، فإن وراءكم طالبا حثيثا، أجلا
سريعا، احذروا الموت بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الإحياء إلا بما
تغبطوا به الأموات انتهى. (فإن أحسنن فأعينوني، وإن أسأت
فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي
حتى أزيح علتهم إن شاء الله تعالى، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى
أخذ الحق منه - إن شاء الله تعالى - لا يدع قوم الجهاد في سبيل

الله إلا ضربهم الله بالذل، ولم تشع الفاحشة من قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أيها الناس اتبعوا كتاب الله، واقبلوا نصيحتي، فإن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون واحذروا يوماً ما للظالمين فيه من حميم ولا شفيع يطاع اليوم فليعمل عامل ما استطاع من عمل يقربه إلى الله قبل: أن لا يقدر على ذلك. أيها الناس أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله، فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. وروى البلاذري والبيهقي - بإسناد صحيح - من طريقين، عن أبي سعيد أن أبا بكر لما صعد المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، فسأل عنه، فقام ناس من الأنصار فأتوا به فقال أبو بكر: قلت ابن عمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تتريب يا خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقام فبايعه ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فجاء فقال أبو بكر: قلت: ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين قال: لا تتريب يا خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبايعه. وروى البلاذري عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يمت فجأة، كان بلال يأتيه في مرضه فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني، فلما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأوا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد ولاه أمر دينهم فولوه أمر دنياهم. وروى البلاذري عنه قال: لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لدينا، فقدمنا أبا بكر، ومن ذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه.

[٢١٧]

وروى البلاذري - بسند جيد - أن عمر بن عبد العزيز بعث ابن الزبير الحنظلي إلى الحسين فقال له: هل كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استخلف أبا بكر؟ فقال الحسين أو في شك صاحبك، والله الذي لا إله إلا هو، استخلفه حين أمره بالصلاة دون الناس، وهو كان أتقى لله من أن يتوثب عليها. وروى البلاذري عن إبراهيم التيمي، وابن سيرين قال: لما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتوا أبا عبيدة بن الجراح، فقالوا: ابسط يدك نبايعك فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أتاتوني وفيكم الصديق ثاني اثنين؟ وفي لفظ: ثالث ثلاثة، قيل: لابن سيرين: وما ثالث ثلاثة؟ قال: ألم تقرأ هذه الآية (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) [التوبة ٤٠] . وروى ابن عتبة - بإسناد جيد - عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: أن رجلاً من المهاجرين غضبوا في بيعة أبي بكر، منهم علي والزبير، فدخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعهما السلاح، فجاءهما عمر بن الخطاب في عصاة من المهاجرين والأنصار، فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش الأشهلان وثابت بن قيس بن شماس الخزرجي، فكلموهما حتى أخذ أحدهم سيف الزبير فضرب به الحجر حتى كسره، ثم قام أبو بكر فخطب الناس، واعتذر إليهم، وقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً قط ولا ليلة، ولا سألتها الله تعالى قط سرا ولا علانية. ولكنني أشفقت من الفتنة وما لي في الإمارة من راحة، ولكنني قلت أمراً عظيماً ما لي به طاقة، ولا يدان إلا بتقوية الله تعالى، ولو ددت أن أقوي الناس عليها مكاني اليوم، فقبل المهاجرون منه ما قاله، وما اعتذر به، وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا أننا أخرجنا عن المشورة، وإنا لنرى أن أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا نعرف له شرفه ولقد

أمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالصلاة بالناس وهو حي. قال أبو الربيع: وذكر غير ابن عقبة أن أبا بكر - رضي الله تعالى عنه - قام في الناس بعد مبايعتهم إياه يقبلهم في بيعتهم، وأستقبلهم فيما تحمله من أمرهم، ويعيد ذلك عليهم، كل ذلك يقولون: والله لا نريك ولا نستقبلك، قدمك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمن ذا يؤخرك. قلت: وروى البلاذري عن أبي الجحاف قال: لما بويع أبو بكر، وبايعه الناس، قام ينادي ثلاثاً: أيها الناس قد أقلتكم بيعتكم فقال علي: والله لا نريك ولا نستقبلك قدمك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة، فمن ذا يؤخرك ولم يبدأ أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - بعد أن فرغ من أمر البيعة، وإطمأن الناس بشئ من النظر قبل إنفاذ أسامة، فقال له: امض لوجهك الذي

[٣١٨]

بعثك له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلمه رجال من المهاجرين والأنصار، فقالوا: أمسك أسامة وبعته، فإننا نخشى أن تميل علينا العرب، إذا سمعوا بوفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أبو بكر وكان أفضلهم رأياً: (أحبس بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) (فإنه ذو رأي ونصيحة للإسلام وأهله فقلت [...] أسامة وأذن لعمر فقام بالمدينة مع أبي بكر - رضي الله تعالى عنهم أجمعين -. تنبيه في بيان غريب ما سبق: (سقيفة بني ساعدة) - بسين مهملة مفتوحة ففان مكسورة، فمثناة، فتحية ففاء - مكان لهم كانوا يستظلون به وقيل: صفة، وبنو ساعدة بطن من الأنصار. يتفاهم:... (الفلتة): بفاء فلام فمثناة فوقية والفجأة ما وقع من غير إحكام، وذلك أنهم لم ينظروا في بيعة أبي بكر بإجماع الصحابة، وإنما ابتدروا عمر مخافة الفرقة، وقيل: يجوز أن يريد بالفلتة الخلسة بمعنى أن الإمامة يوم السقيفة مالت إلى توليتها الأنفس، ولذلك كثر فيها التشاجر فما قلدها أبو بكر إلا انتزاعاً من الأيدي واختلاسا، ومثل هذه البيعة جديرة أن تكون مثيرة للفتن فعصم الله من ذلك، ووقى شرها. يقطع الأعناق إليه: قيل: هو من قولهم منقطع القرين وقيل: معناه ليس فيكم سابق إلى الخيرات مثله مأخوذ من سبق الجواد، يقال: للفرس إذ سبق، تقطعت أعناق الخيل فلم تلحقه يومهم. قالوا:... مزمل: مدثر في الثوب المغطى به. كتيبة... دفت: الدف بالفتح السير الذي ليس بشديد، والدافة الجماعة، سارت سيرا رقيقاً فهي دافة والمعنى جاءت جماعة من قومكم. يختزلونا: بالخاء والزاي المعجمتين أي: يقطعونا من أصلنا ويمنعونا أمرنا، يقال: اختزل الرجل إذا ضعف. زورت: هيات ورتبت في نفسي كلاماً أقوله. أداري منه بعض الحسد: يقال في الحسن الخلق والمعاشرة: دارأته وداريته إذا لاينته.

[٣١٩]

وجد الرجل جدة وجداً: إذا ترق على غيره، ولبعضهم بكسر الجيم ضد الهزل، على رسلك - بفتح الراء وكسرها - وهو أفصح وأشهر أي: افعل ذلك على هينتك وتؤديك. البديهة بياء موحدة، فذال مهملة، فمثناة تحتية، فهاء ضد التروي والتفكير. وهو ما يقال في الحال من غير ترو، وإفكار فيه. وأنا جديلاً: تصغير جدل - بالكسر - قال محمود بن خنيس الدهشة: وزاد أهل الغريب الفتح، ولم أره في كتاب لغة، وهو هنا عود ينصب للإبل الجربى تحتك فيه فتطرح قرادها وما بها من أذى، فتستشفى بذلك، كالتمرغ للدابة، والتصغير هنا للتعظيم، أي: أنا ممن يستشفى برأيه. والمحلل - بضم الميم، وفتح الكاف الأولى وشدها - الذي كثر به الحك حتى صار أملس وعذيقها: تصغير عذق - بفتح العين المهملة - للتعظيم، وهو هنا النخلة، وإما بالكسر

فالعرجون، وزاد القاضي الفتح، قال في تقريب القريب: وليس بالوجه، والمرحب بضم الميم، وفتح الراء، والجيم المشددة - إما من الرحية - بضم الراء وسكون الجيم الذي يحاط به النخلة الكريمة مخافة أن تسقط، وإما من رحبت الشئ أرجيه - بالضم - رحبا، عظمته، ورجيته، شدد مبالغة فيه، ومعنى هنا الكلام أنه يقول: إنه دواء يستشفى به في الحوادث، لا سيما مثل هذه الحادثة العظيمة، وأن مثل ذلك كالعود الذي يشفي به الجرب إذا احتلك به، وكالنخلة الكثيرة الحمل من توفر مواد الآراء عندي، ثم إنه ظهر ذلك، وأشار بالرأي المصيب عنده فقال منا أمير ومنكم أمير، وما عرف أن ذلك لا يصلح ولا يستقيم. [اللغظ: اختلاف الأصوات. خليق: ... اللجاج: ... رمض: ... العيوق: ... أوفاز: ... المغموز: ... الأوابد: ... الجلامد: ... العوان: ...

[٣٢٠]

مخلج: ... العذارى: ... النواهد: ... ولا يدان: ... الكيس: ... الحمق: ...
الوحا: ... نزت: ... [(١)] (٢).

(١) في أ قوله نزت بكسر الراء خفا لاختلاف نزوا يقال: نزا نزوا ونزا وأنا بفتح أوله وتانيه وهو كلام غير واضح. (٢) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[٣٢١]

جماع أبواب غسله وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه، وموضع قبره، والاستسقاء به وفضل ما بينه وبين المنبر، وفضل مسجده وحياته في قبره، وعرض أعمال أمته عليه وحكم تركته زاده الله فضلا وشرفا لديه الباب الأول في غسله - صلى الله عليه وسلم - ومن غسله، وما وقع في ذلك من الآيات قال ابن إسحاق: فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الثلاثاء. وروى ابن سعد عن علي، وأبو داود ومسدد، وأبو نعيم وابن حبان والحاكم والبيهقي وصححه الذهبي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: لما أرادوا غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري كيف نضع أنجرد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثيابه كما نجرد موتانا، أم نغسله وعليه وثيابه، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلا ودفنه في صدره، ثم كلمهم مكرم من ناحية البيت لا يدرون من هو أن غسلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه ثيابه فقاموا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه قميصه فغسلوه يفاض عليه الماء والسدر فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم [فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت، ما غسله إلا نساؤه] (١). وروى ابن سعد عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: لما أخذنا في جهاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أغلقنا الباب دون الناس جميعا فنادت الأنصار: نحن أخواله ومكاننا من الإسلام مكاننا، ونادت قريش: نحن عصبته، فصاح أبو بكر: يا معشر المسلمين، كل قوم أحق بجنائزهم من غيرهم فنشدكم الله، فإنكم إن دخلتمم أخرتموهم عنه، والله لا يدخل عليه إلا من دعي (٢). وروى الإمام الشافعي وابن الجارود وابن حبان وأبو داود والطيالسي وأبو يعلى عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: لما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: اختلف الذين يغسلونه

[٢٢٢]

فسمعوا قائلاً يقول لا يدرون من هو: اغسلوا نبيكم وعليه قميصه، فغسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قميصه وقالت عائشة ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا نساؤه (١). وروى ابن ماجة عن بريدة - رضي الله تعالى عنه - قال: لما أخذوا في غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ناداهم من الداخل أن لا تنزعوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قميصه (٢). وله طرق كثيرة مرسله. وروى ابن سعد وأبو داود والبيهقي والحاكم وصححه عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: غسلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً وكان طيباً حياً وميتاً [وولي دفنه وإخياؤه دون الناس أربعة علي والعباس والفضل، وصالح مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولحد رسول الله لحداً ونصب عليه اللبن نصياً (٣). وروى ابن سعد والبخاري والبيهقي بسند فيه ضعف عنه قال: أوصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا يغسله أحد غيري فإنه لا يرى أحد عورته إلا طمست عيناه. قال علي: فكان الفضل وأسامة يناولان الماء من وراء الستر وهما معصوبا العينين. قال علي: فما تناولت عضواً إلا كأنما يقبله معي ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله (٤). وروى البيهقي من طريق أبي معشر عن محمد بن قيس مرسله وفيه ضعف قال: قال علي: وما كنا نريد أن نرفع منه عضواً لنغسله إلا رفع لنا حتى انتهينا إلى عورته فسمعنا من جانب البيت صوتاً لا تكشفوا عن عورة نبيكم (٥). وروى ابن سعد عن عبد الله بن الحارث: أن علياً غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يقول: طبت حياً وميتاً، وقال: وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط (٦). وروى الطبراني مثله عن ابن عباس. وروى ابن سعد عن عبد الواحد بن أبي عون قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي:

(١) أخرجه أبو داود ٢ / ٢١٤ في الجنائز (٢١٤١). (٢) ابن ماجة (١٤٦٦) وضعفه البوصيري في الزوائد. (٣) البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٤٤ وابن سعد ٢ / ٢١٤. (٤) البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٤٤ وابن سعد ٢ / ٢١٣. (٥) البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٤٤. (٦) ابن سعد ٢ / ٢١٤، ٢١٥. (*)

[٢٢٣]

(اغسلني إذا مت) فقال: يا رسول الله، ما غسلت ميتاً قط ! قال: إنك ستهايم أو تيسر، قال علي: فغسلته فما أخذ عضواً إلا تبعتني، والفضل أخذ بحضنه يقول أعجل يا علي انقطع ظهري (١). وروى ابن سعد عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي، والفضل، وأسامة بن زيد وشقران، وولى غسل سفلته (٢) علي، والفضل محتضنه، وكان العباس وأسامة بن زيد وشقران يصبون الماء. وروى ابن سعد بسند ضعيف عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - وعن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن العباس لم يحضر غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليه وسلم - قال: لأنني كنت أراه يستحي أن أراه حاسراً (٣). وفي عدة أحاديث أنه حضر غسله. وروى ابن سعد من طرق عن سعيد بن المسيب قال: التمس علي من النبي - صلى الله عليه وسلم - عند غسله ما يلتمس من الميت فلم يجد شيئاً، فقال: بأبي أنت وأمي

طببت حيا وميتا (٤). وروى البيهقي عن علباء بن أحمر قال: كان علي والفضل يغسلان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنودي علي ارفع طرفك إلى السماء. وروى ابن ماجة عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إذا أنا مت فأغسلوني بسبع قرب من بئر غرس) (٥). وروى ابن سعد والبيهقي عن أبي جعفر محمد بن علي قال: غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثا بالسدر، وغسل وعليه قميص وغسل من بئر يقال لها الغرس [لسعد بن حيثمة بقاء] وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يشرب منها وولى غسله علي، والفضل محتضنه والعباس يصب الماء فجعل الفضل يقول أرحني قطعت وتيني إني لأجد شيئا يترطل علي مرتين (٦). وروى ابن سعد عن الشعبي مرسلا قال: غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي وأسامة والفضل ابن العباس وكان علي يقول وهو يغسله: بأبي وأمي طببت حيا وميتا (٧) وفي رواية قال: غسل

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢ / ٢١٥. (٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢ / ٢١٢. (٣) ابن سعد ٢ / ٢١٤. (٤) ابن سعد ٢ / ٢١٥ وابن ماجة (١٤٦٧) وإسناده صحيح ورجال ثقات. (٥) أخرجه ابن ماجة (١٤٦٨) وانظر الكامل لابن عدي ٢ / ٧٦٢ والكنز (٤٢٣٩). وفيه عباد بن يعقوب رافضي داعي ومع ذلك يروي المناكير عن المشاهير. (٦) ابن سعد ٢ / ٢١٤ والبيهقي في الدلائل ٢ / ٢٤٥. (٧) ابن سعد ٢ / ٢١٢. (*)

[٢٢٤]

علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والعباس قاعد والفضل محتضنه وعلي يغسله وعليه قميص، وأسامة يختلف (١). وروى أيضا عن إبراهيم قال: غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العباس، وعلي، والفضل - وفي لفظ - والعباس يستترهم (٢). وراه عن ابن شهاب وزاد وصالح مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٣). وروى الإمام أحمد عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: اجتمع القوم لغسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس في البيت إلا أهله عمه العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن عباس وقتم بن عباس وأسامة بن زيد بن حارثة وصالح مولاه فلما اجتمعوا لغسله نادى مناد من وراء الناس وهو أوس بن خولي الأنصاري أحد بني عوف بن الخزرج وكان بدريا علي بن أبي طالب فقال: يا علي ننشدك الله وحظنا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له علي: ادخل، فدخل فحضر غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يل من غسله شيئا فأسنده علي إلى صدره، وعليه قميصه، وكان العباس، والفضل وقتم يقبلونه مع علي وكان أسامة بن زيد، وصالح مولاه يصبان الماء، وجعل علي يغسله ولم ير من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا مما يرى من الميت وهو يقول بأبي وأمي ما أطيبك حيا وميتا حتى إذا فرغوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان يغسل بالماء والسدر جففوه ثم صنع به ما يصنع بالميت. وروى ابن سعد والحاكم في (الإكليل) عن هارون بن سعد قال: كان عند علي مسك فأوصى أن يحنط به، وكان علي يقول: هو فضل حنوط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٤). وروى ابن إسحاق عن عكرمة - رحمه الله تعالى - قال: لما قبض الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - غسله علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس وكان العباس يناولهم الماء من وراء الستر ما يمنعني أن أغسله إلا أنا كنا صبينا نحمّل الحجارة في المسجد. تنبيهان: الأول: قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى - في موطنه رواية سعيد بن عفير: حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (غسل في قميص).

(١) المصدر السابق. (٢) ابن سعد ٢ / ٢١٢، ٢١٣. (٣) المصدر السابق. (٤) البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٤٩. (*)

[٢٢٥]

قال الباجي: يحتمل أن يكون ذلك خاصا به، لأن السنة عند مالك وأبي حنيفة والجمهور أن يجرد الميت ولا يغسل في قميصه انتهى. قلت: الأصل عدم الخصوصية حتى يقوم عليه الدليل ولم يوجد. الثاني: في بيان غريب ما سبق: عصبته: ... الجنازة: ... سبطت: ... حاسرا: ... يلتمس: ... الطرف: ... بئر غرس بفتح الغين المعجمة وإسكان الراء والسين المهملة بئر بقاء. الوتين: ... خولي: بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبعد اللام ياء ساكنة قال أبو أحمد العسكري: هي مشددة. يترطل علي: يترخي، والرطل بفتح الراء الرجل الرخو.

[٢٢٦]

الباب الثاني في صفة كفنه - صلى الله عليه وسلم - روى الشيخان والبيهقي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة. ورواه ابن ماجه: وزاد فقيل لعائشة إنهم كانوا يزعمون أنه قد كان كفن في حبرة فقالت: قد جاؤوا ببرد حبرة، فلم يكفونه فيها (٢). وفي رواية للشيخين وأبي داود وأدرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حلة يمانية كانت لعبد الرحمن بن أبي بكر ثم نزعته عنه، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة. وفي رواية أخرى لهما: أما الحلة فاشتبهت على الناس فيها أنها اشترت ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاث أثواب بيض سحولية فأخذها عبد الله بن أبي بكر، فقال احبسها حتى أكفن فيها، ثم قال: لو رضى الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - لكفنه فيها فباعها وتصدق بثمانها (٣). وروى أبو داود بإسناد حسن عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه - قال: كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثوبين وبرد حبرة (٤). وروى ابن أبي شيبه بسند فيه عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كفن في سبعة أثواب. وروى أبو يعلى عن الفضل بن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثوبين أبيضين سحوليين (٥). وروى الإمام أحمد والبخاري بسند حسن بن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: كفن النبي - صلى الله عليه وسلم - في سبعة أثواب (٦).

(١) أخرجه البخاري ٣ / ١٣٥ (١٢٦٤) ومسلم ٢ / ٦٤٩ (٤٥ / ٩٤١) ومالك في الموطأ ١ / ٢٢٢ (٥) وأبو داود (٣١٥١، ٣١٥٢) ابن سعد ٢ / ٢١٥ وأحمد ٦ / ٤٠، ٩٣، ١١٨، ١٢٢، ١٦٥، والبيهقي في الدلائل ٧ / ٢٤٦، والنسائي ٤ / ٢٥، ٣٦. (٢) ابن ماجه ١ / ٤٧٢ (١٤٦٩). (٣) انظر الدلائل للبيهقي ٧ / ٢٤٨ السنن الكبرى ٣ / ٣٩٩ وأبو داود (٣١٤٩). (٤) أخرجه أبو داود (٣١٥). (٥) أخرجه أبو يعلى ١٢ / ٨٨ (٥ / ٦٧٢٠) وفيه سليمان الشاذكوني وضاع. (٦) انظر المجموع ٣ / ٣٦ في باب ما جاء في الكفن. (*)

[٢٢٧]

وروى البزار رجال الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ربتين ويرد نجراني (١). وروى الطبراني بسند حسن عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كفن في ثلاثة أثواب أحدها قميص. وروى ابن سعد عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثلاثة أثواب بيض يمانية (٢). وروى ابن سعد والبيهقي عن الشعبي قال: كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثلاثة أثواب سحوليه برود يمانية غلاظ، إزار ورداء ولفافة (٣). وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه بسند ضعيف عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كفن في ثلاثة أثواب قميصه الذي مات فيه وحلة نجرانية (٤). وروى عنه قال: كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثوبين أبيضين وفي برد أحمر. وروى ابن سعد من طرق صحيحة عن سعيد بن المسيب قال: كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ربتين ويرد نجراني. وروى عبد الرزاق عن معمر بن هشام بن عروة قال: لف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في برد حبرة جعل فيه ثم نزع عنه. تنبيهات الأول: قال الترمذي: وتكفينه - صلى الله عليه وسلم - في ثلاثة أثواب بيض أصح ما روي في كفنه (٥). الثاني: قول السيدة عائشة - رضي الله تعالى عنها - ليس فيها قميص ولا عمامة معناه: لم يكفن في قميص ولا عمامة، وإنما كفن في ثلاثة أثواب، ولم يكفن مع الثلاثة بشئ آخر هكذا فسره الشافعي وجمهور العلماء، وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر حديثها، وتأوله غيرهم على أن معناه ليس القميص والعمامة من جملة الأثواب الثلاثة وإنما هما زائدان عليه. الثالث: في حديث ابن عباس المتقدم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كفن في ثلاثة أثواب الحلة

(١) انظر المجمع ٣ / ٢٦ / ٢ وابن سعد ٢ / ٢١٧. (٢) ابن سعد في الطبقات ٢ / ٢١٦. (٣) ابن سعد ١ / ٢١٨ والبيهقي في الدلائل ٧ / ٢٤٩. (٤) أبو داود ١ / ٢١٦ (٣١٥٣). (٥) وانظر شرح السنة بتحقيقنا ٣ / ٢٢٥. (*)

[٢٢٨]

ثوبان وقميصه الذي مات فيه، فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به، ولو بقي عليه مع رطوبته لأفسد الأكفان. وأما حديث تكفينه في قميصه الذي مات فيه وحلة نجرانية، فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به، لأن يزيد بن أبي زياد أحد رواة مجمع على ضعفه، لا سيما قد خالفت روايته الثقات. الرابع: سبب الاشتباه الذي وقع الناس في كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما سبق أنه اشترى البرد الحبرة ثم أخر عنه وترك. الخامس: في بيان غريب ما سبق: [البرد] (١):... (الحبرة): بكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة والراء ضرب من البرد يؤتى بها من اليمن. أدرج:... شبه على الناس: بضم الشين المعجمة وكسر الباء الموحدة المشددة معناه اشتبه عليهم. الحلة: بحاء مهملة مضمومة فلام مشددة. قال أهل اللغة: لا يكون إلا ثوبان إزار ورداء. سحولية: بفتح السين المهملة وضمها والفتح أشهر. قال ابن الأعرابي: وغيره: هي ثياب بيض لا تكون إلا من القطن، وقال ابن قتيبة: ثياب بيض ولم يخصها بالقطن وقال الأزهري: هي بالفتح منسوبة إلى سحول قرية باليمن تحمل منها هذه الثياب، وبالضم ثياب بيض. وقيل: إن القرية أيضا بالضم حكاه في (النهاية). الرطة:... نجرانية:...

(١) سقط في أ. (*)

الباب الثالث في الصلاة عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه قد تقدم في باب جمعه أصحابه أنه - صلى الله عليه وسلم - أوصى أنهم يخرجون عنه حتى يصلي عليه الملائكة... الحديث فراجع في الجماع قبله. قال ابن إسحاق: فلما فرغ من جهاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الثلاثاء وضع في سريره في بيته ثم دخل الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلون عليه أرسالا حتى إذا فرغوا دخل النساء حتى إذا فرغن دخل الصبيان، ولم يوم الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحد. ورواه ابن ماجه والبيهقي بسند ضعيف. زاد ابن إسحاق ثم دفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من وسط الليل ليلة الأربعاء. وروى الإمام أحمد عن أبي عسيب مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: كيف نصلي عليك؟ قال: ادخلوا علي أرسالا أرسالا قال: فكانوا يدخلون عليه فيصلون ثم يخرجون من الباب الآخر (١). وروى أبو يعلى والإمام أحمد عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: أضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السرير ثم أذن للناس فدخلوا عليه فوجا فوجا يصلون عليه بغير إمام حتى لم يبق أحد بالمدينة حر ولا عبد إلا صلي عليه وروى ابن سعد عن علي - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما وضع على سريره، فقال علي: لا يقوم عليه أحد، هو إمامكم حيا وميتا! فكان يدخل الناس رسلا رسلا فيصلون عليه صفا صفا ليس لهم إمام يقولون: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته (٢). وروى ابن سعد عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أنه لما وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السرير قال: لا يقوم عليه أحد هو إمامكم حيا وميتا، فكان يدخل الناس رسلا رسلا، فيصلون عليه صفا صفا ليس لهم إمام ويكبرون، وعلي قائم بحيال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم إنا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل إليه، ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت

(١) أحمد في المسند ٥ / ٨١ وابن سعد ٢ / ٢٢١. (٢) ابن سعد ٢ / ٢٢٢. (*)

كلمته، اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل الله وثبتنا بعده واجمع بيننا (١) وبينه. قال محمد بن عمر الأسلمي: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: وجدت هذا في صحيفة بخط أبي فيها أنه لما كفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووضع على سريره دخل أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت فسلموا كما سلم أبو بكر وعمر وطفوا صفوا لا يؤمهم أحد فقال أبو بكر وعمر: وهما في الصف الأول حيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم إنا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل إليه ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله تعالى، حتى أعز الله تعالى دينه وتمت كلماته فأمن به وحده لا شريك له فاجعلنا يا ١ إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه فإن كان بالمؤمنين رؤوفا رحيفا لا نبتغي بالإيمان بدلا ولا نشترى به ثمنا أبدا، فيقول الناس آمين آمين! ثم يخرجون ويدخل آخرون حتى صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان (٢). قال بعض العلماء: صلوا عليه بعد الزوال يوم الاثنين إلى مثله من الثلاثاء. وقيل: إنهم مكثوا ثلاثة أيام يصلون. قال

الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي (٣) في القاموس: صلوا عليه فنأدى مناد صلوا أفواجا بلا إمام. وقيل: جماعات جماعات وحزروا ثلاثين ألفا من الملائكة فيكونون ستين ألفا، لأن مع كل واحد ملكين انتهى. وروى أبو يعلى والإمام أحمد - بسند جيد عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: أضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السرير ثم أذن للناس فدخلوا فوجا فوجا يصلون عليه بغير إمام حتى لم يبق أحد بالمدينة [حر ولا عبد إلا صلى عليه]. وروى عن سالم بن عبد الله - رحمه الله تعالى - قال: قالوا لأبي بكر: هل صلى على الأنبياء ؟ قال: يجئ قوم فيكبون ويدعون ويجئ آخرون حتى يفرغ الناس. تنبيهات الأول: قال ابن كثير وغيره: وصلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه أمر مجمع عليه لا خلاف فيه.

ابن سعد ١ / ٢٢١، ٢٢٢. (٢) تقدم قبل قليل. (٣) في الشيرازي (*)

[٢٢١]

قال ابن كثير: فلو صح حديث ابن مسعود أي السابق في باب جمعه أصحابه لكان نضا في ذلك، ويكون في باب التعبد الذي لا نعقل معناه. قلت: الحديث سنده جيد، وليس لأحد أن يقول إنه لم يكن لهم إمام، لأنهم إنما شرعوا في تجهيزه - عليه الصلاة والسلام - بعد تمام بيعة أبي بكر. وقد اختلف في تعليقه فقال الإمام الشافعي: إنما صلوا عليه فرادى لعظم أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأبي هو وأمي وتنافسهم فيمن يتولى الصلاة عليه وصلوا مرة بعد أخرى انتهى قال بعض العلماء: إنما لم يؤمهم أحد لياشر كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه، ولتكرر صلاة المسلمين عليه مرة بعد أخرى، من كل فرد فرد من أحاد الصحابة، رجالهم ونسائهم، وصبيانهم، حتى العبيد والإماء. قال السهيلي وغيره: إن المسلمين صلوا عليه أفاذا لا يؤمهم أحد، كلما جاءت طائفة صلت عليه، وهذا مخصوص به - صلى الله عليه وسلم - ولا يكون هذا الفعل إلا عن توقيف. وكذلك روى أنه أوصى بذلك ذكره الطبري [مسندا] ووجه الفقه فيه أن الله تعالى افترض الصلاة علينا عليه بقوله (صلوا عليه وسلموا تسليما) [الأحزاب: ٥٦] وحكم هذه الصلاة التي تضمنتها الآية أن لا تكون بإمام، والصلاة عليه عند موته داخله في لفظ الآية وهي متناولة لها وللصلاة عليه على كل حال. وأيضا: فإن الرب تبارك وتعالى [قد أخبر أنه صلى عليه وملائكته فإذا كان الرب تعالى] هو المصلي والملائكة قيل: المؤمنين، وجب أن تكون صلاة المؤمنين تبعا لصلاة الملائكة وأن تكون الملائكة هم الإمام انتهى. وقال أبو عمر - رحمه الله تعالى - وصلاة الناس عليه أفاذا لم يؤمهم أحد أمر مجمع عليه عند أهل السنة وجماعة أهل النقل لا يختلفون فيه ووافق أبا عمر على ذلك خلائق من العلماء حكوا فيه الإجماع وتعقب أبو عمر بعض المغاربة بأن ابن القصار حكى الخلاف هل صلوا عليه الصلاة والمعهود أو دعوا فقط ؟ وهل صلوا أفرادا أو جماعة ؟ واختلفوا فيمن أم بهم. فقيل: أبو بكر، وروى ذلك بإسناد لا يصح فيه حرام بن عثمان وهو ضعيف جدا. قال ابن دحية: وهو ضعيف بيقين لضعف روايته وانقطاعه، وتعقبه بعض العلماء بوجهه. الأول: أن الموجود في كتب (المغازي) و (الحديث) هو ما ذكره ولم يوجد أنهم صلوا عليه بإمام في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف. الثاني: قال الإمام الشافعي، ويحيى بن معين، والجوزجاني: الرواية عن حرام.

[٢٢٢]

وقال الإمام مالك ويحيى: ليس بثقة واتهمه غير واحد من الحافظ. الثالث: حديث ابن مسعود السابق وقد ورد من طرق يقوي بعضها بعضا ويرتقي بها الحديث إلى قريب من درجة الحسن وهو نص فيما قاله أبو عمر. قال أبو الخطاب بن دحية: والصحيح أن المسلمين صلوا عليه فرادى لا يؤمهم أحد، وبه جزم الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - قال: وذلك لعظم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأبي هو وأمي وتنافسهم فيمن يتولى الصلاة عليه وصلوا عليه مرة بعد أخرى. قال ابن كثير: وعلى تقدير صحته يكون ذلك من باب التعبد الذي لا يعقل معناه. والصحيح الذي عليه الجمهور أن صلاة الصحابة عليه كانت حقيقة لا مجرد الدعاء فقط، قاله القاضي عياض وتبعه النووي رحمهما الله تعالى. وذهب شاذلية إلى أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يصل عليه الصلاة المعتادة، وإنما كان الناس يأتون فيدعون ويترحمون. قال الباجي: ووجه: أنه - صلى الله عليه وسلم - أفضل من كل شهيد، والشهيد يغنيه فضله عن الصلاة عليه، فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولى، قال: وفارق الشهيد في الغسل، لأن الشهيد حذر من غسله لإزالة الدم عنه، وهو مطلوب بقاؤه لطيبه، ولأنه عنوان شهادته في الآخرة، وليس على النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يكره إزالته فافترقا. الرابع: قال في (المورد) نقلت من خط شيخنا الحافظ الزاهد أبي عبد الله محمد بن عثمان المعروف بالضياء الرازي قال: قال سحنون بن سعيد: سألت جميع من لقيت من فقهاء الأمصار من أهل المغرب والمشرق، عن الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاته: هل صلوا عليه؟ وكم كبر عليه؟ فكل لم يدر حتى قدمت المدينة، فليقت عبد الله بن ماجشون فسألته فقال: صلى عليه اثنان وتسعون صلاة، وكذلك صلى على عمه حمزة، قال: قلت: من أين لك هذا دون الناس؟ قال: وجدتها في الصندوق التي تركها مالك، وفيه عميقات المسائل ومشكلات الأحاديث يخطه عن نافع عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال الحافظ أبو الفضل العراقي في سيرته المنظومة، وليس هذا بمتصل الإسناد* عن مالك في كتب النقاد الخامس: في بيان غريب ما سبق: السرير:... أرسالا:...

[٢٢٢]

الباب الرابع في دفنه - صلى الله عليه وسلم - ومن دفنه قال ابن كثير: الصحيح المشهور عن الجمهور أنه - صلى الله عليه وسلم - توفي يوم الاثنين ودفن يوم الأربعاء. وروى يعقوب بن سفيان عن أبي جعفر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توفي يوم الاثنين فلبث ذلك اليوم وتلك الليلة ويوم الثلاثاء إلى آخر النهار. قال ابن كثير: وهو قول غريب. وروى يعقوب أيضا عن مكحول قال: مكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث أيام لا يدفن قال ابن كثير: غريب والصحيح أنه مكث بقية يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء بكامله ودفن ليلة الأربعاء، وأغرب من ذلك ما رواه سيف من هشام أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دفن يوم الثلاثاء، والسبب في تأخير دفنه مع أن السنة الإعجال به عدم اتفاهم على موته. وروى ابن سعد عن ابن شهاب قال: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين حين زاغت الشمس (١). وروى أيضا عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: اشتكى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الأربعاء لليلة بقيت من صفر وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول ودفن يوم الثلاثاء أيضا (٢). وروى أيضا عن عكرمة قال: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين فجلس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل (٣)، وروى أيضا عن أبي عباس بن سهل عن أبيه عن جده قال: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين، فمكث يوم الاثنين والثلاثاء حتى دفن يوم الأربعاء (٤). وروى ابن سعد وابن ماجه، وأبو يعلى عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: لما فرغ من جهاز رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه، فقال قائل: ندفنه مع أصحابه بالبيع، وقال قائل: ادفنوه في مسجده، فقال أبو

(١) أخرجه ٢ / ٣١٠. (٢) ابن سعد ٢ / ٢٠٩. (٣) ابن سعد ٢ / ٢٠٩. (٤) المصدر السابق. (*)

[٢٢٤]

بكر سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض) فرفع فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي توفي عليه فحفروا له تحته (١). وروى الإمام أحمد والترمذي بسند صحيح عن عبد العزيز بن جريح أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يدروا أين يقبروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى قال أبو بكر: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: لم يقبر نبي قط إلا حيث يموت فأخذوا فراشه وحفروا تحته (٢). وهو منقطع، لأن ابن جريح لم يدرك الصديق. وروى الترمذي وأبو يعلى عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه) (٣). وروى أبو يعلى وابن ماجه عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعا العباس رجلين فقال لأحدهما: اذهب إلي أبي عبيدة بن الجراح وكان يصرح لأهل مكة وقال لآخر: اذهب إلي أبي طلحة وكان هو الذي يحفر لأهل المدينة وكان يلحد فقالوا: اللهم، خر لرسولك فوجدوا أبا طلحة فجئ به ولم يوجد أبو عبيدة فلحد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم دفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسط الليل من ليلة الأربعاء ونزل في حفرته علي بن أبي طالب والفضل وقتم بن عباس وشقران مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال أوس ابن خولي وهو أبو ليلى لعلي بن أبي طالب: أنشدك الله، وحظنا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له علي: أنزل، وكان شقران مولاه أخذ قطيفة حمراء كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلبسها فدفنها في القبر وقال: والله، لا يلبسها أحد بعدك أبدا فدفنت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٤). وروى ابن سعد عن أبي طلحة - رضي الله تعالى عنه - نحوه (٥). وروى الإمام الشافعي - رضي الله تعالى عنه - قال: سل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قبل رأسه (٦). وروى الإمام أحمد ومسلم والترمذي وحسنه والنسائي وابن سعد عن ابن عباس - رضي

(١) ابن سعد (١ / ٢٢٣) وابن ماجه (١٦٢٨) والبيهقي في الدلائل ٧ / ٢٦٠، ومن مسند أبي بكر ٧٨ وانظر نصب الرأية ٢ / ٢٩٨. (٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٥٣٤) وانظر الكنز (١٨٧٣٥)، (٢٢٢٢٣٧) (٢٢٢٢٦٣). (٣) أخرجه الترمذي (١٠١٨) وانظر الكنز (١٨٧٦١)، (٢٢٢٢٢٦)، (٤) البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٥٢ وابن ماجه ١ / ٤٩٦ من حديث أنس بن مالك وابن سعد من حديث ابن عباس ٢ / ٢٢٨. (٥) ابن سعد ٢ / ٢٢٨. (٦) أخرجه الشافعي في المسند ١ / ٢١٥ (٥٩٨) والبيهقي في السنن الكبرى ٤ / ٥٤. (*)

[٢٢٥]

الله تعالى عنه - قال وضع تحت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قبره قطيفة حمراء (١). وروى ابن سعد قال وكيع: هذا للنبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة (٢). وروى ابن سعد - برجال ثقات - عن الحسن قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (افرشوا لي قطيفتي في لحدي فإن الأرض لم تسلط على أجساد الأنبياء) (٣). وروى الترمذي وحسنه عن جعفر بن محمد عن أبيه - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - قال: الذي ألقى القطيفة تحته شقران. قال عليه وسلم - أبو طلحة، والذي ألقى القطيفة تحته شقران. قال جعفر بن محمد أخبرني ابن أبي رافع قال: سمعت شقران يقول: أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في القبر (٤). وروى ابن سعد عن الحسن أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسط تحته سمل قطيفة حمراء كان يلبسها قال: وكانت أرضا ندية (٥). وروى مسلم وابن سعد والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - قال في مرضه الذي توفي فيه: (أحدوا لي لحدًا، وانصبوا علي اللبن نصبا كما صنع برسول الله - صلى الله عليه وسلم -). وروى البيهقي عن بعضهم والواقدي عن علي بن الحسين أنه - صلى الله عليه وسلم - نصب عليه في اللحد تسع لبنات (٦). وروى ابن سعد والبيهقي عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: رش على قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الماء رشا قال: وكان الذي رش على قبره الماء بلال بن رباح بقربة، بدءا من قبل رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجله ثم ضرب الماء إلى الجدار، ولم يقدر علي أن يدور من الجدار (٧). وروى البيهقي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موضوعا على سريره من حين زاغت الشمس من يوم الاثنين إلى أن زاغت الشمس يوم الثلاثاء،

(١) أخرجه مسلم ٢ / ٦٦٥ (٩١ / ٩٦٧) النسائي ٤ / ٨١ (٢) ابن سعد في الطبقات ٢ / ٢٢٨. (٣) ابن سعد ٢ / ٢٢٩ وابن كثير في البداية ٥ / ٢٦٩ وكنز العمال (٤٢٢٤٥). (٤) الترمذي (١٠٤٧) وانظر شرح السنة ٢ / ٢٦٦. (٥) ابن سعد في الطبقات ٢ / ٢٢٩. أخرجه مسلم ٢ / ٦٦٥ (٩٠ / ٩٦٦) ابن سعد ٢ / ٢٢٧ (٦) ابن سعد ٢ / ٢٢٧ والبيهقي في الدلائل ٢ / ٢٥٢. (٧) ابن سعد ٢ / ٢٢٢ والبيهقي في الدلائل ٧ / ٢٦٤ (*).

[٢٣٦]

يصلي الناس عليه وسريه على شفير قبره، فلما أرادوا أن يقبروه - عليه الصلاة والسلام - نحو السريه قبل رجله فأدخل من هناك (١). وروى الإمام مالك بلاغا وصله محمد بن عمر الأسلمي عن أم سلمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: ما صدقت بموت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى سمعت وقع الكرازين (٢). وروى ابن سعد والبيهقي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: ما علمنا بدفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى سمعنا صوت المساحي ليلة الثلاثاء في السحر (٣). وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان بالمدينة رجل يلحد والآخر يضرح فقالوا: نستخير ربنا ونبعث إليهما فأيهما سبق تركناه فإرسالوا إليهما فسبق صاحب اللحد فلحدوا لرسول - صلى الله عليه وسلم - (٤). وروى محمد بن سعد أنبأنا حماد بن خالد الخياط عن عقية بن أبي الصهباء سمعت الحسن يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (افرشوا لي قطيفة في لحدي، فإن الأرض لم تسلط على أجساد الأنبياء) (٥). وروى مسدد بسند صحيح عن علي - رضي الله تعالى عنه - وأجنانه دون الناس أربعة: علي بن أبي طالب والعباس والفضل بن العباس وصالح مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [وألحد له لحدًا ونصب عليه اللبن نصبا] (٦). وروى الحاكم والبيهقي عن ابن عباس

- رضي الله تعالى عنهما - أن الذين نزلوا قبره - صلى الله عليه وسلم - علي والفضل وقتم بن عباس وشقران وأوس بن خولى وكانوا خمسة (٧). وروى ابن سعد عن الشعبي قال: دخل [قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - علي والفضل وأسامة بن زيد. قال الشعبي وأخبرني مرحب أو ابن أبي مرحب أنهم أدخلوا معهم في القبر عبد الرحمن بن عوف (٨).

(١) البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٥٣. (٢) ابن سعد ٢ / ٢٣٢. (٣) ابن سعد ٢ / ٢٣٢، ٢٣٢. (٤) أخرجه مالك في الموطأ مرسلًا ١ / ٢٣١ وابن ماجه ١ / ٤٩٦ (١٥٥٧) وإسناده صحيح ورجاله ثقات. (٥) تقدم قريبًا. (٦) ذكره الحافظ في المطالب ٤ / ٢٥٨ (٤٢٨٨) موقوفًا على ابن المسيب وفي اتحاف المهرة عن علي وقال البوصيري رواه مسدد بسند صحيح والحاكم والبيهقي ورواه ابن ماجه مختصرًا. (٧) البيهقي في الدلائل ٢١ / ٢٥٣، ٢٥٤ مغازي الواقدي ٣ / ١١٢٠. (٨) ابن سعد ٢ / ٢٢٩. (*)

[٢٣٧]

وروى ابن سعد عن ابن [(١) شهاب قال ولي وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قبره هؤلاء الرهط الذين غسلوه: العباس وعلي والفضل وصالح مولاه وخلي أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهله فولوا إجنانه (٢). وروى البخاري وابن سعد عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: لما دفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت فاطمة - عليها السلام -: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحنوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التراب. وروى طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر العلوي وابن الجوزي في (الوفاء) عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - قال: لما رمس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءت فاطمة - رضي الله تعالى عنها - فوفقت علي قبره وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعت على عينيها وبكت وأنشأت تقول: ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الأيام عدن لياليا تنبيهات الأول: قال أبو عمر: خرجت القطيفة قبل إهالة التراب. الثاني: في بيان غريب ما سبق: زاغت الشمس: ... يضح: ... القطيفة بقاف مفتوحة فطاء مهملة مكسورة، فمثناة تحتية ففاء: كساء له حمل كان يجلس عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. الكرازين بكاف فراء مفتوحين فألف فزاي فمثناة تحتية فنون جمع كرزين وهو الفأس. شفير قبره: ... المساجي: ... أجنانه: ... حشوه: ... الغواليا: ...

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (٢) ابن سعد ٢ / ٢٣٠. (*)

[٢٣٨]

الياب الخامس في ذكر من كان آخر الناس عهدا به في قبره - صلى الله عليه وسلم - روى الإمام أحمد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن نفرا من أهل العراق قالوا لعلي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه -: يا أبا الحسن، جئناك نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه قال: أظن المغيرة بن شعبه يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهدا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: أجل عن ذلك جئنا لنسألك، قال: أحدث الناس عهدا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قثم بن العباس (١). وروى أيضا ابن سعد برجال ثقات عن أبي عسيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما وضع في لحدّه، قال المغيرة

بن شعبة: إنه قد بقي من قبل رجله شيء لم تصلحوه قالوا: فادخل فأصلحه فدخل فمسح قدميه - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: أهيلوا علي التراب ! فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصاف ساقيه فخرج فجعل يقول: أنا أحدثكم عهدا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٢). وروى البيهقي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: لما وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - في لحدته ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال علي: إنما ألقيته لتنزل فنزل فأعطاه إياه أو أمر رجلا فأعطاه (٣). وروى ابن سعد عن عروة بن الزبير قال: لما وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في لحدته ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في القبر ثم قال: خاتمي فقالوا: ادخل فخذ قال: فدخل ثم قال: أهيلوا علي التراب، فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصاف قدميه، فخرج فلما سوي علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: اخرجوا حتى أغلق الباب، فإنني أحدثكم عهدا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: لعمرى، لئن كنت أردتها لقد أصبتها (٤). وروى ابن أبي شيبة وأحمد بن منيع عن المغيرة بن شعبة قال لأنا آخر الناس عهدا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حضرننا ولحدنا فلما حضروا ودفنوا ألقيت الفأس في القبر، فقلت: الفأس الفأس، فأخذته ومسحت بيدي علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رواه أبو يعلى بلفظ: ألقيت خاتمي، فقلت: يا أبا الحسن، خاتمي، قال: انزل فخذ خاتمك، ووضعت يدي علي الكفن ثم خرجت فنزلت فأخذت خاتمي (٥) سنده مجالد وهو ضعيف.

(١) البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٥٧، (٢) ابن سعد ٢ / ٢٣١، (٣) البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٥٨، المغازي للواقدي ٣ / ١١٢١، (٤) ابن سعد ٢ / ٢٣١، (٥) ذكره الحافظ في المطالب ٤ / ٢٦٣ (٤٣٩٦، ٤٣٩٧) ومدارهما على مجالد وهو ضعيف كما قال المصنف. (*)

[٢٣٩]

وروى الطبراني برجال ثقات غير مجالد وهو مختلف فيه عن المغيرة بن شعبة قال: كنت فيمن حفر قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: فلحدنا لحدنا فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القبر طرحت الفأس ثم قلت: الفأس الفأس ثم نزلت فوضعت يدي علي اللحد (١). وروى أيضا بإسناد قوي عن ابن أبي مرحب قال: نزل في قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أربعة: أحدهم عبد الرحمن بن عوف، وكان المغيرة بن شعبة يدعي أنه أحدث الناس عهدا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقول: أخذت خاتمي، فألقيته، وقلت: خاتمي سقط من يدي لأمس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأكون آخر الناس عهدا به قال الحاكم أصح الأقاويل أن آخر الناس عهدا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قثم بن العباس قال ابن كثير: وقول من قال: إن المغيرة بن شعبة كان آخرهم عهدا ليس بصحيح، لأنه لم يحضر دفنه فضلا عن أن يكون آخرهم عهدا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلت: في كونه لم يحضر دفنه نظر لما تقدم، تنبيه في بيان غريب ما سبق: [آخرهم عهدا: ... التراب: ... الفأس: ...] (٢).

(١) ضعيف لضعف مجالد. (٢) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[٢٤٠]

الباب السادس فيما سمع من التعزية به - صلى الله عليه وسلم -
 روى محمد بن عمر برجال ثقات وابن أبي حاتم وأبو نعيم عن علي -
 رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما
 قبض وكانت التعزية به جاء آت، يسمعون حسه ولا يرون شخصه،
 فقال: السلام عليكم، أهل البيت ورحمة الله بركاته (كل نفس ذائقة
 الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) [آل عمران: ١٨٥] إن في
 الله تعالى عزاء من كل مصيبة وخلف من كل هالك ودرك من كل فات
 فبالله فثقوا وإياه فارجعوا، فإن المحروم من حرم الثواب، وإن المصاب
 من حرم الثواب والسلام عليكم، فقال علي: هل تدرون من هذا ؟
 هذا الخضر - صلى الله عليه وسلم - (١). وروى ابن أبي الدنيا
 والحاكم والبيهقي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: لما قبض
 النبي - صلى الله عليه وسلم - أحرق به أصحابه، فبكوا حوله
 واجتمعوا فدخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى [رقابهم،
 فبكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة وعضا من كل فائت، وخلفا من
 كل هالك، فإلى الله فأنبوا وإليه فارغبوا، ونظره إليكم في البلاء،
 فانظروا فإن المصاب من لم يجبره، فانصرف، وقال بعضهم لبعض
 تعرفون الرجل، قال أبو بكر وعلي: نعم، هو أخو رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم - الخضر - عليه السلام - [(٢) وقد ذكر في كتب
 (الموضوعات). وروى ابن سعد وابن أبي شيبة بإسناد حسن عن
 سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم -: (سيعزي الناس بعضهم بعضا من بعدي التعزية
 بي، فكان الناس يقولون: ما هذا ؟ فلما قبض رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - لقي الناس بعضهم بعضا يعزي بعضهم بعضا برسول
 الله - صلى الله عليه وسلم - (٣). وروى الطبراني عن سابط قال:
 قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أصاب أحدكم مصيبة
 فليذكر مصيبتة بي فإنها أعظم المصائب (٤). وروى الإمام مالك عن
 عيد الرحمن بن القاسم بن محمد - رحمهم الله تعالى - أن رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ليعز المسلمون في مصائبهم
 المصيبة (٥) بي.

(١) ابن سعد ٢ / ٢١١ وانظر المطالب العالية ٤ / ٢٥٩، (٢) قال البيهقي وهذا منكر
 بمره الدلائل ٧ / ٢٦٩ قلت وأفته عباد بن عبد الصمد منكر الحديث الميزان ٢ / ٢٦٩.
 (٣) الطبراني في الكبير ٦ / ١٦٦، ابن سعد ٢ / ٢١٠ والمجمع ٩ / ٢٨، المطالب
 العالية (٤٣٨٥)، (٤) أخرجه أحمد في المسند ٦ / ٣١٢، (٥) مالك في الموطأ (٢٣٦)
 وابن سعد ٢ / ٢١١. (*)

[٢٤١]

وروى ابن ماجة عن عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 قال في مرضه: يا أيها الناس أيما أحد من الناس، أو من المؤمنين
 أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عند المصيبة التي تصيبه بغيري،
 فإن أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتني.
 (١) [وروى عن المسور بن مخرمة - رضي الله تعالى عنهما -
 التعزية، هالك... الدرك... أحرق... أشهب اللحية... (٢).

(١) ابن ماجة ٢ / ٥١٠ (١٥٩٩) وفيه موسى بن عبيدة الزبدي ضعيف. (٢) ما بين
 المعكوفين سقط في أ. (*)

[٢٤٢]

الباب السابع في موضع قبره الشريف وصفته وصفة حجرته وبعض أخبارها تقدم في أحاديث أبي بكر أنه آخر فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحفر في موضعه. وهو قوله: فسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا يدفن نبي إلا حيث قبض). وقد علم بالتواتر أنه - صلى الله عليه وسلم - دفن في حجرة عائشة - رضي الله تعالى عنها - [التي كانت تختص بها شرقي مسجده في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة ثم دفن بعده أبو بكر، ثم عمر. وروى ابن سعد والحاكم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها -] (١) ومسدد - برجال ثقات - والحميدي والحاكم وصححه عن سعيد بن المسيب أن عائشة قالت لأبي بكر رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتي فقال: يدفن في بيتك ثلاثة هم خير أهل الأرض فلما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودفن، قال أبو بكر: هذا خير أقمارك (٢). وروى عن أنس أن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قصت مناما رأته على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لها - : (إن صدقت رؤياك يدفن في بيتك ثلاث هم خير أهل الأرض). وروى البيهقي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: جعل قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسطوحا (٣). وروى يحيى بن الحسن بن جعفر العلوي عن هارون بن سليمان قال: حدثني غير واحد من مشايخ أهل المدينة أن صفات القبور الثلاثة مسطوحة عليها بطحاء من بطحاء العرصة الحمراء. ويؤيده ما رواه أبو داود بإسناد صحيح والحاكم وصححه إسناده من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أمه، اكتشفي لي عن قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحبيه فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لائنة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء. زاد الحاكم: فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقدما وأبو بكر رأسه بين كتفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [وعمر رأسه عند رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -] (٤).

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (٢) ابن سعد ٢ / ٢٢٤ والبيهقي في الدلائل ٢ / ٢٦٢ والحاكم ٢ / ٦٠ وصححه. (٣) البيهقي في الدلائل ٧ / ٢٦٤. (٤) وهذه الرواية تدل على أن قبورهم مسطوحة، لأن الحصاة لا تثبت إلا على المسطح والحديث عند الحاكم ١ / ٣٦٩ والبيهقي في الدلائل ٧ / ٢٦٢ وأبو داود مختصرا ٣ / ٢١٥ (٣٢٢٠). (*)

[٢٤٢]

وروى ابن النجار في (تاريخ المدينة) أن امرأة سألت عائشة أن اكتشفي لي عن قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [(١) فكشفته فبكت حتى ماتت - رضي الله تعالى عنها - ورحمها. وحكى عن أبي الفضل الحموي أحد خدام الحجرة النبوية أنه شاهد شخصا من الزوار وأتى باب مقصورة الحجرة الشريفة فطأ رأسه نحو العتبة، فحركوه فإذا هو ميت وكان من حضر جنازته - رحمهما الله تعالى -. وأما ما رواه البخاري في الصحيح عن سفيان التمار أنه رأى قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسنما (٢) زاد أبو نعيم في (المستخرج)، وقبر أبي بكر وعمر كذلك فلا يعارض ذلك أن سفيان ولد في زمان معاوية فلم ير القبر إلا في آخر الأمر فيحتمل كما قال البيهقي أن القبر لم يكن في أول الأمر مسنما ثم سنم لما سقط الجدار في إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد صبروها مرتفعة، فقد روى يحيى بن الحسن بن عبد الله بن الحسين قال: رأيت قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسنما في زمن الوليد بن هشام. وقد اختلف في صفة القبور الشريفة بالحجرة المنيفة على سبع كيفيات. الأولى: أن قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - [أمامها] (٣) إلى القبلة مقدما بجدار القبلة، ثم قبر أبي بكر حذاء منكبي النبي - صلى الله عليه وسلم - وقبر عمر

حذو منكبي أبي بكر هكذا. سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - * أبو بكر رضي الله عنه - عمر - رضي الله عنه - قال النووي: هذا هو المشهور وقال السيد السمهودي في (تاريخ المدينة): إنه الذي عليه الأكثرون وإنها أشهر الروايات. الثانية: أن قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - مقدا وأبا بكر رأسه بين كتفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعمر رأسه عند رجلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قال أبو اليمن بن عساكر: وهذه صفته: النبي - صلى الله عليه وسلم - عمر - رضي الله تعالى عنه -

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (٢) أخرجه البخاري من رواية أبي بكر بن عياش ٣ / ٢٥٥ (١٢٩٠) والبيهقي في الدلائل ٧ / ٢٦٤. (٣) سقط في أ. (*)

[٢٤٤]

أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - الثالثة: روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زباله عن إسماعيل بن عبد الرحمن عن أبيه عن عمرة عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: رأس أبي بكر عند رجلي النبي - صلى الله عليه وسلم - وعمر خلف ظهر النبي - صلى الله عليه وسلم -. قال أبو اليمن بن عساكر وهذه صفته: النبي - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - عمر - رضي الله تعالى عنه - قال السيد نور الدين السمهودي: ويردها ما في الصحيح من أن الذي بدت قدمه عند هدم الجدار إنما هو عمر، لأن الجدار المنهدم، إنما هو الشرقي، ولو صحت هذه الرواية لكان البادي قدم أبي بكر. الرابعة: روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زباله: ثنا محمد بن إسماعيل عن عمرو بن عثمان عن القاسم بن محمد فذكر مثل الحديث المذكور في الثالثة إلا أنه قال: فإذا قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أمامها ورجلا أبي بكر عند رأس النبي - صلى الله عليه وسلم - ورأس عمر عند رجلي أبي بكر. قال أبو اليمن: وهذه صفته: النبي - صلى الله عليه وسلم - * أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - عمر - رضي الله تعالى عنه - الخامسة: روى أبو نعيم عن عثمان بن نسطاس قال: رأيت قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما هدم عمر بن عبد العزيز عنه البيت مرتفعا نحو من أربع أصابع عليه حصاء إلى الحمرة مائلة، ورأيت قبر أبي بكر وراء قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ورأيت قبر عمر أسفل منه وصوره لنا هكذا: النبي - صلى الله عليه وسلم - * أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - عمر - رضي الله تعالى عنه - السادسة: روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال: خرجت في ليلة مطيرة إلى المسجد حتى إذا كنت عند دار المغيرة بن شعبة لقيتني رائحة لا والله ما وجدت مثلها قط فجئت إلى المسجد فبدأت بقبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا جداره قد انهدم فدخلت فسلمت على النبي - صلى الله عليه وسلم - ومكثت فيه مليا، فإذا قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - وقبر أبي بكر عند رجليه وعليهما

[٢٤٥]

حصاء من حصاء العرصة وقبر عمر عند رجلي أبي بكر. قال أبو اليمن وهذه صفته: النبي - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - عمر - رضي الله تعالى عنه - السابعة: روى ابن زباله عن المنكدر بن محمد عن أبيه قال: قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - هكذا، وقبر أبي بكر خلفه، وقبر عمر عند رجلي النبي - صلى الله عليه وسلم -. النبي - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر -

رضي الله تعالى عنه - عمر - رضي الله تعالى عنه - وهذه الروايات ما عدا الأولى والثانية أسانيدها ضعيفة وأشهرها الأولى كما تقدم. قال حسان بن ثابت - رضي الله تعالى عنه -: ثلاثة برزوا بسبقهم * نصرهم ربهم إذا نشروا عاشوا بلا فرقة حياتهم * واجتمعوا في الممات إذ قبروا فليس من مسلم له بصر * ينكر فضلهم إذا ذكروا وقال غيره: ثلاثة أقبر جلت وعزت * حوت خير الوري مع صاحبيه محمد المصطفى من قريش * وصديق له أنى عليه وثالثهم هو الفاروق حقا * فكل مدائحي تهدي إليه روى ابن زبالة عن المطلب - رضي الله تعالى عنه - قال: كانوا يأخذون من تراب القبر وأمرت عائشة بجداره فضرب عليهم وكان في الجدار كوة فكانوا يأخذون منها فأمرت بالكوة فسدت. وروى ابن سعد عن مالك بن أنس قال: قسم مبيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر وقسم كان فيه عائشة. وروى عمر بن شبة عن أبي غسان قال: لم يزل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي دفن فيه ظاهرا حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الخطار المزور حين بنى المسجد في خلافة الوليد وإنما جعله مزورا كراهية أن يشبه تربيعة تربيعة القبلة، وأن يتخذ قبلة يصلى إليه. وروى ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم أن البيت مربع مبني بحجارة سود وقصة

[٢٤٦]

والذي يلي القبلة من أطوله، والشرقي والغربي سواء، والشامي أنقصها، وباب البيت مما يلي الشام ومسدود بالحجارة السود والقصة ثم بنى عمر بن عبد العزيز هذا البناء الطاهر وزوره لئلا يتخذها الناس قبلة تخص بها الصلاة من بين المسجد قالوا: والبناء الذي حول بينه وبين البناء الطاهر اليوم مما يلي المشرق ذراعان ومما يلي المغرب ذراع، ومما يلي القبلة شير ومما يلي الشام فضاؤه كله وفي الفضاء الذي يلي الشام بركن مكسور ومكتل خشب يقال إن البناء بين نسوة هناك. وروى يحيى بن الحسن الحسيني عن أبي غسان محمد بن يحيى قال: سمعت من يقول إن في الحظار الذي على قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - مكن وخشبة وجريدة مسندة. قال ابن أبي الزناد: هو مكن تركه العمال هناك قال أبو غسان: فأما أنا فإنني اطلعت في الحظار فلم أر شيئا فزعم لي زاعم أنه قد رأى ثم مكننا أو شيئا موضوعا مع الركن وأما أنا فلم أره ولا أعلم أحدا يدري من أخذه ولم أر البيت الذي في الحظار. تنبيه في بيان غريب ما سبق: [أقمار: ... الخمرة: ... مسطوحة: ... بطحاء: ... العرصة: ... لاطئه: ... الكوة: الخرق من الحائط والثقب في البيت ونحوه. مزورا: ... القصة: ... الحظار: ... المكن: ... المكنل:] (١)...

ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[٢٤٧]

الباب الثامن في الاستسقاء بقبره الشريف - صلى الله عليه وسلم - روى الدارمي عن [أبي الجوزاء] (١) أوس بن عبد الله قال: فحط أهل المدينة فحطوا شديدا فشكوا إلى عائشة - رضي الله تعالى عنها - فقالت: انظروا إلى قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال: ففعلوا فمطرنا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمي: عام الفتق.

[٢٤٨]

الباب التاسع في فضل ما بين قبره ومنبره - صلى الله عليه وسلم -
 روى الإمام أحمد والشيخان عن ابن عمر والإمام أحمد والبخاري عن أبي
 جابر بن عبد الله، والإمام أحمد - رجال الصحيح - والبخاري عن أبي
 هريرة والطبراني عن أبي سعيد الخدري، والبخاري - رجال الصحيح -
 عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن الإمام أحمد عن عبد الله بن
 زيد المازني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما بين
 بيتي ومنبري). ولفظ ابن عمر (قبري ومنبري) روضة من رياض الجنة،
 ومنبري على حوضي وإن منبري على ترعة من ترع الجنة. وفي لفظ
 تجيء ترعه من ترع الجنة. وروى الإمام أحمد - رجال الصحيح - عن
 سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - قال: منبري هذا على ترعة
 من ترع الجنة. تنبيهات الأول: اختلف في معنى كون منبره على
 حوضه على ثلاثة أوجه. الأول: قال الخطابي: معنى قوله: (ومنبري
 على حوضي) أي أن قصد منبره وحضوره عنده لملازمة الأعمال
 الصالحة يورد [لصاحبه إلى] الحوض ويوجب الشرب منه. الثاني:
 قال ابن النجار: المراد أن منبره الذي كان يقوم عليه - صلى الله عليه
 وسلم - يعيده الله كما يعيد سائر الخلائق ويكون على حوضه في
 ذلك اليوم. قال أبو اليمن بن عساكر: وهو الأظهر، وعليه أكثر الناس.
 الثالث: قيل: إن المراد منبر يخلقه الله تعالى في ذلك اليوم ويجعله
 على حوضه. قال السيد: ويظهر لي معنى رابع، وهو أن البقعة التي
 عليها المنبر تعاد بعينها في الجنة، ويعاد منبره ذلك على هيئته،
 ليناسب ما في الجنة، فيجعل المنبر عليها عند عقر الحوض وهو
 مؤخره وعن ذلك غير ب (ترعة من ترع الجنة) وذكر ذلك - صلى الله
 عليه وسلم - لأتمته للترغيب للعمل بهذا المحل الشريف ليقضي
 بصاحبه إلى ذلك، وهذا في الحقيقة جمع بين القولين الأولين.
 الثاني: اختلفوا أيضا في معني ما جاء في الروضة الشريفة. قال
 الحافظ: ومحصل ما أول العلماء به ذلك أن تلك البقعة كروضة من
 رياض الجنة

[٢٤٩]

في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل فيها من ملازمة حلق
 الذكر، لا سيما في عهده - صلى الله عليه وسلم - فيكون مجازا [
 بغير أداة]، أو المعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة فيكون مجازا
 أو هو على ظاهره، وأن المراد أنها روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك
 الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة انتهى. قال: وهذه الأقاويل على
 ترتيبها هذا في القوة، وهو محتمل لتقوية الأول والأخير، والأخير
 أقواها عندي، وهذا الذي ذهب إليه ابن النجار ونقله البرهان بن
 فرحون في (مناسكه) عن ابن الجوزي وغيره عن مالك فقال: وقوله:
 (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) حمله مالك رحمه الله
 تعالى على ظاهره فنقل عنه ابن الجوزي وغيره أنها روضة من رياض
 الجنة تنقل إلى الجنة وأنها ليست كسائر الأرض تذهب وتغنى،
 ووافقها على ذلك جماعة من العلماء انتهى. ونقله الخطيب بن جملة
 عن الداودي وصححه ابن الحاج في (مدخله) لأن العلماء فهموا من
 ذلك مزية عظيمة لهذا المحل. وقال الحافظ في موضع آخر بعد أن
 صدر بالثالث أو أنه على المجاز تكون العبادة فيه نزول إلى دخول
 العائد روضة الجنة، وهذا فيه نظر، إذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة
 والخبر مسبوق لمزيد شرف تلك البقعة على غيرها، وجمع الشيخ

ابن أبي جمرة بين الثاني والثالث، ولم يعول على ذكر الأول فقال: الأظهر والله أعلم الجمع بين الوجهين لكل منهما دليل يعضده، أما الدليل على أن العمل فيها يوجب الجنة فلما جاء في فضل مسجدھا في المضاعفة، ولهذه البقعة زيادة على باقي بقعه. وأما الدليل على كونها بعينھا في الجنة فلإخباره - صلى الله عليه وسلم - بأن المنبر على الحوض لم يختلف أحد من العلماء أنه على ظاهره، وأنه حق محسوس موجود على حوضه، وقد نقل الخلاف قبل، ثم قال: تقرر من قواعد الشرع أن البقع المباركة ما فائدة بركتها لنا، والأخبار بذلك إلا تعميرھا بالطاعات. قال: ويحتمل وجھا ثالثا وهو أن تلك البقعة نفسها روضة من رياض الجنة الآن، وتعود روضة في الجنة كما كان ويكون للعامل، فالعمل فيه درجة في الجنة قال: وهو الأظهر لوجهين: أحدهما: علو منزلته - صلى الله عليه وسلم - وليكون بينه وبين الأبوة الإبراهيمية في هذا أشبه، وهو أنه لما خص الله الخليل بحوض من الجنة خص الحبيب بالروضة منها انتهى. وهو من النفاسة بمكان، وفيه حمل اللفظ عنى ظاهره إن لا يقتضي بصره عنه، ولا

[٢٥٠]

يقدر في ذلك كوننا نشاهده على أراضى الدنيا فإنه ما دام الإنسان في هذا العالم لا تنكشف له حقائق ذلك العالم لوجود الحجب الكثيفة. الثالث: تخصيص ما أحاطت به البينة المذكورة لذلك إما تعبدا، وإما لكثرة تردده - صلى الله عليه وسلم - بين بيته ومنبره، وقرب ذلك من قبره الشريف الذي هو الروضة العظمى كما أشار إليه ابن أبي جمرة أيضا. الرابع: اختلفوا في مكان الروضة. الخامس: في بيان غريب ما سبق: القبر... المنبر... الحوض... الروضة... الترعة: بمثابة فوقية فراء ساكنة فعين مهملة الروضة على المكان المرتفع.

[٢٥١]

الباب العاشر في فضل مسجده - صلى الله عليه وسلم - غير ما تقدم. قال الله تعالى: (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) [التوبة: ١٠٨]. روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: امترى رجلان رجلا من بني خدرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى: قال الخدري: هو مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألاه فقال: (هو هذا) يعني مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: في ذلك خير كثير يعني مسجد قباء. وروى الإمام أحمد عن سهل بن سعد نحوه. وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال: أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألته عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ كفا من حصاء ف ضرب به الأرض ثم قال: هو مسجدكم هذا. وروى الإمام أحمد عن أبي بن كعب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا). وروى الزبير بن بكار في (أخبار المدينة) عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لو بني مسجدي هذا إلى صنعاء كان مسجدي). وروى أيضا عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال لو مد مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ذي الحليفة لكان منه. وروى الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من صلى في مسجدي هذا أربعين صلاة لا يفوته صلاة كتبت له براءة من النار ونجاة من العذاب وبرئ من النفاق). وروى الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - قال: (صلاة في مسجدي هذا أفضل). وفي رواية: (خير) من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام).

[٢٥٢]

وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى). وروى البزار وابن حبان عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا، والبيت العتيق مسجد إبراهيم - صلى الله عليه وسلم -). تنبيهات الأول: قوله - صلى الله عليه وسلم -: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام). اختلف في تأويل هذا الحديث فقول: إن الصلاة في مسجده - صلى الله عليه وسلم - أفضل من الصلاة في المسجد الحرام بدون ألف صلاة. ونقل أبو عمر عن جماعة من أهل الأمر: أن معناه أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في المسجد الحرام فإنه أفضل فيه بمائة صلاة). الثاني: قوله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد). قيل: هو نفي بمعنى النهي. وقيل: لمجرد الإخبار لا نهى ولا دلالة فيه على التحريم، إذا النفي لا يقتضي النهي مطلقاً، وعلى تقدير أنه يقتضي النهي فإنما يقتضي النهي فيما وقع عليه النفي، والنفي هاهنا ليس لنفي الحقيقة، وإنما هو لنفي مقصود من مقاصدها، ولا يتعين أن يكون الجواز المطلق، جاز أن يكون لا تشد الرحال وجوباً أو ندباً أو طاعة مسنونة بخصوصيتها لا بنوعها ولا بحسنها وتعين أحد المحتملات يحتاج إلى دليل، وتقدير أن يكون بمعنى النهي، فلا نسلم أن النهي في مثل ذلك يقتضي التحريم، والأمر يقتضي الوجوب وإطلاق أئمة الأصول أن النهي يقتضي التحريم والأمر يقتضي الوجوب محمول على الأمر بصيغة (افعل) والنهي بصيغة (لا تفعل) إذ هو الذي يصح فيه دعوى الحقيقة. وأما ما كان موضوعاً حقيقة بغير الأمر والنهي، ويفيد معنى أحدهما كالخبر بمعنى الأمر، والنفي بمعنى النهي فلا يدعي فيه أنه حقيقة في وجوب ولا تحريم، لأنه مستعمل في غير موضوعه إذا أريد الأمر والنهي، ودعوى كونه حقيقة في إيجاب أو تحريم وهو موضوع لغيرهما مكابرة وهذا موضع يغلط فيه كثير من الفقهاء ويعبرون بلفظ أئمة الأصول ويدخلون فيه كلما

[٢٥٣]

أفاد نهياً أو أمراً، والمحقق يعرف المراد ويضع كل شئ في موضعه. ذكر ذلك كله شيخ الإسلام كمال الدين بن الزمكاني في كتاب (العمل المقبول في زيارة الرسول) قال النووي: معناه الأفضلية في شد الرحال إلى مسجد غير هذه الثلاثة ونقله عن الجمهور. وقال العراقي: من أحسن محامل الحديث أن المراد منه حكم المساجد فقط، وأنه لا تشد الرحال إلى مسجد من مساجد غير هذه الثلاثة. وأما فضل غير المساجد من الرحلة في طلب العلم وزيارة الصالحين والإخوان والتجارة والتنزه ونحو ذلك فليس داخل فيه وقد ورد ذلك مصرحاً في رواية أحمد. ولفظه: لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا. وقال الشيخ تقي الدين السبكي: ليس في الأرض بقعة لها فضل ثوابها حتى تشد إليها لذلك الفضل غير البلاد

الثلاثة، ولا شك أن بقاع المساجد الثلاثة وموضع قبره، صلى الله عليه وسلم - هي أفضل بقاع الأرض، وموضع قبره - صلى الله عليه وسلم - ومسجد مكة والمدينة أفضل من المسجد الأقصى واختلف أيهما أفضل مسجد مكة أو مسجد المدينة. الثالث: قال القاضي عياض بعد حكاية الخلاف: ولا خلاف أن موضع قبره - صلى الله عليه وسلم - أفضل بقاع الأرض انتهى. ولا ريب أن نبينا - صلى الله عليه وسلم - أفضل المخلوقات، فليس في المخلوقات على الله تعالى أكرم منه، لا في العالم العلوي ولا في العالم السفلي كما تقدم في الباب الأول من الخصائص قال بعضهم: كيف يمكن انفكاك المؤمن المعظم للنبي - صلى الله عليه وسلم - المعتقد شرف تلك البيعة أن يشد الرحال إليها ويدخل المسجد ويصلي فيه ولا يصلي إلى الروضة الشريفة التي في الحجرة؟ وفي الحديث أنها روضة من رياض الجنة، وكيف يصلي إلى الروضة والقبر ويعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكيف يسمع كلامه إذا سلم عليه، ويرد عليه السلام ويسعه أن لا يقصد الحجرة الشريفة والقبر ويسلم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن وقع هذا لأحد لا يكون قلبه معمورا بحب النبي - صلى الله عليه وسلم - - ومن تداركه الله تعالى برحمته وجد من نفسه ذلك، وكذلك لو قصد زيارة قبره - صلى الله عليه وسلم - لم ينفك قصده عن قصد المسجد وهذا شأن الزوار. الرابع: قال الإمام أبو عمر بن عبد البر: بعد أن ذكر حديث الصحيحين أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يأتي مسجد قباء راكبا وماشيا وليس في إتيانه - صلى الله عليه وسلم - مسجد قباء ما يعارض قوله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تعمل المطي) لأن قوله ذلك معناه عند العلماء فيمن نذر على نفسه صلاة

[٢٥٤]

في أحد المساجد الثلاثة أنه يلزمه إتيانها دون غيرها، وأما إتيان قباء وغيرها من مواضع الرباط فلا بأس بإتيانها بدليل حديث قباء هذا. وقال العلامة ابن جملة: وهذا الذي ذكره هو الحق الذي لا محيد عنه، ولهذا تجد الأئمة من الفقهاء والمحدثين يذكرون الحديث في باب النذر، والسفر للجهاد، وتعلم العلم الواجب، وبر الوالدين، وزيارة الإخوان والتفكير في آثار صنع الله كله مطلوب للشارع وجوبا واستحبابا والسفر للتجارة والأعراض الدنيوية جائز، وكله خارج من هذا الحديث، فلم يبق إلا شد الرحل للمعصية وحينئذ هو الممنوع، ولا يختص المنع بشد الرحل باستحسان الله، أيكون السفر لزيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - من هذا القسم لقد اجترأ على الله وعلى رسوله من قال هذا، وهو كلام يدور حول الاستهانة وسوء الأدب في إطلاقه ما يقتضي كفر قائله نعوذ بالله من الخذلان، وكذلك ليس قوله - صلى الله عليه وسلم - (لا تتخذوا قبري عيدا وتجعلوا بيوتكم صورا) ما يعارض ما تقدم، لأن سياقه يقتضي دفع توهم من توهم أن الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - لا تكون مؤثرة إلا عند قبره فيفوت بسبب ذلك ثواب الصلاة عليه من بعد، ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم -: (صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم). ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في جواز السفر وشد الرحل، لغرض دنيوي كالتجارة، فإذا جاز ذلك فهذا أولى، لأنه من أعظم الأغراض الأخروية فإنه في أصله من الآخرة لا سيما في هذا الموضوع، ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في السفر وشده.

[٢٥٥]

الباب الحادي عشر في حياته في قبره وكذلك سائر الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - وعليهم أفضل الصلاة والسلام - قال الشيخ - رحمه الله تعالى - في

كتابه (أنباء الأركياء بحياة الأنبياء): حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار. وقال الشيخ جمال الدين الأربيلي الشافعي في كتابه (الأنوار في أعمال البرار): قال البيهقي في كتاب (الاعتقاد): الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - جماعة منهم وأمهم في الصلاة وأخبر وخبره صدق، أن صلاتنا معروضة عليه، وأن سلامنا يبلغه، والله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء. وقال القرطبي في (التذكرة) في حديث الصعقة نقلًا عن شيخه: الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه - صلى الله عليه وسلم - اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ورأى موسى قائما يصلي في قبره وأخبر - صلى الله عليه وسلم - بأنه يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك مما يحصل من حملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامة من أوليائه. وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي شيخ الشافعية في (فتاويه): قال المتكلمون المحققون من أصحابنا إن نبينا - صلى الله عليه وسلم - حي بعد وفاته وأنه يسر بطاعات أمته ويجزى بمعاصي العصاة منهم وأنه يبلغه الصلاة من يصلي عليه من أمته. وقال: إن الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئا، وقد مات موسى في زمانه وأخبر نبينا - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى في قبره مصليا وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء وأدم وإبراهيم وقالوا له: مرحبا، وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا نبينا - صلى الله عليه وسلم - قد صار حيا بعد وفاته وهو على نبوته انتهى. وقال سيدي الشيخ عفيف الدين اليافعي - رحمه الله تعالى -:
الأولياء ترد عليهم أحوال

[٢٥٦]

يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات كما نظر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى موسى عليه السلام في قبره. قال: وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء من معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهل، ونصوص العلماء في حياة الأنبياء كثيرة فلنكتف بهذا القدر. وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أوس الثقفي مرفوعا. [إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم تعرض علي قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت - يعني بليت - فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء]. وروى الإمام أحمد وأبو داود والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام). وروى أبو يعلى: حدثنا أبو الجهم الأزرق بن علي، حدثنا يحيى بن أبي بكر، حدثنا المستلم بن سعيد عن الحجاج - زاد ابن عدي - ابن الأسود عن ثابت البناني. قال الحافظ في (التقريب): أبو الجهم الأزرق صدوق يغرب ويحيى بن أبي بكر من رجال البخاري والمستلم بن سعيد قال الإمام أحمد: شيخ ثقة. وقال النسائي: لا بأس به وذكره ابن حبان في (الثقات). وقال الحافظ: صدوق عابد ربما وهم، وشيخه الحجاج. قال الحافظ: عبد الغني بن سعيد في الإيضاح: الإشكال هو حجاج بن حجاج، وهو حجاج الأسود الذي روى عنه جعفر بن سليمان، ومستلم بن سعيد وهو حجاج الباهلي، وهو

الحجاج بن الحجاج، وهو حجاج الأحوال، وهو حجاج رزق العسل انتهى. وحجاج هذا قال الإمام أحمد: ليس به بأس. وقال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: ثقة من الثقات صدوق. وقال الحافظ: ثقة وثابت لا يسأل عنه. وقال الحافظ: عبد الغني بن سعيد: حدثنا إبراهيم بن علي الجبائي، حدثنا يحيى بن محمد بن ساعدة. حدثنا عبد الله بن محمد بن يحيى بن أبي بكر ثنا يحيى بن أبي بكر به. وقال ابن عدي: حدثنا قسطنطين بن عبد الله الرومي، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثني

[٢٥٧]

الحسن بن قتيبة المدائني ثنا المستلم بن سعيد عن الحجاج بن الأسود عن ثابت البناني عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون). وروى أبو يعلى عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (والذي نفسي بيده لينزلن عيسى ابن مريم ثم لئن سلم علي لأجيته). وروى محمد بن يحيى بن أبي عمر - برجال ثقات - عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن عيسى ابن مريم يكون مارا بالمدينة حاجا أو معتمرا ولئن سلم علي لأردن عليه). وروى ابن النجار عن إبراهيم بن يسار قال: حججت في بعض السنين فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة: وعليك السلام. قال البارزي في (التوثيق): (إن سليمان بن شحم قال: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في النوم فقلت: يا رسول الله، هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك، أتفقه سلامهم قال: نعم وأرد عليهم. وروى أبو نعيم في (الدلائل) عن سعيد بن المسيب قال: لقد رأيتني ليالي الحرة، وما في المسجد غيري وما يأتي وقت أذان إلا سمعت الأذان من القبر. وروى الزبير بن بكار عنه قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيام الحرة حتى عاد الناس. وروى ابن سعد عنه أنه كان يلزم الناس أيام الحرة والناس يقتتلون قال: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذانا يخرج من القبر الشريف. وروى الدارمي في مسنده: أنبأنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثا ولم يقر ولم يرح سعيد بن المسيب المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي - صلى الله عليه وسلم -. وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أكثرنا علي من الصلاة يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة، وإن أحدا لن يصلي علي إلا عرضت علي صلواته حين يفرغ منها) قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -. قال ابن ماجه: فنبى الله حي يرزق في قبره.

[٢٥٨]

ورواه الطبراني - بلفظ -: ليس من عبد يصلي علي إلا بلغني صوته حيث كان، ورجالهما ثقات، لكنه منقطع. وروى البيهقي في (الشعب) والأصبهاني في (الترغيب) عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من صلى علي عند قبوري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته. وروى البخاري في (تاريخه) عن عمار - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إن الله تعالى

خلق ملكا أعطاه إسماع الخلائق قائما على قبري، فما من أحد يصلي علي صلاة إلا بلغنيها). وروى البيهقي في (حياة الأنبياء) والأصبهاني في (الترغيب) عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من صلى علي مائة مرة في يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم وكل الله بذلك ملكا يدخله علي في قبري كما يدخل عليكم الهدايا، إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة). ولفظ البيهقي: يخبرني بمن صلى علي بعد موتي باسمه ونسبه فأثبته عندي في صحيفة بيضاء. وروى البيهقي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكن يصلون بين يدي الله عزوجل حتى ينفخ في الصور). قال البيهقي: المراد والله تعالى أعلم لا يصلون إلا هذا المقدار، ثم يكونون مصلين، فيما بين يدي الله عزوجل. وقال الثوري في (جامعه): قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال: ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين صباحا حتى يرفع. ورواه عبد الرزاق في (مصنفة) عن الثوري عن أبي المقدم عن سعيد به. قال الزركشي وأبو المقدم هو ثابت بن هرمز شيخ صالح. قلت: ويقال: اهرمز وثقه ابن المديني وأبو داود والنسائي ويعقوب وابن سفيان. قال الحافظ في (القريب): صدوق بهم. وقال ابن القطان: لا أعلم أحدا ضعفه غير الدارقطني ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي.

[٢٥٩]

وروى أبو الشيخ عن شيخه عبد الرحمن بن أحمد الأعرج: حدثنا الحسن بن صباح: (من لم يوص له في الكلام مع الموتى)، قيل: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهل تتكلم الموتى؟ قال: (نعم ويتزاورون). وروى ابن حبان: في (المجروحين) من طريق الحسن بن يحيى الخشني عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما من نبي يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحا حتى ترد إليه روحه) الحسن ضعفه الأكثر وقال دحيم: لا بأس به. وقال أبو حاتم: صدوق سئ الحفظ ووثقه ابن معين في رواية ابن أبي معين مريم. وقال أبو داود: لا بأس به. وقال الشيخ في تهذيب موضوعات ابن الجوزي: لهذا الحديث شواهد يرتقى بها إلى درجة الحسن. قال البيهقي: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء يكونون حيث ينزلهم الله تعالى. تنبيهات الأول: قال السيد نور الدين السهمودي في (تاريخ المدينة): وإن صح ما قاله ابن المسيب فالقبر الشريف له به علاقة روحانية وله نسبة إليه مع أنا قطعنا بوصفه - صلى الله عليه وسلم - به فنستحبه حتى يقوم قاطع على خلافه وساق ما أخبر به سعيد بن المسيب من سماعه الأذان والإقامة من القبر أيام الحرة مع أنه قد جاء عن غير ابن المسيب ما يقتضي الاستمرار، فقد قال عثمان بن عفان أيام حصاره: لن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها. وروى ابن عساكر بسند جيد عن بلال أنه لما نزل (داريا) من أرض الشام رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما إن لك أن تزورني فانتبه حزينا خائفا، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا: نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فيه فلما أن قال: الله أكبر، ارتجت المدينة فلما أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها، فلما أن قال: أشهد أن محمدا رسول الله، خرجت العواتق من خدورهن، وقالوا: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما رأي

يوم أكثر باكيا ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذلك اليوم.

[٣٦٠]

وقال الإمام العلامة جمال الدين محمود بن جملة: نبينا - صلى الله عليه وسلم - أحياه الله تعالى بعد موته حياة تامة واستمرت تلك الحياة إلى الآن، وهي مستمرة إلى يوم القيامة، وليس هذا خاصا به - صلى الله عليه وسلم - بل يشاركه الأنبياء - صلوات الله عليهم - أجمعين. والدليل عن ذلك أمور كثيرة: أحدها: قوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) [آل عمران: ١٦٩] فقيل: وجه الدلالة منها من ثلاثة أوجه: الأول: أن الحياة في البرزخ حاصلة لأحاد الأمة من الشهداء، وللشهداء بذلك مزية على غيرهم ممن ليس بشهيد، فما لهم أفضل ممن لم يكن له هذه المرتبة، ولا يكون رتبة أحد من الأمة أعلى درجة من رتبة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا ثوابه أكمل ولا حاله أحسن. الثاني: أن الذين قتلوا في سبيل الله إنما استحقوا هذه الرتبة بالشهادة، والشهادة حاصلة له - صلى الله عليه وسلم - على أتم الوجود وأكملها، لأن الشهيد سمي شهيدا إذ الشهادة الموت أو الشهادة لله أو الشهادة على الناس يوم القيامة، أو لمشاهدة ثواب الله - عزوجل -، أو لمشاهدة ملائكته، وهذه الرتبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - أكمل من الأمة وأعلاها الشهادة لله تعالى والشهادة على الناس وشهادة النبي - صلى الله عليه وسلم - أسمى وأعظم فإنه - صلى الله عليه وسلم - شهد على الشهداء قال الله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) [البقرة ١٤٣] فإن توهم متوهم أن هذا من خصائص القتلى، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - قد حصل له ذلك كما بناه في باب أن الله تعالى اختار له مع النبوة الشهادة في أبواب الوفاة فراجع. وقال الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي: صاحب (العمدة) المشهورة في جواب سؤال ما نصه: سألت: - أحسن الله لنا ولك التوفيق لم يجب ويرضى عن صلاة نبينا وسيدنا المصطفى المرتضى سيد الخلق في الآخرة والأولى بإخوانه النبيين والمرسلين، هل صلى بأجسادهم أم بأرواحهم، فأعلم - رجمك الله - أن مذهب أهل الحق القائلين بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [إن الإسراء كان برسول - صلى الله عليه وسلم -] (١) بجسده وروح يقظة لا مناما، فقد ورد به القرآن العزيز وورد به الخبر الصحيح، قال الله سبحانه وتعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام) [الإسراء ١] الآية، وتواترت الخبر الصحيحة بذلك. قال: فإن ثبت هذا، فأعلم أن الأنبياء أحياء في قبورهم.

(١) سقط في ب. (*)

[٣٦١]

روى حديث أوس بن أوس قال: وهو حديث حسن صحيح، أخرجه أبو داود والنسائي وجماعة، وقد روى مسلم عن أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (مررت ليلة أسرى بي على موسى وهو قائم يصلي في قبره) وهذا من صفة الأجساد لا من صفة الأرواح. قال: وفي حديث حسن في الإسراء أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: فدخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد، وقد صح في أحاديث كثيرة أن آدم وإبراهيم - صلى الله عليه وسلم - قالا

له: مرحبا بالأخ الصالح، وصح أنه لما لقي موسى وجاوزه بكى موسى وقد وصف - صلى الله عليه وسلم - الأنبياء فقال: رأيت موسى قائما يصلي، كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى قائما يصلي كأنه عروة بن مسعود الثقفي، وأما إبراهيم فأشبهه الناس بصاحبكم - يعني نفسه - صلى الله عليه وسلم - وهذه صفة الأجساد لا صفة الأرواح، وقد أخبر - صلى الله عليه وسلم - أنه لما لقي موسى بعد أن فرض الله عليه خمسين صلاة فقال له: إني حربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، ففعل ذلك مرارا إلى أن أمره الله بخمس صلوات، ومحال أن يكون هذا الخطاب من روح موسى دون جسده، والقائل بذلك مخالف للنقل والعقل ونمنع أن يراهم في أجسادهم ويصفها، ويخاطبهم ويخاطبونه ثم يصلي بالأرواح دون الأجساد، والصلاة في اللغة: الدعاء. وفي الشريعة: عبارة عن القراءة مع القيام والركوع والسجود. وقيام الأرواح وقعودها وقراءتها غير مدرك ولا معقول ولا منقول، فتبارك الذي خص محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه. فإن قال قائل: كيف صلى بهم في بيت المقدس ثم رأهم في السماء؟ فتقول، بالله التوفيق: إن الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السماء إلى سدرة المنتهى فكان قاب قوسين أو أدنى ثم رجع إلى مكة قبل الصبح هو الذي أراه إياهم كيف يشاء وجمعهم له أين يشاء، فسبحان الذي لا يحاط بقدرته، ولا تنتهي عظمته، ولا تدرك حقيقته وهو على كل شئ قدير ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، انتهى كلام الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله. وفي صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إن إبراهيم ابني مات، وإنه مات في الندي وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة. ووجه الدلالة من هذا الحديث ظاهرة وأن تكملة الرضاع إنما هو في الدنيا، وإذا كان هذا في حق ولده - صلى الله عليه وسلم - كرامة له فلان يثبت في حقه الحياة - صلى الله عليه وسلم - بطريق أولي. وروى أبو داود الطيالسي بسند صحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لما مات إبراهيم: إن له مرضعا في الجنة.

[٣٦٢]

فقد تبين لك - رحمك الله من الأحاديث السابقة - حياة النبي وسائر الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - وقد قال الله سبحانه وتعالى في الشهداء: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) [آل عمران: ١٦٩] والأنبياء أولى بذلك فهم أجل وأعظم وقل نبي إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة، فيدخلون في عموم لفظ الآية، فثبت كونه - صلى الله عليه وسلم - حي في قبره بنص القرآن إما من عموم اللفظ وإما من مفهوم الموافقة. الثاني: إن قيل: إن قوله - صلى الله عليه وسلم -: (إلا رد الله إلي روعي) يقتضي مفارقة الروح لبدنه الشريف في بعض الأوقات، وذلك لا يلتئم مع كونه حيا على الدوام. وقال الشيخ الإمام العلامة علاء الدين القونوي الشافعي في (آداب البحث) له: ظاهرة رد روحه - صلى الله عليه وسلم - عند سلام أول من سلم عليه - صلى الله عليه وسلم - بعد وفاته، ثم إما أنه أن يقال: باستمرار حياته بعد ذلك، وبقاء روحه المباركة في جسده الشريف، كما كان قيل، وهو المدعى ويحسن على هذا أن يقدر في حديث لفظة (قد) بعد أداة الاستثناء حتى يكون المعنى: ما من أحد يسلم على إلا قد رد الله على روعي. انتهى. وهذا أحد الأوجه قاله البيهقي. وبهذا جزم الإمام العلامة جمال الدين محمود بن جملة خطيب الجامع الأموي في كتاب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم -: وهو كتاب جليل ولم يطلع عليه شيخنا رحمه الله تعالى، وقد أوضح الشيخ بك في (فتاويه) قبل الوقوف على كلام البيهقي فقال في فتاويه: إن قوله: (رد الله تعالى) جملة حالية وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلا

ماضيا قدرت فيها (قد) كقوله تعالى: (أو جاءوكم حصرت صدورهم) [النساء: ٩٠] أي قد حصرت، وكذا هنا تقدر الجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد (وحتى) ليست للتعليل بل مجرد حرف عطف بعمى (الواو) فصار تقدير الحديث: ما من أحد يسلم علي إلا قد رد الله علي روحي قبل ذلك وأرد عليه، وإنما جاء الإشكال من ظن أن جملة (رد الله) بمعنى الحال أو الاستقبال وظن أن (حتى) تعليلة وليس كذلك وبهذا الذي قررناه ارتفع الإشكال من أصله. قال: ثم بعد ذلك رأيت الحديث مخرجا في كتاب (حياة الأنبياء) للبيهقي بلفظ: (إلا وقد رد الله علي روحي) فصرح فيه بلفظ (قد) ورواية إسقاطها محمولة علي إضمارها وأن حذفها من تصرف الرواة، ومراد الحديث الإخبار بأن الله تعالى روحه بعد الموت فيصير حيا على الدوام حتى لو سلم عليه أحد رد عليه سلامه لوجود الحياة فيه فصار الحديث موافقا للأحاديث الواردة في حياته في قبره، ويؤيده من حيث المعنى أن الرد لو أخذ بمعنى الحال أو الاستقبال لزم تكراره عند تكرر المسلمين، وتكرر الرد يستلزم تكرار المفارقة، وتكرار المفارقة يلزم عليه محذوران:

[٣٦٢]

أحدهما: تألم الجسد الشريف بتكرر خروج الروح منه أو نوع ما من مخالفة التكرار إن لم يكن تأليما. والآخر: مخالفة سائر الناس الشهداء وغيرهم، فإنه لم يثبت لأحد منهم أنه يتكرر له مفارقة الروح وعودها إلى البرزخ، والنبوي - صلى الله عليه وسلم - أولى بالاستمرار الذي هو أعلى مرتبة. ومحذور ثالث وهو مخالفة القرآن فإنه دل على أنه ليس إلا مودة وحياتان، وهذا التكرار يستلزم موتات كثيرة وهو باطل انتهى. ثم قال القونوي: وإما أن يقال بردها عند سلام المسلم الأول ثم قبضها بعد ذلك، ثم ردها عند مسلم آخر وهكذا كلما سلم عليه المسلمون، وهذا لم يقل به أحد، ولا يجوز اعتقاده أيضا، فإنه يفضي إلى توالى موتات لا تحصى ورد الروح مرات لا تحصى، فإن كل مصل يسلم عليه في صلاته مرة أو مرتين وغير المصلي أيضا يسلم عليه، ويختلف أوقات سلامهم فلا يخلو ساعة من الساعات من سلام عليه ولا يخفى ما في التزام تكرار الرد بتكرار ذلك المحذور فتعين القول بردها عليه - صلى الله عليه وسلم - بعد موته مرة واحدة لرد السلام على المسلم الأول واستمرار الحياة بعد ذلك إلى يوم القيامة فيكون النبي - صلى الله عليه وسلم - حيا في قبره ثم أيد ذلك بما رواه مسلم عن أنس مرفوعا، رأيت موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره. الجواب الثاني: قال السبكي: يحتمل أن يكون ردا معنويا، وأن تكون روحه الشريفة مستقلة بشهود الحضرة الإلهية والملا الأعلى عن هذا العالم فإذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم فيدرك سلام من سلم عليه، أو يرد عليه. الثالث: قال الشيخ: إن لفظ (الرد) قد لا يدل على انفكاك المفارقة؛ بل كنى به عن مطلق الصيرورة كما قبل في قوله تعالى حكاية عن شعيب - عليه الصلاة والسلام - (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فهي ملتكم) [الأعراف: ٨٩] إن لفظ العود أريد به مطلق الصيرورة لا العود بعد الانتقال، لأن شعيبا - عليه الصلاة والسلام - لم يكن في ملتهم قط، وحسن استعمال هذا اللفظ في هذا الحديث مراعاة للمناسبة اللفظية بينه وبين قوله: (حتى أورد عليه السلام) في لفظ الرد في صدر الحديث لمناسبة ذكره في آخر الحديث. الرابع: قال الشيخ: ليس المراد برد الروح وعودها بعد المفارقة للبدن، وإنما النبي - صلى الله عليه وسلم - في البرزخ مشغول بأحوال الملكوت مستغرق في مشاهدة ربه كما كان في الدنيا في حاله بالوحي، وفي أوقات آخر فعبر عن إفاقة من تلك المشاهدة، وذلك الاستغراق برد الروح، ونظير هذا قول العلماء في اللفظة التي وقعت في بعض أحاديث الإسراء لم يكن

مناما، وإنما المراد الإفاقة مما خامر من عجائب الملكوت. قلت: وفي حديث أبي أسيد حين جاء بانه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليحنكه فوضعه على فخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واشتغل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحديث مع الناس فرفع أبو أسيد ابنه ثم استيقظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يجد الصبي فسأل عنه فقالوا: رفع فسماه الرواي استيقاظا. وفي حديث عائشة في ذهاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الطائف فكذبوه، قال: فرجعت مهموما، فلم أستفق إلا بـ (قرن الثعالب) أي: أفاق مما كان فيه والله تعالى أعلم. الخامس: قال الشيخ: إن الرد للروح يستلزم الاستمرار، لأن الزمان لا يخلو ممن يصلي عليه في أقطار الأرض. السادس: قد يقال: أوحى الله إليه بهذا الأمر أولا قبل أن يوحى إليه فإنه لا يزال حيا في قبره فأخبره به أوحى إليه بعد ذلك فلا منافاة بتأخير الخبر الثاني عن الأول. قلت: وهذا يحتاج إلى نقل، والله تعالى أعلم. السابع: قال الشيخ تاج الدين الفاكهاني في كتابه (الفجر المنير) فيما فضل به البشير (النذير): [المراد بالروح هنا النطق مجازا فكأنه - صلى الله عليه وسلم - قال: إلا رد الله إلي نطقي وهو حي على الدوام، لكن لا يلزم من حياته نطقه، فالله سبحانه وتعالى يرد عليه النطق عند سلام كل مسلم، وعلاقه المجاز أن النطق من لازمه وجود الروح، كما أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل والقوة فعبر - عليه الصلاة والسلام - بأحد المتلازمين عن الآخر، وفي تحقيق ذلك أن عود الروح لا يكون إلا مرتين عملا بقوله تعالى: (وقالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) [غافر: ١١] قال الشيخ رحمه الله تعالى: في كلامه أمران: أحدهما: أنه عزى الحديث للترمذي وإنما رواه أبو داود. الثاني: ظاهر كلامه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مع كونه حيا في البرزخ يمنع عنه النطق في بعض الأوقات، ويرد عليه عن سلام المسلم عليه، وهذا بعيد جدا بل ممنوع فإن العقل والنقل يشهدان بخلافه. أما النقل فإن الأخبار الواردة عن حاله وحال الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في البرزخ مصرحة بأنهم ينطقون كيف يشاءون لا يمنعون من شئ بل وسائر المؤمنين كذلك، والشهداء وغيرهم ينطقون في البرزخ بما شأؤوا غيره من شئ ولم يرد أن أحدا يمنع من النطق في البرزخ إلا من مات عن غير وصية. وروى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب (الوصايا): عن قيس بن قبيصة قال: قال

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى قيل: يا رسول الله، وهل نكلم الموتى؟ قال: (نعم). قال السبكي: حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا ويشهد له صلاة موسى في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسدا جيدا، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلهم صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب، وأما الحركات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى، وأما العقل، فلأن الحبس عن النطق في بعض الأوقات فيه نوع حصر وتعذيب، ولهذا عذب به تارك الوصية والنبي - صلى الله عليه وسلم - منزه عن ذلك، ولا يلحقه بعد وفاته حصر أصلا بوجه من الوجوه كما قال لفاطمة - رضي الله تعالى عنها -: في مرض وفاته (لا كرب على أبيك بعد اليوم) وإذا كان الشهداء وسائر المؤمنين من أمته إلا من استثنى من المعذبين لا يحضرون بالمنع من النطق فكيف به - صلى الله عليه وسلم -، فائدة: لفظ: الحديث الذي سقناه لفظ البيهقي.

ولفظ: أبي داود (إلا رد الله علي). قال الشيخ: ورواية البيهقي ألطف وأنسب، فإن بين التعديتين فرقا لطيفا فإن رد يعدي ب (على) في الإهانة ويألي في الإكرام. قال في (الصاح): رد عليه الشيء إذا لم يقبله، وكذا إذا خطأه وتقول: رده إلى منزله ورد إليه جوابا أي رجع. وقال الراغب: من الأول قوله تعالى: (يردكم على أعقابكم) [آل عمران: ١٤٩] (ونرد على أعقابنا) [الأنعام: ٧١] ومن الثاني: (فرددناه إلى أمه) [القصص: ١٣] (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) [الكهف: ٣٦]، (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) [التوبة: ٩٤] (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) [الأنعام: ٦٣]. وذكر الشيخ - رحمه الله تعالى - أجوبة كثيرا فليراجعها من أرادها من فتاويه. قلت: وأقوى الأجوبة الأول ونكتته الثالث والرابع. الثالث: لا يقال: لو كان النبي - صلى الله عليه وسلم - حيا في قبره دائما لزم كونه محصورا في القبر أو مسجوناً فيه لأننا نقول: قد ورد أن المؤمن يفسح له في قبره كمد البصر فكيف بالنبي - صلى الله عليه وسلم - الرابع: إن قيل: فإذا كانوا أحياء قد أحياهم الله تعالى بعد موتهم فيلزم من ذلك أنهم

[٣٦٦]

يموتون موتة ثانية عند النفخ في الصور فيذوقون الموت أكثر من غيرهم أجاب الإمام الحافظ صلاح الدين العلائي في ترجمة موسى - صلى الله عليه وسلم - بأنه إذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض، فلا شك أن صعق غير الأنبياء بالموت وأما صعق الأنبياء فالظاهر أنه غشية وزوال استشعار لا موت كغيرهم، لئلا يلزم أنهم يموتون مرتين، وهذا ما اختاره الإمام البيهقي والقرطبي وغيرهما أن صعقهم يومئذ ليس موتاً بل غشي أو نحوه. ويدل لصحته قوله: صلى الله عليه وسلم -: (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور فلم يكن حيا قبلي) فإن هذا يقتضي أنه إذا نفخ النفخة الثالثة وهي نفخة البعث يفيق من كان مغشيا عليه، ويحيى من كان ميتا والنبي - صلى الله عليه وسلم - وكذلك غيره من الأنبياء لم يحصل لهم إلا الغشي. والحاصل أن نبينا - صلى الله عليه وسلم - تحقق أنه أول من يفيق وأول من يخرج من قبره قبل الناس كلهم الأنبياء وغيرهم إلا موسى - عليه الصلاة والسلام - فإنه يحصل له تردد هل بعث قبله أو بقي علي الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق. قال العلائي: وهذا وجه أقوى ما يقرر عليه هذا الحديث وهو الذي لا يصح غيره. [الحره... المهمة... الصور]... (١)

(١) سقط في ب. (*).

[٣٦٧]

الباب الثاني عشر في صلاته في قبره وكذلك سائر الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قال الإمام جمال الدين الأردبيلي في (الأنوار) في الفقه والأنبياء. روى أبو نعيم والبيهقي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون). وروى أبو نعيم في (الحلية) عن يوسف بن عطية قال: سمعت ثابتا يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحدا يصل في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا. وروى مسلم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة أسرى به

مر على موسى - عليه الصلاة والسلام - وهو قائم يصلي في قبره. وروى أبو نعيم في (الحلية) عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بقبر موسى - عليه الصلاة والسلام - وهو قائم يصلي فيه. تنبيهات الأول: قال العلامة جمال الدين محمود بن جملة: وهذا الحديث صريح في إثبات الحياة لموسى - صلى الله عليه وسلم - فإنه وصفه بالصلاة وذكر أنه كان قائما ومثل هذا لا يوصف به الروح فقط، وإنما يوصف به مع الجسد فإنه لا يقوم يصلي إلا بعودة الروح إليه، فتلك كرامة عظيمة فإنه يفسح له في قبره فيكون عمله في العبادة متصل بعد وفاته وهذه الرواية رؤية عين، لأن مذهب أهل السنة أن الإسرائ كان بالجسد، وإن سلم أنه بالروح فرؤية الأنبياء حق لا شك فيها. الثاني: إن قيل: إن الصلاة من أعمال الدنيا فكيف يصلي من فارق الدنيا أحيب بأن الصلاة هنا قد تكون بمعنى الدعاء والذكر وهو من أعمال الآخرة. الثالث: روى ابن أبي بشر عن شيبان بن حسر عن أبيه قال: كنت فيمن أدخل ثابت البناني في قبره فرفعت لبنة أصلحها فإذا بالقبر وفيه ثابت يصلي، فطبقت اللبنة، ثم سألت أهله فقلت أخبروني ما كان ثابت يسأل ربه عز وجل ؟ فقالت: كان يقول: اللهم، إن كنت أعطيت أحدا الصلاة في قبره فأعطيني ذلك وجاءت هذه الحكاية من غير وجه، والله تعالى أعلم.

[٣٦٨]

الباب الثالث عشر في عرض أعمال أمته عليه، زاده الله فضلا وشرفا لديه روى الإمام أحمد والنسائي وابن حبان والطبراني في (الكبير) وأبو الشيخ في (العظمة) والبزار - بسند صحيح - وأبو نعيم في (الحلية) والحاكم والبيهقي في (الشعب) عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام). قال: [...]. وروى الديلمي عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا صليتم علي فأحسنوا الصلاة، فإنكم لا تدرن لعل ذلك يعرض علي فقولوا: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير وإمام الرحمة، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغيظه به الأولون والآخرون. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: المعروف أنه موقوف على ابن مسعود. وروى ابن ماجة والطبراني في (الكبير) عن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أكثرنا من الصلاة علي يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة وإن أحدا لن يصلي علي إلا عرضت علي صلواته حتى يفرغ منها) قيل: وبعد الموت ؟ قال: (وبعد الموت، إن الله حرم علي الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء). وروى الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبوري عيدا وصلوا علي، فإن صلواتكم تبلغني حيث ما كنتم). وروى الإمام أحمد في مسنده وابن أبي عاصم في الصلاة له والبيهقي في (حياة الأنبياء) و (شعب الإيمان) وغيرهما أبو داود والنسائي وابن ماجة في سننهم وابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما والحاكم وقال: هذا صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض وفيه النفخة، وفيه الصعقة فأكثرنا علي من الصلاة فيه، فإن صلواتكم معروضة علي قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلواتنا عليك، وقد أرميت ؟ يعني - بليت - قال: إن الله عز وجل حرم علي الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء انتهى.

الباب الرابع عشر في حكم تركته - صلى الله عليه وسلم - وما خلف
 روى الإمام أحمد عن أبي بكر - رضي الله تعالى عنه -، أن النبي -
 صلى الله عليه وسلم - لا يورث وإنما ميراثه للفقراء والمساكين. وروى
 ابن عساکر عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - قال: (والله لا تقتسم ورثتي بعدي ديناراً ما
 تركت من شيء بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة). وروى
 الترمذي وقال: حسن غريب من أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله
 عليه وسلم - قال: (لا نورث). وروى الإمامان مالك وأحمد ومسلم
 وأبو داود والترمذي والنسائي عن عمر وعثمان وعلي وسعد بن أبي
 وقاص وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف والإمامان مالك وأحمد
 والشيخان عن عائشة ومسلم والترمذي عن أبي هريرة - رضي الله
 تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا نورث ما
 تركنا صدقة). وروى الإمام أحمد والشيخان والعربي وأبو داود
 والنسائي: (لا نورث ما تركنا صدقة وإنما يأكل آل محمد في هذا
 المال). وروى أبو داود عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا نورث ما تركنا صدقة وإنما
 هذا المال لآل محمد لنائبتهم، ولضيفهم، فإذا مت فهو إلى ولي الأمر
 من بعدي). وروى ابن سعد والإمام أحمد والشيخان وأبو داود
 والنسائي وابن الجارود وأبو عوانة وابن حبان والبيهقي عن عائشة -
 رضي الله تعالى عنها - أن فاطمة - رضي الله تعالى عنها - بنت
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسلت إلى أبي بكر تسأله
 ميراثها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما أفاء الله على
 رسوله وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي - صلى الله عليه وسلم -
 التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا نورث ما تركنا صدقة
 وإنما يأكل آل محمد من هذا المال يعني مال الله ليس لهم أن يزيدوا
 على المأكل وإنني والله، لا أغير شيئاً من صدقة النبي - صلى الله
 عليه وسلم - عن حالها التي كانت عليها في عهد النبي - صلى الله
 عليه وسلم - ولأعملن فيها بما عمل النبي - صلى الله عليه وسلم
 - فيها فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة على
 أبي بكر - رضي الله تعالى عنها - في ذلك.

فقال: والذي نفسي بيده، لقراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم
 - أحب إلي أن أصل قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه
 الأموال، فإنني لم أك فيها عن الحق وإنني لم أكن لأترك فيها أمراً
 رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصنعه فيها إلا صنعته.
 وروى ابن سعد - برجال ثقات - سوى الواقدي - عن عمر بن الخطاب
 - رضي الله تعالى عنه - قال: (لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم - بويح لأبي بكر في ذلك اليوم فلما كان
 من الغد جاءت فاطمة لأبي بكر معها علي فقالت: ميراثي من رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -:
 أمن الرثة أو من العقد قالت: فدك وخيبر وصدقاته بالمدينة، أرثها كما
 يرثك بناتك إذا مت، فقال أبو بكر: أبوك والله خير مني وأنت الله خير
 من بناتي، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا نورث ما
 تركنا صدقة)، يعني هذه الأموال القائمة، فتعلمين أن أباك أعطاكها
 فوالله، لئن قلت: نعم لأقبلن قولك، ولأصدقنك قالت: جاءني أم أيمن
 فأخبرتني أنه أعطاني فدك، قال عمر: فسمعته يقول: هي لك فإذا
 قلت قد سمعته فهي لك، فأنا أصدقك، وأقبل قولك، قالت قد أخبرتك
 ما عندي. وروى ابن سعد عن جعفر قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر،
 تطلب ميراثها، وجاء العباس بن عبد المطلب يطلب ميراثه وجاء
 معهما علي فقال أبو بكر: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

(لا نورث ما تركنا صدقة) وما كان النبي يعول فعلي فقال علي: (ورث سليمان داود) [النمل: ١٦] وقال زكريا: (يرثني ويرث من آل يعقوب) [آل يعقوب] [مريم: ٦] قال أبو بكر: هو هكذا، وأنت الله أعلم مثل ما أعلم فقال علي: هذا كتاب الله ينطق فسكتوا وانصرفوا. وروى عبد الرزاق والإمام أحمد وعبد بن حميد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وأبو عوانة وابن حبان وابن مردويه والبيهقي وأبو عبيد في (الأموال) عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: أرسل إلي عمر بن الخطاب حجته فجاء يرفأ فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد قال: نعم، ثم جاء، فقال: هل لك في عباس وعلي؟ قال: نعم فدخلوا، قال عمر: أنشدكم بالله الذي يآذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا نورث ما تركنا صدقة)، فقالوا: نعم، فأقبل علي عباس وعلي فقال: أنشدكما بالله الذي تقوم السماء والأرض يآذنه، أتعلمان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا نورث ما تركنا صدقة) قال: نعم، قال عمر: فإن الله كان خص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره قال: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله وللرسول ولذي القربى) [الحشر: ٧] فقسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينكم أموال بني النضير، فوالله، ما أستأثر عليكم، ولا أخذها دونكم حتى دونكم حتى بقي هذا المال، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأخذ منه نفقة سنة

[٣٧١]

ثم يجعل ما بقي أسوة المال، ثم قال: أنشدكم بالله الذي يآذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم نشد عباسا وعلياً بمثل ما نشد به القوم: أتعلمان ذلك؟ قالوا: نعم، فلما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجتتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا نورث ما تركنا صدقة) فرأيتماه كاذبا أثما غادرا خائنا والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر فقلت: أنا ولي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وولي أبي بكر فرأيتماني كاذبا أثما غادرا خائنا والله يعلم أنني لصادق بار راشد تابع للحق فوليتماني حتى جتتني أنت وهذا وأنتم جميع، وأمركم واحد، فقلتما ادفعها إلينا فقلت: إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه أن تعملوا فيه بالذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر يعملان فيها فأخذتماها بذلك فقال أكذلك؟ قالوا: نعم ثم جتتني لأقضي بينكما ولا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما فرداها إلي. وروى الإمام أحمد والشيخان والبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها - أن فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا نورث ما تركنا صدقة) فغضبت فاطمة فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ستة أشهر فكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خيبر وفدك وصدفته بالمدينة فأبى أبو بكر ذلك، وقال: لست تاركا شيئا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمه إلا عملته، فإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ. وروى الحميدي عن زر بن حبيش قال: سألت عائشة عن ميراث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت: أعن ميراث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تسأل؟ ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صفراء ولا بيضاء ولا شاة ولا بعيرا ولا عبدا ولا أمة ولا ذهباً ولا فضة. وروى البخاري عن عمرو بن الحارث

ختن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخي جويرة بنت الحارث قال: ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند موته ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بلغته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة. وروى الإمام أحمد وابن عساكر عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما ترك ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا وليدة وترك درعه عند يهودي علي ثلاثين صاعاً من شعير. وروى ابن عساكر عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: والله، ولا تقتسم ورثتي

[٢٧٢]

بعدي، ما تركت من بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة. وروى الإمام أحمد وابن عساكر من طرق ومسلم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء. وروى البخاري عن ابن عباس ومحمد ابن الحنفية قال: ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا ما بين الدفتين. وروى البخاري عن عاصم الأحول قال: رأيت قدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند أنس - وكان قد انصدع فسلسله بفضة قال: وهو قدح عريض من نضار قال معمر: والنضار شجر بـ (نجد) وقال أنس: لقد سقيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذا القدح وكان فيه حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من فضة أو ذهب فقال أبو طلحة: لا تغيره كما كان عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فتركه. وروى عن عيسى بن طهمان قال: أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبيلان، قال: فحدثني ثابت بعد عن أنس أنهما نعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وروى البيهقي عن فاطمة بنت الحسين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قبض وله بردان في الحق يعملان. وروى أيضاً عن سهل بن سعد قال: توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وله جبة صوف في الحياكة. تنبيهات الأول: قوله - صلى الله عليه وسلم - لا نورث ما تركنا صدقة. قال الباجي: أجمع أهل السنة على أن هذا حكم جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وقال ابن عليه: هذا لنبينا - صلى الله عليه وسلم - خاصة. وقالت: الإمامية: إن جميع الأنبياء يورثون وتعلقوا في ذلك بأنواع من التخليط لا شبهة فيها مع ورود هذا النص. قال: وقد أخبرني القاضي أبو جعفر السمرقاني أن أبا علي بن شاذان وكان من أهل العلم بهذا الشأن إلا أنه لم يكن قرأ عربية فناظر يوماً في هذه المسألة أبا عبد الله بن المعلم، وكان إمام الإمامية، وكان مع ذلك من أهل العلم بالعربية فاستدل ابن شاذان على أن الأنبياء لا يورثون بحديث: (إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة) نصب على الحال.

[٢٧٣]

فقال له ابن المعلم: أما ذكرت من هذا الحديث وإنما هو صدقة نصب على الحال فيقتضي ذلك أن ما تركه النبي - صلى الله عليه وسلم - على وجه الصدقة لا يورث عنه، ونحن لا نمنع هذا وإنما نمنع ذلك فيما تركه على غير الوجه، واعتمد هذه النكتة الغربية لما عرف أن ابن شاذان لا يعرف هذا الشأن ولا يفرق بين الحال وغيرها، فلما عاد الكلام إلى ابن شاذان، قال له: ما ادعيت من قوله - صلى الله عليه وسلم - (لا نورث ما تركنا صدقة) إنما هو صدقة منصوبة على الحال، وأنت لا تمنع هذا الحكم فيما تركه الأنبياء - صلوات الله عليهم - على هذا الوجه فأنا لا نعلم فرقا بين قوله (ما تركنا صدقة) بالنصب وبين قوله (ما تركنا صدقة) بالرفع ولا أحتاج في هذه المسألة إلى معرفة ذلك فإنه لا شك عندي وعندك أن فاطمة - رضي الله تعالى عنها -

من أفصح العرب ومن أعلمهم بالفرق بين قوله: (ما تركنا صدقة) بالنصب و (ما تركنا صدقة) بالرفع، وكذلك العباس بن عبد المطلب وهو ممن كان يستحق الميراث لو كان موروثا وكان علي بن أبي طالب من أفصح قريش وأعلمهم بذلك وقد طلبت فاطمة ميراث أبيها، فأجابها أبو بكر الصديق بهذا اللفظ على وجهه ففهمت منه أنه لا شئ لها، فانصرفت عن الطلب، وفهم ذلك العباس وكذلك علي وسائر الصحابة ولم يعترض أحد منهم لهذا الاعتراض، وكذلك أبو بكر الصديق المحتج به والمتعلق به، لا خلاف أنه من فصحاء العرب العالمين بذلك لم يورد من هذا اللفظ إلا بما يقتضي المنع، ولو كان اللفظ لا يقتضي المنع لما أورده ولا يتعرق به فأما أن يكون بالنصب يقتضي ما يقوله فادعائك فيما قلت باطل وإما أن يكون الرفع هو الذي يقتضيه فهو المروي وإدعاء النصب فيه باطل. الثاني: ذكر ابن إسحاق في قصة تبوك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعطى أهل أيلة برده مع كتابه الذي كتب لهم أمانا لهم وهي التي كانت عند الخلفاء اشتراها أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار فهي عندهم. الثالث: في بيان غريب ما سبق: لا الا:..... الرثة:.. العقد:... وليدة:... الدفتين:... انصدع:...

[٢٧٤]

النصار:... الجرداوين:... الحق: هو الخشبة التي يلف عليها. الحائك: الثوب ويسمونه النول، ويقال الحق الذي ينسج به انتهى.

[٢٧٥]

جماع أبواب زيارته - صلى الله عليه وسلم - بعد موته وفضلها الباب الأول في فضل زيارته - صلى الله عليه وسلم - قال القاضي عياض في (الشفاء) وزيارة قبر - صلى الله عليه وسلم -: سنة من سنن المرسلين [مجمع عليها] (١) وفضيلة مرغب فيها. وإذا قرب من المدينة فلينزل عن راحلته ويكفي زائرته شرفا قوله - صلى الله عليه وسلم -: (من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي، ومن زارني وجبت له شفاعتي). قال ابن الرشيد والإمام العلامة: لما قدمنا المدينة الشريفة في سنة أربع وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم وكان أرمدا فلما وصلنا دار الخليفة ونحوها نزلنا عن الأكوار وقوى الشوق لقرب المزار فنزل وبادر إلى المشي على قدميه احتسابا بتلك الآثار وإعظاما لمن حل بتلك الديار فأحس بالشفاء في نفسه فأنشد في نفسه لوصف الحال: ولما رأينا من ربوع حبيبنا * بيثرب أعلاما أترن لنا الحبا وبالقرب منها إذ كحلنا عيوننا * شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا وحين تبتدى للعيون جمالها * ومن بعدها عنا أزيلت لنا قربا نزلنا على الأكوار نمشي كرامة * لمن حل فيها أن يلم بها ركبا فسح سجال الدمع في عرصاته * وتلثم من حب لواطئه التريا وإن بقائي دونه لخسارة * ولو أن كفى تملك الشرق والغربا فيا عجبا ممن يجب بزعمه * يقيم مع الدعوى ويستعمل الكذبا وزلات مثلي لا تعدد كثرة * وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا وحكى عن بعضهم أنه لما أشرف على المدينة الشريفة أنشد متمثلا: رفع الحجاب لنا فلاح لناظري * فمر تقطع دونه الأوهام

(١) سقط في ب. (*)

وإذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام قربنا من خير من وطى الثرى * ولها علينا حرمة وذمام وروى الإمام أحمد برجال الصحيح عن يعلى بن مرة - رضي الله تعالى عنه - قال: نزلنا منزلا فنام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيتها ثم رجعت إلى مكانها فلما استيقظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكرت له فقال: هي شجرة استأذنت ربها عز وجل أن تسلم علي فأذن لها، فإذا كان هذا حال شجرة فكيف بالمؤمن المأمور بتعظيم هذا النبي الكريم الممتلئ القلب بالشوق إليه. وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة). وروى الدارقطني عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من زار قبري وجبت له شفاعتي). ورواه في أماليه من طريق موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر - مصغرا - لكن رواه الدولابي في الكني من طريق موسى بن هلال فقال عن عبد الله بن عمر العمري أبو عيد الرحمن أخو عبيد الله عن نافع به، ورواه البزار عن طريق عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو متروك. وروى أبو داود الطيالسي عن سوار بن ميمون أبو الجراح العيدي قال: حدثني رجل من آل عمر عن عمر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من زار قبري أو قال: من زارني كنت له شفيعا وشهيدا). وروى الدارقطني من طريق هارون بن أبي قرعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي). وروى الطبراني عن ابن عمر قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي). ورواه الدارقطني من طريق آخر بلفظ: (من حج فزار قبري فذكره) ورواه أيضا الطبراني بهذا اللفظ. وروى العقيلي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيدا أو شفيعا). وروى أبو الفتوح سعيد بن محمد في (حزبه) عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه -

قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من زارني بعد موتي كمن زارني وأنا حي ومن زارني كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة). وروى يحيى بن الحسن الحسيني وابن عساكر عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جافاني). وروى يحيى بن الحسن بن جعفر العلوي عن رجل عن بكر بن عبد الله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من أتى المدينة زائر إلي وجبت له شفاعتي يوم القيامة) رجلا لا بأس بهم وبكر بن عبد الله إن كان المدني فهو تابعي جليل فيكون الحديث مرسلًا وإن كان هو بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصاري فهو صحابي. تنبيهات الأول: ضعف الحافظ يحيى بن علي القرشي كون الرواي عبد الله مكبرا، وصوب كونه مصغرا وكذلك صوبه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه كما في النسخة التي بخط الحافظ البرزالي. قال ابن عدي: عبد الله - أي مكبرا - أصح. قال السبكي: وفيه نظر والذي يترجح عبيد الله أي مصغرا لتضافر روايات عبيد بن محمد كلها وبعض روايات ابن سمرة ولما سيأتي في الحديث الثالث من متابعة مسلمة الجهمي لموسى بن هلال، ويحتمل أن موسى سمع من عبد الله وعبيد الله جميعا، وحدث به عن هذا تارة وعن هذا أخرى،

وممن رواه عن موسى عن عبد الله مكبرا الفضل بن سهل، فإن صح أنه عنهما فلا منافاة على أن المكبر روى له مسلم مقرونا بغيره. وقال أحمد: صالح، وقال أبو حاتم: رأيت أحمد بن حنبل يحسن الثناء عليه. وقال: يحيى بن معين: ليس به بأس يكتب حديثه. وقال: إنه في نافع: إنه صالح. وقال ابن عدي: لا بأس به، صدوق. وقال ابن حبان: ما حاصله: أن الكلام فيه بكثرة غلظه لغلبة الصلاح عليه حتى غلب عن ضبط الأخبار. قال السبكي: وهذا الحديث ليس في مظنة الالتباس عليه لا سنداً ولا متناً، لأنه في نافع كما هو خصيص به ومتمنه في غاية القصر والوضوح فاحتمال خطئه فيه بعيد، والرواية إلى موسى ثقات لا ريبه فيهم.

[٢٧٨]

قال ابن عدي أرجو أنه لا بأس به، وقد روى عنه ستة منهم الإمام أحمد ومحمد بن جابر المحاربي روى عنه شعبة ولم يكن يروي إلا عن ثقة عنده، فلم يبق من الإسناد من ينظر فيه إلا الرجل المبهم. قال السبكي: والأمر فيه قريب لا سيما في هذه الطبقة التي هي طبقة التابعين وأما قول البيهقي: هذا إسناد مجهول، فإن كان سببه جهالة الرجل الذي من آل عمر فصحيح، وقد بينا قرب الأمر فيه، وإن كان سببه عدم علمه لحال سوار بن ميمون، فقد ذكرنا رواية شعبة عنه، وهي كافية فلا يضره قول أبي حاتم الرازي أنه مجهول الحال، وقول العقيلي: لا يتابع عليه، وقول البيهقي: سواء قال عبيد الله أم عبد الله فهو منكر عن نافع عن ابن عمر لم يأت به غيره، فهذا وما في معناه يدلك على أنه لا علة لهذا الحديث عندهم إلا تغرد موسى به وأنهم لم يحتملوه له لخفاء حاله وإلا فكم من ثقة يتفرد بأشياء ويقبل منه، وأما بعد قول ابن عدي في موسى ما قال، ووجود متابع فإنه يتعين قبوله وعدم رده، ولذلك ذكره الحافظ عبد الحق في الأحكام [الصغرى، والوسطى] (١) وسكت عنه مع قوله في الصغرى إنه تغيرها صحيح الإسناد معروفة عند النقاد قد نقلها الأنبيات وتداولها الثقات. وقال في الوسطى: وهي المشهورة اليوم بالكبرى: إن سكوته عن الحديث دليل على صحته فيما نعلم انتهى. وسبقه ابن السكن إلى تصحيح الحديث الثالث، كما سنذكره وهو متضمن لمعنى هذا الحديث وأقل درجات الحديث الحسن أن نوزع في صحته لما سيأتي من شواهد. هذا وتظافر الأحاديث يزيد بها قوة حتى إن الحسن قد يرتقي بذلك إلى درجة الحديث الصحيح. ومعنى قوله: (وجبت) أنها ثابته لا بد منها بالوعد الصادق. وقوله له إما أن يكون المراد له بخصوصه فيخص الزائر بشفاعته لا تحصل لغيره، وإما أن يراد أنه تغرد بشفاعته لا تحصل لغيره، والإفراد للتشريف والتقوية بسبب الزيارة. وإما أن يراد به بركة الزيارة والشفاعة، فهو يبشر بموته مسلماً فيجري على عمومته، ولا يضر فيه شرط الوفاة على الإسلام بخلافه على الأولين. وقوله: (شفاعتي) في هذه الإضافة تشريف، فإن الملائكة والنبين والمؤمنين يشفعون والزائر له نسبة خاصة منه فيشفع فيه هو بنفسه.

(١) في ب الأولى والصغرى. (*)

[٢٧٩]

والشفاعة تعظيم بعظم الشافع. وعن ابن عمر أيضاً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من زار قبري حلت له شفاعتي) رواه البزار بسند ضعيف قال السبكي: وهذا الحديث هو الأول بعينه إلا أن في

الأولى (وجبت) وفي هذا (حلت). وعن ابن عمر أيضا قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من جاءني زائرا يعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة). رواه الطبراني في (الأوسط) والدارقطني في أماليه وصححه وأبو بكر بن المقرئ في (معجمه) من رواية مسلمة بن سالم الجهني قال: حدثني عبيد الله بن العمري مصغرا عن نافع به وفي معجم ابن المقرئ عن نافع وسالم، فقد تابع مسلمة الجهني موسى بن هلال في شيخه عبيدالله العمري والطبراني كلها في روايته متفقة على عبيدالله المصغر الثقة إلا أن مسلم بن حاتم الأنصاري رواه عن مسلمة مكبرا، وهذا طريق أورده الحافظ أبو علي بن السكن في باب من زار قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - من كتابه المسمى بـ (الصحاح المأثور) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ومقتضى ما شرطه في خطبته أن يكون هذا الحديث مما أجمع عليه في صحته فإما أن يكون ثبت عنده من غير طريق مسلمة، أو أنه ارتقى إلى ذلك بكثرة الطرق، وتبويه دال على أنه فهم من الحديث الزيارة بعد الموت أو أن ما بعد الموت داخل في العموم وقال العلامة جمال الدين محمود بن حملة بعد هذا الحديث: ويرتقى إلى درجة الحسن الذي يحتج به في الأحكام فكيف في باب الفضائل والقرب فما يعارضه شيء قال السبكي: وهو صحيح. قال الحافظ ابن حجر في تخرجه أحاديث الرافعي الكبير: طرق هذا الحديث كلها ضعيفة، لكن صححه من حديث ابن عمر أبو علي بن السكن في إيرادها في أثناء السنن الصحاح له وعبد الحق في سكوته عنه، والشيخ تقي الدين السبكي من المتأخرين باعتبار مجموع طرقه. الثاني: أورده البيهقي في باب زيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - في قبره حديث أبي هريرة السابق في باب حياته في قبره، وصدر به واعتمد جماعة من الأئمة في الزيارة على هذا الحديث. قال السبكي: وهو اعتماد صحيح لتضمنه قرينة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ورده وهي مرتبة شريفة ومنقبة عظيمة ينبغي التعرض لها والحرص عليها لينال بركة سلامه - صلى الله عليه وسلم - لفظ الإمام أحمد (ما من أحد يسلم علي في قبري) فإن ثبت فهذا صريح في تخصيص هذه الفضيلة بالمسلم عند القبر وإلا فالمسلم عند القبر امتياز بالواجبة بالخطاب ابتداء وجوابا ففيه فضيلة زائدة على الرد على الغائب.

[٢٨٠]

الباب الثاني في الدليل على مشروعية السفر وشد الرحل لزيارة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استدلت العلماء - رضي الله تعالى عنهم - على مشروعية زيارته وشد الرحل لذلك بالكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. أما الكتاب فقولته تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) [النساء: ٦٤] وجه الدلالة من هذه الآية مبني على شيئين: أحدهما: أن نبينا - صلى الله عليه وسلم - حي كما يثبت ذلك في بابه. الثاني: أن أعمال أمته معروضة عليه كما يثبت ذلك في بابه. فإذا عرف ذلك فوجه الاحتجاج بها حينئذ أن الله تعالى أخبر أن من ظلم نفسه ثم جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستغفر الله تعالى واستغفر له الرسول فإنه يجد الله توابا رحيمًا، وهذا عام في الأحوال والأزمان للتعليق على الشرط، وبعد تقرير أن نبينا - صلى الله عليه وسلم - بعد موته عارف بمن يجئ إليه سامع الصلاة ممن يصلي عليه، وسلام من يسلم عليه، ويرد عليه السلام فهذه حالة الحياة، فإذا سأله العبد استغفر له، لأن هذه الحالة ثابتة له في الدنيا والآخرة، فإنه شفيع المذنبين وموجبها في الدارين الحياة والإدراك مع النبوة، وهذه الأمور ثابتة له في البرزخ أيضا فتصح الدلالة حينئذ وفاء بمقتضى الشرط. وقد استدلت الإمام مالك على ذلك بهذه الآية كما ذكرته في باب مشروعية التوسل به - صلى الله عليه وسلم - وحكى المصنفون في المناسك من أرباب المذاهب

عن أبي عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب العتبي أحد أصحاب سفيان بن عيينة قال: دخلت المدينة فأتيت قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فزرتة وجلست بحذاءه فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرسل، إن الله تعالى أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) [النساء: ٦٤] وإني جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم بكى وأنشد: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكرم نفسي الغداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

[٢٨١]

ثم استغفر وانصرف. قال العتبي: فرقدت فرأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في النوم، وهو يقول: الحق الأعرابي وبشره بأن الله غفر له بشفاعتي فأستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده (١). ورويت هذه القصة من غير طريق العتبي رواه ابن عساكر في (تاريخه) وابن الجوزي في (الوفاء) عن محمد بن حرب الهلالي وقد خمس هذه الأبيات جماعة منهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأقفسي. وروى الحافظ ابن النعمان في (مصباح الظلام في المستغثين بخير الأنام) من طريق الحافظ ابن السمعاني بسنده عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاثة أيام فرمى نفسه على القبر الشريف، وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله تعالى، ووعينا عنك وكان فيما أنزل عليك: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) [النساء: ٦٤] وقد ظلمت نفسي، وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر: إنه قد غفر لك. والآية دالة على الحث على المجئ إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - والاستغفار عنده واستغفاره لهم، وهذه رتبة لا تنقطع بموته - صلى الله عليه وسلم - والعلماء - رضي الله تعالى عنهم - فهموا من الآية العموم، بحالتي الموت والحياة واستحبوا لمن أتى القبر الشريف أن يتلوها ويستغفر الله تعالى. وأما السنة فما ذكر في الكتب وما ثبت من خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - من المدينة لزيارة قبر الشهداء، وإذا ثبت أن الزيارة قريبة فالسفر كذلك، وإذا الخروج للقريب جاز للبعيد، وحينئذ فقيره - صلى الله عليه وسلم - أولى، وقد وقع الإجماع على ذلك لإطباق السلف والخلف. قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى -: زيارة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - سنة بين المسلمين ومجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وأجمع العلماء على زيارة القبور للرجال والنساء كما حكاه النووي - رحمه الله تعالى - بل قال بعض الظاهرية بوجوبه، واختلفوا في النساء وقد امتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة به كما سبق. قال السبكي: ولهذا أقول: لا فرق بين الرجال والنساء. وأما القياس فعلى ما ثبت من زيارته - صلى الله عليه وسلم - لأهل البقيع وشهداء أحد، وإذا استحبت زيارة قبر غير فقيره أولى، لما له من الحق ووجوب التعظيم، وليست زيارته إلا لتعظيمه والتبرك

(١) لا تثبت من وجه صحيح. (*)

[٢٨٢]

به، ولتنا لنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافين به، وذلك من الدعاء المشروع له والزيارة قد تكون لمجرد تذكر الآخرة، وهو مستحب لحديث (زوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة) وقد تكون للدعاء لأهل القبور كما ثبت في زيارة أهل البقيع وقد تكون للتبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح. وقال أبو محمد الشامساحي المالكي: إن قصد الانتفاع بالميت بدعة إلا في زيارة قبر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وقبور الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - . قال السبكي: وهذا الاستثناء صحيح وحكمه في غيرهم بالبدعة فيه نظر، وقد تكون الزيارة لأداء حق أهل القبور، وقد روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (أنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا). قال السبكي: وزيارة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه المياني الأربعة فلا يقوم غيرها مقامها. تنبيه: كره الإمام أحمد ومالك - رحمه الله تعالى - أن يقال: زنا قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - . واختلف الأئمة في مراده بذلك فقال أبو عمران المالكي: إنما كره ذلك، لأن الزيارة، من شاء فعلها ومن شاء تركها، وزيارة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - واجبة. قال عبد الحق الصقلي: يعني من السنن الواجبة. وقال ابن رشد: ما كره مالك هذا إلا من وجه أن كلمة أعلى من كلمة فلما كانت الزيارة تستعمل في الموتى وقد وقع فيها من الكراهة ما وقع، كره أن يذكر مثل ذلك في النبي - صلى الله عليه وسلم - . واختار القاضي أن كراهة مالك لذلك لإضافة الزيارة إلى القبر - وأنه لو قال: زنا النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكره لحديث (اللهم، لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر قطعاً للذريعة. قال السبكي: وبشكل عليه حديث (من زار قبري [فقد أضاف الزيارة إلى القبر] إلا أن يكون هذا الحديث لم يبلغ مالكا أو لعله يقول: المحذور في قول غيره مع أن أبا عمر شذ فنقل عن مالك أنه قال: وأكره ما يقول الناس: زرت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأعظم ذلك أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - يزار.

[٢٨٢]

الباب الثالث في الرد على من زعم أن شد الرجل لزيارته - صلى الله عليه وسلم - معصية قد تقدم أنه انعقد الإجماع على تأكد زيارته، وحديث لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد حجة في ذلك. قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر بعد أن ذكر حديث الصحيحين أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يأتي قباء راكباً وماشياً ليس في إتيانه - صلى الله عليه وسلم - مسجد قباء ما يعارض الحديث الأول: لأن ذلك معناه عند العلماء فيمن نذر على نفسه صلاة في أحد المساجد الثلاثة أنه يلزمه إتيانها دون غيرها. وأما إتيان مسجد قباء وغيره من مواضع الرباط فلا بأس بإتيانها بدليل حديث قباء هذا. قال الإمام العلامة محمود بن جملة: وهو الذي ذكره هو الحق الذي لا محيد عنه، ولهذا تجد الأئمة من الفقهاء والمحدثين يذكرون الحديث في باب النذور والسفر للجهاد، ولتعليم العلم الواجب، وبر الوالدين، وزيارة الإخوان، والتفكير في آثار صنع الله تعالى، وكله مطلوب للشارع إما وجوباً، أو استحباباً، والسفر للتجارة. والأغراض الدنيوية جائزة ولكنه خارج عن هذا الحديث، فلم يبق إلا شد الرجل للمعصية، وحينئذ هو النوع، ولا يختص بشد الرجل، يا سبحان الله أن يكون السفر لزيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - من هذا القسم لقد اجترأ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قال هذا، وهو كلام يدور مع الاستهانة وسوء الأدب، وفي إطلاقه ما يقتضي كفر فائله نعوذ بالله من الخذلان، وكذا في قوله - صلى الله عليه وسلم - : (لا تتخذوا قبوري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً) يعارض ما سبق لأن سبأه يقتضي دفع توهم من توهم أن الصلاة عليه لا تكون مؤثرة إلا عند قبره فيفوت بسبب ذلك ثواب المصلي عليه من مصل، ولهذا قال -

صلى الله عليه وسلم -: (فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم) ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في جواز السفر وشد الرحل لغرض دينوي كالتجارة فإذا جاز ذلك فهذا أولى، لأنه أعظم الأغراض الأخروية فإنه في أصله من أمر الآخرة لا سيما في هذا الوضع ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في جواز السفر وشد الرحل لغرض أخروي كالاختبار بمخلوقات الله - عز وجل - آثار صنعه وعجائب ملكوته ومبتدعائه، وقد دل على هذا آيات كثيرة في الكتاب العزيز كقوله تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شئ قدير) [العنكبوت: ٢٠] والاعتبار لمن بصره الله تعالى بمثل هذا السفر، فإن المسلم العاقل يحصل له أعظم العبر فيتقرر عنده أن الدنيا ليست بدار مقام، وأن آخر أمرها شرب كأس

[٢٨٤]

الحمام، ويتذكر شدة الموت وسكراته، وما حصل للنبي - صلى الله عليه وسلم - من ذلك وهو أكرم الخلق على الله تعالى. قال العلامة زين الدين المراغي: وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته - صلى الله عليه وسلم - قربة للأحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) [النساء: ٦٤] الآية، لأن تعظيمه - صلى الله عليه وسلم - لا ينقطع بموته ولا يقال إن استغفار الرسول لهم إنما هو في حال حياته، وليست الزيارة كذلك لما قد أجاب به بعض أئمة المحققين من أن الآية دلت على تعليق وجدان الله توابا رحيمًا بثلاثة أمور: المجيء، واستغفار الرسول لهم، وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين، لأنه - صلى الله عليه وسلم - قد استغفر للجميع قال الله تعالى: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) [محمد: ١٩] فإذا وجد مجيئهم أو استغفارهم تكاملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته. ومشروعية السفر لزيارة قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أُلّف فيها الشيخ تقي الدين السبكي، والشيخ جمال الدين بن الزمليكاني والشيخ داود أبو سليمان المالكي وابن جملة وغيرهم من الأئمة وردوا على عصريهم الشيخ تقي الدين بن تيمية - رحمه الله تعالى فإنه قد أتى في ذلك بشئ منكر لا تغسله البحار (١) والله ولي التوفيق رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار.

(١) ولسنا نعتقد هذا في شيخ الإسلام فلقد جانب الصواب على شيخ الإسلام تقي الدين السبكي عليهما رحمة الله وبركاته. (*)

[٢٨٥]

الباب الرابع في آداب زيارته - صلى الله عليه وسلم - منها إخلاص النية وخلوص الطوية، فإنما الأعمال بالنيات فينوي التقرب إلى الله تعالى بزيارة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويستحب أن ينوي مع ذلك التقرب بالمسافة إلى مسجده - صلى الله عليه وسلم - وشد الرحل إليه والصلاة فيه كما قاله أصحابنا وغيرهم. قال ابن الصلاح: ولا يلزم من هذا خلل في زيارته على ما لا يخفى، ونقل شيخ الحنفية الكمال بن الهمام عن مشايخهم: أنه ينوي مع زيارة القبر زيارة المسجد ثم قال: إن الأولى عندي تجريد النية لزيارة قبره - صلى الله عليه وسلم - ثم إن حصل زيارة المسجد أو يستفتح فضل الله في مرة أخرى ينويها فيها، لأن في ذلك زيادة تعظيمه وإجلاله - صلى الله عليه وسلم - وليوافق قوله - صلى الله عليه وسلم - (لا تعمله حاجة إلا لزيارتي). قال السيد: وفيه نظر، لأنه -

صلى الله عليه وسلم - حث أيضا على قصد مسجده ففي امثاله تعظيمه أيضا وقوله: (لا تعمله حاجة) أي لم يحث الشرع عليها، وقد لا يسمح الزمان بزيارة المسجد، فليغتنم قصد ذلك مع الزيارة بل ينوي أيضا الاعتكاف فيه ولو ساعة، وإن تعلم فيه خيرا أو يتعلمه وأن يذكر الله تعالى فيه، ويذكر به وإكثار الصلاة والتسليم على النبي - صلى الله عليه وسلم - وختم القرآن إن تيسر والصدقة على جيرانه - صلى الله عليه وسلم - وغير ذلك ما يستحب للزائر فعله فينوي التقرب أولا ليثاب على القصد، فنية المؤمن خير من عمله، وينوي اجتناب المعاصي، والمكروهات حياء من الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - [ومنها: أن يكون دائم الأشواق إلى زيارة الحبيب الشفيق كلفا بالوصول إلى ذلك الجناب الرفيع والشوق إلى لقائه وطلب الوصول إلى مقامه من أظهر علامات الإيمان وأكبر بشائر الفوز يوم الفرع الأكبر بالأمن والإيمان ويزداد بالعزم شوقا وصباة، وكلما ازداد دنوا ازداد عزما وحنوا] (١). ومنها: الإكثار في المسير من الصلاة والسلام على البشير النذير بل يستغرق أوقات فراغه في ذلك وغيره من القربات. ومنها: إذا دنا من حرم المدينة وشاهد أعلامها وربابها وأكامها فليستحضر وظائف الخشوع والخضوع مستبشرا بالعناء وبلوغ المنال، وإن كان على دابة حركها أو بعيرا وضعه تباشرا بالمدينة.

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب (*)

[٢٨٦]

ولله در القائل: قرب الديار يزيد شوق الواله * لا سيما إن لاح نور جماله أو بشر الحادي بأن لاح النفا * وبدت على بعد رؤوس جباله فهناك عيل الصبر عن ذي صبوة * وبدا الذي يخفيه من أحواله وليجتهد حينئذ في مزيد الصلاة والتسليم وترديد ذلك كلما دنا من الربا والأعلام، ولا بأس بالترجل والمشى عند رؤية ذلك المجل الشريف والقرب منه كما يفعله بعضهم، لأن وفد عبد القيس لما رأوا النبي - صلى الله عليه وسلم - نزلوا عن رواحلهم ولم ينكر عليهم والعظمة بعد الوفاة كهو في الحياة. وقال أبو سليمان داود المالكي: في (الانتصار) إن ذلك يتأكد فعلة لمن أمكنه من الرجال، وأنه يستجب تواضعا لله تعالى وإجلالا لنبيه - صلى الله عليه وسلم - . وحكى القاضي أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة الشريفة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا: ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لنا نزلنا على الأكوام نمشي كرامة * لمن بان عنه أن نلم به ركبا والله در القائل: رفع الحجاب لنا فلاح لناظري * قمر تقطع دونه الأوهام وإذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام قريننا من خير من وطئ الثرى * ولها علينا حرمة وذمام وقال غيره: أتيتك راجلا ووددت أنني * ملكت سودا عيني أمتطيه ومالي لا أسير على الأماقي * إلى قبر رسول الله فيه ومنها إذا بلغ حرم المدينة الشريفة فليقل بعد الصلاة والتسليم: اللهم، هذا حرم نبيك ورسولك - صلى الله عليه وسلم - الذي حرمته على لسانه ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثلي ما هو في حرم مكة البيت الحرام، فحرممني على النار وأمني من عذابك يوم تبعث عبادك وارزقني من بركاته ما رزقت به أوليائك وأهل طاعتك ووفقني فيه بحسن الأدب وفعل الخيرات وترك المنكرات، ثم يشتغل بالصلاة والتسليم، وإن كانت طريقه على ذي الحليفة، فلا يجاوز

[٢٨٧]

المعرس حتى ينيخ به ويصلي بمسجده ومسجد ذي الحليفة. ومنها: أن يغتسل من بئر الحرة (١) لدخول المدينة الشريفة ولبس أنظف ثيابه وبتطيب وهو مستحب كما ذكره النووي وغير. وقال الكرمانى الحنفى: فإن لم يغتسل خارج المدينة فليغتسل بعد دخولها في حديث المنذر بن ساوى التميمي أنه وفد من البحرين مع أناس فذهبوا بسلاحهم فسلموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووضع المنذر سلاحه وليس ثيابا كانت معه ومسح لحيته بدهن فأتى نبي الله - صلى الله عليه وسلم - الحديث (٢) ولتجنب بعض ما يفعله المحرم من التحرر عن المخيط تشبها مجال الإحرام. ومنها إذا شاهد القبة المنيفة وشارف دخول المدينة الشريفة فليزلم الخشوع والخضوع مستحضرا عظمتها، وأنها البقعة التي اختارها الله تعالى لنبيه وحببيه ووصيفه - صلى الله عليه وسلم - وتمثل في نفسه مواقع أقدام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند نزوله فيها، وأنه ما من موضع يطؤه إلا موضع قدمه العزيز، فلا يضع قدمه عليه إلا مع الهيبة والسكينة متصورا خشوعه - صلى الله عليه وسلم - في المشي وتعظيم الله تعالى له، حتى قرن ذكره بذكره، وأحبط عمل من انتهك شيئا من حرمة ولو يرفع صوته فوق صوته، ويتأسف على فوت رؤيته في الدنيا، أنه من رؤيته في الآخرة على خطر لسوء صنعه وقبح فعله ثم يستغفر لذنبه، ويلتزم سلوك سبيله، ليفوز بالإقبال عند اللقاء، ويحظى بتحية القبول من ذي البقاء. ومنها: أن لا يخل بشئ مما أمكنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغضب عند انتهاك حرمة من حرمة أو تضييع شئ من حقوقه - صلى الله عليه وسلم - فإن من علامات المحب غيرة المحب لمحبة، وأفوى الناس ديانة أعظمهم غيرة وإذا خلا القلب من الغيرة فهو من المحبة خلا وإن زعم المحبة فهو كاذب. ومنها: أن يقول عند دخوله من باب البلد: بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا، حسبي الله، أمنت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، بحق ممشاي هذا إليك، فأني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسلك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وليحرص على ذلك كلما قصد المسجد ففي حديث أبي سعيد

(١) قيل الظاهر أنه أراد بئر السقيا التي بالحرة. (٢) لا يصح ولم يثبت أنه وفد. (*)

[٢٨٨]

الخدري - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا: من قال ذلك في مسيره إلى المسجد، وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له، ويقبل الله عليه بوجهه، ثم ليقوي في قلبه شرف المدينة، وأنها حوت أفضل بقاع الأرض بالإجماع وإن بعض العلماء قال: إن المدينة أفضل أمكنة الدنيا، وفيها أرض مشى جبريل في عرساتها، الله شرفها به وحماها. ومنها: أن يقدم صدقة بين يدي نجواه ويبدأ بالمسجد الشريف قبل التعرّيج على أمر من الأمور أي شئ هو إلى مباشرته في ذلك الوقت غير مضطر ولا مضرور، فإذا شاهد المسجد النبوي والمسجد المحمدي فليستحضر أنه أتى مهبط أبي الفتوح جبريل، ومنزل أبي الغنائم ميكائيل، والموضع الذي خصه الله تعالى بالوحي والتنزيل فليزدد خشوعا وخضوعا بهذا المقام ويقتضيه هذا المسجد الذي ترتعد دونه الأقدام ويجتهد في أن يوفقى للوفاء بحقه من التعظيم والقيام. ومنها ما قاله القاضي فضل الله بن نصر التوزي: من أن الدخول من باب جبريل أفضل وجرت عادة القادمين من ناحية باب السلام بالدخول منه، فإذا أراد الدخول فليفرغ قلبه وليستصف

ضميره، ويقدم رجله اليمنى، ويقول: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبنوره القديم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، رب وفقني وسددني وأصلحني، وأعني على ما يرضيك عني ويقف عند النبي بحسن الأدب ثم يقول في هذا الحضرة الشريفة: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ولا يترك ذلك كلما دخل المسجد أو خرج منه إلا أنه يقول عند خروجه، افتح لي أبواب فضلك بدل قوله: وافتح أبواب رحمتك. ومنها: إذا صار في المسجد فلينبو الاعتكاف مدة ليثه وإن قل على مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - فيجوز لما فيه من الفضل ثم ليتوجه إلى الروضة المقدسة، وإن دخل من باب جبريل فيقصد منها من خلف الحجرة الشريفة مع ملازمة الهيئة والوقار وملابسة الخشية والانكسار والخضوع والافتقار، ثم ليقف في مصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن كان خاليا وإلا فيما يلي المنبر من الروضة، وإلا ففي غيرها فيصلّي تحية المسجد ركعتين خفيفتين. ونقل العلامة زين الدين المراغي عن بعض مشايخه: أن محل تقدم التحية على الزيارة إذا لم يكن مروره قبالة الوجه الشريف فإن كان استحبت الزيارة أولا مع أن بعض المالكية ترخص في تقديم الزيارة على الصلاة.

[٢٨٩]

وقال: كل ذلك واسع. ومنها: أن يتوجه بعد ذلك إلى قبر الكريم مستعينا بالله تعالى في رعاية الأدب في هذا الموقف العظيم فيقف بخضوع وخشوع تجاه المسمار الفضة الذي بجدار المقصورة التي حول الحجرة الشريفة الواقف للزيارة خارجها عن مشاهدة ذلك المسمار إلا بتأكد يشغل القلب ويذهب الخشوع فيقصد الصدعة البائنة من باب المقصورة القلبي التي على يمين مستقبل القبر الشريف فإذا استقبلها كان محازيا لها، والزيارة من داخل المقصورة أولى، لأنه موقف السلف، والمنقول أن الزائر يقف على من رأس القبر الشريف نحو أربعة أذرع وقال ابن عبد السلام: على نحو ثلاثة أذرع، وعلى كل حال فذلك من داخل المقصورة بلا شك. وقال في الإحياء: فينبغي أن يقف بين يديه كما وصفنا فتزوره ميتا كما كنت تزوره حيا، ولا تقرب من قبره إلا ما كنت تقرب شخصه الكريم لو كان حيا انتهى. ولينظر الزائر في حال وقوفه إلى أسفل ما يستقبل من جدران الحجرة الشريفة ملتزما للحياء والأدب التام في ظاهره وباطنه. وقال الكرمانى الحنفي: يضع يمينه على شماله كما في الصلاة. وقال في الأحياء: وأعلم أنه - صلى الله عليه وسلم - عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه صلاتك وسلامك عليه فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بإزائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روى عنه - صلى الله عليه وسلم -: (إن الله وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من يسلم عليه من أمته). هذا في حق من لم يحضره قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إليه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة نبوته الكريمة انتهى. ثم يسلم الزائر ولا يرفع صوته ولا يخفيه بل يقصد، وأقله السلام عليك يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. وجاء عن ابن عمر وغيره من السلف - رضي الله تعالى عنهم - أن الاقتصار جدا وجرى عليه الإمام مالك، واختار بعضهم التطويل في السلام، وعليه الأكثرون ثم إن كان وصاه أحد بالسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله، أو نحوه من العبارات، ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع، فيصير تجاه أبي بكر الصديق فيقول: السلام عليك يا أبا بكر صفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وثانيه في الغار، ورفيقه في الأسفار جزاك الله عن أمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيرا.

[٢٩٠]

ثم يتأخر صوب يمينه قدر ذراع، فيصير تجاه عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فيقول: السلام عليك يا عمر الفاروق الذي أعز الله بك الإسلام جزاك الله عن أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - خير الجزاء ثم يرجع الزائر إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن أحسن ما يقول ما حكاه المصنفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوه ورأوه من أدب الزائر عن أبي عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عقبة بن أبي سفيان - صخر بن حرب - العتبي أحد أصحاب سفیان بن عيينة قال: دخلت المدينة فأتيت قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فزرتّه وجلست بحزائه فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرسل، إن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحیما) [النساء: ٦٤] وإنّي جئتک مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم بكى وأنشأ يقول: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم نفسي لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم ثم استغفر وانصرف فرقدت فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نومي وهو يقول: الحق الأعرابي، وبشره بأن الله تعالى غفر له بشفاعتي فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده، رواها ابن عساکر في تاريخه وابن الجوزي في كتابه: (مثير العزم الساكن) عن محمد بن حرب الهلالي أنه اتفق له مثل ما اتفق للعتبي ووردت هذه القصة من غير طريق العتبي فرواها. وروى ابن السمعاني عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاثة أيام فرمى نفسه على قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله تعالى ووعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك (ولو أنهم إذ ظلموا) [النساء: ٦٤] الآية فنودي من القبر قد غفر لك. وليجدد التوبة في ذلك الموقف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة نصوحا وليستشفع به - صلى الله عليه وسلم - إلى ربه في قبولها وليكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة الآية التي في قصة العتبي ويقول: نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حَقِّك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك إلى ربك تعالى، فإن الخطايا قد أثقلت ظهورنا، وأنت الشافع المشفع، والموعود بالشفاعة العظمى، والمقام والمحمود، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا، مستغفرين لذنوبنا، سائلين منك أن تستغفر لنا إلى ربك، فأنت نبينا وشفيعنا، فاشفع لنا إلى ربك واسأله أن يميتنا على سنتك ومحبتك، ويحشرنا في زمرك، وأن يوردنا حوضك، غير خزايا ولا ندامى.

[٢٩١]

وروى يحيى بن الحسن العلوي، عن ابن أبي فديك - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) [الأحزاب: ٥٦] صلى الله على سيدنا محمد وسلم. وفي رواية: صلى الله عليك يا رسول الله، يقولها سبعين مرة، ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان، لم يسقط لك اليوم حاجة، وينبغي تقدم ذلك على

التوسل والدعاء. قال المجد اللغوي: وروينا عن الأصمعي قال: وقف أعرابي مقابل قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: اللهم إن هذا حبيبك، وأنا عبدك، والشيطان عدوك، فإن غفرت لي سر حبيبك، وفاز عبدك، وغضب عدوك، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك، ورضي عدوك، وهلك عبدك وأنت أكرم من أن تغضب حبيبك، وترضي عدوك وتهلك عبدك، اللهم إن العرب الكرام إذا مات منهم سيد أعتقوا على قبره، إن هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره. قال الأصمعي: فقلت: يا أبا العرب، إن الله تعالى قد غفر لك، وأعتقك بحسن هذا السؤال. قال المجد: ويجلس الزائر إن طال القيام فيه، فيكثر من الصلاة والتسليم على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويأتي بأتم أنواع الصلوات وأكمل كيفياتها، والاختلاف في ذلك مشهور. قال: والذي أختاره لنفسه، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه، الصلاة المأثورة التي أجاب بها السائل عن كيفية الصلاة عليه، عدد ما خلقت، وعدد ما أنت خالق، وزنة ما أنت خالق، وملا ما خلقت، وملا ما أنت خالق وملا سماواتك، وملا أرضك، ومثل ذلك، وأضعاف ذلك وعدد خلقك، وزنة عرشك، ومنتهى رحمتك، ومداد كلماتك ومبلغ رضاك حتى ترضى، وعدد ما ذكرت به خلقك فيما مضى، وعدد ما هم ذاكروك فيما بقي، في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات، ولحظة من اللحظات، ونفس ولمحة، وطرفة من الأبد إلى الأبد، أيد الدنيا وأيد الآخرة، وأكثر من ذلك، لا ينقطع أولاده، ولا ينفذ أخراه، ثم يقول ذلك مرة، أو ثلاث مرات. ثم يقول: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كذلك قال النووي: ثم يتقدم - يعني بعد فراغ الدعاء والتوسل قبالة الوجه الشريف - إلى رأس القبر، فيقف بين القبر والأسطوانة التي هناك، ويستقبل القبلة، ويحمد الله تعالى ويمجده، ويدعوا لنفسه بما أهمه وما أحبه، ولوالديه ولمن شاء من أقاربه وأشياخه وإخوانه ولسائر المسلمين.

[٢٩٢]

وفي كتب الحنفية قال نحو هذا، قال العز بن جماعة: وما ذكره من العود قبالة الوجه الشريف، من التقدم إلى رأس القبر المقدس للدعاء لم يكن إلا عقب الزيارة، ولم ينقل عن فعل الصحابة والتابعين - رضي الله تعالى عنهم - أجمعين. قال السيد: أما الدعاء والتوسل هناك فله أصل عنهم، والذي لم ينقل إنما هو هذا الترتيب المخصوص، والظاهر أن المراد بذلك تأخير الدعاء عن السلام على الشيخين، والجمع بين موقف السلف الأول الذي كان قبل إدخال الحجر، والثاني الذي كان بعده حسن. قال النووي: رحمه الله تعالى: ثم يأتي الروضة، فيكثر فيها من الدعاء والصلاة، ويقف عند المنبر ويدعو. قال السيد: ويقف أيضا ويدعو عند أسطوان المهاجرين، ويتبرك بالصلاة عندها، وكذا أسطوان أبي لبابة، وأسطوان الحرس وأسطوان الوفود، وأسطوان التهجد بعد أن يسلم على السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله تعالى عنها - عند المحراب الذي في بيتها داخل المقصورة، على القول بدفنها هناك. ومنها تعظيمه وتوقيره، لأنهما إجابان حيا وميتا قال الله تبارك وتعالى: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) [الفتح: ٩] وقال تبارك اسمه (والذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) [الأعراب: ١٥٧] فأخبر أن الفلاح إنما يكون لمن جمع إلى الإيمان تعزيره، ولا خلاف أن التعزير هاهنا هو التعظيم، فانظر ما في هذه الآية من تعظيم الله تعالى لنبينا - صلى الله عليه وسلم -، حين قدم في الذكر تعزيره نصرته على اتباع النور الذي أنزل معه، وفي ذلك من الإشعار بعلو المنزلة وارتفاع الرتبة والإجلال والتوقير والتعظيم ما لا يخفى على من يفهم مواقع كلام الله سبحانه وتعالى. وقال عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) [الحجرات: ١]. وقال تبارك اسمه: (يا

أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) [الحجرات: ٢]
الثلاث آيات. وقال جل وعلا: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا) [النور: ٦٣] فأوجب الله تعالى تعزيره وتوقيره، وألزم
إكرامه وتعظيمه. قال ابن عباس، يعزروه أي: يجلوه.

[٢٩٣]

وقال المبرد: يبالغوا في تعظيمه. وقال الأخفش: ينصروه. وقيل:
التعزير نصر مع تعظيم. وقرئ (يعززوه) بزائين مع العز، ونهى عن
التقدم بين يديه بسوء الأدب والقول، بسببه الكلام على قول ابن
عباس وغيره، وهو اختيار نعلب. وقال سهل بن عبد الله: لا تقولوا
قبل أن يقول، وإذا قال فاستمعوا له وانصتوا، ونهى عن التقدم
والتعجيل بقضاء قبل فضائه فيه، وأن يفتاتوا عليه شيئا من أمر دينهم
إلا بأمره، ولا يسبقوه به، وإلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد
والضحك والسدي، وحذر مخالفة ذلك بقوله تعالى: (اتقوا الله إن
الله سميع عليم) [الحجرات: ١] قال الماوردي: (اتقوا) في التقدم [
المنهي عنه]. قال السدي: اتقوا الله في إهمال حقه، وتضييع
حرمته، إنه (سميع) لفولكم (عليم) بفعالكم. وقد تقدم الكلام على
هذه الآيات في (الخصائص) ورأس الأدب معه - صلى الله عليه وسلم
- كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق،
دون أن يحمله معارضة خيال باطل نسميه معقولا أو نسميه شبهة
أو شكاً، أو تقدم إليه آراء الرجال وزيادة أذهانهم، فيوجد التحكيم
والتسليم والانقياد والإذعان كما وجد المرشد بالعبادة والخضوع والذل
والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجا للعبد من عذاب الله إلا بهما،
توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسل، فلا يتحاكم إلى غيره، ولا
يرضى بحكم غيره. فصل فيما روي من تعظيم الصحابة - رضي الله
تعالى عنهم - للنبي - صلى الله عليه وسلم - روى مسلم عن عمرو
بن العاص - رضي الله تعالى عنه - قال: وما كان من أحد أحب إلي
من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أجل في عيني منه وما
كنت أطيقه أن أملاً عيني منه إجلالا له. وروى الترمذي عن أنس -
رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان
يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر
عمر، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا
ينظران إليه وينظر إليهما، ويتبسman إليه ويتبسم إليهما. وروى أبو
داود عن أسامة بن شريك - رضي الله تعالى عنه - قال: أتيت

[٢٩٤]

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحوله أصحابه، عليهم السكينة
والوقار، كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت. وقال عروة بن
مسعود: كنا في الصحيح حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول
الله - صلى الله عليه وسلم -، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى إنه
لا يتوضأ وضوءاً إلا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق
بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم، ودلكوا بها وجوههم
وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر
ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه
تعظيماً له، فلما رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش، إنني جئت
كسرى في ملكه، وفيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإنني
والله ما رأيت ملكاً قط قي قومه يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً
أصحابه، وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبداً. وروى عن أنس - رضي الله
تعالى عنه - قال: لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
والحلاق يحلقه، وقد أطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا
في يد رجل. وفي الصحيح، أن قريشاً لما أذنت لعثمان في الطواف

بالبيت حين وجهه - صلى الله عليه وسلم - إليهم في القضية أبي
أن يطوف، وقال: ما كنت لأطوف به حتى يطوف به رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - . وروى عن البراء - رضي الله تعالى عنه - قال: لقد
كنت أريد أن أسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الأمر
فأؤخره سنين من هيئته - صلى الله عليه وسلم - وروى الترمذي
وحسنه عن طلحة - رضي الله تعالى عنه - أن أصحاب النبي - صلى
الله عليه وسلم - قالوا لأعرابي جاهل سأله عنم قضي نحبه من
هو وكانوا لا يحترون على مسألته يوقرونه ويهابونه [فسأله، فأعرض
عنه، إذ طلع طلحة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: هذا
ممن قضي نحبه]. وروى عن المغيرة بن شعبة - رضي الله تعالى
عنه - قال: كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرعون
بابه بالأظافر. وقد تقدم في باب هيئته ما فيه كفاية. فصل وإعلم أن
حرمة النبي - صلى الله عليه وسلم - وتوقيره وتعظيمه بعد موته
لازم كما كان في حياته، وذلك عند ذكره - صلى الله عليه وسلم -
وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته،
وتعظيم أهل بيته وصحابته - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - .

[٢٩٥]

قال أبو إبراهيم التيجيبي وإجب على كل مسلم متي ذكره، أو ذكر
عنده أن يخضع ويخشع، ويتوقر ويسكن من حركته، وبأخذ في هيئته
وإجلاله بما كان يأخذ نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله
تعالى به. وهذه كانت سيرة السلف الصالح في الأئمة الماضين.
وروى القاضي - بسند جيد - عن ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير
المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -،
فقال مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله
عز وجل أدب قوما فقال: (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي [
الحجرات: ٢] الآية. ومدح قوما فقال: (إن الذين يغضون أصواتهم عند
رسول الله) [الحجرات: ٣] الآية. وذم قوما فقال: (إن الذين ينادونك
من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) [الحجرات: ٤] وإن حرمة ميتا
كحرمة حيا، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله، أستقبل
القبلة وأدعوا؟ أم أستقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟
فقال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم - عليه
السلام - إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به،
فيشفعك الله، قال الله تعالى: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا). وقال
الإمام مالك رحمه الله تعالى: كان أيوب السخيتاني إذا ذكر النبي -
صلى الله عليه وسلم - بكى حتى أرحمه. وقال مصعب بن عبد الله:
كان مالك إذا ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتغير لونه،
وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوما في ذلك
فقال: لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون، ولقد كنت أرى
محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا
يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد - وكان كثير
الدعابة والتيسم - فإذا ذكر عنده النبي - صلى الله عليه وسلم -
اصفر، ما رأيته يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا
على طهارة. ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر رسول الله -
صلى الله عليه وسلم -، فننظر إلى لونه كأنه نرف منه الدم، وقد
جف لسانه في فمه، هيبه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
ولقد كنت أتى عامر بن عبد الله بن الزبير، فإذا ذكر عنده رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع.

[٢٩٦]

ولقد كنت أتى الزهري، وكان من أهنأ الناس وأقربهم، فإذا ذكر عنده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكأنه ما عرفك ولا عرفته. ولقد كنت أتى صفوان بن سليم، وكان من المتعبدين المتجهدين، فإذا ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركونه. وكان ابن سيرين ربما يضحك، فإذا ذكر عنده [حديث] رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خشع وتضرع. وقال عمر بن ميمون: إن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - حديث يوماً، فجرى على لسانه، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلاه كرب حتى رأيت العرق ينحدر عن وجهه، وعرغرت عيناه، وانفتحت أوداجه، ثم قال: هكذا إن شاء الله، أو فوق ذا، أو دون ذا، أو قريباً من ذا. وقال مصعب: كان مالك بن أنس لا يحدث حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا على وضوء، إجلالاً له. والآثار في هذا كثيرة، وقد تقدم كثير من ذلك في باب ما يجب على الإنام من حقوقه - عليه الصلاة والسلام. فصل ومن بر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتوقيره برأله وذريته وأزواجه وأمهات المؤمنين - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - روى ابن جرير عن يزيد بن حبان، عن زيد بن أرقم - رضي الله تعالى عنه - قال: قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيباً بما يدعى حمى بين مكة والمدينة، فحمد الله، وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد أيها الناس إنني أنتظر أن يأتيني رسول ربي فأجيب: وإنني تارك فيكم الثقلين أحدهما: كتاب الله، فيه الهدى والصدق، فاستمسكوا بكتاب الله. ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، ثلاث مرات، فقيل لزيد: ومن أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ فقال زيد: إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة [بعده، فقيل: ومن هم؟ قال: هم آل العباس وآل جعفر وآل عقيل، قيل: أكل هؤلاء يحرم الصدقة عليهم] (١)؟ قال: نعم. ورواه أيضاً عنه بلفظ: (إنما أنا بشر، أو شك أن ادعى فأجيب، ألا وإنني تارك فيكم

(١) سقط في أ. (*).

[٢٩٧]

الثقلين، أحدهما: كتاب الله، حبل ممدود، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة، وأهل بيتي: أذكركم الله في أهل بيتي، ثلاث مرات (١). ورواه أيضاً عنه بلفظ: (أنشدكم الله في أهل بيتي مرتين. (٢) وروى عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [لما نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) - وذلك في بيت أم سلمة - دعا فاطمة وحسنا وحسينا، فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكسائه، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطمهرهم تطهيرا] وقد تقدم في أبواب ما يجب على الأنام كثير من ذلك. قال بعض العلماء: معرفتهم وهي معرفة بمكانهم من النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإذا عرفهم بذلك، عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه. وروى الترمذي وحسنه عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنه - أن عمر - رضي الله تعالى عنه - فرض لأسامة في ثلاثة آلاف وخمسمائة، وفرض لعبد الله بن عمر في ثلاثة آلاف، فقال عبد الله لأبيه: لما فضلت أسامة علي؟ فوالله ما سبقتني إلى مشهد قال: لأن زيدا كان أحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أبيك، وكان أسامة أحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منك، فأثرت حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي حبي. وقال الأوزاعي: دخلت بنت أسامة على عمر بن عبد العزيز، ومعها مولى لها يقودها يمسك بيدها (٣) فقام إليها عمر ومشي إليها، وجعل يدها بين يديه، ويداه في ثيابه، وأجلسها في مجلسه، وجلس بين

يديها، وما ترك لها حاجة إلا قضاها. ومنها: أن يجتنب الزائر لمس جدار المسجد، وتقبيله، والطواف به، والصلاة عليه. قال الإمام النووي لا يجوز أن يطاف بقبره - صلى الله عليه وسلم - ويكره إصاق البطن والظهر بجدار قبره، قاله الحلبي وغيره. قال: ويكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد عنه، كما يبعد عنه لو حضر في حياته، هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء، انتهى.

(١) أخرجه مسلم ٤ / ١٨٧٥. (٢) انظر المصدر السابق. (٣) لكرها وضعف بصرها. (*)

[٣٩٨]

وفي (الإحياء) مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود. وقال الأقفهسي: قال الزعفراني - في كتابه: وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله من البدع التي تنكر شرعا. وروى أن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - رأى رجلا وضع يده على قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فنهاه، وقال: وما كنا نعرف هذا) أي الدنو منه [وذكر غير واحد نحو ذلك، وفي كتاب العلل والسؤالات لعبد الله ابن الإمام أحمد، عن أبيه رواية أبي علي الصوان قال عبد الله: سألت أبي عن الرجل يمس منبر النبي - صلى الله عليه وسلم - ويتبرك بمسه، ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك، رجاء ثواب الله عز وجل قال: لا بأس. وروى الإمام أحمد - بسند حسن - وأبو الحسن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله الخشني في (أخبار المدينة) عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر، فأخذ مروان برقبتة ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال: نعم، إني لم أت الحجرات، إنما جئت النبي - صلى الله عليه وسلم - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله). قال المطلب: وذلك أبو أيوب الأنصاري، وتقدم في باب أدلة الزيارة، أن ابن عساكر روى بسند جيد أن بلالا - رضي الله تعالى عنه - لما قدم من الشام لزيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - أتى القبر، فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه. وذكر الخطيب ابن جملة، أن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلالا وضع خده عليه أيضا - رضي الله تعالى عنه -. قال: ولا شك أن الاستغراق في المحبة بحمل على الإذن في ذلك، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس يختلف مراتبهم في ذلك، كما كانت تختلف في حياته، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم، بل يبادرون إليه، وأناس فيهم إناة يتأخرون، والكل محل خير. وقال الحافظ: استنبت بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره. فأما آدمي فسبق في الأدب. وأما غيره فنقل عن أحمد، أنه سئل عن تقبيل منبر النبي - صلى الله عليه وسلم - وقبره فلم ير به بأسا، واستعبد بعض أتباعه صحته عنه، قلت: نقل ذلك عنه ابنه عبد الله كما تقدم.

[٣٩٩]

ونقل عن ابن أبي الصيف اليمنى أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف، وأجزاء الحديث، وقبور الصالحين انتهى كلام الحافظ. ونقل الطيب الناشري عن المحب الطبري، أنه يجوز تقبيل الحجر ومسه قال: وعليه عمل العلماء الصالحين، وينشد: أمر على الديار

ديار ليلي * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا ومنها اجتناب الانحناء للقبر عند التسليم، وهو من البدع، ويظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم، وأقبح منه تقبيل الأرض، لم يفعله السلف الصالح، والخير كله في اتباعهم، ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم. قال ابن جماعة: وليس عجيبي ممن جهل ذلك فارتكبه، بل عجيبي ممن أفتى بتحسين ذلك مع علمه بقبحه ومخالفته لعمل السلف. ومنها: أن لا يمر بالقبر الشريف حتى يقف ويسلم على النبي - صلى الله عليه وسلم -، سواء مر من داخل المسجد أو من خارجه، ويكثر من قصده وزيارته. وروى ابن أبي الدنيا عن أبي حازم أن رجلا أتاه، فحدثه أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: قل لأبي حازم: أنت المار بي معرضا، لا تقف تسلم علي، فلم يدع ذلك أبو حازم منذ بلغته هذه الرؤيا. ومنها: إكثار الصلاة والتسليم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإيثار ذلك على سائر الأذكار ما دام هناك. ومنها: اغتنام ما أمكن من الصيام ولو يسيرا من الأيام. ومنها الحرص على فعل الصلوات الخمس بالمسجد النبوي في الجماعة، والإكثار من النافلة مع تحري المسجد الذي كان فيه زمنه - صلى الله عليه وسلم - إلا أن يكون الصف الأول خارجه فهو أولى، وإن أمكنه ملازمته، وأن لا يفارقه إلا لضرورة أو مصلحة راجحة، فليغتنم ذلك، وكلما دخله فليجدد نية الاعتكاف، والله در القائل: تمتع إن ظفرت بنيل قرب وحصل ما استطعت من ادخاره. قال أبو مخلد: كانوا يستحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن قبل أن يخرج، رواه سعيد بن منصور. قال أبو اليمن بن عساكر: وليحرص على المبيت بالمسجد، ولو ليلة يحييها بالذكر،

[٤٠٠]

والدعاء، وتلاوة القرآن، والتضرع إلى الله تعالى والشكر على ما أعطاه. ومنها أن لا يستدبر القبر المقدس في صلاة ولا في غيرها من الأحوال، ويلتزم الأدب شريعة وحقيقة في الأقوال والأفعال. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: وإذا أردت الصلاة فلا تجعل حجرته - صلى الله عليه وسلم - وراء ظهرك، ولا بين يديك، وتادب معه بعد وفاته أدبك معه في حياته من احترامه والإطراق بين يديه، وترك الخصام وترك الخوض فيما لا ينبغي أن يخوض فيه في مجلسه، فإن أبيت فانصرفك خير من بقاتك، ومنها: أن يجتنب ما يفعله جهلة العوام من التقرب بأكل التمر الصيحاني في المسجد، وإلقاء النوى به، وقطعهم شعورهم، ورميها في القنديل الكبير. فقد قال الإمام النووي: إن ذلك من جهالات العوام، وبدعهم المنكرة المستبشعة. ومنها: إدامة النظر إلى الحجرة الشريفة، فإنها عبادة، قياسا على الكعبة الشريفة العظيمة، فينبغي لمن كان المدينة إدامة ذلك إذا كان في المسجد، وإدامة النظر إلى القبة الشريفة، إذا كان خارجه مع الهيئة والحضور. ومنها: أنه يستحب الخروج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خصوصا يوم الجمعة، فيقول إذا انتهى إليه: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأنا إن شاء الله بكم لا حقون، يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم. وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -: ويزور القبور الطاهرة بالبقيع، كقبر إبراهيم بن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعثمان والعباس والحسن بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن علي بن جعفر، وجعفر بن محمد، وغيرهم، ويختم بصفية. قال العلامة فضل الله ابن القاضي نصر الدين الفوري الحنفية: إذا خرج من باب البلد يأتي قبة العباس والحسن بن علي - رضي الله تعالى عنهم -، ويختم بزيارة صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قال السيد: ولعله يكون

مشهدهم أول المشاهد التي يلقاها الخارج من البلد، فإنه يكون على يمينه، فمجاورتهم من غير سلام عليهم جفوة، فإذا سلك تلك الطريق سلم على من يمر به بعدهم، فيكون مروره على صفة في رجوعه، فيختم بها. وقال البرهان ابن فرحون: أول المشاهد وأولها بالتقديم مشهد سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان، لأنه أفضل الناس بعد أبي بكر وعمر - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - واختار

[٤٠١]

بعضهم البداية بقبر سيدنا إبراهيم ابن سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . قال السيد: فتلخص فيمن يبدأ به ثلاثة آراء. ويختم الزائر إذا رجع بمشهد إسماعيل بن جعفر الصادق، لأنه صار داخل سور المدينة، ومشاهد البقيع كلها خارج السور، ويذهب إلى زيارة مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، ومشهد النفس الزكية فإنهما ليسا بالبقيع، وهو السيد الشريف محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن - مرتين - بن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنهم - قتل أيام أبي جعفر المنصور، وهذا المشهد في جبل (سلع). ومنها: أنه يستحب أن يأتي قبور الشهداء بأحد. وقال العلامة ابن الهمام: ويورج جبل أحد نفسه. ففي الصحيح (جبل أحد يحبنا ونحبه). ويكر بعد صلاة الصبح بالمسجد النبوي حتى يعود، ويدرك الظهر به، ويبدأ بسيد الشهداء، وهو سيدنا حمزة - رضي الله تعالى عنه - . قالوا: وأفضلها يوم الخميس، وكأنه لضيق الجمعة عن ذلك. وقد قال محمد بن واسع: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويوما قبله ويوما بعده. ومنها: أنه يستحب استحباباً مؤكداً أن يأتي مسجد قباء وهو يوم السبت أولى ناويا التقرب بزيارته والصلاة فيه، وإذا قصد إتيانه توطأ وذهب إليه، ولا يؤخر الوضوء حتى يصل إليه. ومنها: أن يأتي بقية الآثار المنسوبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة مما عملت يمينه أو جهته. وكذا الآبار التي شرب منها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتوطأ أو اغتسل، فيتبرك بمائها، صرح جماعة من الشافعية وغيرهم باستحباب ذلك كله. وقد كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل النبي - صلى الله عليه وسلم - ونزل وغير ذلك، وما نقل عن الإمام مالك مما يخالف هذا سد للذريعة تبعاً لعمر - رضي الله تعالى عنه - . فقد روى سعيد بن منصور عن المعرور بن سويد، أنه خرج مع عمر في حجة حجه، فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد فقال ما هذا ؟ فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم، اتخذوا آثار الأنبياء بيعاً، من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل، ومن لم يعرض له فليمض.

[٤٠٢]

قال القاضي: ومن إعظامه - صلى الله عليه وسلم - وإكباره إعظام جميع أسبابه، وإكرام جميع مشاهدته وأمكنته ومعاهده، وما مسه - صلى الله عليه وسلم - بيده أو عرف به انتهى. وذلك بزيارة تلك المشاهد والتبرك بها، والله در القائل: خليلي، هذا ربع عزة فأعقلا * فلو صيكما ثم انزلا حيث حلت ومسا ترابا طال ما مس جلدنا * وظلا وبيتا حيث باتت وظلت ولا تياسا أن يمحو الله عنكما * ذنوبا إذا صليتما حيث صلت ومنها: أن يكون مع ذلك دائم الأشواق لذلك المزار ومشاهدة تلك الآثار، متعلق القلب بالعود إلى تلك الديار، ينمي شوقه بتأمل ما نقل من الآثار والأخبار، وما نظم فيه من نفائس الأعشبار، ومن أعظمها وأعجبها، فصيحة الإمام الولي العارف بالله تعالى، أبو محمد العسكري التي مطلعها: دار الحبيب أحق أن تهواها * وتهيم من طرب إلى ذكراها وقد تقدمت بتمامها في أبواب

فضل المدينة الشريفة (أوائل الكتاب) وكذلك ما قاله البدر بن فرحون أحد أصحاب ناظمها: إن بعض الصالحين رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام قال البدر: وأشك هل الشيخ أو غيره، وأنشده هذه القصيدة، فلما بلغ آخرها وهو ظنى أنه يرضاها، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: رضيناها، ورضيناها رضيناها).

[٤٠٣]

جماع أبواب التوسل به - صلى الله عليه وسلم - الباب الأول في مشروعية التوسل به - صلى الله عليه وسلم - - إلى الله تبارك وتعالى قال الإمام السبكي - رحمه الله تعالى -: اعلم أن الاستعانة والتشفع بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وبجاهه وبركته إلى ربه تبارك وتعالى من فعل الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - وسير السلف الصالحين واقع في كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه، في مدة حياته الدنيوية، ومدة البرزخ [وبعد البعث] وعرضات القيامة، وذلك مما قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار، وإذا جاز السؤال بالأعمال كما في حديث الغار الصحيح، وهي مخلوقة، فالسؤال بالنبي - صلى الله عليه وسلم - أولى، وفي العادة أن من له عند شخص قدر يتوسل به إليه في غيبته، فإنه يجيب إكراما للمتوسل به، وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظم سببا للإجابة ولا فرق في هذا بين التعبير بالتوسل، أو الاستعانة، أو لتشفع أو السجود، ومعناه: التوجه بذى الحاجة، وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه، وكيف لا يتشفع ويتوسل بمن له المقام المحمود والجاه عند مولاه، بل يجوز التوسل بسائر الصالحين، كما قاله السبكي، وإن نقل بعضهم عن ابن عبد السلام ما يقتضي أن الله تعالى يختص بتعظيم من خلقه، فينبغي أن يكون مقصورا على نبينا - صلى الله عليه وسلم - . الباب الثاني في ذكر من توسل به قبل خلقه من الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - روى الحاكم والطبراني والبيهقي عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لما اقترب آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقك؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في مني روحك، رفعت رأسي فأريت على قوائم العرش مكتوبا، لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تطف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال تعالى: [صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي إذا سألتني بحقه غفرت لك] ولولا محمد ما خلقتك) وتقدم هذا الحديث في باب خلق آدم وجميع المخلوقات لأجله - صلى الله عليه وسلم - ، وتقدمت شواهد هنا، وقد بشر به موسى وعيسى - صلى الله عليهما وسلم حين وجدها في التوراة والإنجيل، كما أخبر الله تعالى في كتابه المجيد، فكانا يتوسلان إلى الله تعالى به - صلى الله عليه وسلم - .

[٤٠٤]

الباب الثالث في ذكر من توسل به - صلى الله عليه وسلم - في حياته من الإنس روى الترمذي، والنسائي، والبيهقي من طرق، عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ادع الله أن يعافيني قال: (إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتفضي لي، اللهم فشفعه في) (١). زاد البيهقي من طرق (فقام وقد أبصر). وفي رواية: (ففعل الرجل فبرا ببركته - صلى الله عليه وسلم -).

[٤٠٥]

الباب الرابع في ذكره من توسل به - صلى الله عليه وسلم - في حياته من الحيوانات روى ابن شاهين في (دلائله) عن عبد الله بن جعفر - رضي الله تعالى عنه - قال: (أردفني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم خلفه، فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وقال: كان أحب ما استتر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحاجته هدف أو حائش نخل، فدخل حائط رجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - حن وذرفت عيناه، فاتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - فمسح سراته وذفراه فسكت). وفي رواية: (فسكن، ثم قال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله، فقال: أفلا تتقي الله في هذا الجمل، الذي ملكك الله إياه، فإنه يشتكي إلي أنك تجيعه وتدثبه). وروى مسلم: (إلى حائش نخل) عن محمد بن عبد الله بن أسماء، ورواه أبو داود بطوله عن موسى بن إسماعيل، عن مهدي بن ميمون. وروى ابن ماجه (أوله) عن مهدي، وذكر ابن النعمان في كتابه (مصباح الظلام) بسنده عن تميم الداري - رضي الله تعالى عنه - قال: كنا جلوساً مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ أقبل بغير يغدو، حتى وقف على هامة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرعاً فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أبها البعير أسكن، فإن تك صادقاً فلك صدقك، وإن تك كاذباً فعليك كذبك، مع أن الله قد أمن عائدنا، وليس بخائب لائذنا). قلنا: يا رسول الله ما يقول البعير؟ قال: هم أصحابه ينحروه وأكله، فهرب منهم، فاستغاث بنبيكم، فبينما نحن كذلك، إذ أقبل أصحابه يتعادون، فلما رأهم البعير عاد إلى هامة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلاذ بها، فقالوا: يا رسول الله، بعيرنا هرب منا منذ ثلاثة أيام، فلم نلقه إلا بين يديك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أما إنه شكى، فيئست الشكابة)، فقالوا: يا رسول الله ما يقول؟ قال: (يقول إنه ربي في بيتكم وكنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلاء، وفي الشتاء إذا رحلتم إلى موضع الدفء، فلما كبر استفحلتموه، فرزقكم الله به إبلاً سائمة، فلما أدركته هذه السنة الخصبه همتمم بنحروه وأكل لحمه، فقالوا: قدر الله كان ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه، فقالوا: يا رسول الله إنا لا نبيعه ولا ننحروه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (كذبتم، قد استغاث بكم فلم تعيثوه، فأنا أولى بالرحمة منكم، فاشتره وأعتقه). وروى البيهقي في (دلائله) عن عطية بن أبي سعيد قال: (مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بطيبة

[٤٠٦]

مربوطة إلى خباء، فقالت: يا رسول الله حلني حتى أذهب فأرضع خشفي، ثم أرجع فتربطني، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (صيد قوم، وربطة قوم، قال: فأخذ عليها فحلقت له، فحلها، فما مكثت إلا قليلاً حتى جاءت، وقد نفضت ما في ضرعها، فربطها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم أتى خباء أصحابها، فاستوهبها منهم، فوهبها له، فحلها ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لو علمت البيهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم سميناً أبداً) (١). والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد تقدم بعضها في أبواب معجزاته - صلى الله عليه وسلم - في بيان غريب ما سبق:]

الهدف: ... الحائش: ... حن: ... ذرفت: ... سراته: ... زفراه: ...
استفحلتموه: [(٢)] ...

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦ / ٣٤، وابن كثير ٦ / ١٤٨ وقال البيهقي: وروي من وجه آخر ضعيف. (٢) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*).

[٤٠٧]

الباب الخامس في ذكر من توسل به - صلى الله عليه وسلم - بعد موته روى الطبراني والبيهقي - بإسناد متصل ورجاله ثقات - عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف فشكى إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: أتت الميضاة، فتوضأ ثم أتت المسجد فصل فيه ركعتين: ثم قال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنينا محمد - صلى الله عليه وسلم - نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتفضي حاجتي، وتذكر حاجتك، ورح حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان، فجاءه البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: ما حاجتك؟ فذكرها له، وقال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فذكرها، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته فقال له عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكنني شهدت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأتاه ضريراً، فشكى إليه ذهاب بصره، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - [أو تصبر؟ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد، وقد شق علي] فقال: أتت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات. فقال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا، وطال بنا الحديث، حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط (١). وقال الإمام النووي في (تهذيبه) في ترجمة (عقبة بن عامر) - رضي الله تعالى عنه -: شهد فتوح الشام، وكان البريد إلى عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - بفتح دمشق، ووصل إلى المدينة في سبعة أيام، ورجع منها إلى الشام في يومين ونصف، بدعائه عند قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - وتشفعه به في تقريب طريقه. وقال الشيخ تقي الدين بن الصلاح - في كلامه على بعض المسائل - لقد انتدب بعض العلماء لا ستقصائها يعني: معجزاته - صلى الله عليه وسلم - فجمع ألف معجزة، وعددناه مقصراً، إذ هي فوق ذلك بأضعاف لا تحصى، فإنها ليست محصورة على ما وجد في عصره منها - صلى الله عليه وسلم - فلم تزل تتجدد بعده - صلى الله عليه وسلم - على تعاقب العصور، وذلك أن كرامات الأولياء من أمته وإجابات المتوسلين في حوائجهم ومعوناتهم، عقب توسلهم به في شدائدهم له براهين قواطع ومعجزات

(١) الدلائل ٦ / ١٦٨. (*)

[٤٠٨]

سواطع، لا بعدها عاد، ولا يحصرها حد. قلت: وقد ألف الإمام العلامة سيدي أبو عبد الله بن النعمان في ذلك كتاباً سماه (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والنام) أتى فيه بالعجيب

العجاب، الذي لا يشك فيه من له أدنى تمييز فعليك به، فإنه جامع في بابه. اللهم إنا نسألك، وتوجه إليك بنبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - أن تحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن تجبرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وقد تقدم منها في أبواب معجزاته - صلى الله عليه وسلم - جملة، فراجعها إن شئت، والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب.

[٤٠٩]

جماع أبواب الصلاة والسلام عليه - صلى الله عليه وسلم - زاده الله فضلا وشرفا لديه الباب الأول في فوائد تتعلق بالآية الكريمة منها: أنه انعقد الإجماع على أن في هذه الآية من تعظيم الله تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم - والتنويه به ما ليس في غيرها) وهي مدنية، والمقصود منها إخباره تعالى عباده بمنزلة نبيه - صلى الله عليه وسلم - عنده في الملأ الأعلى، بأنه أتى عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة يصلون عليه، ثم أمر أهل العالم السفلي بالصلاة عليه والتسليم، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا، وقال تعالى: (يصلون) - بصيغة المضارع الدالة على الدوام والاستمرار - ليدل على أنه - سبحانه وتعالى - وجميع الملائكة يصلون على نبينا - صلى الله عليه وسلم - دائما أبدا، وغاية مطلوب الأولين والآخرين صلاة واحدة من الله تعالى، وأنهم لهم ذلك؟ ومنها: الكلام على اشتقاقها ومعناها لغة وشرعا، وللصلاة في اللغة معنيان. أحدهما: الدعاء والتبرك، ومنه قوله تعالى: (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) [التوبة ١٠٣] وقوله عز وجل (وصلوات الرسول) [التوبة ٩٩] وقوله تعالى: (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) [التوبة ٨٨]. ومنه الصلاة على الجنائز، أي: الدعاء له، وسمي الدعاء صلاة، لأن قصد الداعي جميع المقاصد الجميلة، بحسب اختلاف السائلين. والمعنى الثاني: العبادة، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان صائما فليصل)، أي: فليدع بالبركة لهم. وقيل: معناهما الدعاء، وبهذا تزول الإشكالات الواردة على اسم الصلاة الشرعية، هل هي منقولة عن موضوعها في اللغة؟ فتكون حقيقة شرعية، لا مجازا شرعيا، فعلى هذا تكون الصلاة باقية على مسماها لغة، وهو الدعاء دعاء عبادة ودعاء مسألة، والمصلي من حين تكبيره إلى سلامه دعاء العبادة ودعاء المسألة، فهو في صلاة حقيقية لا مجازا ولا منقولا، لكن خص اسم الصلاة بهذه العبادة المخصوصة بسائر الألفاظ التي تخصها أهل اللغة والصرف ببعض مسمياتها كالدابة والرأس، فهذا غاية تخصيص اللفظ وقصره على بعض

[٤١٠]

موضوعه، وهذا لا يوجب نقلا ولا خروجا عن موضوعه الأصلي، وهو نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة فالعابد داع كالسائل، وبهما فسر قوله تعالى: (ادعوني أستجب لكم) [غافر ٦٠] فقيل: أطيعوني أطيعكم. وقيل: سلوني أعطكم. قال ابن القيم: والصواب أن الدعاء يعمر النوعين أو غير ذلك. واعلم أن الصلاة يختلف حالها بحسب حال المصلي والمصلى له والمصلى عليه. فأما بالنسبة إلى حال المصلي، فقيل: إن معنى صلاة الله على نبيه صلواته عليه عند ملائكته، وصلاة الملائكة عليه الدعاء له، رواه البخاري في أبي العالية. وقيل: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار، نقله الترمذي عن سفيان وغير واحد من أهل العلم، ورجح القرافي أن الصلاة من الله المغفرة. وقيل: صلواته تعالى: (سبوح قدوس رب الملائكة والروح). رواه ابن أبي حاتم عن عطاء بن أبي رباح في قوله

تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) الآية. وقال الماوردي: هي من الله أظهر الوجوه الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الدعاء. نقل عياض عن أبي بكر القشيري قال: الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - تشریف وزيادة تكريمة، وعلى من دون النبي رحمة. وأما صلاتنا فالمراد بها التعظيم بأسباب ما ينبغي له فضل الله تعالى. فمعنى قولنا: (اللهم صل على محمد اللهم أعطه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة تشفيعه في أمته وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على كافة المقربين الشهود، وهذا وإن كان واجبا علينا فهو ذو درجات ومراتب، فإذا صلى عليه أحد من أمته واستجيب دعاؤه، جاز أن يزداد النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك الدعاء في كل شئ مما سميناه، ولما لم نملك إيصال ما يعظم به أمره، وبعلو به قدره، لأن ذلك إنما هو بيد الله تعالى، أمرنا أن نصلي عليه بأن ندعوا الله تعالى له بذلك، ونبتغي من الله تعالى إيصال ذلك إليه، قضاء لحقه، وتقربا إلى الله تعالى، فقد أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا، فإن عجزنا عنه، كافأه بالدعاء، فأرشدنا تعالى لما علم عجزنا عن ذلك إلى الصلاة عليه، ليكون مكافأة لإحسانه إلينا، قاله ابن عبد السلام.

[٤١١]

وقال ابن العربي: فائدة: الصلاة عليه ترجع إلى المصلي، لدلالة ذلك على نصح العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة. قال السهيلي - رحمه الله تعالى - ما حاصله: إن الله تعالى أخبر أنه هو وملائكته يصلون عليه، وكل واحد من المؤمنين وجب أن يصل عليه، فوجب على كل واحد أن يباشر الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم -، والصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - بعد موته من هذا القبيل. وقال أيضا: صلاة الملائكة في ذلك الزمان وما تأخر جميعه محتمل لأمرين: إما أن يكون على سبيل الأوجب، بالنسبة إليه - صلى الله عليه وسلم -، وإما أن يكون على سبيل الأفضل، بالنسبة إليه، وهو الأقرب. وعلى الاحتمالين فالخصوصية ثابتة. إما على الأول فواضح. وإما على الثاني، فلأن الأفضل في حق غيره فعلها جملة، وليست شرطا بلا خلاف. وقال ابن النعمان، عن شيخه ابن عبد السلام ليست الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشفاعته منا، فإن مثلنا لا يشفع لمثله، لكن الله سبحانه وتعالى أمرنا بمكافأة من أنعم علينا وأحسن إلينا، فإن عجزنا عن مكافأته دعونا له أن يكافئه عنا، ولما عجزنا عن مكافأة سيد الأولين والآخرين، أمرنا رب العالمين أن نرغب إليه، بأن نصلي، لتكون صلاتنا عليه مكافأة لإحسانه إلينا، وإفضاله علينا، إذ لا إحسان أفضل من إحسانه - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وإخوانه. قال السهيلي: وفي حكمها مذاهب. الاستجاب مطلقا، قاله ابن جرير الطبري، وادعى الإجماع عليه، وأوله بعض العلماء بما زاد على المرة الواحدة، وهو متعين، فقد نقل ابن القصار وغيره الإجماع على أنها تجب في الجملة من غير حصر، لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة. وقال ابن عبد البر: أجمع العلماء على أن الصلاة عليه فرض على كل مؤمن بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) [الأحزاب ٥٦]. وقيل: واجبة مرة في العمر في صلاة أو غيرها، ككلمة التوحيد، وحمد الله وشكره. قال ابن حزم، وأبو بكر الرازي من الحنفية، وغيرهما، وقال القرطبي المفسر: لا خلاف في أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة، وأنها واجبة في كل حين [من الواجبات] وجوب السنن المؤكدة، وسيقه إلى ذلك ابن ذلك ابن عطية فقال: الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل حال

واجبة وجوب السنن المؤكدة، التي لا يسع تركها، ولا يغفلها إلا من لا خير فيه وقال ابن القصار: المشهور عن أصحابنا أنها واجبة في الجملة على الإنسان، وفرض عليه أن يأتي بها مرة في دهره، مع القدرة على ذلك. قال الفاكهاني: في معنى المشهور، أنه اشتهر من قول أصحابنا، لا أعلم مخالفاً. وقيل: تجب في القعود آخر الصلاة، وهو مذهب الإمام الشافعي ومن تبعه. وقيل: تجب في التشهد، وهو قول الشعبي وابن راهويه. وقيل: تجب في الصلاة من غير تعيين محل، نقل ذلك عن أبي بكر من المالكية. وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد، قاله أبو بكر بن بكير من المالكية. وقال بعض المالكية: فرض إسلامي جملي غير متعلق بعدد ولا وقت معين. وقيل: يجب كلما ذكر، قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية، والحليمي، وجماعة من الشافعية. وقال ابن العربي من المالكية: إنه الأحوط. قيل: في كل مجلس مرة، ولو تكرر ذكره مرارا، حكاه الزمخشري. وقيل: في كل دعاء [حكاه أيضا]. [ومنها ما روي عن سهل بن محمد [...] آدم [...] بأمر الملائكة له بالسجود، لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في هذا التعريف، فتشريف يصدر عنه أبلغ من تشريف يختص به الملائكة. ومنها: ما ذكره عن ابن أبي الدنيا، عن ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال هذه الآية ثم قال: صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك - صلى الله عليك يا فلان لم يسقط لك حاجة [(١)]. ومنها أنه عبر فيها بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، ولم يقل: على محمد، كما وقع لغيره من الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - لقوله: يا آدم، يا يحيى، يا عيسى، يا إبراهيم لما في ذلك من الفخامة والكرامة التي اختص بها عن سائر الأنبياء، إشعاراً بعلو المقدار، وإعلاماً بالتفضيل على سائر الرسل

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

الكرام، ولما ذكر نبينا مع الخليل - صلى الله عليه وسلم - ذكر الخليل باسمه، وذكر الحبيب بلقبه فقال: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) [آل عمران ٦٨] فكل موضع سماه باسمه إنما هو لمصلحة تقتضي ذلك فافهمه. ومنها أن الأولى قد يكون الألف واللام فيه للغلبة، كالمدينة، فكأنه المعروف الحقيقي به، المقدم على سائر الأنبياء - صلى الله عليه وسلم -. ومنها أن صلاة جميع الملائكة عليه مما خصه الله تعالى به دون سائر الأنبياء والمرسلين. تنبيه: قد كثر السؤال عن الحكمة في تأكيد التسليم بالمصدر دون الصلاة، وأجاب الفاكهاني بما حاصله: أن الصلاة مؤكدة معنى صلاة الله وملائكته ولا كذلك السلام، فحسن تأكيده لفظاً إذ ليس ثم يقوم مقامه. وأجاب الحافظ بجواب آخر محصله: أنه لما وقع تقدم الصلاة على السلام، في اللفظ، وكان للتقديم مزية في الاهتمام، وحسن أن يكون السلام لتأخر مرتبته في الذكر، لئلا يتوهم قلة الاهتمام، لتأخره، والعلم عند الله. ومنها الكلام على إعرابها فقد اختلف في نصب (الملائكة) وبه قرأ العشرة ورفعه قرأ ابن عباس وهي رواية شاذة عن أبي عمرو فنصبه بالعطف على اسم (إن) وهو الاسم الكريم والرفع على محل اسم (إن) على مذهب الكوفيين وعلى أنه مبتدأ محذوف الخبر عند البصريين أي وملائكته يصلون بدل عليه يصلون المذكور، ولا يضر كون المبتدأ مفرداً والخبر جميعاً، لأن الخبر قد يقع جمعا للتعظيم كما ذكره بعضهم، ولا

خفاء في أن حرف النداء قد أناب مناب أدعو، وأي منادي مفرد مبني على الضم خلافا للكسائي في أن ضمته ضمة إعراب أتى به وصلة لنداء ما، فيه (ألى) محله نصب، وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه كاسم الإشارة يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه والذي صفة له لا ينفك عنها لعدم استقلاله بنفسه. ومنها: السبب في نزولها. روى عن كعب بن عجرة قال: قيل: يا رسول الله، قد عرفنا السلام عليك، فكيف نصلي؟ فنزلت. ومنها: وجه مناسبتها لما قبلها: أنه تعالى لما ذكر حقوقه - صلى الله عليه وسلم - مما خصه به دون أمته من حل نكاح من تهب نفسها وتعظيمه وتوقيره وتحريم نكاح أزواجه على الأمة بعده، ورفع

[٤١٤]

الجناح عن أزواجه في تكليمهن آبائهن وأبنائهن، ودخولهن عليهن ودخولهم عليهن، وأنه محترم في الملاء الأعلى بقوله: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) [الأحزاب ٥٦] انعقد الإجماع على أن في هذه الآية من تعظيم النبي - صلى الله عليه وسلم - والتنويه به ما ليس في غيرها، فنشر ذكره في السموات السبع، وعند المستوى وصريف الأقلام والعرش والكرسي وجميع الملائكة المقربين وفي سائر أفاق الدنيا. ومنها: زمن نزولها: فروى أنها نزلت في الأحزاب بعد نكاحه - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش وبعد تخييره أزواجه. وقال الحافظ أبو ذر الهروي في السنة الثانية من الهجرة. وقيل: ليلة الإسراء. وقيل: في ليلة النصف من شعبان. ومنها: الكلام على الملائكة والملائكة جمع ملك، واختلف فيما اشتق منه على ستة أقوال، وفي ماهيتهم وحقيقتهم وفي عصمتهم وفضلهم على الأنبياء. والجمهور على أنهم أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل فتظهر في صور مختلفة وتقوى على أفعال ما مر. وأكثر أهل السنة على أن الأنبياء أفضل منهم، والهاء في ملكة لتأنيث الجمع نحو صلازمة. وقيل: للمبالغة كعلامة، وليس بشئ، وحذفها شذوذ كما قيل أبا خالد صلت عليك الملائكة، وكثرتهم لا يعلمها إلا الله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) [المدثر ٣١]. وأما الكلام على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد تقدم في أوائل هذا الكتاب مبسوطا. ومنها الحكمة في إتيانه بالجلالة دون غيره من الأسماء الحسنى أنه الاسم الأعظم على ما رجحه كثيرون، ولم يقسم به غيره كما فسر به قوله تعالى: (هل تعلم له سميا) [مريم ٦٥] وأنه يضاف إليه فيقال: الرحمن الرحيم اسم الله ولا عكس وجميع الأسماء ولأنه لا ينقص بنقص شئ من حروفه فإذا أسقطت الهمزة قلت لله الأمر وإن أسقطت اللام الأولى قلت: (له ملك السموات والأرض) وإن أسقطت الثانية قلت: (هو الأول والآخر) وقال: (آمنوا) دون (يا أيها الناس) وإن كان الصحيح أنه خاطب الكفار بفروع الشريعة، لأن الصلاة من أجل القرب فاخص بها المؤمنون وعدي (ب) على المراد بها الدعاء، لأن المراد من قوله تعالى:

[٤١٥]

(صلوا عليه) أي قولوا: اللهم صل على محمد، كما أجاب به - عليه الصلاة والسلام - فيمن قال: قد أمرنا بالصلاة عليك، فكيف نصلي؟ فقال: قولوا: ... ومنها أنها تعالى قدم صلاته عليه ترغيبا للمؤمنين في ذلك وترهيبا لهم من تركها. [ومنها: أن تشریفه بصلاة الله عليه أسمى من شرف آدم بأمر الله تعالى الملائكة له بالسجود. قال الفاكهاني: لما كانت الصلاة عليه مؤكدة، يعني بصلاة الله وملائكته

ولا كذلك السلام أكده بالمصدر. وقال الحافظ: لما وقع تقديم الصلاة والسلام في اللفظ، وكان للتقديم مزية في الاهتمام حسن أن يؤكد السلام لتأخره والعلم لله تعالى انتهى [(١)].

(١) ما بين المعكوفين سقط في أ. (*)

[٤١٦]

الباب الثاني في الأمر بالصلاة والسلام عليه، زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه أنواع: الأول: في الأمر بالصلاة والسلام عليه، قال الله - عز وجل -: (إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) [الأحزاب ٥٦] وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (حيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني) رواه الطبراني وأبو داود والنسائي. وقال - صلى الله عليه وسلم - (من ذكرت عنده فليصل علي) رواه الإمام أحمد والنسائي وابن حبان. وقال عليه الصلاة والسلام: (إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي) رواه مسلم وأبو داود والترمذي. وقال - صلى الله عليه وسلم -: (أكثروا من الصلاة علي فإن الله وكل بي ملكا عند قبوري فإذا صلى علي رجل من أمتي، قال، قال: ذلك الملك يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة) ورواه الديلمي في (مسند الفردوس) وأبو يعلى. وقال عليه الصلاة والسلام: (أكثروا الصلاة علي، فإن صلاتكم علي مغفرة لذنوبكم، واطلبوا لي الدرجة والوسيلة، فإن وسيلتي عند ربي شفاعة لكم) رواه ابن عساکر عن السيد الحسن - رضي الله عنه - . وروى ابن عدي في (الكامل) عن ابن عمر وأبي هريرة - رضي الله تعالى عنه ما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (صلوا علي، صلى الله عليكم). وروى ابن أبي حاتم - بسند جيد مرسل - عن قتادة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا صليتم على المرسلين فصلوا علي معهم [فإنني رسول من رب العالمين]). وروى الترمذي والحاكم عن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (صل علي وعلى سائر النبيين). وروى ابن النجار عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أكثروا الصلاة علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا). وروى الديلمي بلا إسناد عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (صلوا علي، فإنها أضعاف مضاعفة). وروى ابن بشكوال عن أبي ذر - رضي الله تعالى عنه - قال: (أوصاني

[٤١٧]

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أصليها في الحضر والسفر - يعني صلاة الضحى - وأن أنام إلا على وتر، وبالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - . وعنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (أكثروا من الصلاة علي، لأن أول ما تسئلون في القبر عني). قال الحافظ السخاوي في (القول البدیع): ولم أقف على سنده. وروى الديلمي في مسنده الفردوس عن أنس بن مالك. وفي لفظ: عن أنس عن أبي طلحة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا صليتم على المرسلين فصلوا علي معهم، فإنني رسول من المرسلين). ورواه ابن أبي عاصم في كتابه كما هنا بلفظ آخر (إذا سلمتم علي فسلموا علي المرسلين) ذكر المجد اللغوي أن إسناده صحيح يحتج برجاله في الصحيحين. قال

الحافظ السخاوي في القول البديع فالله أعلم بذلك. وروى الإمام وأبو نعيم والبخاري في الأدب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة صلى الله عليه. عشرا) ورواه الطبراني في الأوسط بدون (ومن صلى علي مرة) إلى آخره ورجاله رجال الصحيح. وروى الإمام أحمد وأبو الشيخ في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - له وكذا ابن أبي عاصم وفي سنده ضعف عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (صلوا علي فإن صلاتكم علي زكاة لكم) وهو عند الحارث وأبي بكر بن أبي شيبة في مسنديهما وزاد فيه: وأسألو الله عز وجل الوسيلة لي فإما سألوه وإما أخبرهم فقال: أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد، أرجوا أن أكون أنا. وروى أبو القاسم التميمي في الترغيب: (وأكثروا من الصلاة علي، فإنها لكم زكاة وإذا سألتهم الله فاسألوه الوسيلة فإنها أرفع درجة في الجنة وهي لرجل، وأنا أرجو أن أكون هو). قوله (يصلون) بصيغة المضارعة الدال على الدوام والاستمرار لا سيما ذلك على أنه سبحانه وجميع ملائكته يصلون عليه فكيف يحسن للمؤمن أن لا يكثر الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - ويغفل عن ذلك قاله الفاكهاني.

[٤١٨]

الباب الثالث في التحذير من ترك الصلاة عليه زاده الله فضلا - صلى الله عليه وسلم - وشرفا لديه روى الحاكم في (المستدرک) وقال: صحيح الإسناد والطبراني والبخاري في (الأدب المفرد) وإسماعيل القاضي والبيهقي في (شعب الإيمان) والضياء المقدسي، ورجاله ثقات عن كعب بن عجرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أحضروا المنبر فحضرتنا، فلما ارتقى درجة قال: آمين، ثم ارتقى الثانية، فقال: آمين، ثم ارتقى الثالثة فقال: آمين، فلما نزل قلنا: يا رسول الله، لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه، فقال: إن جبريل عرض لي فقال: بعدا لمن أدرك رمضان فلم يغفر له قلت: آمين؛ فلما رقيت الثانية قال: بعدا لمن ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت: آمين فلما رقيت الثالثة، قال بعدا لمن أدرك أبواه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخله الجنة، فقلت: آمين. ورواه الحاكم في المستدرک والطبراني برجال ثقات غير عمران بن أبان وثقه ابن حبان وضعفه غير واحد بلفظ: صعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المنبر، فلما رقى عتبة قال: (آمين وبعد)، فلم يغفر له فأبعده الله وفي لفظ: إن جبريل قال لما رقيت الدرجة الثانية: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقل: آمين. ورواه البخاري في: (الأدب المفرد) والطبراني في (الأوسط) والطبري في تهذيبه والدارقطني في (الإفراد) وهو حسن، والنسائي عن جابر - رضي الله تعالى عنه - بلفظ: رقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المنبر، فلما رقى الدرجة الأولى، وبلغ: لما رقيت الدرجة الأولى، جاءني جبريل فقال: شقي عبد أدرك رمضان فانسلك منه، ولم يغفر له. قال الحافظ السخاوي في (القول البديع): وسأقه الضياء في (المختارة) من طريق الطيالسي وقال: هذا عندي على شرط مسلم انتهى. قال: وفيه نظر، ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والبخاري في الأدب المفرد وأبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - بلفظ: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صعد المنبر فقال: آمين آمين آمين، فقل: يا رسول الله، إنك صعدك المنبر، فقلت: آمين آمين آمين فقال: (إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان، فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين. ورواه البيهقي في الدعوات باختصار.

ورواه الإمام أحمد والحاكم صححه والترمذي وقال: حسن غريب بلفظ رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي. وروى الطبراني والطبري عن حسين بن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - من ذكرت عنده فخطئ الصلاة علي خطئ طريق الجنة ورواه ابن أبي عاصم وإسماعيل القاضي عن محمد ابن الحنفية مرسلًا. قال المنذري: وهو أشبه بلفظ (من ذكرت عنده فنسي الصلاة علي). وفي لفظ (فلم يصل علي خطئ طريق الجنة). وروى البيهقي في (الشعب) و (السنن الكبرى) والتميمي في الترغيب والترهيب والعيطار وقال: إن إسناده حسن عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من نسي الصلاة علي فقد نسي طريق الجنة). وفي رواية خطئ طريق الجنة). قال الحافظ أبو موسى المدني في الترغيب له: هذا الحديث يروى عن جماعة منهم علي بن طالب وابن عباس وأبو أمامة وأم سلمة - رضي الله تعالى عنهم -. ورواه ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله. وروى البيهقي عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: قال لي جبريل: رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت: آمين. وروى البيهقي في: (الشعب عن جابر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن جبريل قال: من ذكرت عنده، فلم يصل عليك، فمات ولم يغفر له فدخل النار، فأبعده الله، قل آمين، فقلت: آمين. وروى ابن حبان عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن جبريل قال: من ذكرت عنده، فلم يصل عليك، فمات فدخل النار، فأبعده الله قل: آمين، فقلت آمين. وروى ابن أبي عاصم في (الصلاة) عن أبي ذر - رضي الله تعالى عنه - قال: خرجت ذات يوم فأنيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ألا أخبركم بأبخل الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من ذكرت عنده فلم يصل علي، فذلك أبخل الناس. ورواه إسماعيل القاضي عن عوف بن مالك عن أبي ذر بلفظ: إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي.

وروى الإمام أحمد والطبراني والطبراني في (الدعاء) وأبو داود والترمذي وقال: حسن عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: إذا جلس قوم مجلسًا، لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيه - صلى الله عليه وسلم - إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم. وروى الطبراني في (الكبير) و (الدعاء) بسند رجاله ثقات عن أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما من قوم جلسوا مجلسًا، ثم قاموا منه لم يذكروا الله، ولم يصلوا علي إلا كان ذلك المجلس عليهم ترة). وروى الدينوري في المجالسة والتميمي في الترغيب والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة من طريق أبي بكر الشافعي مرفوعًا عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا يجلس قوم مجلسًا لا يصلون فيه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا كان عليهم حسرة، وإن دخلوا لما يرون من الثواب. ورواه الضياء في المختارة من طريق أبي بكر بن عاصم والنسائي في عمل اليوم والليلة والبلغوي في الجعديات موقوفًا وهو حديث صحيح. وروى الطبراني والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة والنسائي في اليوم والليلة وتام في (فوائده) برجال الصحيح على شرط مسلم عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما اجتمع قوم ثم تفرقوا من غير ذكر الله - عز وجل - وصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا قاموا عن أنتن من جيفة). ورواه الطبراني في الدعاء بلفظ: (ما من قوم اجتمعوا في مجلس ثم

تفرقوا ولم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيهم - صلى الله عليه وسلم - إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة). وروى الإمام أحمد في مسنده والنسائي في سننه الكبرى والبيهقي في الدعوات والشعب عن الحسين بن علي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (البخيل) زاد بعضهم (كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي). ورواه الترمذي عن علي وقال: حسن صحيح، وفي نسخة: حسن غريب، والنسائي وابن بشكوال من طريق البخاري في تاريخه وسعيد بن منصور في سننه والبيهقي في شعبه وإسماعيل القاضي. قال الحافظ السخاوي في (القول البدیع): واختلف في إسناده، فأرسله بعضهم، فحذف التابعي والصحابي معاً، وبالجملة فلا يقتصر على درجة الحسن. وروى الترمذي وصححه البيهقي في شعبه عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى

[٤٢١]

عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي). وروى البيهقي في الشعب عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي). وروى ابن حبان والبيهقي في الشعب عن الحسين - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي). تنبيهات الأول: استشكل حمل حديث (من نسي الصلاة) على ظاهره بما ورد (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان) وبأن الناس لا لوم عليه، لأنه غير مكلف. وأجيب بحمل الناس على التارك كقوله تعالى: (نسوا الله فسيهم) [التوبة ٦٧]. الثاني: يعني قوله (وإن دخلوا الجنة) أن ذلك في عرصات القيامة لما فاتهم من الثواب ولو كان مصيرهم إلى الجنة، لأن الحسرة تلتزمهم قبل دخول الجنة. الثالث: قال الطيبي: (الفاء) في قوله: (فلم يصل علي) استيعادية والمعنى: بعد من الغافل، بل من المؤمن أن يتمكن من أجر كلمات معدودات على لسانه، فيفوز بعشر صلوات من الله تعالى، ويرفع له عشر درجات، ويحط عنه سيئات، ثم لم يغتنمه حتى يفوت عنه فحقيق أن يحقره الله تعالى ويضرب عليه الذلة والمسكنة. وتعقبه بعضهم أن (الفاء) بمعنى (ثم) إذ لا داعي إلى ذلك بل كونها للتعقيب أفعد بالمعنى في هذا المقام حتى يحصل منه التراخي عن تعقيب الصلاة عليه بذكره، بل ينبغي أن تكون الصلاة عليه معقبة بذكره عنده حتى لو تراخي عن ذلك ذم عليه. الرابع: قوله: (فلم يدخلوا الجنة) أي فلم يبرهما فيكون سببا لدخول الجنة فهو إسناده مجازي، لأن دخول الجنة برحمة الله تعالى. الخامس: عرف البخيل بالألف واللام ليدل على أنه الكامل في البخل على ما يقتضيه تعريف المبتدأ. قال الفاكهاني: وهذا أقبح بخل وأسوأ شح، لم يبق بعده إلا بخل بكلمة الشهادة، وهو يقوي القول بوجوب الصلاة عليه كما ذكر، والله أعلم انتهى. ولا شك أن إخباره - صلى الله عليه وسلم - برغم أنه من ذكر عنده فلم يصل عليه والإبخال عليه بالبخل والإبعاد والدعاء عليه والشقاء يقتضي الوعيد، والوعيد على الترك من علامات الوجوب،

[٤٢٢]

وهو قول الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي والشيخ أبي كامل الإسفراييني وجماعة من الشافعية وابن بطة من الحنابلة. وقال ابن العربي من المالكية: إنه الأحوط وهذا خارج الصلاة، وهل هي فرض عين وعليه الأكثر، أو كفاية وعليه أبو الليث السمرقندي من الحنفية في مقدمته. وقيل بوجوبها في كل مجلس مرة وإن تكرر، حكاه

الزمخشري وقيل: بوجوبها مرة في العمر وهو محكي عن الحنفية، ونقل عن مالك والثوري والأوزاعي. وقال القاضي عياض وابن عبد البر: إنه قول جمهور الأمة. وقال أبو عبد الله القرطبي: لا خلاف في وجوبها في العمر مرة وأنها واجبة في كل حين وجوب السنن المؤكدة. وقال ابن عطية: الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل حال واجبة وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفل عنها إلا من لا خير فيه. وقيل واجبة في الجملة من غير حصر. وأقل ما يحصل بالإجزاء مرة، وادعى بعض المالكية الإجماع عليه، قال ابن القصار منهم: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة في دهره مع القدرة على ذلك. وقيل: واجبة في التشهد الأخير. قال الإمام الشافعي: شرط في صحة الصلاة. وقيل واجبة فيها من غير تعيين، محل، نقل ذلك عن أبي جعفر الباقر. وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد، قاله القاضي أبو بكر بن بكير من المالكية. وقيل: فرض إسلامي جملي غير متقيد بعدد، ولا وقت معين قاله بعض المالكية، ويجب الصلاة عليه بقدرها، لأنها من أفضل العبادات وأجل الطاعات، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - (من نذر أن يطيع الله فليطعه). واختلف هل يجب عليه - صلى الله عليه وسلم - أن يصلي على نفسه وهو مذهب الشافعي أو لا يجب؟ وهو في بعض شروح الهداية للحنفية، قال شارح المشكاة (أل) في البخل للجنس فهو محمول على الكمال وأقصى غايته وقد جاء (البخل ليس من بخل بماله، ولكن البخل من

[٤٢٣]

بخل بمال غيره) وأبلغ منه بعض الجواد حتى لا يجب أن يجازى عليه فمن لم يصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا ذكر عنده منع نفسه أن يكتال بالمكيال الأوفى، فهل تجد أحدا يبخل من هذا انتهى. وعبر بالجملة الاسمى على أنها تكون على طريق التأكيد بأن، ثم أردفه بتأكيد معنوي وهو قوله: (كل البخل) ولا بخل فوق ذلك. السادس: في بيان غريب ما سبق: (بعد) بموحدة مفتوحة فعين مهملة مضمومة فidal مهملة يعني عن الخير. وفي رواية أبعد الله ويروي بكسر العين أي هلك ولا مانع من حملة على المعنيين. (صعد) بصاد مفتوحة فعين مكسورة في الماضي مفتوحة في المستقبل فidal مهملات. رقى العتية: ... (خطئ) بقاء معجمة مفتوحة وكسر الطاء المهملة في آخره همزة يقال خطئ في دينه خطأ إذا أثم فيه والخطأ الذنب والإثم، وأخطأ يخطئ إذا سلك سبيل الخطأ عمدا أو سهواً ويقال: لمن أراد شيئاً ففعل غيره، أو فعل غير الصواب، أخطأ، وإذا أخطأ طريق الجنة لم يبق له إلا الطريق إلى النار أعادنا الله من ذلك، ويقال: خطأ بمعنى أخطأ أيضاً وقيل: خطأ إذا تعمد وأخطأ إذا لم يتعمد. (رغم) براء مفتوحة فعين معجمة مكسورة فميم، لصق بالرغام وهو التراب، ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره. (التره) بمتناة فوقية مكسورة فراء مفتوحة مخففة، الحسرة وقيل: البعض، وقيل: التبعة، وقيل: النار، وقيل: الذنب. وقوله: (إلا قاموا على أنتن من جيفة) هو على طريق استقذار مجلسهم العاري عن الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - استقذاراً يبلغ إلى هذه الحالة، وما بلغ هذا المبلغ في كراهة الرائحة وجب التفريق عنه والهرب منه.

[٤٢٤]

الباب الرابع في فضل الصلاة والسلام عليه، زاده الله فضلاً وشرقاً لديه روى مسلم وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي

وابن حبان في صحيحه، عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه وعشرا). وروى أبو موسى المديني بسند قال الحافظ مغلطاي لا بأس به عنه، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من صلى علي عشرة صلى الله عليه، مائة، ومن صلى علي مائة صلى الله عليه ألفا، ومن زاد صابا وشوقا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة). وروى الإمام أحمد بسند حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله تعالى عنهما - قال: من صلى علي النبي - صلى الله عليه وسلم - واحدة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة، فليقل عند ذلك أو ليكثر. وروى الإمام أحمد وابن أبي عاصم والبيهقي وعبد بن حميد والبيهقي عن الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح لا أعلم في سجدة الشكر أصح منه عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله تعالى عنه - قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتوجه نحو صدقته، فدخل، فاستقبل القبلة، فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قبض نفسه فيها فدنوت منه، فرفع رأسه قال: (من هذا)؟ قلت عبد الرحمن، قال: (ما شأنك)؟ قلت: يا رسول الله، سجدت سجدة حتى ظننت أن يكون قد قبض الله نفسك فيها، فقال: (إن جبريل أتاني فيشرنني)، فقال: (إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، زاد في رواية فسجدت الله شكرا) (١). وروى أبو يعلى بلفظ: كان لا يفارق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منا خمسة أو أربعة من أصحابه لما ينوبه من حوائجه بالليل والنهار، قال: فجنته وقد خرج فاتبعته فدخل حائطا من حيطان الأسواق فصلى، فسجد، فأطال السجود، فبكيت، وقلت، قبض الله روحه، قال: فرفع رأسه فدعاني، فقال: (ما لك)؟ فقلت: يا رسول الله، أطلت السجود، فقلت: قد قبض الله روح رسوله لا أراه أبدا، قال: (سجدت شكرا لربي فيما أبلاني في أمتي، من صلى علي من أمتي كتب له عشر حسنات، ومحا الله عنه عشر سيئات). ورواه ابن عساكر بلفظ: أتاني جبريل، وقال لي: يا محمد، أبشرك بما أعطاك الله في

(١) أخرجه أحمد ١ / ١٩١. (*)

[٤٢٥]

أمتك، وما أعطى منك، من صلى عليك منهم صلاة علي الله عليه، ومن سلم عليك سلم عليه. وروى ابن قانع عن طلحة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (قال لي جبريل يا محمد لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا). وروى الطبراني في (الصغير) والضيء في المختارة بإسناد جيد، قال الحافظ السخاوي، بل صححه بعضهم عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحاجته فلم يجد أحدا يتبعه، ففرغ عمر فأناه بمطهرة من خلفه، فوجد النبي - صلى الله عليه وسلم - ساجدا في مشربة، فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبي - صلى الله عليه وسلم - رأسه قال: (أخشيت يا عمر حين رأيتني ساجدا، فتنحيت عني، إن جبريل - عليه السلام - أتاني فقال: من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشرا، ورفع له عشر درجات). وروى ابن أبي عاصم في الصلاة له والنسائي في اليوم والليل والسنن والبيهقي في الدعوات عن أبي بردة بن نيار - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما صلى علي عبد من أمتي صلاة صادقا من قبله إلا صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه بها عشر سيئات). ورواه الطبراني - رجال ثقات - وليس عنده لفظ

صلاة. وروى الدارمي والإمام أحمد والحاكم في صحيحه وابن حبان والنسائي والبيهقي في الشعب والضياء عن أبي طلحة الأنصاري - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاء ذات يوم البشري ترى في وجهه فقال: (إنه جاءني جبريل - عليه السلام - فقال: أما يرضيك يا محمد أنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا). ورواه النسائي عن عبد الله بن أبي طلحة عنه بلفظ: (يا محمد، إن ربك يقول: أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا، ولا يسلم أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا). ورواه البيهقي والطبراني في الكبير عن أنس عنه بلفظ: أتاني جبريل ببشارة من ربي قال إن الله - عز وجل - بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه وملائكته عشرا. وروى الطبراني في الكبير عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

[٤٦٦]

أتاني جبريل، فقال: محمد إن الله يقول لك من صلى عليك صليت عليه أنا وملائكتي. وروى الطبراني في الكبير عنه أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: أتاني جبريل، فقال يا محمد، من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات، ورفعها بها عشر درجات، وقال له الملك، قيل: ما قال لك؟ قلت: يا جبريل، وما ذاك الملك، قال: إن الله وكل بك ملكا من لدن خلقك إلى أن خلقك إلى أن يبعثك، ما يصلي عليك أحد من أمتك إلا قال: وأنت صلى الله عليك. وروى الطبراني عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاني جبريل أنفا، فقال بشر أمتك أنه من صلى عليك صلاة كتب له بها عشر درجات. وروى الضياء في (المختارة) والدارقطني في (الإفراد) وابن النجار عن سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا بأبي طلحة، فقام إليه فتلقاه فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنني لأرى السرور في وجهك، قال: (أجل، إنه أتاني جبريل أنفا فقال: يا محمد، من صلى عليك مرة أو قال: واحدة، كتب الله بها عشر حسنات، ومحا عنه بها عشر سيئات، ورفع لها بها عشر درجات). قال رواية محمد بن حبيب: ولا أعلمه إلا قال: وصلت عليه الملائكة عشر صلوات انتهى. وروى أبو القاسم التيمي في ترغيبه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن الله سيارة من الملائكة يبتغون حلق الذكر فإذا مروا بحلقة قال بعضهم لبعض: اقعدوا فإذا دعا القوم أمنوا على دعائهم، فإذا صلوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - صلوا معهم حتى يفرغوا ثم قال: بعضهم لبعض (طوبى لهم لا يرجعون إلا مغفورا لهم). وروى الإمام أحمد وعبد بن حميد في مسنديهما والترمذي وقال: حسن صحيح والحاكم صححه عن أبي بن كعب - رضي الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ذهب ربيع الليل. وفي رواية (ثلث الليل قام فقال يا أيها الناس، اذكروا الله اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه). قال أبي بن كعب: يا رسول الله، إنني أحب الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت، قلت: الربع؟ قال ما شئت، وإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: قلت فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذن تكفى همك ويغفر ذنبك.

[٤٦٧]

وفي لفظ لأحمد وابن أبي شيبة وابن أبي عاصم بسند جيد: قال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها لك؟ قال: يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك. قال أبو عبد الله بن النعمان أنشد أبو جعفر عمر بن عبد الله بن نزال: أيا من أنبي دنيا وفارق ذلة * ومن يرتجي الرحمن من الله والقربا تعاهد صلاة الله في كل ساعة * على خير مبعوث وأكرم من نبا فيكفيك هما أي هم تخافه * ويكفيك دنيا حيث أعظم به دنيا ومن لم يكن يفعل فإن دعاءه * يجد قبل أن يرقى إلى ربه حجبا وروى ابن منذة والحافظ أبو موسى المديني، وقال: حديث حسن غريب، عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من صلى علي في كل يوم مائة مرة، قضى الله له مائة حاجة، سبعين منها لآخرته، وثلاثين منها لدنياه). وروى الترمذي وقال: حسن غريب، عن عبد الله بن شداد عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة) ورواه عن عبد الله بن شداد عن أبيه عن ابن مسعود وكذا رواه ابن أبي شيبة وابن حبان وصححه وأبو نعيم، وهكذا رواه ابن أبي عاصم أيضا في فضل الصلاة له وابن عدي في الكامل، والدينوري في المجالسة، والدارقطني في الأفراد، والتميمي في الترغيب وغيره. قال الحافظ السخاوي: وهذه الرواية أكثرها وأشهر. وروى البخاري في تاريخه وابن عساكر عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: قال لي جبريل: من صلى عليك له عشر حسنات. وروى أبو الشيخ وابن حبان وأبو القاسم التيمي في ترغيبه والحارث في مسنده عن عمار بن ياسر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن لله ملكا أعطاه أسماء الخلائق، وهو قائم على قبري إذا مت فليس أحد يصلي علي صلاة إلا قال: يا محمد، فلان ابن فلان صلي عليك، فيصلي الرب على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا). ورواه ابن أبي عاصم في كتابه بلفظ: إن الله أعطى ملكا من الملائكة أسماء الخلائق فهو قائم على قبري حتى تقوم الساعة، فليس أحد من أمتي يصلي عليك صلاة إلا قال: يا أحمد، فلان بن فلان باسمه واسم أبيه يصلي عليك كذا وكذا، وضمن لي الرب أنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا، وإن زاد زاد.

[٤٢٨]

ورواه الطبراني في الكبير نحوه. ورواه أبو علي الحسين بن نصر الطوسي في أحكامه والبخاري في مسنده بلفظ: (إن الله وكل بقبري ملكا أعطاه الله أسماء الخلائق، فلا يصلي علي أحد إلى يوم القيامة إلا بلغني اسمه واسم أبيه، هذا فلان بن فلان قد صلي عليك). زاد بعضهم في رواية: وإنني سألت ربي - عزوجل - أن لا يصلي علي أحد منهم صلاة إلا صلي عليه عشر أمثالها والله عزوجل أعطاني ذلك. قال الحافظ السخاوي: وفي سند الجميع نعيم بن مضمم عن عمران بن الحميري، قال المنذري: ولا يعرف. قلت: بل هو معروف للبخاري وقال: لا يتابع عليه، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين. وروى التيمي عن أبي بكر الصديق موقوفا قال: الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - أفضل من مهج الأنفس، أو قال: ضرب السيف في سبيل الله. وروى البخاري في الأدب المفرد وابن وهب وابن بشكوال وابن حبان في صحيحه وأبو الشيخ عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه: اللهم، صل على محمد عبدك ورسولك، وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، فإنها له زكاة). ورواه الديلمي من طريق دراج وهو مختلف فيه وإسناده حسن. وروى الإمام أحمد وأبو الشيخ في الصلاة النبوية له عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (صلوا علي فإن

الصلاة علي زكاة لكم). وروى أبو القاسم التميمي بلفظ: (أكثرها علي الصلاة فإنها زكاة لكم). وروى أبو موسى المدني بسند ضعيف عن سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - قال جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشكا إليه الفقر وضيق العيش أو المعائش، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا دخلت منزلة فسلم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد، ثم سلم علي واقرا قل هو الله أحد مرة واحدة) ففعل الرجل، فأفاض الله عليه بالرزق حتى أفاض على جيرانه وقراباته. وروى ابن بشكوال بسند ضعيف عن حذيفة - رضي الله تعالى عنه - قال: الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - تنفع المصلي وولده وولد ولده. وروى عبد الرزاق - بسند ضعيف - عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - قال:

[٤٢٩]

إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من صلى صلاة كتب الله له قيراطا والقيراط مثل أحد. وروى الإمام أحمد وأبو نعيم والبخاري في (الأدب المفرد) عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من ذكرت عنده فليصل علي، ومن صلى علي مرة، صلى الله عليه عشرة). ورواه الطبراني في (الأوسط) برجال الصحيح - بدون (من صلى علي مرة). وفي رواية (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر سيئات، ورفعت له عشر درجات). ورواه النسائي وابن حبان في صحيحه بدون ورفعت إلى آخره. ورواه تمام في فوائده وأوله: (ما من عبد مؤمن يذكرني فليصل علي... والباقي بنحوه. ورواه الحاكم بلفظ: (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات. ورواه الطبراني في (الأوسط) و (الصغير) بلفظ: (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرة، ومن صلى علي عشرة صلى الله مائة، ومن صلى علي مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق، وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء. ورواه أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - له وأبو القاسم التميمي في ترغيبه بلفظ: (صلوا علي فإن الصلاة علي كفارة لكم وزكاة، من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرة). ورواه أبو القاسم التميمي وأبو موسى المدني بإسناد صحيح بلفظ: فإن الصلاة علي درجة لكم. وأنشد أبو سعيد محمد بن السلمي قال: أما الصلاة على النبي فمنيورة * مرضية تمحي بها الآثام وبها ينال المرء عز شفاعته * يثنى بها الإعزاز والإكرام كن للصلاة على النبي ملازما * فصلاته لك جنة وسلام وأنشد الرشيد العطار الحافظ: ألا أيها الراقي المثوية والأجراء * وتكفير ذنب سالف أنقض الظهرا عليك بإكثار الصلاة مواظبا * على أحمد الهادي شفيح الوري طرا

[٤٣٠]

وأفضل خلق الله من نسل آدم * وأزكاهم فرعا وأشرفهم فخرا فصلى عليه الله ما جنت الدجى * وأطلعت الأفلاك في أفقها فجرا وأنشد شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر لنفسه: يقول راجي إله الخلق أحمد من * أملئ حديث نبي الخلق متصلا تدنو من الألف إن عدت مجالسه * فالسيدس منها بلا قيد لها حصلا يتلوه تخرج أصل الفقه يتبعها * تخريج أذكار رب قد دنا وعلا دنا بوحشه للخلق برفهم * كما علا عن سمت الحادثات علا في مدة نحو كج مضت هملا * ولي من العمر في ذا اليوم قد كملا ستا وسبعين عاما رحمت أحسبها * من سرعة السير ساعات فيا خجلا إذا رأيت الخطايا أو بقت عملي * في

موقف الحشر لولا أن لي أملا توحيد ربي يقينا والرجاء له * وخدمتي ولاكثار الصلاة على محمد في صباحي والسماء وفي * خطي ولطفي عساها تمحيه الزللا فأقرب الناس منه في قيامته * من بالصلاة عليه كان منشغلا يا رب حقق رجائي والألى سمعوا * مني جميعا بعفو منك قد شملا تنبيهات الأول: قوله - صلى الله عليه وسلم - (من صلى علي) هذه شرطية، والمشروط (صلى)، وجزاء الشرط قوله عشرا. قال الطيبي: الصلاة منا عليه معناها طلب التعظيم والتجليل لجنابه الكريم، والصلاة من الله تعالى على العبد إن كان بمعنى الغفران فيكون من الموافقة لفظا ومعنى، وهذا الوجه لئلا يتكرر معنى الغفران، ومعنى الأعداد المخصوصة محمولة على المزيد والفضل المطلوب انتهى. وقال ابن القيم: هذا موافق للقاعدة المستقرة في الشريعة أن الجزء من جنس العمل، فصلاة الله تعالى على المصلي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جزء لصلاته هو عليه فمن أتى على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جزاه الله من جنس عمله بأن يثني عليه ويزيد في تشريفه وتكريمه. وقال القاضي عياض: معنى - صلى الله عليه وسلم - رحمه وضعف أجره كقوله تعالى: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) [الأنعام ١٦٠] قال: وقد تكون الصلاة على وجهها وظاهرها

[٤٢١]

كلما تسمعه الملائكة تشريفا للمصلي وتكريما كما جاء (وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم). الثاني: قال القاضي أبو بكر بن العربي قد قال الله تعالى: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) [الأنعام ١٦٠] ومعلوم أن الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - حسنة فللمصلي عليه عشر أمثالها، فما فائدته. أوجب بأن فيه أعظم فائدة، وذلك أن القرآن اقتضى أن من جاء بالحسنة تضاعف له عشرا، والصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - حسنة فاقترض القرآن أن يعطى عشر درجات في الجنة واقترض الحديث الإخبار أنه تعالى يصلي على من صلى على نبيه - صلى الله عليه وسلم - عشر وذكر الله العبد أعظم مضاعفة. وتحقيق ذلك أن الله تعالى لم يجعل جزاء ذكره إلا ذكره، كذلك جعل جزاء ذكر نبيه - صلى الله عليه وسلم - ذكره لمن ذكر انتهى. أي بأن قائل صلاة العبد عليه يصلي عليه سبحانه عشرا وكذلك إذا سلم يسلم عليه عشرا فله الحمد والفضل. قال الفاكهاني: هذه نكتة حسنة أجاد فيها وأفاد انتهى. قال العراقي: بل لم يقتصر سبحانه وتعالى في الصلاة على نبيه بأن يصلي عليه بالواحدة عشرا بل زاده على ذلك رفع عشر درجات، وحط عنه عشر سيئات كما تقدم في حديث أنس. الثالث: قوله: (فليقل عبد من ذلك أو ليكثر) فيه التخيير بعد الإعلام بما فيه من الخيرة في المخير فيه، فهو تحذير من التفريط في تحصيله فهو قريب من معنى التهديد. الرابع: قوله: (أما يرضيك) قال (شارح) المشكاة هذا بعض ما أعطى في الرضا في قوله تعالى: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) [الضحى] وهذه البشارة في الحقيقة راجعة إلى الأمة ومن ثم ظهر تمكن البشرى في أسارير وجهه - صلى الله عليه وسلم - تمكنا عاما حيث جعل وجهه الشريف ظرفا ومكانا للبشر والطاقة، وهذا رمز إلى نوع من الشفاعة فإذا كانت الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - توجب هذه الكرامة من الله سبحانه وتعالى فما ظنك بقيامه وتشميره للشفاعة الكبرى، رزقنا الله ذلك أجمعين. الخامس: قوله - صلى الله عليه وسلم -: (إن أولى الناس بي) أي أقربهم مني منزلة. قال ابن حبان: في هذا الخبر بيان صحيح على أن أولى الناس برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في

[٤٢٢]

القيامه يكون أصحاب الحديث إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه منهم. وقال أبو نعيم: هذه منقبة عظيمة يختص بها أصحاب رواة الآثار ونقلتها، لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخا وذكرها. وقال غيره: فيه بشارة عظيمة لأصحاب الحديث، لأنهم يصلون على النبي - صلى الله عليه وسلم - قولاً وفعلاً ليلاً ونهاراً عند القراءة والكتابة، فهم أكثر الناس صلاة، لذلك اختصوا بهذه المنقبة من بين سائر فرق العلماء فلله الحمد على ما أحسن وتفضل. السادس: إنما كان السلام عليه - صلى الله عليه وسلم - أفضل من عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار، ودخول الجنة، والسلام عليه في مقابلة سلام الله - عز وجل - وسلام من الله أفضل من مائة ألف ألف حسنة. السابع: في بيان غريب ما سبق: (أبلاني) - بهمزة مفتوحة فموحدة ساكنة فلام فألف فنون - أنعم علي. الإبلاء الإنعام. (الشربة) بشين معجمة وراء موحدة [وباء] مشددة مفتوحة قال في القاموس: الأرض المعشبية لا شجر بها. وقال في مؤلفه الفرد في الصلاة: هي مجتمع النخيل وفي الصحيح: أنها حوض يكون في أصل النخلة وحولها يملا ماء لتشربه.

[٤٢٢]

الباب الخامس في كيفية الصلاة والسلام عليه، زاده الله فضلا وشرفا لديه روى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري البديري - رضي الله تعالى عنه - قال: أتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن في مجلس سعد بن عباد، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قولوا اللهم، صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم بنحوه). رواه مالك في الموطأ وأبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي في الدعوات بنحوه وزاد فيه في العالمين إنك حميد مجيد. وليس عند أبي داود والسلام قد علمتم. ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه والدارقطني والبيهقي في سننهما، وقال: إسناد صحیح، والترمذي وصححه وابن خزيمة والحاكم والدرقطني بإسناد حسن متصل، بلفظ: أقبل رجل حتى جلس بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن عنده، فقال يا رسول الله، السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا نحن في صلاتنا صلى الله عليك؟ قال: فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أحببنا أن الرجل لم يسأله فقال: إذا أنتم صليتم فقولوا: اللهم، صل على محمد النبي الأمي، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد). ورواه الإمام أحمد وابن حبان والدارقطني وحسنه والبيهقي بلفظ: إذا صليتم علي فقولوا: (اللهم... إلى آخره. ورواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة له من طرق عن عبد الرحمن بن بشير بن مسعود مرسلًا قال: قيل يا رسول الله، أمرتنا أن نسلم عليك، وأن نصلي عليك، فقد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: (تقولون: اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم، اللهم بارك على آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد). وروى الشيخان عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: قال: لقيني كعب بن عجرة - رضي الله تعالى عنه - فقال: ألا أهدي لك هدية إن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: (قولوا اللهم، صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم، بارك محمد وعلى آل

محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد). ورواه البخاري بلفظ: على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في الموضوعين. ورواه الطبراني والإمام أحمد والأربعة بنحوه إلا أبا داود والترمذي لم يذكر الهدية، وأول حديثهما: كعب بن عجرة قال: يا رسول الله... وذكر الحديث. ورواه البيهقي من طريق الشافعي عن كعب بن عجرة بلفظ: كان رسول الله - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في الصلاة: اللهم، صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على إبراهيم إنك حميد مجيد. وفي بعض طرقه عند الإمام أحمد وإسماعيل القاضي وأبي عوانة والبيهقي والطبراني بسند جيد: أنه لما نزلت (إن الله وملائكته يصلون على النبي) جاء رجل فقال: يا رسول الله، هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك؟. وروى البخاري والإمام أحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي وابن أبي عاصم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف نصلي عليك؟ قال: (قولوا: اللهم، صلى على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد، وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم). وروى الإمام مالك والشيخان والنسائي عن أبي حميد الساعدي - رضي الله تعالى عنه - قال: قالوا: كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. ورواه الإمام أحمد وأبو داود وزاد لفظ (على آل إبراهيم) في الموضوعين. ورواه ابن ماجه بلفظ: كما باركت على آل إبراهيم في العالمين. وروى ابن أبي عاصم بسند فيه المسعودي وهو ثقة قد اختلط عن عبد الله بن مسعود قال [قلنا: يا رسول الله، قد عرفنا السلام عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال] (١) قولوا: اللهم، اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم، ابعنه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون، اللهم، صل على محمد وأبلغه الدرجة الوسيطة من الجنة، اللهم، اجعله في المصطفين محبته وفي المقرين مودته وفي الأعلين ذكره، أو قال: داره والسلام عليه ورحمة

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*)

الله وبركاته اللهم، صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد. وروى البزار وابن أبي عاصم وأحمد بن حنبل وإسماعيل القاضي والطبراني في الكبير والأوسط وبعض أسانيدهم حسن عن رويغ بن ثابت الأنصاري - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من قال: اللهم، صل على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة، وحيث له شفاعتي). وروى الإمام أحمد عن موسى بن طلحة بن عبيدالله التيمي عن أبيه - رضي الله تعالى عنه - أن رجلا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: كيف نصلي عليك، يا رسول الله، قال: (قولوا: اللهم، صلى على محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد). ورواه الطبراني بلفظ: أتى رجل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: سمعت الله

تعالى يقول: (إن الله وملائكته يصلون على النبي) [الأحزاب ٥٦] فكيف الصلاة عليك ؟. وروى أبو نعيم في الحلية بسند صحيح عن موسى بن طلحة عن زيد بن حارثة وقيل: ابن خارحة قال سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا: اللهم، صل على محمد، وعلى آل محمد. وفي رواية اللهم، بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ورواه النسائي وأحمد وأبو نعيم والديلمي عن زيد بن خارحة ورواه ابن أبي عاصم من طريق موسى فقال عن خارحة بن زيد ورجح رواية زيد الإمام أحمد وعلي بن المديني. وروى البزار والسراج بإسناد على شرط الشيخين والطبري من وجه آخر عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أنهم سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيف نصلي عليك ؟ قال: قولوا اللهم، صل على محمد وصل على آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام قد علمتم. وروى البخاري في (الأدب المفرد) وأبو جعفر الطبري في تهذيبه برجال الصحيح بلفظ: من قال: اللهم، صل على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم وبارك محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وترحم على محمد وعلى آل محمد، كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم شهدت له يوم القيامة بالشهادة وشفعت له.

[٤٣٦]

قال الحافظ السخاوي: وهو حديث حسن وفيه سعيد بن عبد الرحمن مولى آل سعيد ابن العاص، ذكره ابن حبان في الثقات. وروى أبو داود في سننه وعبد بن حميد في مسنده من طريق المجرم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللهم، صل على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد). قال الحافظ السخاوي: ورويناه من طريق مالك عن نعيم عن محمد بن زيد مسعود. وقال البخاري، وأبو حاتم، إنه أصح. وروى أبو العباس السراج وأحمد بن منيع والإمام أحمد بن حنبل وعبد بن حميد في مسانيدهم والعمرى وإسماعيل القاضي بإسناد ضعيف عن بريدة بن الحصيب الأسلمي - رضي الله تعالى عنه - قال: قلنا: يا رسول الله، كيف نسلم عليك وكيف نصلي عليك ؟ قال: (قولوا: اللهم، اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد، كما جعلتها على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد). تنبيهات الأول: قوله الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -: (أما السلام عليك فقد عرفناه) أي مما علمهم إياه في التشهد بقوله: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) فيكون المراد بقولهم: فكيف نصلي عليك أي بعد التشهد. قال الحافظ السخاوي: وتفسير السلام بذلك هو الظاهر. وحكى ابن عبد البر، وعياض وغيرهما احتمالاً، وهو أن المراد به السلام الذي يتحلل به من الصلاة. قال ابن البر: والأول أظهر. الثاني: اختلف في المراد بقولهم: كيف ؟ فقيل: المراد السؤال عن معنى الصلاة المأمور بها في قوله تعالى: (صلوا عليه) [الأحزاب ٥٦] يحتمل الرحمة والدعاء والتعظيم سألوا فقالوا: بأي لفظ تؤدي ورجح الباجي أن السؤال إنما وقع عن صفتها لا عن جنسها. قال الحافظ: وهو أظهر، لأن لفظ (كيف) ظاهر في الصفة وأما الجنس فيسأل عنه بلفظ (ما) وجزم به القرطبي فقال: هذا سؤال من أشكلت عليه كيفية ما فهم أصله، وذلك أنهم عرفوا المراد بالصلاة، فسألوا عن الصفة التي يليق بها ليستعملوها انتهى.

والحامل لهم على ذلك أن السلام لما تقدم بلفظ مخصوص وهو (السلام عليك أيها النبي) ففهموا أن الصلاة تقع أيضا بلفظ مخصوص وعدلوا عن القياس، لإمكان الوقوف على النص ولا سيما في ألفاظ الأذكار فإنها تجئ خارجة عن القياس غالبا فوقع الأمر كما فهموه فإنه علمهم صفة أخرى. الثالث: اختلف في (آله) - عليه الصلاة والسلام - فمذهب الشافعي أنهم بنو هاشم والمطلب. ومذهب مالك: بنو هاشم فقط. وأما آل إبراهيم، فهم ذريته من إسماعيل وإسحاق، وإن ثبت أن له أولادا من غير سارة وهاجر فهم داخلون، والمراد المسلمون منهم بل المتقون فيدخل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون دون من عداهم. الرابع: إن قيل: ما وجه التفرقة بين الصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - وبين الصلاة على من عطف عليه فإنها واجبة عليه دونهم إذا كان دليل الوجوب (قولوا) فالجواب أن المعتمد في الوجوب إنما هو الأمر الوارد في القرآن بقوله تعالى (صلوا عليه) ولم يأمر بالصلاة على آله. وأما تعليمه - صلى الله عليه وسلم - فقد بين لهم الواجب وزادهم رتبة الكمال على الواجب. وأيضا جوابه - عليه الصلاة والسلام - ورد بزيادات ونقص، وإنما يحمل على الوجوب القدر المتفق عليه. الخامس: قال الحافظ: اشتهر السؤال عن موقع التشبيه في قوله كما صليت على إبراهيم مع أن المقرر أن المشبه دون به الواقع هنا عكسه. وأجيب عنه بأن قال ذلك قيل أن يعلم أنه أفضل من إبراهيم وتعقب بأنه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه بعد أن علم أنه أفضل. وبأنه قال: ذلك تواضعا وشرع لأتمته ذلك ليكتسبوا الفضيلة. وبأن التشبيه إنما هو لأصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر بالقدر ورجع هذا الجواب القرطبي في (المفهم). وبأن الكاف للتعليل. وبأن المراد أن يجعله كإبراهيم في الخلة، وأن يجعل له لسان صدق [كما جعل

لإبراهيم] مضافا لما حصل له من المحبة. ويرد عليه ما ورد على الأول وبأن قوله: (اللهم، صل على محمد) مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بال محمد. وتعقب بأن غير الأنبياء لا يساووا الأنبياء، فكيف يطلب مساواة الصلاة عليهم. قال الحافظ: ويمكن الجواب عن ذلك بأن المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات وبأن التشبيه للمجموع بالمجموع. قال الحافظ: ويعكر عليه ما ورد عن أبي سعيد: (اللهم صلى على محمد كما صليت على إبراهيم). وبأن المراد بالتشبيه النظر إلى ما يحصل لمحمد وآله من صلاة كل فرد فرد من أول التعليم إلى آخر الزمان فيكون أضعاف ما حصل لإبراهيم وآله، وإلى ذلك أشار ابن العربي بقوله: المراد دوام ذلك واستمراره. وبأن التشبيه راجع إلى ما يحصل للمصلي من الثواب لا إلى ما يحصل للنبي - صلى الله عليه وسلم - قال الحافظ: وهذا ضعيف، لأنه يصير كأنه قال: اللهم أعطني ثوابا على صلاتي على النبي - صلى الله عليه وسلم - كما صليت على إبراهيم. ويمكن أن يجاب بأن المراد مثل ثواب المصلي على إبراهيم. وبأن كون المشبه به أرفع من المشبه غير مطرد بل قد يكون التشبيه بالمساوي والدون كقوله تعالى: (مثل ما ينفقون) [البقرة ٢٦١] (مثل نوره كمشكاة) [النور ٣٥] وحسن التشبيه أنه لما كان تعظيم إبراهيم وآل إبراهيم [بالصلاة عليهم] مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن أن يطلب للنبي - صلى الله عليه وسلم - وآله مثل ذلك. ويؤيده قوله: (في العالمين). وقال ابن القيم، بعد أن زيف أكثر الأجوبة إلا تشبيه المجموع بالمجموع: وأحسن منه أن يقال إنه - صلى الله عليه وسلم - من آل إبراهيم عليه الصلاة والسلام [وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)] [آل عمران ٣٣] قال: محمد

من آل إبراهيم [، فكأنه أمرنا بأن نصلي على محمد وآل محمد خصوصا، بقدر ما صلينا عليه مع إبراهيم وآل إبراهيم عموما فيحصل لآله ما يليق بهم ويبقى كله وذلك القدر أزيد مما لغيره من آل إبراهيم قطعاً ويظهر فائدة التشبيه حينئذ.

[٤٣٩]

ونقل الحافظ عن المجد اللغوي عن بعض أهل الكشف: أن التشبيه لغير اللفظ المشبه به لا لعينه وذلك أن [بقولنا: اللهم، صلى على محمد] اجعل من أتباع محمد من يبلغ النهاية في أمر الدين كالعلماء بشرعه [بتقريرهم أمر الشريعة] كما صليت على آل إبراهيم بأن جعلت فن أتباعه أنبياء يقررون الشريعة، والمراد بقوله (وعلى آل محمد) اجعل من أتباعه ناساً محدثين بالفتح يخبرون بالمغيبات كما صليت على إبراهيم بأن جعلت فيهم أنبياء يخبرون بالمغيبات والمطلوب [حصول صفات الأنبياء لآل محمد، وهم أتباع له في الدين، كما كانت حاصلة بسؤال إبراهيم. قال الحافظ: وهو جيد إن سلم بأن المراد بالصلاة هنا ما ادعاه والله تعالى أعلم. السادس: المراد بالبركة في قوله: (وبارك على محمد) الزيادة من الخير والكرامة وقيل: التطهير من العيوب والتزكية. وقيل: المراد ثبوت ذلك واستمراره من قولهم بركت الإبل أي ثبتت على الأرض، وبه سميت بركة الماء، بكسر أوله وسكون ثانيه لإقامة الماء بها. السابع: ما أنكره ابن العربي على ابن أبي زيد المالكي من قوله في رسالته: (وارحم محمداً) إن كان من جهة أنه لم يصح فظاهر، وإن كان من جهة أنه لا يقال: وارحم محمداً فغير مسلم فقد ورد في ذلك عدة أحاديث منها ما تقدم. وأصحها في التشهد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته). قال الحافظ: ومنها: حديث ابن عباس: (اللهم إني أسألك رحمة من عندك). وحديث عائشة (اللهم، إني أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك). وحديث (يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث). وحديث: (اللهم: أرجو رحمتك). وحديث: (إلا أن يتغمدني الله برحمته). الثامن: أن المراد بالعالمين أصناف الخلق كما رواه أبو مسعود وغيره وفيه أقوال آخر. قيل: ما حواه بطن الفلك. وقيل: كل محدث. وقيل: كل ما فيه روح. وقيل: يفيد العقلاء.

[٤٤٠]

التاسع: (الحميد) فعيل من الحمد، بمعنى محمود؛ وأبلغ منه وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها. وقيل: هو بمعنى الحامد أي يحمد أفعال عباده. و (المجيد) من المجد وهو صفة الإكرام، ومناسبة ختم الدعاء بهذين الاسمين العظيمين أن المطلوب تكريم الله لنبيه وثناؤه عليه والتنويه به وزيادة تقريبه وذلك مما يستلزم طلب الحمد والمجد له. العاشر: تقدم في بعض الأحاديث (الأعلى) وهو بفتح اللام، ويظهر أن المراد به الملاء الأعلى وهم الملائكة، لأنهم يسكنون السموات، والجن هم الملاء الأسفل، لأنهم سكان الأرض. و (المصطفون) وهو بفتح الطاء والفاء أي المختارين من أبناء جنسهم. فمن الأنبياء نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى أولو العزم وهو سيدهم. ومن الملائكة كثيرون حملة العرش، وجبريل، وميكائيل، ومن شهد بدراً. وقيل: المصطفون هم الذين أعدهم صفوة لصفائهم من الأدناس. وقيل: هم الذين وجدوه وأمنوا به. وقيل: هم أصحابه. وقيل: هم أمته. والمقربون: المراد بهم الملائكة، وعن ابن عباس: هم حملة العرش وبه جزم البغوي. وقيل: الملائكة الكروبيون عنده الذين حول العرش كجبريل وميكائيل ومن في طبقتهم. وقيل: هم الذين لهم تدبير الأحوال السماوية وهم المعنيون بقوله تعالى: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) [النساء

[١٧٢] . وقيل المقربون سبعة إسرافيل، وميكائيل، وجبريل، ورضوان، ومالك، وروح القدس، وملك الموت عليهم الصلاة والسلام. وأما المقربون من البشر المذكورون في قوله تعالى: (والسابقون السابقون، أولئك المقربون، في جنات النعيم) [الواقعة ١٠] فقيل هم السابقون إلى الإسلام. وعن مقاتل: السابقون من سبق الأنبياء بالإيمان.

[٤٤١]

وقيل: هم الصديقون. الحادي عشر: قوله: (من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى) أي الأجر والثواب وكفى بذلك عن كثرة الثواب، لأن التقدير بالمكيال يكون في الغالب للأشياء الكثيرة، والتقدير بالميزان يكون دائما للأشياء القليلة وأكد ذلك بقوله: (الأوفى) ويحتمل أن يكتال بالمكيال الأوفى الماء من حوض المصطفى ويدل لذلك ما ذكره عياض في الشفاء عن الحسن البصري أنه قال: من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى فليقل: اللهم، صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين. قال الإمام أبو زرعة العراقي: والأول أقرب. الثاني عشر: قال المجد اللغوي: إن كثيرا من الناس يقولون (اللهم صل على سيدنا محمد) وفي ذلك بحث أما في الصلاة فالظاهر هو أنه لا يقال أتباعا للفظ المأثور ووقوفا عند الخبر الصحيح. وأما في غير الصلاة فقد أنكر على من خاطبه بذلك كما في حديث الصحيح وإنكاره يحتمل أن يكون تواضعا منه - صلى الله عليه وسلم - أو كراهة منه أن يحمد ويمدح مشافهة، أو لأن ذلك كان من تحية الجاهلية أو لمبالغتهم في المدح حيث قالوا: أنت سيدنا ومولانا وأنت والدنا، وأنت أفضلنا علينا فضلا، وأنت أطولنا علينا طولا، وأنت فرد عليهم، وقال: لا يستهوينكم الشيطان، وقد صح قوله - صلى الله عليه وسلم - (أنا سيد ولد آدم). وقوله للحسن (إن ابني هذا سيد) وقوله لسعد: (قوموا إلى سيدكم). وقال ابن مسعود: اللهم، صل على سيد المرسلين) وكان هذا دلالة واضحة على جواز ذلك والمانع يحتاج إلى دليل وحديث (لا تسيدوني في الصلاة) لا أصل له. الثالث عشر: إن قيل: ما الحكمة في قولنا: (اللهم، صل على سيدنا محمد) والمناسب لأمر بالصلاة أن يقول: أصلي على محمد، قيل: يبلغ قدر الواجب من ذلك أحسنه عليه تعالى، لأنه أعلم بما يليق به، فهو كقوله: (لا أحصي ثناء عليه) قاله ابن أبي جملة: وقيل: لما كان - صلى الله عليه وسلم - طاهرا لا عيب فيه، ونحن فينا المعائب والنقائص، ولم يصلح لنا أن نشني عليه، سألنا الله تعالى أن يصلي عليه، لتكون الصلاة من رب طاهر على نبي طاهر قاله المرغيناني من أئمة الحنفية. الرابع عشر: خص اسمه محمدا دون سائر أسمائه الشريفة، لأنه جامع لجميعها، وهو علم وصفة اجتمع فيه الأمران في حقه - صلى الله عليه وسلم - وإن كان علما محضا في حق كثير ممن تسمى

[٤٤٢]

به غيره، وهذا شأن أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه وأسماء نبيه، وهي أعلام دالة على معان، هي أوصاف فلا يضاد فيها العلمية الوصف بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين. الخامس عشر: فإن قلت: لم خص إبراهيم دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟. أجب بأنه خص بذلك، لأنه منادي الشريعة حيث أمره الله تعالى بقوله: (وأذن في الناس بالحج) [الحج ٢٧] ومحمد - صلى الله عليه وسلم - كان منادي الدين لقوله تعالى: (إنا سمعنا مناديا ينادي

للإيمان) [آل عمران ١٩٣] أو لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - باتباعه، لا سيما في أركان الحج أو لقوله: (واجعل لى لسان صدق في الآخرين) [الشعراء ٨٤] أو مكافأة لما فعل حيث دعا لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) [إبراهيم ٤١]. السادس عشر: قيل: المراد بالمقعد المقرب المقام المحمود وجلوسه على العرش، والمراد به الوسيلة. وقال الطيبي: إن له - صلى الله عليه وسلم - مقامين مختصين به. أحدهما: مقام حلول الشفاعة والوقوف على يمين الرحمن حيث يغبطه فيه الأولون والآخرون. وثانيهما: مقعده من الجنة ومنزله الذي لا ينزل بعده. السابع عشر: اختلف في أفضلية كيفية الصلاة. قال البارزي: اللهم، صلى على محمد، وعلى آل محمد أفضل صلواتك عدد معلوماتك فإنه أبلغ فيكون أفضل. وقال القاضي حسين: أن يقول اللهم، صلى على محمد كما هو أهله ومستحقه. وقال صاحب القاموس في كتابه في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بعضهم: اللهم صلى على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى كل نبي وملك وولي عدد الشفع والوتر وعدد كلمات ربنا التامات المباركات. وقال بعضهم: اللهم، صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك. قال الحافظ السخاوي: ومال إليه شيخنا - أي الحافظ ابن حجر - . وقيل: اللهم، صلى على محمد، وعلى آل محمد، كلما ذكره الذاكرون وكلما سهما عنه الغافلون حكاه الرافعي عن إبراهيم المروري.

[٤٤٣]

وقيل: اللهم، صل أبدا أفضل صلواتك على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك وآله وسلم تسليما، وزده شرفا وتكريما، وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة. قال الكمال ابن الهمام الحنفي: كل من ذكر من الكيفيات موجود فيها. وقيل: اللهم، صلى على محمد وعلى آل محمد أفضل صلواتك عدد معلوماتك، قاله الشرف البارزي. وقيل: اللهم، صلى على محمد وعلى آل محمد صلاة دائمة بدوامك ذكر القاضي مجد الدين الشيرازي اختيارها الثامن عشر: في بيان غريب ما سبق: (علمتم) بضم العين المهملة وتشديد اللام وكسرهما. ألا أهدي لك: (بضم الهمزة وتفتح هدية من الهدى الثلاثي يطلق مرة على نفس المصدر وهو الهدى بمعنى الاهتداء، ومرة على المفعول وهو المهدي وعليه يحمل هذا الحديث ونحوه، لأنه فسر من بعد، ولأن فيه زيادة ذكر المفعول به، والهدى ما يتقرب به إلى المهدي إليه توددا وتكرما زاد بعضهم: من غير قصد دفع ضرر دنيوي بل لقصد ثواب الآخرة، وأكثر ما يستعمل في الأجسام، لا سيما والهدية فيما نقل من مكان إلى آخر، وقد تستعمل في المعاني، كالعلوم والأدعية ونحو ذلك مجازا. الذرية: بذال معجمة مضمومة وقد تكسر والأولى أفصح قال في المشارق: أهل الذرية بالهمزة من الذرة وهو الخلق، لأن الله ذرأهم أي خلقهم والذرية النسل قال المنذري: من ذكر وأنثى، وهل يدخل فيها أولاد البنات وهو مذهب مالك والشافعي إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، لإجماع المسلمين على دخول أولاد فاطمة في ذرية النبي - صلى الله عليه وسلم - المطلوب لهم من الله الصلاة، والرواية الثانية عن الإمام أحمد: أنهم لا يدخلون وهو مذهب أبي حنيفة ويستثنى أولاد سيدتنا فاطمة لشرف هذا الأصل الأصيل.

[٤٤٤]

الباب السادس في المواطن يستحب الصلاة عليه فيها - صلى الله عليه وسلم - وفيه أنواع: الأول: في يوم الجمعة وليلتها. روى الإمام أحمد في مسنده، وابن أبي عاصم في الصلاة له والبيهقي في حياة الأنبياء وشعب الإيمان وغيرهما من تصانيفه وأبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم وابن حبان وابن خزيمة في صحيحهما والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه عن أوس بن أوس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثرُوا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي) قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يعني بليت - قال: (إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء). وروى البيهقي بسند حسن، لا بأس به - عن أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أكثرُوا من الصلاة علي في كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقرب مني منزلة). وروى ابن ماجه - برجال ثقات - عن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أكثرُوا من الصلاة علي في يوم الجمعة، فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة، وإن أحدا لن يصلي علي إلا عرضت علي صلته حتى يفرغ منها، قال قلت: وبعد الموت قال: وبعد الموت، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) فبني الله حي يرزق في قبره. وروى الحاكم - وقال: صحيح الإسناد - والبيهقي في شعب الإيمان، وحياة الأنبياء في قبورهم عن أبي مسعود الأنصاري - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (أكثرُوا من الصلاة علي في يوم الجمعة، فإنه ليس أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت علي صلته). وروى ابن بشكوال في كتابه في الصلاة النبوية - بسند ضعيف - عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أكثرُوا الصلاة علي في الليلة الغراء، واليوم الأزهري فإن صلاتكم تعرض علي، فأدعوا لكم وأستغفر). وروى الطبراني - بسند لا بأس به في المتابعات - عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن

[٤٤٥]

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أكثرُوا الصلاة علي يوم الجمعة، فإنه أتاني جبريل أنفا عن ربه عز وجل فقال: ما على الأرض من مسلم يصلي عليك إلا صليت أنا وملائكتي عليه عشرا). وفي لفظ: (أكثرُوا من الصلاة علي يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة). وروى البيهقي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: سمعت نبيكم - صلى الله عليه وسلم - يقول: (أكثرُوا الصلاة علي نبيكم في الليلة الغراء واليوم الأزهري). وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أكثرُوا الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهري، فإن صلاتكم تعرض علي). وروى الدارقطني: وابن شاهين، جميعا في الأفراد، عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الصلاة علي نور الصراط، فمن صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة، غفرت له ذنوب ثمانين عاما). وروى الديلمي عن أبي ذر الغفاري - رضي الله تعالى عنه - صلى الله عليه وسلم - قال: (من صلى علي يوم الجمعة مائة صلاة غفرت له ذنوب مائة عام). وروى الديلمي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من صلى علي يوم الجمعة كانت شفاعته له عندي يوم القيامة). وروى ابن شاهين - بسند ضعيف - عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (من صلى علي يوم الجمعة ألف مرة لم

يمت حتى يرى مقعده من الجنة). وروى التيمي في ترغيبه والدلمي في مسنده - بسند ضعيف عنه، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من صلى علي في كل يوم جمعة أربعين مرة محى الله عنه ذنوب أربعين سنة، ومن صلى علي مرة واحدة فتقبلت منه محى الله عنه ذنوب ثمانين سنة) (ومن قرأ) (قل هو الله أحد) [الإخلاص ١] (حتى يختم السورة بنى الله له منارا في جسر جهنم حتى يجاوز الجسر). وروى البيهقي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أكثرُوا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا). وروى ابن عدي، والبيهقي في الشعب عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أكثرُوا الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة).

[٤٤٦]

وللأديب الفاضل شعبان الآثاري في قصيدة: وجاء في الجمعة الغرا وليتها * عنه من الخير تأجيل وتعجيل وقد أمرنا باكثر الصلاة علي * محمد فيهما والفضل مأمول فمن يصلي علي المختار واحدة * يأتيه عشرا من المولى وتنفيّل الثاني: عند طرفي النهار. روى الطبراني عن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة). الثالث: عند الفراغ في الوضوء. روى التيمي في ترغيبه، والدارقطني والبيهقي، وقالوا: ضعيف، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا فرغ أحدكم من طهوره فليقل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ثم ليصل علي، فإذا قال ذلك فتحت له أبواب الرحمة). قال الحافظ السخاوي: وهذا الحديث مشهور عن عمر بن الخطاب وعقبة بن عامر، وثوبان، وأنس، لكن بدون (الصلاة) والله تعالى أعلم. وروى ابن ماجة وابن أبي عاصم - بسند ضعيف - عن سهل بن سعد - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا وضوء لمن لا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم -) وفي بعض طرقه زيادة: (لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لا يذكر اسم الله عليه). الرابع: بعد الأذان والإقامة. وروى مسلم والترمذي والنسائي والبيهقي، وأبو داود عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه ليس من أحد يصلي علي واحدة إلا صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله عزوجل وأرجوا أن أكون أنا هو، فمن سألها لي حلت له شفاعتي). وروى الإمام أحمد والطبراني في الأوسط عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من قال حين يسمع المنادي اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة).

[٤٤٧]

وفي لفظ (الدعوة القائمة والصلاة النافعة، صل على محمد وارض عني رضاء لا سخط بعده استجاب الله دعوته) ورواه ابن وهب في جامعه بلفظ: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، صل على محمد عبدك ورسولك، وأعطه الوسيلة والشفاعة يوم القيامة، حلت له شفاعتي)، وفيه ابن

لهيعة، لكن أصله عند البخاري، بدون ذكر الصلاة. وروى الإمام أحمد وابن أبي عاصم والطبراني في الدعاء والكبير عن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: (إذا سمع المؤذن اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، صل على محمد وأعطه سوله يوم القيامة، وكان يسمعها من حوله، ويجب أن يقولوا مثل ذلك إذا سمعوا المؤذن قال: ومن قال مثل ذلك إذا سمع المؤذن وجبت له شفاعته محمد - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة). ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سمع النداء قال: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلى على محمد عبدك ورسولك، واجعلنا في شفاعته يوم القيامة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من قال هذه عند النداء جعله الله في شفاعتي يوم القيامة). قال الحافظ السخاوي: وفيهما صدقة ابن عبد الله السمين. وروى الحافظ عبد الغني المقدسي وغيره، عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا قال الرجل حين يؤذن المؤذن اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة أعط محمدًا سؤلته نالته شفاعتي). الخامس: عند دخول المسجد والخروج منه. روى النسائي وابن ماجه بأسانيد صحيحة عن أبي حميد الساعدي - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ليقل: اللهم إني أسألك من فضلك). وروى الإمام أحمد والترمذي وقال: - حسن، وليس إسناده بمتصل - عن فاطمة - رضي الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل المسجد (صلى على محمد وآله ثم قال: اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك) وإذا خرج - صلى على محمد وآله ثم قال: (اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك) وإذا خرج - صلى على محمد ثم قال: (اللهم اغفر لي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما، والحاكم مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه عن أبي

[٤٤٨]

هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي - صلى الله عليه وسلم - وليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي - صلى الله عليه وسلم - وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم). قال الحافظ السخاوي: وأعله النسائي برواية المقبري له عن أبي هريرة عن كعب، وذكر أنها أولى بالصواب. قال الحافظ ابن حجر: وخفيت هذه العلة على من صحح هذا الحديث، ولكن في الجملة هو حسن لشواهده. وروى ابن أبي عاصم عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وليقل اللهم اعصمنا من الشيطان). السادس: في الصلاة. روى أبو داود والترمذي وصححه، وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن فضالة بن عبيد - رضي الله تعالى عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يمجده الله ولم يصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: عجل هذا، ثم دعا فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه، ثم ليصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يدعو بعد بما شاء. ورواه النسائي بلفظ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (عجل هذا المصلي) ثم علمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم سمع رجلاً يصلي فحمد الله وحمده وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ادع الله تجب وسل تعطه. ورواه الترمذي أيضا بلفظ (سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي -

صلى الله عليه وسلم -: (عجل هذا)، ثم دعاه فقال له، أو لغيره (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ليدع بعده بما شاء) وله في رواية أخرى، وهي عند الطبراني أيضا برجال ثقات غير رشدين بن سعد، لكن حديثه مقبول في الرقائق، بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاعد إذ دخل يصلي، فقال: اللهم اغفر لي وارحمني فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، ثم صل علي ثم ادعه، ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أيها المصلي ادع تجب). وفي رواية (سل تعطه). السابع: الصلاة عليه، أول الدعاء ووسطه وآخره.

[٤٤٩]

روى عبد بن حميد والبخاري في مسنديهما، وعبد الرزاق في جامعه، وابن أبي عاصم في الصلاة له، والتميمي في الترغيب والطبراني والبيهقي في الشعب والضياء، وأبو نعيم في الحلية، كلهم من طريق موسى بن عبيدة الربذي - وهو ضعيف - والحديث غريب، عن جابر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تجعلوني كقدح الراكب)، قيل: وما قدح الراكب، قال: إن المسافر إذا فرغ من حاجته صب في قدحه ماء، فإن كان له إليه حاجة توضع منه أو شرب وإلا أهراقه قال: (اجعلوني في أول الدعاء ووسطه وآخره). وروى عبد الرزاق والطبراني في الكبير - برجال الصحيح - عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - قال: إذا أراد أحدكم أن يسأل الله فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله، ثم ليصل على النبي - صلى الله عليه وسلم -، ثم ليسأل الله بعد، فإنه أجدر أن ينجح أو يصيب). وروى النسائي وأبو القاسم بن بشكوان عن عبد الله بن بشر - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الدعاء كله محجوب حتى يكون أوله ثناء على الله - عز وجل - وصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم يدعو فيستجاب له دعاؤه). وروى الديلمي في مسند الفردوس، عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم -). الثامن: عند طنين الأذان. روى الطبراني، وابن عدي، وابن السنني في اليوم والليلة، وابن أبي عاصم وأبو موسى بسند ضعيف، عن أبي رافع مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا طنت أذان أحدكم فليصل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي رواية بعضهم: (ذكر الله من ذكرني بخير). تنبيهات الأول: الحكمة في أمره - عليه الصلاة والسلام - بالإكثار من الصلاة عليه في يوم الجمعة، لأنه أفضل أيام الأسبوع، ووصفه بالأزهر، ووصف ليلته بالزهراء لكثرة الملائكة فيها، وهو نور، أو لخصوصيتها بنجل خاص، وفيه شرع الغسل والصلاة الخاصة، وخصه تعالى من دون سائر الأيام بقوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) [الجمعة: ٩] ولما كان - صلى الله عليه وسلم - سيد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام، كانت للصلاة عليه فيه منزلة ليست لغيره، مع لطيفة أخرى، وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، إنما نالته على - يديه - صلى الله عليه وسلم - فجمع الله لأمته خيري الدنيا والآخرة، وأعظم

[٤٥٠]

كرامة تحصل لهم إنما تحصل لهم يوم الجمعة، وهو بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو عيد لهم في الدنيا، وهذا كله عرفوه وحصل لهم بسببه - صلى الله عليه وسلم - وعلى يده، فمن حمده وشكره وأداء القليل من حقه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يكثر عليه من الصلاة في هذا اليوم وليلته). الثاني: إن قيل: ما الحكمة في قوله (إن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء) والبلاغ بعد الموت لا تعلق له بالأجساد والأرواح؟ قيل: لما كان لكلام ما اختص به بعد الموت من البلاغ أردفه بيان خصوصية أخرى له ولغيره من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم -، وهي أن الأرض لا تأكل أجسادهم. الثالث: قوله (رب هذه الدعوة) أي: صاحبها الذي يشرعها. وقوله: (التامة) قال التوريشتي: إنما وصفها بالتمام، لأنها ذكر الله تعالى، يدعى بها إلى عبادة، وهذه الأشياء وما والها هي التي تستحق صفة الكمال والتمام، وما سوى ذلك من أمور الدنيا بمعرض النقص والفساد، ويحتمل أنها وصفت بالتمام، لكونها محمية عن النسخ والإبدال، باقية إلى يوم الثناد. وقال بعضهم: معنى أنها تامة: أنها جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على ترغيبه في العقلية والسمعية، لما فيه من إثبات التنزيه، والتوحيد، ونفي الشرك، وإثبات النبوة والرسالة، والدعاء إلى العبادات والصالح. وفيها إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء. وقوله: (الصلاة القائمة) أي الدائمة التي لا تغيرها ملة ولا تنسخها شريعة. وقوله: (الوسيلة) أي: بالقرب، وسبب الوصول إلى أبلغية، وتوسل الرجل إذا طلب الدنو، وتطلق على المنزلة العلية كما قال - عليه الصلاة والسلام -: (فإنها منزلة من الجنة). وقوله: (لا تبغي إلا لعبد من عباد الله) أي: مختص بها دون غيره، وذكرها بلفظ الرجاء، وإن كان ذلك له قطعا أدبا وإرشادا، أو تعظيما لأمره وتذكيرا بالخوف، وتفويضا إلى الله تعالى بحسب مشيئته، ليكون الطالب للشئ بين الرجاء والخوف. وفي رواية: سؤله، وهي بسين مهملة مضمومة فهمزة ساكنة - أي حاجته وهو ما يسأله الشخص، والمراد الشفاعة العظمى والدرجة العالية، والمقام المحمود، والحوض المورود، ولواء الحمد، ودخول الجنة قبل الخلائق إلى غير ذلك، بما أعد الله له من الكرامة في ذلك اليوم. (والفضيلة) معناها ظاهر. وقوله: (والمقام المحمود الذي وعدته) أي بقوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما

[٤٥١]

محمودا) [الإسراء، ٧٩] و (عسى) (ولعل) من الله تعالى للتحقيق والوقوع، وقد اختلفت في تفسير المقام المحمود. فقيل: هو شهادته لأمره. وقيل: لواء الحمد يوم القيامة. وقيل: هو أن يجلسه الله على الكرسي. وقيل: الشفاعة، إذ هو مقام يحمده فيه الأولون والآخرون، وسيأتي لهذا مزيد بيان في أبواب بعثه وحشره إن الله تعالى. وقوله: (حلت) أي: وجبت، كما في بعض الروايات، أو نزلت وليست من الحل، لأن الشفاعة لم تكن محرمة قبل ذلك، واللام في (له) بمعنى (على) كما في الرواية الأخرى. وقوله (أو في قوله) كنت له شهيدا أو شفيعا ليست للشك لتطافر جماعة من الصحابة على روايتها كذلك، ويبعد اتفاقهم على الشك، وهي إما للتقسيم فيكون شهيدا لبعض وشفيعا للمنافقين، أو شفيعا للعاصين وشهيدا للطائعين، أو شهيدا لمن مات في حياته شفيعا لمن مات بعده أو غير ذلك، وإما أن تكون بمعنى (الواو) فيكون شهيدا وشفيعا. الرابع: إن قيل: ما السر في تخصيص ذكر الرحمة عند دخول المسجد والفضل عند الخروج؟ قيل: لأن من دخل اشتغل بما يزلفه إلى الله تعالى وإلي ثوابه وحنته، فناسب أن يذكر الرحمة، وإذا خرج انتشر في الأرض ابتغاء فضل الله من الرزق الحلال، فناسب الفضل، كما قال تعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) [الجمعة: ١٠]. قال في شرح المشكاة: وفي هذا الدعاء عند دخول المسجد استلواح أنه من دواعي فتح أبواب الرحمة من الله تعالى

لداخل المسجد. قوله: (أرمت) - بفتح الهمزة والراء وسكون الميم مخففا - بوزن ضربت أصله أرمت أي: صرت رميما، فحذفوا إحدى الميمين وهي لغة لبعض العرب كما قالوا: ظلت أفعل أي ظلت، والرميم والرمة العظام البالية، قاله الخطابي. وقال المنذري: وروى أرمت بضم الهمزة وكسر الراء. وقال غيره: إنما هو أرمت بفتح الراء والميم المشددة وإسكان التاء، أي: أرمت العظام.

[٤٥٢]

جماع أبواب بعثه وحشره وأحواله يوم القيامة - صلى الله عليه وسلم - الباب الأول فيما جاء أنه أول من يفيق من الصعقة وأول من يقوم من قبره واختصاصه بركوب البراق يومئذ وكيفية حشره - صلى الله عليه وسلم - روى الشيخان وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ينفخ في الصور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم أصعق معهم، ثم ينفخ فيه مرة أخرى فأكون أول من يفيق). وفي لفظ (أول من يبعث). وفي لفظ (أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة، فإذا موسى ياطش بجانب العرش). وفي لفظ: (أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان ممن صعق فافاق قبلي، أم حوسب بصعقته الأولى يوم الطور). وفي لفظ: (وكان ممن استثنى الله). وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبي سعيد الخدري - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر). وروى الإمام أحمد والنسائي والدارمي وابن خزيمة والضياء وأبو يعلى والبيهقي وأبو نعيم والترمذي وقال: حسن غريب عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا). زاد الترمذي والدارمي: (وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يتسوا، لواء الحمد بيدي يومئذ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر). وروى الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر). وروى الطبراني في الكبير والضياء عن عمار أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أنا أول من تنشق عنه الأرض، فأكون أول من يبعث). وروى ابن المبارك وابن أبي الدنيا وابن النجار عن كعب الأحبار - رحمه الله تعالى - قال: (ما من فجر يطلع إلا هبط سبعون ألف ملك، يضربون قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأجنحتهم، ويحفون به ويستغفرون له، ويصلون عليه حتى يمشوا، فإذا مشوا عرجوا وهبط سبعون ألف

[٤٥٣]

ملك، كذلك حتى يصبحوا، إلى أن تقوم الساعة، فإذا كان يوم القيامة خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سبعين ألف ملك). وروى أبو بكر بن أبي عاصم في السنة، عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: (دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد وأبو بكر عن يمينه أخذاً بيده وعمر عن يساره أخذاً بيده، وهو متكئ عليهما، وهو يقول: (هكذا نبعث) وروى الترمذي وقال: حسن غريب، والطبراني في الكبير، والحاكم وابن عساکر، وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا أول من تنشق عنه الأرض وأبو بكر وعمر). وروى الحاكم وضعفه ابن عساکر عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أول من تنشق عنه الأرض أنا، ثم تنشق عن أبي بكر وعمر، ثم تنشق عن الحرمين مكة والمدينة،

ثم أبعث بينهما). وروى الحارث بن أبي أسامة [عن سالم بن عبد الله بن عمر مرسلًا، وأبو نعيم عنه عن أبيه وهو موصول، والخطيب في رواية مالك] (١) عن مولاة لعبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أبعث يوم القيامة بين أبي بكر وعمر، ثم أذهب إلى بقيع الغرقد، فيبعثون معي، ثم انظر أهل مكة حتى يأتوني فأبعث بين أهل الحرمين). وروى الطبراني والحاكم عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (يحشر الأنبياء يوم القيامة على الدواب، ويبعث صالح على ناقته، وأبعث أنا على البراق، ويبعث ابني الحسن والحسين على ناقتين من نوق الجنة ويبعث بلال على ناقه من نوق الجنة، فينادي بالأذان محضًا وبالشهادة حقا، حتى إذا قال: أشهد أن محمدا رسول الله شهد له (المؤمنون من الأولين والآخرين، فقبلت ممن قبلت، وردت على من ردت). وروى ابن زنجويه في فضائله، عن كثير بن مرة الحضرمي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تبعث ناقه ثمود وصالح، فيركبها من عند قبره حتى يوافي لها المحشر). قال معاذ: وأنت يا رسول الله تركب العضاء قال: لا يركبها، وأنا على البراق اختصت به من دون الأنبياء يومئذ، ويبعث بلال على ناقه من نوق الجنة، ينادي على ظهرها بالأذان حقا، فإذا سمعت الأنبياء وأممها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله قالوا: نحن نشهد بذلك).

(١) ما بين المعكوفين سقط في ب. (*).

[٤٥٤]

الباب الثاني في كسوته - صلى الله عليه وسلم - في الموقف، ومكانه وأمنه وكون لواء الحمد ولواء الكرم بيده - صلى الله عليه وسلم - روى الإمام أحمد وابن حزم وابن المنذر وأبو نعيم عن ابن مسعود والبيهقي في (الأسماء والصفات) عن ابن عباس مرفوعا وابن المبارك، والإمام أحمد في الزهد وإسحاق وأبو يعلى، والرافعي عن علي بن أبي طالب موقوفا، وحكمه الرفع: (إن أول من يكسى إبراهيم يقول الله تعالى: (اكسوا خليلي، لا أرى خليلي عريانا) فيؤتى بريطين بيضاوين). وفي لفظ: (أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - عليه قطيقتين ثم يكسى النبي - صلى الله عليه وسلم - برد حبرة، وهو عن يمين العرش). ولفظ ابن عباس: (يكسى حلة من الجنة، فيلبسها، ثم يقعد مستقبلا العرش، ثم يؤتى بكسوني من الجنة، فيطرح عن يمين العرش، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة). وفي لفظ: على حلة حبرة، انتهى. وفي لفظ: (لا يقوم لها البشر، فأقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه أحد غيري، يغبطني فيه الأولون والآخرين). وروى ابن جرير وابن مردويه عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق، ما من الناس أحد إلا ود أنه منا). وروى الطبراني - رجال الصحيح - والإمام أحمد وابن جرير وابن حبان والحاكم، عن كعب بن مالك - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يحضر الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تل، فيكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي فأثني عليه بما هو أهله). وفي لفظ: (فيؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود). وروى الإمام أحمد وأبو يعلى وأبو نعيم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (بيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر آدم فمن دونه). وفي لفظ: (جميع الأنبياء تحت لوائي ولا فخر). وروى الحاكم والبيهقي في كتاب الرؤية عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله

- صلى الله عليه وسلم -: (أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحد إلا وهو تحت لوائي يوم

[٤٥٥]

القيامة ينتظر الفرج، وأنا معي لواء الحمد، أنا أمشي ويمشي الناس معي حتى آتي باب الجنة فأستفتح فيقال: من هذا ؟ فأقول: محمد، فيقال: مرحبا بمحمد، فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا أنظر إليه). ورواه الحاكم وابن عساكر بلفظ: (أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ولا رياء، وما من الناس أحد إلا وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإن بيدي لواء الحمد). وروى الترمذي والبيهقي عن أنس - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (لواء الكرم بيدي يوم القيامة). وروى عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إذا كان يوم القيامة أعطي حلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس لأحد من الخلائق أن يقوم ذلك المقام غيري). تبيهات الأول: قال القرطبي: هذه فضيلة عظيمة لإبراهيم، وخصوصية له، كما خص موسى بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - يجده متعلقا بساق العرش، ولا يلزم من هذا أفضليتهما على النبي - صلى الله عليه وسلم - والحكمة في تقدم إبراهيم بالكسوة أنه لما ألقى في النار جرد من ثيابه، وكان ذلك في ذات الله تعالى، فصبر واحتسب، فحوزي بأن جعل أول من يدفع عنه العري يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ثم يكسى نبينا - صلى الله عليه وسلم - حلة أعظم من كسوة إبراهيم، ليحبر التأخير بنفاسة الكسوة، فتكون كأنه كسى معه. وقيل: لأنه أول من يسبق إلى التستر بالسراويل وقيل: لأنه لم يكن في الأرض أخوف لله منه فجعلت له كسوته أمانا ليطمئن قلبه. وقال الحافظ: ويحتمل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج من قبره في ثيابه التي فيها، والحلة التي يكساها حينئذ من حلل الجنة خلعة الكرامة فلماذا قدم إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - الثاني: في بيان غريب ما سبق: الحلة: - بحاء مهملة مضمومة، فلام مفتوحة -، الحبرة: - بحاء مهملة مكسورة، فموحدة مفتوحة فراء -، الربطة: - براء مكسورة، فتحية ساكنة، فطاء مهملة، وتقدم تفسير الجميع مرارا -، يغيطة: بمثناة تحية مفتوحة، فعين معجمة ساكنة، فموحدة مكسورة فطاء مهملة، أي: يتمنوا أن يكونوا أعطوا مثل ما أعطى. (اللواء): - بلام مكسورة، فواو، فالف، فهمز -.

[٤٥٦]

الباب الثالث في كونه - صلى الله عليه وسلم - أول من يدعى يوم القيامة روى الحكيم الترمذي عن أبي بن كعب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أول من يدعى أنا يوم القيامة). وروى الحاكم والخرائطي في (مكارم الأخلاق) وابن عساكر عن حذيفة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا سيد الناس يوم القيامة، يدعوني ربي، فأقول: لبيك وسعديك، والخير بيدك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت وعبدك بين يديك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك تباركت رب البيت). وروى الحكيم عن أبي بن كعب - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أول من يدعى يوم القيامة أنا فأقوم فأتي ثم يؤذن لي في السجود).

[٤٥٧]

الباب الرابع في اختصاصه - صلى الله عليه وسلم - بالسجود يومئذ روى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود). وروى الإمام أحمد عنه والحاكم والبيهقي في الشعب عن أبي الدرداء وأبي ذر أنه عليه الصلاة والسلام قال: (أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأرفع رأسي، فأنظر بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي، مثل ذلك، وعن يميني أنظر فأعرف أمتي من بين الأمم وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم، هم غر محجلون من آثار الوضوء ولا يكون لأحد غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود، وأعرفهم بنورهم الذي بين أيديهم عن أيمانهم وعن شمائلهم وأعرفهم يسعى نورهم بين أيديهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وأعرفهم أيديهم وذريتهم). وفي لفظ (وأيمانهم). وروى الطبراني في الكبير عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، ثم يؤذن لي برفع رأسي فأعرف أمتي عن يميني وعن شمالي، قيل: كيف تعرفهم يا رسول الله ؟ قال غر محجلون من أثر الوضوء، وذرايعهم بين أيديهم).

[٤٥٨]

الباب الخامس في طمأنينته إذا جئ بجهنم وفتح غيره - صلى الله عليه وسلم - روى ابن وهب في كتاب (الأهوال) عن العطاء بن خالد قال: (يؤتى بجهنم يوم القيامة يأكل بعضها بعضا، يفودها سبعون ألف ملك، فإذا رأت الناس زفرت فذلك قوله تعالى: (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) [الفرقان: ١٢] فلا يبقى نبي ولا صديق إلا برك لركبته، يقول: يا رب نفسي نفسي، ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أمتي أمتي). وروى أبو نعيم من طريقين عن كعب الأحبار - رحمه الله تعالى - قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ونزلت الملائكة فصاروا صفوفًا، فيقول الله تعالى: يا جبريل أنت بجهنم، فيأتي بها تقاد، بسبعين ألف زمام، حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق، ثم زفرت زفرة ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى لركبته ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر، وتذهل العقول، فيفزع كل امرئ إلى عمله حتى إن إبراهيم يقول بخلتي لا أسألك إلا نفسي، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - يقول: أمتي أمتي، لا أسألك اليوم نفسي، فيجيبه الجليل جل جلاله: (إن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فوعزتي لأقرن عينك في أمتك، ثم تقف الملائكة بين يدي الله تعالى ينتظرون ما يؤمرون).

[٤٥٩]

الباب السادس في شفاعته العظمى لفصل القضاء والإراحة من طول الوقوف وهي التي يرغب إليه فيها الخلق كلهم حتى الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - روى مسلم عن أبي بن كعب - رضي الله تعالى عنه - في حديث قال فيه: (أخرت الثالثة إلى يوم يرغب إلى فيه الخلق حتى إبراهيم). ورد مطولا من حديث أنس، رواه أحمد والشيخان، والإمام أحمد من طريق آخر، والترمذي والبيهقي مختصرا، وعن أبي بكر الصديق رواه الإمام أحمد والبخاري، وأبو عوانة، وابن حبان في صحيحهما وأبي هريرة رواه الشيخان، وابن عباس رواه أحمد وأبو يعلى، وعقبة بن عامر رواه ابن المبارك وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني، وأبي سعيد الخدري رواه

الترمذي وحسنه وابن خزيمة، وسلمان رواه ابن خزيمة والطبراني بسند صحيح، ومختصرا من رواية ابن عمر رواه البخاري من طريقين، وحذيفة رواه مسلم والحاكم والبخاري والبيهقي من طريق آخر، وأبي بن كعب رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم صححه على شرط مسلم من طريق آخر، وأبو يعلى من طريق آخر، عبادة بن الصامت رواه الحاكم وصححه وكعب بن مالك رواه مسلم والطبراني، وجابر بن عبد الله رواه البيهقي، وعبد الله بن سلام رواه البيهقي، وفي حديث كل من الفوائد ما ليس في الآخر، فأدخلت بعضها في بعض وسيرت زيادة بعضهم على بعض أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعون داعي وينفذهم البصر، وتعطى الشمس حر عشر سنين، ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة). وفي حديث ابن عمر عند الشيخين: (يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه). وعندهما من حديث أبي هريرة (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق حتى يبلغ أذانهم) (١). وفي حديث أنس عند البخاري والحاكم: (إن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول: يا رب إرسالك بي إلى النار أهون علي مما أجد، وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب). وفي حديث أبي هريرة عند البيهقي (يحشر الناس حفاة عراة مشاة غرلا قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم نحو السماء فليجمهم العرق من شدة الكرب).

أخرجه البخاري (٦٥٣٣) ومسلم ٤ / ٢١٩٦ / (٦١ / ٢٨٦٣).

[٤٦٠]

وفي حديث المقداد عند مسلم (١) (تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم مقدار ميل). قال سليمان بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة الأرض؟ أو الميل الذي تتحل به العين؟ فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما، وأشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (بيده إلى فيه، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقول بعضهم لبعض ألا ترون إلى ما قد بلغكم، أنتظرون من يشفع لنا، فيقول بعض الناس لبعض: انطلقوا إلى أبيكم آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول: لست هناكم إن ربي قد غضب اليوم غضبا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته فخرجت بخطئتي من الجنة. وفي رواية: (وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم إن يغفر لي اليوم حسبي، نفسي نفسي. وفي رواية: (أنه لا يهمني اليوم إلا نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى أبيكم بعد أبيكم اتوا نوحا عبدا شكورا، أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدا شكورا، واصطفاك واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه: ألا ترى ما قد بلغنا: فيقول نوح: لست هناكم، إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه كانت لي دعوة دعوتها على قومي وسألت ما ليس لي به علم، وإن يغفر لي اليوم حسبي، نفسي نفسي). وفي رواية: (إنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، اذهبوا إلى

غيري اذهبوا إلى إبراهيم الذي اتخذته الله خليلا فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض قم فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا فيقول: لست هناكم إنما كنت خليلا من وراء وراء، وإن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني كذبت في الإسلام ثلاث كذبات، والله ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله، وإن يغفر لي اليوم حسبي، نفسي نفسي.

(١) أخرجه مسلم ٤ / ٢١٩٦ (٦٣ / ٢٨٦٤).

[٤٦١]

وفي رواية: (إنه لا يهمني اليوم إلا نفسي اذهبوا إلى موسى الذي اصطفاه الله برسالته وبكلامه وقربه نجيا فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت الذي اصطفاه الله برسالته وبكلامه، فاشفع لنا إلى ربك ليرحنا، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا فيقول: لست هناكم، إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها، وإن يغفر لي اليوم حسبي، نفسي نفسي. وفي رواية: (إنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، اذهبوا إلى عيسى، روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وكلمت الناس في المهد فاشفع لنا إلى ربك ليرحنا، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لست هناكم، إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني اتخذت من دون الله إن يغفر لي اليوم حسبي نفسي نفسي. وفي رواية إنه لا يهمني اليوم إلا نفسي، اذهبوا إلى غيري فيقولون إلى من تأمرنا فقال: إن كل متاع في وعاء مختوم عليه، أكان يقدر على ما في جوفه حتى يفض الخاتم فيقولون: لا فيقول إن محمدا خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين، وأول من تنشق عنه الأرض، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (فإنني لقاتم انتظر عند الصراط إذ جاء عيسى فيقول: يا محمد هذه الأنبياء قد جاءتك يسألون لتدعوا الله أن يفوق بين الأمم إلى حيث يشاء لغم ما هم فيه. وفي رواية فيقولون: يا نبي الله، أنت الذي فتح الله بك وختم، وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وحيث في هذا اليوم أمانا، وترى ما نحن فيه فاشفع لنا إلى ربك، فأقول: أنا صاحبكم، أنا لها (أنا لها) فأقوم فيثور من مجلسي من أطيب ريح ما شمها أحد قط فيجلس الناس، فأنطلق حتى آخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها، فيقال: من هذا ؟ فأقول: محمد، فيقول الخازن: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك، فيفتحون لي ويقولون مرحبا، فأتي جبريل، فيأتي جبريل ربه فيقول: ائذن له وبشره بالجنة، فأتي تحت العرش، فيتجلى الله لي ولا يتجلى لشيئ قبلي، فإذا رأيت ربي خررت ساجدا قدر جمعة شكرا له، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقول: ارفع رأسك، وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع وادع تجب، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بمحامد يعلمنيها لا أقدر عليها الآية، لم يحمد بها أحد قبلي ولا يحمد بها أحد بعدي، وأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فأقضى بينهم فيقول شفعتك فيهم أنا أتكم فأقضى بينكم). هذا ما يتعلق بهذه الشفاعة من الأحاديث المتقدمة، وبغية الأحاديث متعلقة بفضل القضاء ليست مما نحن فيه.

تنبيهات الأول: [...]. الباب السابع في الكلام على المقام المحمود، والكلام على بقية شفاعته - صلى الله عليه وسلم - قال الله عز وجل: (عسى أن يعثرك ربك مقاما محمودا) [الإسراء: ٧٩] أجمع المفسرون على أن (عسى) من الله واجب، لأن (عسى) تفيد الإطماع، والله أعظم من أن يطمع أحدا ثم لا يعطيه ما أطمعه فيه. قال الحافظ: الجمهور على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، وبالغ الواحدي، فنقل فيه الإجماع، ولكنه أشار إلى ما جاء عن مجاهد وزيفه. وقال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل: المقام المحمود الذي يقومه النبي - صلى الله عليه وسلم - ليريحهم من كرب الموقف، وفي الأحاديث تصريح بذلك فروى ابن خزيمة والطبراني وابن جرير بسند صحيح قال: (يشفعه الله في أمته فهو المقام المحمود). وروى الإمام أحمد وابن حبان والحاكم وصحاحه عن كعب بن مالك - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (يبعث الله يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود). وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الآية، قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي. وروى ابن جرير والطبراني من طرق عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: (المقام المحمود الشفاعة). وروى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: سئل عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (هي الشفاعة). وروى ابن جرير عن مجاهد في الآية قال: المقام المحمود الشفاعة. وروى مسلم وابن حبان والحاكم وابن جرير عن كعب بن مالك رفعه (أكون أنا وأمتي على تل فيكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود). وروى البخاري عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: (سمعت

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن بينما هم كذلك استغاثوا بادم فيقول: لست بصاحب ذلك، ثم موسى فيقول كذلك، ثم بمحمد فيشفع، فيقضي الله بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمد أهل الجمع كلهم. وقد تقدم في الباب قبله الكلام على الشفاعة العظمى وبقي الكلام على بقية الشفاعات. فالثانية: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب ودليله قوله تعالى في جواب قوله - صلى الله عليه وسلم - أمتي أمتي: أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن. قال الحافظ: كذا قيل، ويظهر إلى أن دليلا سؤاله - صلى الله عليه وسلم - الزيادة على السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فأجيب. وروى الإمام أحمد والبيهقي بسند جيد عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: سألت ربي - عز وجل - فوعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر لا حساب عليهم فاستزدت ربي فإذني مع كل ألف سبعين ألفا. وروى الطبراني والبيهقي بسند فيه ضعف عن عمرو بن حزم الأنصاري - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم، وإنني سألت ربي في هذه الثلاثة الأيام المزيد، فوجدت ربي ماجدا كريما، فأعطاني مع كل واحدة من السبعين ألفا سبعين ألفا). وروى الترمذي وحسنه والطبراني وابن حبان والضياء وصحاحه عن أبي أمامة - رضي الله تعالى عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (وعدني ربي أن

يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي (١). وروى الطبراني وابن أبي عاصم نحوه عن أبي سعيد الأنماري فحسبنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيبلغ أربعة آلاف وتسعمائة ألف. قال الحافظ: يعني من عد الحثيات. وروى الإمام أحمد وأبو يعلى بسند فيه ضعف عن أبي بكر الصديق - رضي الله تعالى

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٧)، وأحمد ٤ / ١٦، وابن ماجه (٤٢٨٦) وابن عاصم ١ / ٢٦١. (*)

[٤٦٤]

عنه - نحو حديث أبي هريرة بلفظ: فاستزدته فزادني مع كل واحد سبعين ألفا والأحاديث في ذلك شهيرة. الثالثة: في أناس حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا، ذلك ما رواه الطبراني وابن أبي الدنيا والحاكم، وصححه والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يوضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه أو قال لا أقعد عليه قائم بين يدي ربي منتصبا مخافة أن يبعث بي إلي الجنة وتبقى أمتي بعدي فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول الله تبارك وتعالى: وما تريد أن أصنع بأمتك فأقول: يا رب، عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته، ومنهم من يدخل بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا (١) برجال قد بعث بهم إلى النار حتى أن مالكا خازن النار ليقول: يا محمد، ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة. الرابعة: في إخراج ناس من المذنبين دخلوا النار، والأدلة على ذلك كثيرة شهيرة في الصحيحين وغيرهما ولا عبرة بإنكار المعتزلة لها. الخامسة: في رفع درجات ناس في الجنة ذكرها القاضي والنووي واستدل لها بما رواه مسلم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا أول شفيع في الجنة). السادسة: في أطفال البشر. وروى ابن أبي شيبة وأبو يعلى بسند صحيح والدارقطني في الأفراد والضياء عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (سألت ربي اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم)، قال أبو عمر: هم الأطفال، لأن أعمالهم كالسهو واللعب من غير تقدم عقد ولا عزم. وروى أبو نعيم عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (سألت ربي أن يتجاوز لي عن أطفال المشركين فتجاوز عنهم وأدخلهم الجنة).

(١) الصكاك جمع صك وهو الورقة التي تكتب للمصالح والمراد: كتبا. (*)

[٤٦٥]

الباب الثامن في دخوله - صلى الله عليه وسلم - جهنم لإخراج أناس من أمته عليه أفضل الصلاة والسلام [روى عن عمران بن حصين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (يخرج من النار قوم بشفاعتي محمد فيسمون الجهنميين). وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)].
الباب التاسع في الكلام على حوضه - صلى الله عليه وسلم - روى مسلم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال أغفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقال: إنه

نزلت علي أنفا سورة فقراً (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أعطيناك الكوثر) [الكوثر: ١] حتى ختمها قال: أتدرون ما الكوثر؟ قالوا الله ورسوله أعلم؟ قال: هو نهر وعدنيه ربي في الجنة عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة أنيته عدد الكواكب فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي، فيقال: إنك ما تدري ما أحدث بعدك. وروى الإمام أحمد عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أعطيت الكوثر، فإذا هو نهر يجري ولم يشق شقاً وإذا حافظه قباب اللؤلؤ وليس مشقوقاً فضربت بيدي إلى تربته فإذا هو مسك أذفر [وإذا حصا اللؤلؤ. وروى الشيخان عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر حافظه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا هو مسك أذفر [(١) قلت: ما هذا، يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله. وقد ورد ذكر الحوض، من رواته بضع وخمسين صحابياً سرد أحاديثهم ومن رواها منهم شيخنا - رحمه الله تعالى - في (البدور السافرة) وحاصلها أنه مسيرة شهر طوله مثل عرضه كيزانه من ذهب وفضة أكثر من نجوم السماء وهو أطيب ريحاً من المسك وأشد بياضاً، من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج له ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من فضة على حافظيه قباب اللؤلؤ.

(١) ما بين المعكوفين سقط ب. (*).

[٤٦٦]

وفي لفظ حافظه قصور اللؤلؤ والياقوت، وحصاؤه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ، تربته مسك إذ فر، فيه طير، أعناقها كأعناق الخرز، من شرب منه لم يظمأ أبداً، ولم يسود وجهه، ولم يصرف عنه إنسان فيروى أبداً لا يشرب منه من أخفر ذمة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا من قتل أهل بيته، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين. تنبيهات الأول: ورد في سعة الحوض أحاديث متقاربة المعنى. ففي رواية: مسيرة شهر وفي رواية ما بين أيلة إلى مكة. وفي رواية ما بين أيلة إلى صنعاء. وفي رواية من عدن إلى عمان. وفي رواية من صنعاء إلى المدينة. وفي رواية أعرض ما بين صنعاء إلى بصرى. وفي رواية ما بين الكوفة والحجر الأسود. وفي رواية ما بين جرباء وأذرح. وفي رواية مثل ما بين المدينة وعمان. وفي رواية إن حوضي هو من أيلة إلى عدن. وفي رواية ما بين مكة وبيت المقدس. قال العلماء: وهذا الاختلاف في هذه الروايات ليس موجهاً للاضطراب فيها، لأنه لم يأت في حديث بل واحد، بل في أحاديث مختلفة الرواية عن جماعة من الصحابة سمعوها من النبي - صلى الله عليه وسلم - في مواطن مختلفة ضربها النبي - صلى الله عليه وسلم - مثلاً لبعث أقطار أرض الحوض وسعته وقرب ذلك على أفهام السامعين لبعث ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد ولإعلام السامعين عظم بعد المسافة، وسعة الحوض وليس في ذلك القليل من هذه المسافات منع من الكثير فإن الكثير ثابت على ظاهره وصحت الروايات به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما، كذلك القول في أنية الحوض، أي العدد المذكور في الأحاديث على ظاهره وأنها أكثر من عدد نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك إذ قد وردت الأحاديث الصحيحة بذلك. الثاني: روى الطبراني عن سمرة بن جندب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الأنبياء يتباهون أيهم أكثر أصحاباً من أمته، فأرجو أن أكون يومئذ أكثرهم كلمهم واردة وإن كل رجل

منهم يومئذ قائم على حوض ملآن معه عصا، يدعو من عرف من أمته، ولكل أمة، يعرفهم بها نبيهم. وروى الترمذي عن سمرة أيضا: قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن لكل نبي حوضا، وإنهم يتباهون بهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردا. انتهى. الثالث: في بيان غريب ما سبق: الاختلاج: بخاء معجمة فمثناة فوقية وآخره جيم الاختلاس أي ينزع ويجذب. (جريا) بجيم فراء ساكنة فباء موحدة فألف قرية من قرى الشام [قريب من السراة]. أذرح: بهمزة فذال معجمة فراء مهملة وهي المدينة في طرف الشام. عمان: بفتح العين المهملة وتشديد الميم بلد بالبلقاء من أرض الشام. أيلة: بفتح الهمزة وإسكان المثناة التحتية وفتح اللام. صنعاء اليمن في قاعدة اليمن وأكبر مدنها وإنما قيده باليمن في الحديث، لأن بالشام موضعا يعرف بصنعاء ودمشق. يشخب: بالمثناة التحتية والشين والخاء والمعجمتين أي يسيل. (يفت) بفتح المثناة التحتية وبكسر الغين المعجمة وتشديد التاء المثناة الفوقية أي يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعًا. ليعك بالمثناة التحتية وضم العين المهملة وإسكان الكاف وهو موقف الإبل. الحوض: ... الفرط: ... سحقا: ... الباب العاشر فيما جاء أنه أول من يجوز على الصراط وأن مفاتيح الجنة بيده - صلى الله عليه وسلم - روى الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضرب الصراط على جسر جهنم، فأكون أول من يجيز. وروى الدارمي والترمذي وحسنه عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله -: صلى الله عليه وسلم -: (مفاتيح الجنة بيدي).

الباب الحادي عشر فيما جاء أنه أول من يستفتح باب الجنة وأنه أول يدخلها وقيام خازن الجنة له - صلى الله عليه وسلم - روى مسلم عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت فأقول: محمد فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك). ورواه الطبراني، وزاد فيه قال: ويقوم الخازن، ويقول: لا أفتح لأحد قبلك، ولا أقوم لأحد بعدك، الحديث وتقدمت بقيته في الخصائص. وروى الطبراني بسند حسن عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي). وروى أبو نعيم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إلي مفاتيح الجنة يوم القيامة ولا فخر، وبني تفتح الشفاعة ولا فخر، وأنا سابق الخلق إلى الجنة ولا فخر، وأنا إمامهم وأممي بالأثر). وروى ابن الجوزي عن حذيفة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا أول من يفتح باب الجنة). وروى ابن النجار عن أنس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أنا أول من يدق باب الجنة فلم تسمع الأذان أحسن من طنين الحلق على تلك المصاريع). وروى الإمام أحمد والدارمي والترمذي عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها). وروى ابن خزيمة عنه: أنا أول من يدخل الجنة وأول من يشفع. وروى أبو يعلى بسند حسنه الحافظ المنذري عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أن امرأة تبادرنني، أي لتدخل معي أو في أثري، فأقول لها: ما لك ومن أنت ؟ فتقول: أنا امرأة فعدت على أيتام لي. تنبيه: سبق الجمع بين ما هنا وبين ما رواه الترمذي وصححه من حديث بريدة بن الحصيب قال: أصبح رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا بلالا، يا بلال، بم سبقتني،
الحديث.

[٤٦٩]

الباب الثاني عشر فيما جاء أن جنة عدن مسكنه وعلو منزلته في الجنة وتزويج الله تعالى له مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وأسيرة امرأة فرعون وكثرة خدمه - صلى الله عليه وسلم - وغير ذلك روى الديلمي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسرورا فقال: يا عائشة، أما علمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وأسيرة امرأة فرعون. وروى الطبراني في الكبير عن سعد بن جنادة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن الله عز وجل زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى). وهذا آخر ما وجد بخط الفيشي والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب. وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء المبارك ليلة لجمعة المباركة عشرين خلو من صفر الخير من شهر سنة تسعة وتسعين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير (١).

(١) ثبت في أ قوله: وإن نجد عيبا فسيء الخلا * جل من لا فيه عيب وعلما ثم قال: (الحمد لله رب العالمين، قد تم وبالله الحمد إكمال إملاء هدى الكتاب الجليل مع التأمل لما فيه من سقامة الخط وعدم التصحيح والضبط، ولكن قد وقع التصحيح بقدر الطاقة وباعتبار السياق والسياق أو من أصوله، ولقد أتى فيه بما يبهز الأبواب ويعجز الحفاظ والكتاب، وزاد من الأطناب فيما هو لائق عند أولي الأبواب، وقد أخذ منها الخفاجي أكثرها، وثم بحمد الله الإملاء في دار مالكة وحضرة مولانا السيد الهمام الأكرم الحسام المحسن بن علي بن محمد عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن يحيى سلام الله عليهم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين آمين، حرر يوم التمام نهار الأحد إحدى وعشرين شهر ذي القعدة الحرام من شهر سنة ١٣٢٨. وثبت في ج قوله: (وجدت بالنسخة ما لفظه: قال: مؤلفه شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى خاتمة المحدثين، الشيخ محمد بن يوسف الشامي الصالحي نزيل البرقوقية بصحراء القاهرة في فهرست الأبواب هذا جميع ما تضمنه الكتاب من الأبواب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب وقال كاتبه: أقل تلازمة مؤلفه فقير رحمه ربه محمد بن محمد بن أحمد الفيشي المالكي قد انتهى ما جمعه مما وجد من مسودة مؤلفه وغيرها على حذو مؤلفه وأول ذلك من أثناء السرايا بعد أن أشار بذلك الشيخ الإمام العالم العلامة أبي العباس شهاب زين الدين عبد الحق السنباطي الشافعي والشيخ الإمام العلامة الحافظ أبي عبد الله الشيخ شمس الدين الداودي المالكي يوم وفاة مؤلفه وامتناعي من ذلك لعلمي لعدم أهيتي لذلك، وعدم مراد مؤلفها، وقد رأيت تلك الليلة، وخصني على ذلك، فقوى العزم على ما أشار به الشبخان، فجاء بركتهم على وفق ما رسمه الشيخ المؤلف غير بعض تنابيه تركتها بياضا ولم أعلم مرادها بها، وبعض بياضات لم يتيسر سدها الآن، وأرجو الله تعالى إن طال الأجل أن يبسرهما، ويعيننا على ذلك إنه على ما يشاء قدير، ما شاء الله كان وما = (*)

[٤٧٠]

[...]

= لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اعلم أن الله على كل شئ قدير، وأنه أحاط بكل شئ علما، وأعوذ بالله من شر هؤلاء الأربعة وصلى الله على سيدنا محمد وخشع، وعين لا تدمع، أعوذ بالله من شر هؤلاء الأربعة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. وقال العلامة المذكور رحمه الله تعالى وكان الفراغ منه في مساء يوم الخميس خامس عشر ربيع الثاني سنة إحدى وسبعين وتسع مائة ووافق الفراغ من نسخ هذا في يوم الاثنين التاسع والعشرون من ذي القعدة

سنة ١٢٨٤ هـ ألف الشامي الصالح نزيل البرقوقية بصحراء القاهرة في فهرست الأبواب هذا جميع ما تضمنه الكتاب من الأبواب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب وقال كاتبه: أقل تلازمة مؤلفه فقير رحمه ربه محمد بن محمد بن أحمد الغيشي المالكي قد انتهى ما جمعه مما وجد من مسودة مؤلفة وغيرها على حذو مؤلفه وأول ذلك من أثناء السرايا بعد أن أشار بذلك الشيخ الإمام العالم العلامة أبي العباس شهاب زين الدين عبد الحق السنباطي الشافعي والشيخ الإمام العلامة الحافظ أبي عبد الله الشيخ شمس الدين الداودي المالكي يوم وفاة مؤلفه وإمتناعي من ذلك لعلمي لعدم أهيتي لذلك، وعدم مراد مؤلفها، وقد رأيت تلك الليلة، وخصني على ذلك، فقوى العزم على ما أشار به الشيخان، فجاء بركتهم على وفق ما رسمه الشيخ المؤلف غير بعض تنايبه تركتها بيضا ولم أعلم مراده بها، وبعض بياضات لم يتيسر سدها الآن، وأرجو الله تعالى إن طال الأجل أن يبصرها، ويعيننا على ذلك إنه على ما يشاء قدير، ما شاء الله كان وما = (*)

[٤٧٠]

[...]

= لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اعلم أن الله على كل شئ قدير، وأنه أحاط بكل شئ علما، وأعوذ بالله من علم لا ينفع، ودعاء لا يسمع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع، أعوذ بالله من شر هؤلاء الأربعة وصى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. وقال العلامة المذكور رحمه الله تعالى وكان الفراغ منه في مساء يوم الخميس خامس عشر ربيع الثاني سنة إحدى وسبعين وتسع مائة ووافق الفراغ من نسخ هذا في يوم الاثنين التاسع والعشرون من ذي القعدة سنة ١٢٨٤ هـ ألف ومائتين أربعة وثمانون من هجرة من له العز والشرف - صلى الله عليه وسلم - على يد الفقير الحقير المقر بالذنب والتقصير وهبه ابن محمد سالم غفر الله له ولوالديه وإخوانه من المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. وبأيتها الناظر إذا تأملت بعض أبواب الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وغيرها وما حررته من الحواشي وغيرها وعذرتني وشكرتني على ذلك ودعوت لي بخير، فانظر يا أخي بعين الانصاف أيدك الله بالألطف؛ وإن رأيت عيبا فسد الخلا * جل من لا عيب فيه وعلا وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين. (*)

مكتبة يعسوب الدين عليه السلام الإلكترونية